

البداية في النهاية
حول العنف السياسي

- الكتاب: البداية في النهاية.
- الصنف: بحث سياسي.
- المؤلف: فياض موزان.
- الطبعة الثانية، لسنة ٢٠٢١.
- الناشر: دار ومكتبة أوراق.
- بغداد - شارع المتنبي - بناية مصرف الرشيد.
- الهاتف: ٠٧٧٥٣٤٨٣٧٧
- البريد الإلكتروني: alItalib1969@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت (الكترونيّة) أو (ميكانيكيّة) أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو بخلاف ذلك، الا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر.

٩٥٦,٧٠٨

٩٥٢ موزان، فياض

البداية في النهاية، فياض موزان.- بغداد: دار أوراق، ٢٠٢١.

(٥٠٠) ص، ٢٤ سم

١- العراق- تاريخ أ- العنوان

٩٠ م

٢٠٢١/٣٤٩٢

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٤٩٢) لسنة ٢٠٢١

النهاية في البداية

حول العنف السياسي

-قصر النهاية أنموذجاً-

فياض موزان

الإهداء

إلى كل الرفاق الذين يناهضون العنف والعنف بكل صورهما وأشكالهما، من غاب منهم أو ما زال يغدو السير على هذا الدرب وإلى أمي وأبي، وإلى عائلتي أهدي هذا الكتاب... لما عانوه وما تعرضوا له أيضاً من ارهاب ومن قلق وفزع وخوف، واعترافاً وامتناناً وتقديرنا للدعم والرعاية اللذين كنت أحظى بهما منهم خلال الفترات العصيبة التي مررت بها بل وطوال سنوات العمر... فحبهم لي وحبي لهم جميعاً، أسعفاني في أن أنهض مرات فمرات لأواجه تحديات الحياة ولكي تستمر حياتي!

شكر وتقدير

الشكر والتقدير لرفاق الدرب الذين عاشوا معه تلك المرحلة وكانوا شهوداً عليها، وقد أغنوا الكتاب بكلماتهم القيمة، التي وردت فيه، وهم كل من: د. أحمد ابراهيم، د. عبد جاسم الساعدي، د. عقيل الناصري، الأستاذ محمد عارف صابر.

مع الامتنان والعرفان لدوري ككل من د. الناصري والاستاذ عارف اللذين أسهما بتدوين ملاحظاتهما وإجراء بعض التعديلات والإضافات على مسودة الكتاب.
إلى هؤلاء جميعهم أقدم أعمق المحبة وأصدقها.

مقدمة الطبعة الثانية

لقد وجدت أن بعض الموضوعات في فصول وأجزاء الكتاب في طبعته الأولى تقتضي إضافات وتعديلات تغنى موضوعاته في طبعته الأولى. سأذكر بعضاً منها للتوضيح ولمعرفة ماهية هذه التغييرات التي تناولت مواضيع متعددة من فصول الكتاب.

في فصل العنف ضد المكونات الصغيرة، وفي فقراته المتعددة تمت إضافة آراء بعض الباحثين والمتخصصين في شؤون الأقليات العراقية الدينية والعرقية. كذلك تمت إضافة معلومات جديدة أخرى عن انتفاضة الأهوار التي قادها الرفيق الشهيد خالد أحمد زكي، وعملية نفق سجن الحلة المركزي وهروب السجناء السياسيين منه استقيتها شخصياً و مباشرة من الرفيق عقيل حبس المساهم الفاعل في العمليتين، والرسائل التي أرسلها المناضل الكبير الشاعر مظفر النواب له تناول بها النفق والانتفاضة ودور عقيل ورفاقه فيهما، وتم التطرق أيضاً إلى عمليات هروب جماعية أخرى لحفر أنفاق للهروب سبقت سجن الحلة المركزي حصلت في سجن الكوت وبعقوبة والسجن المركزي في بغداد وكيف تم حفرها والرفاقي الذين ساهموا فيها .

كذلك تمت إضافات تناولت إنقلاب ٨ شباط الدموي وما كان يجري في مراكز التحقيق والتعذيب وقصر النهاية منها شهادة للرفيق هاشم ذنون الذي كان معتقلاً في قصر النهاية حينذاك في ذات المعتقل الذي كان فيه الشهيد الرفيق سلام عادل، تطرق فيها حول ما كان يجري من تعذيب وإرهاب وإذلال في ذلك السجن الرهيب.

وتحت عنوان "إنتفاضة ٣ تموز ١٩٦٣" أضيفت فقرة جديدة فيها تفاصيل وافية عن هذه الإنتفاضة: أسباب قيامها، خطتها الجريئة، نواصصها، تنفيذها، والأسباب التنظيمية والعسكرية التي أدت إلى فشلها، وأسماء منفذيها وشهادتها وبطولاتهم، ونبذة عن حياتهم، ومدى إرتباط هذه الحركة بالحزب الشيوعي العراقي، والاستنتاجات والنتائج، والتقييم الميداني والموضوعي لتلك الإنتفاضة، وقد جاءت

بنص الرسالة التي رفعها الرفيق الشهيد هاشم الألوسي الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٦٤.

وشهادة للمؤرخ حنا بطاطو في كتابه "الشيخ والفالح في العراق ١٩٥٨-١٩١٧". عن أحوال سكان الصرائف في أطراف بغداد، كما تمت إضافة معلومات ووقائع واحادث وجرائم ارتكبها صدام حسين في الفترة التي غزا فيها الكويت عام ١٩٩٠.

كذلك تم إضافة مصادر جديدة للكتاب ووثائق وصور لبعض المواقع المختلفة التي دارت الأحداث فيها، وذكر أسماء لشخصيات كان لها أدوار بارزة في تلك الحقيقة الهامة من تاريخ الحركة السياسية في العراق.

وأتقدم بالشكر والتقدير للرفيق ماجد علاوي لما أبداه من إهتمام وعناية وما قدمه وبذله من جهد في إبداء ملاحظات وإضافة معلومات -ربما لم تسعنني ذاكرتي على تدوينها في الطبعة الأولى للكتاب -وهذه الملاحظات والمعلومات جميعها بلا شك قد أغنت كتاب النهاية في البداية.

فياض موزان

كلمات لرفاق الدرب

أحمد علي إبراهيم:

في مقدمته لكتاب فرانس فانون (معدبو الأرض) كتب جان بول سارتر يقول: (إن هذا العنف الجامح ليس زوبعة سخيفة ولا هو نقىض غرائز وحشية، بل ولا هو ثمرة حقد. إنه الإنسان نفسه يشكل نفسه تشكيلاً جديداً... هذه هي الحقيقة).

وما كتبه فياض موزان عن تجربة فريدة عاشهما بعمق رغم قصر مدتها (القيادة المركزية) وما تعرضت له إنما أراد أن يغور في صميم مفهوم العنف لا تمجيداً له ولا حتى إدانة فقد تركها لإحساس القارئ الحصيف وإنما محاولة لكشف حقيقة متوارثة في الشخصية العراقية وهي شخصية متفردة في محيطها تعرضت عبر التاريخ إلى صنوف من الاضطهاد والتنكيل لهذا عاد إلى هذا التاريخ يستعيد فيه ما تركه العنف في المخيال الشعبي فتحول عند الجلادين سلوكاً مرضياً و عند المناضلين عنفاً ثورياً... ذلك هو جوهر ما قاله سارتر (إن علائم العنف لا يستطيع أي لين أن يمحوها، إن العنف وحده يستطيع أن يهدّمه). لقد رافق العنف السلطة على الدوام فالدكتاتوريات والغزو الخارجي يجعلان العنف أكثر بروزاً كوسيلة للسيطرة على المجتمع أو بعض الناس على بعضهم الآخر. وقد كان قدر العراقيين أن يعيشوا فترات طويلة تحت سلطة الاستبداد والقهر وأن يتعاشوا مع استبداد اجتماعي آخر يتمثل في هيمنة الفكر الديني والتنافع المذهبي والاجتهادات المتطرفة حيث أصبحت هذه البقعة من الأرض هدفاً لاحتلالات عديدة فكان العنف أحد أهم وسائل الدفاع الذاتي، ومن هنا يصبح الوصول إلى حالة اللاعنف ضرباً من الخيال دون معالجة أسبابه والكشف عن جذوره الاجتماعية والدينية والبيئية والسياسية. ذلك ما نشره الكاتب عبر استقرائه لحالة العنف وتمظهراته في حياة العراقيين، فأظهرت الشخصية العراقية متوجهة بقلقها الدائم انفعالية ومتناقضية أحياناً لكنها ظلت على الدوام متيقظة وحاضنة للأفكار والثقافات، فقد اكتسبت تميزها الخاص في محيتها. فكان

أن أطلق على العراقيين أنهم (أهل رأي) فيما كان غيرهم في المحيط العربي (أهل نقل).

إن الدارسين في الفلسفة والسياسة والمجتمع والانثروبولوجيين جهدوا منذ قرون لتفسير ظاهرة العنف. فقد اعتبرت (حنن ارندت) أن العنف والاستبداد وجهان لعملة واحدة وذهبت بعيداً في جعل العنف المعاصر عنفاً عقلاً يسعى أساساً إلى إخضاع الخصم وإضعافه وهو ظاهرة كونية تختلف بشكل طبيعي من دولة إلى أخرى ومن جامعة إلى غيرها. وكان ماركس قد اعتبر العنف (محرك الأنشطة الاقتصادية) أي ما يدفع للعنف ليس غريزة العنف أو الطبيعة العدوانية اللاواعية للإنسان وإنما ضرورة وجودية لاستمرار المصلحة الاقتصادية. وبالعودة إلى تاريخنا العربي نجد أن ابن خلدون يعزو تنامي وتائر العنف إلى أن الشعوب رغم حضارتها المتطرفة تعود عبر ارتدادات إلى جذورها البدائية حيث كان العنف مرفقاً للصراعات والتنازعات من أجل حب البقاء. ولا شك أننا لا نستطيع أن نخلق مدينتنا الفاضلة كما أرادها الفارابي الذي لم يجعل من العنف ضرورة سياسية حيث يسود العقل أو التعقل بكل قيمه المثلية ويتحول الحاكم عنده إلى ملاك محب للعدل مبغض للظلم باحث عن الجمال.

إن الطبيعة العنفيّة الغرائزية التي شكلت معالم الصراعات والتنازعات عبر الانتقالات الحضارية كانت هي الأساس وراء النظريات والأفكار الفلسفية وظهور نظريات العقد الاجتماعي وتطورها على أيدي فلاسفة القرن السادس عشر وبشكل خاص بعد الثورة الصناعية، فحين وضع توماس هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩) نظريته في العقد الاجتماعي كان يدرك تماماً أثر العنف باعتباره محركاً للتاريخ وكامناً في الطبيعة البشرية... فهو يقول إن العقول بدون قوة السيف ليست سوى كلمات لا قدرة لها ابداً على المحافظة على حياة الناس. وإن الكلمات أضعف من أن تستطيع ردع طموح الأفراد أو غضبهم أو انفعالاتهم)... وذلك تماماً ما يتعدد في المؤثر الشعبي لدينا حيث (الحق بالسيف والعاجز يريد شهوداً).

ما أريد قوله إن ظاهرة العنف وتمظهراتها السياسية ليست خاصية عراقية وإنما هي ظاهرة كونية. إذ ورد في كتاب "عصر مثير" لـ(إيريك هوبزبوم): (في صيف عام ١٩٢٧ خرج العمال الذين اغضبهم إطلاق سراح اليمينيين الذين قتلوا بعض الاشتراكيين في شجار جرى بينهم إلى الشوارع في حشود كبيرة وأحرقوا قصر العدل في شارع رينغ الشارع العريض الدائري الذي يحيط بمركز فيينا القديمة لكن ذبح منهم خمسة وثمانون -ص ٢٧). وفي الستينيات من القرن العشرين أصبحت ظاهرة العنف الثوري هي السائدة بعد أن أصبح منحني الفكر الماركسي على أيدي كبار المفكرين الأيديولوجيين الروس يتوجه نحو مرحلة جديدة في إدارة الصراع مع الغرب في ضوء نظرية التطور اللا رأسمالي في وقت كانت فيه حركات التحرر الوطني تخوض صراعات دامية مع أنظمة فاسدة وحكومات غير قادرة على استيعاب الأزمات فظهرت حركات اليسار الجديد من معطف الماركسي وتبناها مفكرون و فلاسفة كبار وغذيتها تجارب نضالية في مناطق مختلفة من العالم وأصبحت أسماء مثل (ماوتسى تونغ وهوشي منه وجيان و كاسترو و جيفارا وريجيه دوبريه) ملهمة لعموم شباب العالم المتطلع لعالم أفضل فكان منطق اليسار الجديد يرى في العنف أنه القوة المبدعة في التاريخ ويربط ربطاً عضوياً بين الأسلوب الثوري لتغيير المجتمع وال الحرب الثورية التي تتخذ شكل حرب عصابات فيما يجعل الحرب الثورية هي الشكل الزهائي للصراع الطبيعي.

في كتابه (الثورة في الثورة) يقول ريجيه دوبريه (إن أي حزب لا يطرح النضال المسلح كمهمة أساسية هو حزب غير ثوري) ولقد طرح هبربرت ماركوز في نهاية الستينيات مفهومه للعنف الثوري فتحول إلى شعار سياسي حملته حركات الشباب والطلبة في أوروبا واستلهمته حركات سياسية في مناطق مختلفة من دول العالم الثالث الذي كانت شعوبه تعاني من القلق المستمر على مستقبلها ومن الجوع والحرمان والتسلط والدكتatorية. في حين دعا سارتر إلى تمجيد العنف باعتباره جوهر الإنسان واعترف بأن (العنف بأي شكل يتجسد فيه هو فشل لكنه فشل لا يمكننا

تجنبه لأننا نعيش في عالم من العنف وأن اللجوء إلى العنف في مواجهة العنف سيساهم في توليد المزيد منه لكنه يصبح السبيل الوحيد إلى إيقافه) مؤكداً على أن المضطهدين في الأرض لا يمكنهم أن يصيروا بشرًا إلا عبر الجنون القاتل لأن الآخرين هم الجحيم.

في مثل هذه الأحوال الثورية التي شملت مناطق مختلفة من العالم وبعد تجربة قاسية عانى فيها الشيوعيون العراقيون والشعب العراقي بعد انقلاب البعث في عام ١٩٦٣ و تعرضهم للمجازر البشعة ما كان لحزب سياسي كالحزب الشيوعي لم يتفاعل مع الحالة الثورية التي عممت المنطقة والعالم رغم إرثه النضالي الكبير إلا أن يتتصدّع فكان الانشقاق وظهور القيادة المركزية متبنية هذا التوجه اليساري الجديد وساحبة إلى جانبها قطاعات واسعة خاصة في صفوف الشباب والطلبة وأصبحت التجربة الجيغارية ملهمة لعدد من طلبة الجامعة الذين غادروا للالتحاق في بؤرة ثورية في أهوار العراق مع من سبّهم حيث استشهدوا جميعاً بعد قتال ضارٍ كان في مقدمتهم الشهيد الخالد (خالد أحمد ذكي)، وفي بغداد والبصرة والموصل استطاع الطلبة أن يحققوا مأثرتهم الكبيرة بفوز اتحاد الطلبة في الانتخابات التي جرت عام ١٩٦٧. هذه الانتخابات أرعبت السلطة وحزب البعث على السواء فألغت الحكومة نتائجها ما دفع أيضاً بالروح اليسارية المتوجهة إلى مديات أعلى فكان الإضراب الطلابي الكبير.

وفي العودة إلى ذلك التاريخ يصبح تسلیط الضوء على مجریات الحوادث ذا أهمية في وصف تظاهرات العنف، والإفادة منها في صياغة أشكال النضال. فقد بدأ الإضراب في كليتين وخلال أسبوع واحد تطور ليشمل الجامعة كلها وفي أجواء من الروح الثورية دفع الاتحاد بكل قوّة عناصره لتطوير الحالة الثورية وبما يتناغم مع توجهات الحزب لاستثمار هذه الحالة. لم يلتفت أحد إلى الوراء لمعرفة القدرات الحقيقية للاستمرار ولم تكن هناك أفكار أو استراتيجية للتراجع واستمر الاتحاد في اندفاعه ظناً منه أنّ ثمة شيئاً قابلاً للتحقق في ضوء شعارات الحزب الثورية وكان التساؤل عما يمكن فعله في المرحلة اللاحقة يثير قيادة الاتحاد فليس ثمة ما هو واضح بشأن

الخطوات القادمة وفي نفس الوقت توجست الحكومة من أن وراء الاضراب ما هو أكبر في حين اعتبر حزب البعث أن خلف الاضراب خطة للانقلاب خاصة وأن لهم تجربة في عام ١٩٦٢ حيث كان إضرابهم مقدمة لانقلاب شباط الدمسي. ذلك ما جعل حزب البعث يشكل مجموعات على رأسها صدام حسين و عبد الكريم الشيخلي و حسن المطيري ومجموعات منخرطة في جهاز صدامي معروف وبالتعاون مع الأجهزة الأمنية اتخذ قرارا بكسر الاضراب وجرت اعتداءات في عدد من الكليات مما دفع الاتحاد ومن خلفه المنظمة الحزبية إلى تشكيل وحدات للرد على الاعتداءات كان يتبعها نو زاد عبد الرحمن و مجید جميل و آخرون وتحول الاضراب إلى مصادمات للعنف والعنف المضاد ما دفع البعث والمعاونين معه في المؤسسة العسكرية ودوائر المخابرات الأجنبية إلى الإسراع بتغيير نظام عبد الرحمن عارف الذي عرف بالضعف في مواجهة الأحداث. وبانقلاب ١٩٦٨ بدأت مرحلة جديدة في عملية تصفية الخصوم وإدامة دوامة العنف بوتأثير متصاعدة عكست همجية نظام البعث وتطور أساليبه العنفية في التعذيب حتى الموت أو اغتيال معارضيه وكان في المقدمة منها تصفية القيادة المركزية التي جاء على تفاصيلها وأحداثها هذا الكتاب.

ولعل فياض موزان عاش تجربة عميقة... فهو مناضل في صفوف الحزب الشيوعي تعرض للاعتقال عدة مرات كان أكثرها قساوة على أيدي البعث في قصر النهاية. ولعل تجربته تكتسب أهمية استثنائية في كونه أجرى مقاربة فريدة في موضوعة العنف بين ما تعرض له في معتقلات البعث وبين ما تعرض له أيضاً على أيدي جلادين ارهابيين بعدما اختطف في السنوات اللاحقة لسقوط النظام الصدامي في عام ٢٠٠٣ حيث انتشرت الجرائم المنظمة ومجموعات الإرهاب لتعيث بحياة الناس من جديد وتمارس نفس الدور الذي مارسه البعث في قصر النهاية وإن بوجوه جديدة و بعناوين الجهاد والمقاومة و الدين وليس من قبيل المبالغة أن تجربة البعث العنفية خلفت ثقافتها الخاصة بحيث أصبح المنظرون لهذا الحزب لا يتورعون عن القيام بأية اعمال تنكيلية قدرة ضد كل من توجه إليه أصابع الاتهام أو من تقرر تصفيته أو تعذيبه حتى

الموت وباستثناء أعداد قليلة من البعثيين ممن رفضوا هذا النهج المعطل لإنسانيتهم فإن الاستعدادات النفسية المكبلة بثقافة العنف البعثية كانت جاهزة على الدوام لارتكاب أبشع الجرائم سواء في زمن حكمهم أو في أقبية الموت الجديدة وممارسات الإرهابيين في القتل على الهوية أو الاختطاف أو قتل الآخرين بما يشبه الإبادة الجماعية في تفجيرات طالت الناس الأبرياء والمسالمين.

إن الصديق العزيز فياض موزان بكتابه هذا الذي يعد مأثرة جديدة في صفحات نضارته يتصدى للبحث في مرحلة هامة من تاريخ العراق لم يكتب عنها إلا النذر القليل... وهي بمثابة دعوة إلى من تبقى من المناضلين على قيد الحياة للإسهام في كشف الحقائق عن أحداث جرت لا تزال يشوبها شيء من الغموض... في حين أيقظت عندي ذكريات عن رفاق ومناضلين لا يمكن نسيانهم منهم (عبد الكاظم كاطع وليث الربيعي وإدريس محمد وخليل الغزالي ومنير حاكم وعمران جاسم وضياء حسن ونوزاد عبد الرحمن) وقائمة تطول بالأسماء التي أضاءت طريق النضال... فيما لا تزال صور الشهداء (مطشر حواس وحسن علي أمين ورياض البكري وسامي الهاشمي) وأخرين حاضرة على الدوام في العقل والضمير كلما استعدنا مأثر شعبنا وتضحياته.

أحمد علي إبراهيم - بغداد في ١٥ / ٥ / ٢٠١٦

عبد جاسم الساعدي:

المناضل فياض موزان يستعيد ذاكرة الانتماء والعنف

مذكرات الصديق المناضل فياض موزان تفجر الراكد والساكن وحتى "الخامل" في الذكرة، بعد خمسة عقود ثقيلة وتراتبات حملت في طياتها تجارب سياسية متقاربة، لأصدقائه ورفاق مسيرته الطويلة، الذين بقي منهم الآن على قيد الصحة والقراءة والحياة والمتابعة، بإثارة الأسئلة، وتلك مهمة صعبة جداً، في العودة إلى التفاصيل، إلى المتوسطة "النظمية" والانتماء، بل هوس الانتماء والشباب والحركة والعمل الجماعي التطوعي والشعبي.

كنا نلوذ بحدائق بارك السعدون، بين الاجتماع واللهو والقراءة، وكانت جزءاً جميلاً من ذاكرتنا ذاكرة الطفولة والشباب والانتماء.

نترك مؤقتاً الدروب المظلمة والخندق العميق في الطرف الآخر من السدة الشرقية، وكأن العالم صار بين أيدينا.

نطق الحرية لأنفسنا في مبادرات اجتماعية وثقافية وصحية وسياسية... تلك التي كانت تحمل في داخلها معاني الحراك الشعبي، ما دامت تدخل عمق مجتمع يعاني الخوف والعزلة والاضطهاد.

تحولت مذكرات الصديق فياض إلى بحث وقراءات اجتماعية وثقافية وفكرية، وأولت موضوعة "العنف" الأهمية في نشأته والظروف التي تصنعه والأطوار التي مر بها تاريخياً وسياسياً في العراق، ووقف بتأمل يعيد ذاكرة النشأة والطفولة في حي "البتاويين" والأحياء الشعبية الأخرى في بغداد.

جمعنا الانتماء والحركة والشباب، وكأننا في "خلية" واحدة، تشكلت بعد ثورة تموز ١٩٥٨، وتبعثرت بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣: فياض موزان، جمعة اللامي، خضير

عباس اللامي، صباح حسين خصاف "صاروخ" ومن الطرف الآخر ثمة السادة: مؤيد الخطيب و منصور يعقوب الحسين و مؤيد الطباطبائي، الذي توفي مبكرا، والفيقان: هاتف ابو ربيع وفوزي عباس....

كنا نتباهى في مجازاة القادة الكبار وكأنهم شيوعيون "متصوفة"، يجمعون بين الأخلاق الرفيعة والصدق وثقافة الانتماء، أضفت علينا مدرسة "الحزب" معاني الرجلة، قبل أوائلها، ونقلتنا إلى مصاف "القادة" الكبار، كم كانت تلك المدرسة جذابة ومؤثرة.

كسبت "الوالدين" فأفراد العائلة إلى جنبي، شعرت بعدها بأن الوالد رحمه الله، كان يبحث عن "رحلة" من طراز خاص، لعله وجدها في الشجاعة والانتماء من جهة، وتأييده لثورة تموز العام ١٩٥٨ وقادها "عبد الكريم قاسم".

غضب الوالد بشدة عند الانقلاب، رافقنا بل كان يحرضنا على المقاومة والاستبسال، ويحضر بيننا صباح حسين "صاروخ" بقنبلته اليدوية... كنا أربعة، ثم صرنا عشرة، وما أن انحدرت الشمس نحو مغيبها، حتى اكتنضت الساحة الصغيرة بالمئات، كانوا يجرون خطاهم جراً، كان ذواو القامات الطويلة أكثر اندهاشاً من غيرهم، وهم يستطعون وجوه القادمين، أفراداً وجماعات، يؤدي بعضهم التحية بغمزة عين رخوة وبنظره عتاب مرأة، يتاؤهون فيما تنفرج أساريرهم عن غضب مكتوم، لا يلوون على التتصريح به، خصوصاً إذا فوجئوا بقدوم مالم يكن يتوقع قدومه بتلك السرعة.

نزل المسلحون في وسط الدائرة، وكأنهم يستعرضون أسراهם، تقدم أحدهم نحو فليح حسين، الذي بقي ممددا على الأرض، ركله ببساطة مرات، ثم ضربه بأخصص رشاشته، لم يقو على النهوض، تدفق الدم من رأسه واحتللت بالطين الذي يغطي جسمه.

صاح المسلحون: ينتظم الصائمون في صف آخر، ويظل المفطرون في أماكنهم. كان صف الصائمين يزداد بين الحين والآخر. تعال ننظم إليهم لعلهم يشفقون علينا... يقول بعضهم البعض.

رافقنا الصديق فياض منذ الساعات الأولى لانقلابهم الأسود في شباط ١٩٦٣ وحتى المقاومة والاعتقال في مديرية الأمن ثم "جملونات" معسكر الرشيد، والاختفاء والعودة إلى التنظيم والكفاح المسلح في القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي.

يرسم الرفيق المناضل فياض موزان لوحات ومشاهد تاريخية عن الموت والخراب والأصدقاء، سواء في الشارع أو في المعتقلات أو في قصر النهاية وأخيراً ذاكرة (الخطف) والعنف والحياة.

سنبقى بحاجة إلى مذكرات وتحليلات مماثلة لشدة العنف والموت والانشطار والمقاومة، وتفعيل ذاكرة الانتماء.

عبد جاسم الساعدي / بغداد - آيار ٢٠١٦

مذكرات من زمن الاستبداد

عقيل الناصري:

الفيض الصادق في هذه المذكرات لمناضل عضوي زج نفسه في الصيرورة الاجتماعية الجمعية، ذات الغائية المستهدفة لتحقيق أمنية، ليست ذاتية، قدر كونها تعبّر عن مشروع جمعي يهيم ويصب في صالح جمهرة واسعة من الناس، كانوا ولايزالون يمثلون مادة التاريخ الانساني الحي. لذا عندما يشرع القارئ الليبي في قراءتها سيفوض في سردية لا تمثل ذاتيته ولا تعبّر عن أنوتيه، كما في مذكرات الكثير من السياسيين حزبيين أو غير حزبيين، بل سيرى أن هذه المذكرات مصاغة في خطاب سياسي ذي صرخة احتجاجية عالية النبرة، وبتعابيرات عفوية حية متحركة، وبدفعه صادق متذبذب من ثناياها، وهي تسبّر غور (الومضة الثورية) التي مضى عليها أربعة عقود ونيف، بكل أماناتها وغائياتها، بمجمل طرق تفكيرها وسيرورات تطورها، عن نكساتها ونجاحاتها وما آلت إليه بعد انهيارها، لتمسي جزءاً من تاريخ الصراع الاجتماعي والحركة الثورية. بمعنى آخر إنها تعبر حي للموضوعية في صدقها السياسي، وفي موقفها الأخلاقي من ذات التجربة أو من شخصيتها المحوريين، الأحياء منهم والأموات، وفي جمالية طرحها الرزين الهداء، ومسيرة تتبع أحداثها وما رافقها، والأهم من كل ذلك في بعدها النبدي.

سيثير عنوان المذكرات **النهاية في البداية الحول العنف السياسي** "جملة من التساؤلات المعرفية، إثارة البلبلة الفكرية والحيرة السياسية لدى القارئ الليبي ويضعه في حيرة من أمره لهذا التناقض الشكلي؟! كيف نوفق بينهما وكيف ستكون النهاية في البداية وهو من منطق الأمور؟ ونهاية ماذا.... الحركة أم المنهج السياسي؟ الممارسة أم الأمنية؟ ربما سيذهب التفكير إلى كون المذكرات تعبّر عن سردية استفهامية واعية ومدركة وهي محكومة بفنائها بحيث تصبح البداية ليست في النهاية؟ وإلا كيف تكون؟

ترى أهي وعي الذات والتجربة أم احتجاج صامت ونقد سياسي نوعي على ممارسة سياسية لفصيل سياسي له تاريخ نضالي عميق في العراق المعاصر ورؤيه فلسفية ذات طبيعية راديكالية وصاحب منهجه خاص في النضال السلمي والمسلح؟ أم هي تعبير عن حالة فردية لمناضل خاص تجربة وكانت الحصيلة في (النهاية)؟ أم هي حصيلة لهذا الكم من المواقف الذاتية والجمعية والحركة المغشوشة بالأمنية الجمعية الجميلة؟

وهنا سينبiri التساؤل المتمحور حول مدى جوهر المذكرات وماهياتها؟ فهل أرادت تأرخة حركة القيادة المركزية؟ أم وظفت جزءاً منها في رصد ماهية العنف السياسي الذي انصب على تصفيتها واجتناثها من الواقع المادي؟ وهل استطاعت هذه المذكرات رصد المال الذي انتهت إليه الانتفاضة الثورية، على الأقل في بعدها المعلن، بحيث أثارت جملة متصاعدة من عواطف وانفعالات، توبراً وارتخاء معبرة عن وعي الذات الجمعية لجمهرة اليسار والتقدميين، حزبيين أو لا حزبيين، ومتهافتة نحو تعميق فكرة التغيير وتحقيق حلمها الأبدي في إرساء أسس العدالة الاجتماعية عبر استلام السلطة بالطرق العنفية؟ وهي التي خرجت توأماً من طاحونة المذايحة الجنونية ذات الطابع الثأري البدوي إثر انقلاب شباط ١٩٦٣ بالتنسيق مع المراكز الرأسمالية وبالأخص الأمريكية/ البريطانية؟

أم إن هذه المذكرات في ماهياتها العميقه، تعبير غير مباشر عن صرخة الألم المكبوت لهذه الجمهرة (التي أزعم أنها كبيرة كما يتوضّح من حراكها الاحتجاجي النقطي على طول مسيرة العراق المعاصر)؟ وإدانة، غير معلنة إلى حدٍ ما، لقياداتها السياسية (التاريخية) وتحميلها مسؤولية ما حدث؟ وهذا ما تنم عنه تاريخية حركة اليسار التي كانت قاعدها دوماً على يسار قيادتها في المطلبيه والتصور؟ والعمل على إحلال البديل الأكثر شباباً وحيويةً وتفهماً للنظرية الثوريه والمتاثرين بالطرف الدولي لحركة اليسار في عموم المعمورة وبخاصة في عالم الأطراف الذي كان يمور في حينها، بالانتفاضات الشعبية ذات المطلبيه المشروعه ومن أجل العيش الكريم للجماهير المحرومة.

أم أرادت المذكرات رصد إشكاليات وتفاعلات الصيرورة الحزبية للقيادة المركزية من داخلها؟ من ملابساتها وتعقيداتها، من ذاتية بعض الحزبيين القياديين في هذا الحقل المزروع بألغام السلطة واندساساتها من العناصر الحزبية القلقة، ومن ماهيات العمل السري المثيرة بطبعتها للرومانسية المفعمة بالبطولة وفي الوقت نفسه من انتشار الريبة والشكوك؟ أو من أنوية بعض من القادة المنتفضين، كما تنم عنها المذكرات بصورة أو أخرى، ما بين السطور غير المرئية؟

أم هي محاولة (لتربع الدائرة) كما يقولون، كتعبير عن استحالة الغائية المستهدفة من حركة الانفصال، أو إن شئت الانفلاحة، عن جسد الحركة الأم؟ أم في تناقضها مع ما هو مسموح به في العلاقات الدولية في زمن الحرب الباردة؟ أم يريد صاحب المذكرات من القارئ التمعن في ذات التجربة واستنباط القرائن عن ماهياتها وعن العمل السياسي عامه والحزبي خاصه في العراق المعاصر وما ينتابه من خلل بنوي، قد ابتعد، كما أرى، عن غائياته السياسية والفلسفية وأوالية (ميكانزم) علاقاته الداخلية سواءً في الذات الحزبية الداخلية أو في علاقاته مع القوى الأخرى، والتي تفصح عنها مقوله: **الغربة الحزبية تشكو من غُربتها؟** حيث كان رفع سقف الخطاب الثوري ونبرته، في بعض ما ذهبت إليه القيادة المركزية، كما أرى، لا يقف على ارضية واقعية، وقد غاب عنها الإدراك العقلاني لإمكانياتها وقدراتها الفعلية وللظروف الموضوعية لتجليات الوعي الاجتماعي الفلاحي على وجه الخصوص؟ إنهم يحاربون السماء بأيديهم العارية.

أم أنها، في الوقت ذاته، تعبير وتحذير للحزبيين وغيرهم من العاملين في الحقل المعرفي ومِمَّن حرثوا تربة التغيير، عن ضرورة إدراك قوانين وسفن الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في سياق صيرورة ظهورها وتطورها وفي علاقتها بالظرف التاريخي المادي الملمس، ضمن حقول المفاهيم العلمية، بغية اتخاذ الموقف الصحيح حسب الممكن والمتاح؟

وأرى أن المذكرات في ماهياتها هي اغتراب أفقى يمتد لعمق العراق التاريخي، بغية خلق وعي اجتماعي عالٍ وإدراك سياسي عميق لماهيات تجليات العنف الذي

ساد في تاريخية العراق القديم والحديث ولهذا بدأ بعرض لأصول العنف في تاريخنا العربي / الاسلامي حيث مورس بكل جلافة عبر تاريخيته المادية وأوصلنا إلى تاريخنا المعاصر منه، وبالاخص الجمهوري وعلى وجه الدقة في المرحلة الجمهورية الثانية (٩ شباط ١٩٦٣ - ٩ نيسان ٢٠٠٣)؟ وهنا ندرك جوهر عنوان المذكرات النهاية في البداية.

وفي الوقت نفسه... هذا العرض التاريخي هو بحد ذاته إدانة للقوى الاجتماعية، مهما تعددت أبعادها الفكرية واختلفت مصادرها، والتي تبنت العنف في تحقيق ذاتها ومشروعها وفي رسم علاقاتها مع القوى السياسية الأخرى وممارسته في حراكها السياسي لأجل تطبيق فلسفتها ذات البعد الجزئي والنظرية الواحدية الضيقة لمجتمع متعدد الانتماءات الفكرية والاجتماعية والاثنية والدينية.

أم كان صاحب المذكرات، وهذا ما أعتقد، يريد أن يسلط الضوء الكاشف على ماهيات جحيم (قصر النهاية) الرهيب والسيئ الصيت من خلال تبنيه لعنوان (البداية ليست في النهاية) كدلالة رمزية ومادية في الوقت نفسه وبلغة هادئة وسلسة لإدانة ليس السلطة التسلطية البعثية في فترتي حكمها، بحيث حولت "... مبني قصر النهاية وعلى مدى الحقبة السوداء نفسها إلى ما يشبه المسلح البشري الذي سقطت في سراديبه وأقبيته ودهاليزه المظلمة العشرات والعشرات من جثث الكوادر القيادية المتقدمة للحزب الشيوعي....^(*) ... أقول: ليس هذا فحسب، بل أدانت المذكرات ذاتية العنف بحد ذاته من خلال استعراض بعض من تاريخية جذوره السياسية والدينية المنفلترة وبدائيات القسوة الوحشية التي تحولت إلى ممارسة سياسية وسلوكية ثابتة لبعض القوى الحاكمة أو تلك الفئات المسلحة المنفلترة في عراق اليوم وما تعرضت له الكثير من المكونات الاجتماعية العراقية الأصلية على تعدديتها من: أيزيدية وصابئة مندائيين ومسحيين وشبك ويهود وفيلييين وغيرهم؟ إنها صرخة مدوية ضد العنف بكل أشكاله ومبنياته.

* عبد الستار الدوري، أوراق عتيقة من دفاتر حزب البعث، ج ٢، ص ٧٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - ٢٠١٥.

وفي الوقت ذاته هدفت المذكرات، كما أرى، إلى تنبيه وتحذير الرأي العام ومصارحة وعيه الاجتماعي في تجلياته: السياسية والجمالية والقانونية والدينية والفكرية والمعرفية، إلى ما يسود في زمن الجمهورية الثالثة (٩ نيسان ٢٠٠٣ إلى الوقت الحاضر) من انفلات وتشظي مركبة السلطة وبالتالي ظهور المليشيات المسلحة ذات الأبعاد الجنائية... لتقول إن العنف لا يؤدي إلى أي حل للاشكاليات الحياتية ولا للصيورات السياسية / الفكرية المتبنّة... بل أن العنف سوف يفسد أي مشروع جمالي مهما كانت غائيته وأخلاقياته... وهذا ما أفضّلت فيه محنّة المؤلف من المختطفين.

والأكثر من ذلك، كما أعتقد، أن مذكراته في مضمونها، عبارة عن حالة تأملية تحاول، بكل هدوء، تسلیط الضوء إلى ما تعرضت له (القيادة المركزية) من ملاحقة وتعذيب واجتثاث مادي وتصفية معنوية، وتعيممه على بقية الفصائل السياسية التي تعرضت هي الأخرى إلى ذات النهج من قبل الحكومات التسلطية، عسى أن يعثر على مغزى وجدوى لهذه الأساليب، ليس له كذات فردية بل كذات جمعية. بمعنى آخر أراد تذكيرنا بأن مآل هذا السلوك هو الفشل والخذلان لأن الحياة لها مؤسساتها الأخلاقية الضابطة والسياسية المنظمة التي تکبح التطرف. كما أنها تعبر جمالي وأخلاقي ومبدئي عالي البعد، وترجمة حية لموقف بعض الشهداء في قصر النهاية لتماثل مع قول الروائي الألماني هرمان هسه "أنت مصيبة ألف مرة في احتجاجك ضد هذا العالم البائس... أنت محقق حتى لو مت مختنقاً من هذا العالم بدلاً من قبوله". بمعنى آخر أنه الرفض الوعي والمدرك لما هيّايات الحكومات التسلطية وأساليبها العنفية التي كانت سائدة ولا تزال.

ورغم مسيرة الألم والانتهاكات لحقوق الإنسان، سواء الطبيعية أو المكتسبة، تتصدح المذكرات بخلفية سيمفونية هادئة تعزف الألم المتأمل والمنشود من البداية إلى النهاية، عبر استعراض مكامن الألم العنفي في تاريخنا القديم والحديث، حيث القصر المشؤوم الذي حاول أصحابه، كدلالة رمزية وملمومة، حقن الوجود العراقي بالارتياح، وفي تهرئ الحالة النفسية، لداخليه والبعيدين عنه، من خلال الخوف

وزرع الاحباط واليأس والعجز عن التفكير السليم والتعمق في الاستلاب بكل ابعاده وفقدان اليقين، وجعل الناس متلقين فقط... وهذا ما نجح فيه أصحاب القصر لحين فترة... لكن لسنن الحياة مفعولها وقوانينها ولصراع المصالح قواه التي جماعها ستكسحهم وترميهم في مزبلة التاريخ... وهذا هو جزء من فيض الأمل الذي استطعت أن اكتشفه في المذكرات.

كما أنها، وهذا ما يميزها عن الآخريات، ليس فيها تبريرية فاقعة للعقل والضمير، سواء للذات أو الواقع، بل هي ناطقة بحقائق لا غبار عليها، بحيث شهد الكثيرون من دخلوا قصر النهاية، عليها من مختلف المشارب السياسية... عاشهها صاحبها بواقعية وعكسها بسردية وبموضوعية عالية بدون رتوش ولا تزويق... وبالتالي كان الراوي لرواية الدم والألم أحد أبطالها منذ دخوله إلى القصر، وشاهد بأم عينيه ما جرى ليس له فحسب، بل لمناضلين سياسيين تم اجتثاث الكثير منهم ماديًا، ومعنويًا لبعضهم الآخر، كما تطرق ليس إلى رفاقه فحسب بل لما لاقاه بعض السياسيين المحوريين في إدارة الدولة العراقية ومن قوى سياسية أخرى.

لقد تلمست هنية في المذكرات عندما لاحت موضوعها الأساسي ببعده التاريخي، إلا وهو العنف حيث توقفت على جانبه المادي فحسب، دون أن تنطرق إلى الجانب المعنوي المتمثل بالقوانين والخطاب السياسي القمعي وبفلسفة النظرة الواحدة للحياة، أو تلك التي تبرر عنفها بالحق الإلهي أو الطبقي والتي سرت في المجتمع العراقي منذ قرون عدة ولا تزال.

أعتقد أن المذكرات صرخة عميقة ضد العنف واحتجاجا ضد الموت غير الطبيعي... وستبقى وثيقة تاريخية تدين النظم التسلطية وبخاصة منذ انقلاب شباط الدموي عام ١٩٦٣، الذي قتل في الجوهر حلم فقراء بلدي في الحياة السعيدة المأمولة من زعيم حكم لهم ولم يحكم بهم.

محمد عارف:

النهاية في البداية

بدءاً لا أروع ولا أبلغ ولا أكثر ذكاءً من عنوان كتاب فياض هذا عن حقبة من حقبات الربع والظلم والقهر في وادي الرافدين.... حقاً بداية هذا الطغيان لم تكن في قصر النهاية.... ومجازاً في النهاية. فقد عاش إنسان وادي الرافدين في تاريخه الطويل طغياناً يحكمه طغاة من كل نحلة ولسان ودين وما زال هذا الطغيان يتواتد ويترعرع في مجتمعاتنا في الشرق كلما وجد تربة خصبة من الجهل وغياب الوعي واستغلال الأديان وتسييد "مبعوثي العناية الإلهية" على مقدرات البشر والبلدان. ولعل قيم الإنسانية النبيلة تسود سلوك وممارسات السلطة والدولة والمجتمع وكذلك حياتنا كأفراد لنضمن ونكتسب مناعة ضد الطغاة والطغيان والإفلات من قبضتيهما إلى رحاب المحبة والجمال والعدالة والخير والحرية.

هذا الكتاب ليس سرداً تارياً... إنما توثيق لفترة نضال ولمواقف وأشخاص منهم من مضى ورحل ومنهم ما زال إما في معترك الحياة وعلى خشبة مسرحها أو جالساً على مقاعد من مقاعد هذا المسرح للفرجة.

إضافةً لذلك فإن الكتاب ينظر في أوراق شجرة الظلم والقهر الضاربة الجذور في تاريخنا منذ عهود سحرية عانى فيها أبناء الحضارات التي مرت في وادي الرافدين منها الأمرين ولم تزل ظلال هذه الشجرة تغطي المعذبين الذين تردد صدى صرخاتهم بالأنين والشكوى.

يثير هذا الكتاب عديداً من الأسئلة ويطلق سيلاً من الأسئم حرضاً على حاضرنا ومستقبلنا وعلى ماضينا الحاضر الدائم في وعي وفكر أفراد مجتمعنا. والسؤال الأعمق الذي يثيره هو: لم حدث هذا الذي يوثقه وكيف ولصالح من؟ قد تختلف الآراء حول المحنـة التي مر بها العراق والتي كان فياض واحداً من شهودها وضحاياها... لكن لا

يمكن أن نختلف عن أنها كانت محاولات نحر وانتحار عائدة لبعض رواسب التراث التاريخي التي ما زالت تسكن الشعور الكامن في مجتمعنا.

الكتاب هو نزف من جروح ما كان يجب أن تكون...وعبر لذكريات عبقة عاشرها فياض سكناً في المعشوقه بغداد التي أصبحت مدينة تسكن فيه أينما حل به الترحال.

الكتاب هو بشاره أمل لابد أن يكون لغد يجد الإنسان فيه واقعاً جميلاً يعيشها بكل معاني وقيم الإنسانية كما جاءت به كل الأديان والرسالات والمواثيق والأعراف ومبادئ الأخلاق منذ بدء الخليقة....نعم أن يعيشها واقعاً وألا يبقى حالماً بها حلماً سرمدياً.

هذا الجهد الجاد من فياض هو إسهام متواضع في إثارة العديد من الأسئلة التي تنتظر أجوبتها حول سنوات عاصفة مرت، وما زالت تمر بالعراق، شهدت علاقة عنيفة بين السلطة وقوى التغيير، بل والمجتمع بأكمله، والتي كانت تدعو وتعمل من أجل الإرتقاء بالمجتمع والإنسان بالفكر والسواعد.

لقد عمل فياض بكامل طاقته وذاكرته على أن يوازن بين كفتي سرده الذاتية والموضوعية مع الأحداث والأمكنة والتعاطف والإنصاف لرفاقه وأصدقائه وزملاء رحلته في الحياة.

هذا الكتاب الذي يوثق المحنـة المروعة التي مر بها العراق هو دعوة مفتوحة لنا جميعاً لإعادة التذكريات وقراءة تاريخنا البعيد والقريب تقتضي من الجميع نقد كل الأحداث والمواقف على الإطلاق ومراجعة تاريخنا مراجعة جذرية حتى لا تتكرر في حياتنا أو حياة أولادنا محن وكوارث وأحزان أكبر وأعمق لعلنا نصل يوماً ينفك فيه هذا الترافق بين ثقافة وقيم مجتمعنا خصوصاً والشرق عموماً وكلمة الطغيان.

وأبرز ما في الكتاب هو تلخيص لإحدى المعضلات التي واجهها فياض وآخرون غيره ممن لم تغفر لهم التزاماتهم ومساهماتهم الجدية والفعالة في محاولات التغيير لما

تعرضوا له من خيبة الأمل والإحباط بل والخيانة أحياناً رغم شديد ولائهم للقضايا التي وهبوا أحلى وأجمل سنوات العمر لها.... أليست هذه الحالة مفارقة أم أنها من طبائع الإنسان والأمور؟

ولعل ما يخفف من وجع الآلام في الكتاب وما شقاني إليه أن أقرأه سطراً سطراً هو ما جاء فيه من وصف جميل دافئ عن بغداد الحلم الذي مضى... وقوس قزح بهيج من مكونات المجتمع الذي كان يسكنها في تناغم بديع من قوميات مختلفة وأديان شتى ومذاهب متعددة، كانوا كلهم يعبدون الله الباري عز وجل ولكن كل بطريقته... وهل في ذلك ضير؟

لست أدري: أأثني على الكتاب أم على مؤلفه لما أبرزه من وفاء وتقدير وذكرى طيبة للمدينة ببغداد والأمكنة التي مر بها والشخصيات التي جايلها وعايشها في سنوات الطفولة والفتولة والشباب والأجمل هو وفاؤه لمن استحقه ممن كان في الركب معه في السنين الماضيات ورحل إلى ذمة الله.

محمد عارف صابر / كندا - كانون ثاني ٢٠١٦

الفصل الأول

العنف كظاهرة وحشية

أن العنف كظاهرة وحشية لم يكن حكراً على شعب أو ديانة أو بلد معين. فقد مارسه حاكمون، وشعوب، وأتباع ديانات مختلفة، استخدموه فيه أساليباً وأشكالاً متنوعة شملت صنوفاً من العقوبات الجسدية، والاستبعاد، والاستبداد، والقهر، والاضطهاد والتعذيب، والقتل بطرائق وحشية.

١- عن عدنا التاريخي

أ- العنف السياسي

إن ثقافة العنف ونهجـه في العراق قد يـمان قـدم أرضـه بـحضارتها التي بـنيـت على أجـسـادـ النـاسـ عبر إـسـلـوبـ العنـفـ القـسـريـ: فالـعنـفـ هوـ قـاطـرـةـ تـارـيـخـ المـجـتمـعـاتـ البـشـرـيـةـ.

لكن العنف السياسي الذي يمارسه الحاكم، يحمل بين طياته أقسى أنواع الظلم، وهنا حالة ملزمة وملائمة له، حتى إن صور كل حاكم قضيته بأنها قضية إنسانية عادلة - كما يزعم - مستغلـاـ الطقوسـيةـ المترسـخـةـ لـدىـ الـافـرادـ، والـتيـ أـمـسـتـ جـزـءـاـ منـ شخصـيـتهمـ، بـتسـخـيرـهاـ لـصالـحـ بـقاءـ حـكـمـهـ. فـهيـ تـصـبـ ظـاهـرـةـ بـعـدـ تـسلـلـ الـوعـيـ وـنـفـاذـهـ إلىـ عـقـولـ الـأـفـرـادـ عـبـرـ تعـقـيمـ فـكـرـيـ خـلـقـتـهـ الـظـرـوفـ الـمـسـتـجـدـةـ الـمـحـيـطـةـ بـهـمـ أوـ الـأـفـكارـ التـنـوـيـرـيـةـ التـوـعـوـيـةـ الـآـتـيـةـ مـنـ الـأـخـرـ، الـذـيـ سـبـقـهـ إـلـيـهـ بـوعـيـهـ وـإـدـرـاكـهـ، لـتـشـكـلـ لـدـيهـمـ حـالـةـ تـمـرـدـيـةـ عـلـىـ الـظـلـمـ، تـرـاقـقـهـ رـدـودـ فـعـلـ عـنـيـفـةـ، تـبـدـأـ عـنـدـهـاـ الـمـجـابـهـةـ بـيـنـ الـعـنـفـ وـالـعـنـفـ الـمـضـادـ، بـصـورـةـ أـقـسـىـ وـأـشـرـسـ. وـيـمـكـنـنـاـ الرـجـوعـ إـلـىـ جـذـورـ ظـاهـرـةـ الـعـنـفـ، كـيـ نـفـهـمـ طـرـيقـةـ الـوـقـوفـ بـوـجـهـهـاـ، وـالـعـمـلـ عـلـىـ اـضـمـحـلـالـهـاـ، وـلـاـ نـنسـ أـنـ الـأـرـهـابـ يـمـثـلـ

الدرجة القصوى من العنف، تختزن في عقلها مفاهيم الاحتقار والكرابحة للأخر الم مختلف، بل حتى إن لم يكن مختلفاً معنا وعنا ولكن لمجرد كونه (آخر)!

لقد استمر هذا العنف بأشكال عده اتخذت مديات لا حدود لها، من سلح الجلود وسمل العيون وفصل الرؤوس عن الأجساد وتقطيع الأوصال والحرق والخوزقة، وحديثا الإذابة في أحواض الأحماض المذيبة، وحرق الأحياء بممواد سريعة الاشتعال داخل أقفاص حديدية مغلقة، وتفجير الأشخاص.

لقد تواصل العنف في العراق منذ تكوين أولى المجتمعات البشرية، ابتداء من نشوء الدولة الآشورية، ولم يتوقف مع الفتح الإسلامي للعراق، ثم اتخد صورا وأشكالاً جديدة أكثر قسوة وشناعة في فترة حكم الأمويين والعباسيين من تقطيع الأوصال، وحرق الأجساد، وقطع الألسن وجز الرؤوس وحملها على أسنة الرماح والطوابق بها عبر البلدان، لإرهاب أهلها وترويعهم لغرض إذلالهم وإذعانتهم.

إن العنف في العراق لم يتحول في أذهان الناس ليغدو أمراً تاريخياً ينظر إليه الإنسان على أنه جزء من صيرورته التاريخية أو الحضارية، فهو لايزال متجدراً وكامناً في بواطن النفس البشرية العراقية، ولا تزال دوافعه ناراً تحت رماد تقدّم متنى ما تهيأت لها الظروف المناسبة لظهور بأبشع صورها كما نراها اليوم في الممارسات الإرهابية للحركات الدينية "الاسلاموية" الظلامية، بل لم يزل البعض في بلدنا يعتبره ضرباً من الشجاعة وقوة الشكيمة، ويتفاخر به.

عند البحث عن الأسباب والعوامل المؤدية للعنف في العراق نجد أن هناك ظروفًا موضوعية وتاريخية وأخرى ذاتية ونفسية تقف وراء ذلك. يقول البيان الصادر عن اليونسكو بتاريخ ١ حزيران ١٩٥١ حول طبيعة العرق والفوارق العرقية "إن أي صفة مشتركة ترجع على الأكثر إلى خلفية تاريخية واجتماعية مشتركة".^(١)

(١) د. عامر كامل احمد - العنف والعنف المضاد في الجزائر - بحوث المؤتمر الدولي حول الإرهاب - الجزائر.

تعم ظاهرة العنف معظم مجتمعات العالم، وإن اختلفت نسبياً صور بعضها عن الأخرى، وهي كأية ظاهرة مجتمعية لها مسبباتها وعواملها، ولا يمكن دراستها بمعزل عن بيئتها الداخلية والخارجية، إذ ترتبط بالبيئة الداخلية المتمثلة بالظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومجموعة القيم والمعتقدات الدينية والثقافية وأما البيئة الخارجية فتشمل تأثيرات البيئة الإقليمية والدولية.

يعرف العنف بأنه الاستخدام المتعسف للقوة والتهديد باستخدامها لإلحاق الأذى بالأشخاص أو البنى التحتية، وهو بحسب "ينبورغ": "مختلف أعمال الشغب والتدمير والأذى التي تهدف أساساً إلى تحقيق أغراض تمثل في تغيير سلوك الجماعات الأخرى".^(٢)

ومن مظاهر العنف المختلفة، التعذيب والإبادة المنظمة والاضطهاد من كل أنواع والترحيل الالزامي والجبري للسكان والتهديد باستخدام أسلحة الدمار الشامل واغتصاب الوعي وغسل الدماغ، حيث أن تعداد هذه المظاهر التي يتخذها وسيلة للتعامل تسهم في تحديد معناه.

ثمة ثلاثة اتجاهات تحدد تعريف العنف: الاستخدام الفعلي للقوة المادية لإلحاق الضرر بالأشخاص وتخرير الممتلكات / الاستخدام الفعلي للقوة المادية أو التهديد باستخدامها ليشمل السلوك القولي إلى جانب السلوك الفعلي/ العنف بوصفه مجموعة من الاختلالات والتناقضات الكامنة في الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع ويؤطرها بعده أشكال منها: غياب أو ضعف الانتماء الوطني داخل المجتمع/ غياب أو ضعف العدالة الاجتماعية/ حرمان قوى معينة داخل المجتمع من المشاركة السياسية/ عدم إشباع الحاجات الأساسية.^(٣)

يقول علماء الاجتماع إن "قياس العنف هو معيار رئيسي للتعرف على النظام الاجتماعي وتقدير درجة استقراره"، ويعرف العنف السياسي بأنه "استخدام القوة أو

(٢) المصدر السابق.

(٣) عبد الشالجي -موسوعة العذاب- ج ١/ ص ١٥

التهديد باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية، ويكون مصدر العنف من الدولة إلى المجتمع، أو من المجتمع تجاه الدولة حين لا توجد قنوات اتصال ولغة مشتركة للحوار، والعنف قد يقع من جانب أفراد المجتمع، كما أن الدولة قد تقوم به لسبب أو لآخر في تعاملها مع مواطنها، وذلك إذا عجز طرف عن إقناع الطرف الآخر بتغيير سلوكه بعد أن يستنفذ كل الطرق السلمية الأخرى".⁽⁴⁾

ليس بالضرورة أن يكون العنف مسبواً باستنفاد أو حتى البدء بأي من الطرق السلمية حيث أعمال العنف لا يمكن أن تنفصل عن طبيعة الظروف في المجتمعات التي تحدث فيها، ولذلك لا يمكن أن تؤخذ مستقلة بذاتها وتقارن بين البلدان المختلفة. ثمة العامل الثقافي، مثلاً، حيث الثقافة هي المرجعية الأولى للسلوك والمواقف الاجتماعية والسياسية، وهي الإطار الذي يؤطر سلوك الفرد والجماعة. في هذا الصدد يقول عالم النفس (سكندر ب. فرديريك) "إن العنف يبدأ في الرؤوس قبل الفؤوس، وذلك يعني أن وراء العنف ثقافة تؤسس له وتحركه وتوجهه".⁽⁵⁾

هناك أسباب أخرى للعنف منها التقاليد الموروثة للمجتمع، خاصة في تلك المجتمعات التي مارست العنف من قبل لسبب أو آخر بحيث أصبح تقليداً متوارثًا، ويلعب العامل الاقتصادي دوره في هذه المسألة، خاصة عندما تكون الظروف الاقتصادية ضاغطة بشدة، فالحاجات المنقوصة لدى أفراد المجتمع غير المحصنين أخلاقياً يجعلهم يجدون العنف سبيلاً وطريقة لتحقيق تلك الحاجات، سواء كانت مادية أو معنوية، ويبقى صوت المعدة أقوى من صوت الضمير.

وفي الوقت نفسه تعد الطائفية السياسية أحد أخطر العوامل الكامنة والمحفزة لإثارة وتجديد العنف في المجتمع العراقي واستمراريته، وهي المناداة بسياسات تعصبية انشقاقية لصالح مذهب ديني ما، أو وجود جماعة تؤمن بما تعتقد أنه مثاليات تميزها وتفصلها عن الاتجاهات السائدة، وعليه فإن استخدام الدين كوسيلة لتحقيق أهداف

(4) حسنين توفيق ابراهيم -ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية -مركز دراسات الوحدة العربية.

(5) المصدر السابق.

دنبوية ليس له بالتدين، لكن المشكلة حين تصبح الأقلية أو الطائفة حزبا سياسيا وقناة للسلطة.

لقد أفرزت الظروف الاجتماعية التي مرت ببلدنا قيماً تقليدية لا تتوافق مع الممارسات الحديثة للإدارة والسياسة كاستخدام العنف وسيلة للتعامل وحل الخلافات، وينسحب هذا على عوامل سسيولوجية وثقافية ذات طابع تراثي منها:

١- مرور هذه البقعة من الأرض ومنذ بداية التاريخ بنزاعات دامية دائمة مستمرة بين حكامها لثبت ملكهم وبحروب خارجية عبئية ذهب ضحيتها الآلاف من البشر للاستحواذ على بلدان وأراض جديدة، وتميزت باستخدام العنف المفرط ضد الآخر في آشور وبابل وسومر، ومن ثم الغزو الأجنبي المتمثل بالعيلاميين والفرس واليونانيين وبدو آسيا.

٢- التراث البدوي القبلي من العنف والغزو والاقتتال بين القبائل المجاورة في الريف الذي انتقل إلى المدن بعد هجرتهم إليها، وكان هذا السلوك التراثي قد انتقل على شكل صراع بين الأحياء المختلفة داخل المدينة الواحدة، واتخذ شكل التعصب للحي المعين والاقتتال واستخدام أساليب العنف بكل أشكاله لنصرة ابن الحي على جاره من الحي الآخر الذي يجاوره، وقد رافقت هذه القيم والظواهر ثقافة عنف، تمكنت من العقل الجمعي للشخصية العراقية.

٣- البعد الثقافي المتمثل في تراث "القصّخون" أو "الحكواتية" في المقاهي، عندما كانت روایاتهم هي الوسيلة الاعلامية الوحيدة المتاحة آنذاك، حيث كانوا يرددون قصص عنترة بن شداد وأبي زيد الهلالي التي تشيد وتعظم وتفتخرون وتتباهي بدور البطل الشجاع الغازي العنيف، الذي يقتل مئات الأشخاص ويقطع رؤوسهم دون أن يرف له جفن، وتمجد القصص ظاهرة العنف هذه لتثير حفيظتها من مكانتها الخافتة.

لقد تبلور العنف في جملة من الحوادث التاريخية للعراق المعاصر... من أبرزها الصراع الذي أعقّب التحولات الجذرية في بنية المجتمع الريفي وتحول ملكية الأرض إلى ملكية خاصة لشيخ العشيرة وما أعقّبها من انقلابات عسكرية وبالأخص الانقلاب

السابع عام ١٩٤١ وكثرة الانتفاضات الشعبية كذلك ما شهدته العراق من حروب داخلية شنتها الحكومات المتعاقبة على الشعب الكردي منذ مطلع القرن الماضي وما رافقها من أفعال العنف والنهب والسلب، والاعتداء على الناس والممتلكات، وكذلك الحروب الخارجية، وما حرب إيران وغزو الكويت إلا انبعاث من تلك المكامن، وقد امتدت عمليات العنف والسلب والحرق والتدمير بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وسقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣ حيث قام المحتل بشكل فج باستثنارة وتأجيج الفوضى والانفلات ليطال الوزارات والمؤسسات العامة والمصانع والمنشآت الحكومية، هذه الممتلكات العامة التي هي ملك الشعب، وقد شاركت في تنفيذ هذه الأعمال فصائل وشرائح اجتماعية متباينة الثقافة والانتماء، كأنها قد استحضرت واستنهضت ذهنية الغزو البدوية الكامنة في داخلها، وتبرز هذه الممارسات عادة وتزداد تطرفاً وعنفاً كلما ضعفت الدولة وغاب القانون فيها، ليبرز دور الهويات الفرعية من قبيل القبيلة وفرض قوانينها ومعاييرها ورؤاها.

إن الصراع الدامي الطويل الذي يشهده العراق سواء الداخلي أو الخارجي منه لم ينتج رجالات دولة وسياسة متميزين همهم إخراج البلد وإنقاذه من أزمته البنوية، سواء في العهدين الملكي والجمهوري، ووضعه على سكة التطور للحاق بركب الأمم التي سبقتنا في تطورها وتقدمها، قدر ما أنتج وأفرز رجال سلطة فاشلين لم يتمكنوا من بناء دولة عصرية مدنية ديمقراطية، دولة مؤسسات، تعتمد التنمية المستدامة، وتحقق التكافل الاجتماعي.

بـ-العنف الديني

يقول الكاتب سليم سوزه في مقالة له بعنوان "قناعة الأربعين": "الدين تنام الفتنة بين تفاصيله، ويتمرس العنف في جزيئاته، شئنا أم أبينا، كلما يغوص المرء في تفاصيله يصبح أكثر عنفاً وعدوانية للأخر المختلف ويعاني لا استقراراً نفسياً، يتصارع حتى مع ظله. إن الابتعاد عن تلك التفاصيل والالتزام بعموميات الدين كفيل بزرع الراحة وإعادة الهدوء للنفس المضطربة والمأزومة التي يعيشها المتدين المقهر".^(٦)

لقد تم ترسية هذه الثقافة عبر أربعة عشر قرناً، ومن خلال مراكز دعوة وإعلام قديمة ومعاصرة، قامت بتأسيس حركات دينية إسلامية متطرفة كفرت كل من يخالفها، وخلق حواضن تفريخ للأفكار المتطرفة التي انتشرت في المجتمعات الإسلامية، وأعادت من خلالها أشخاصاً لهم القدرة والاستعداد العاليين للموت بقناعة راسخة، بعد إيهامهم بحياة حالمه بعالم آخر، سعيد جميل يحققون فيه كل رغباتهم وغراائزهم التي لم يستطعوا تحقيقها في حياتهم الدنيوية، وممارسة القتل والعنف المفرط، والتفنن بأعمال التعذيب وانتزاع أرواح المعارضين لفكرهم ونهجهم، وهذه الأفكار هي التطبيق العملي على الأرض لهذه الثقافة.

بعد أكثر من خمسة عشر عاماً في إدارة الدولة العراقية فشلت الأحزاب الدينية السياسية في تقديم نموذج لدولة تستطيع الحياة والاستمرار، بل أمست الدولة برمتها وكذلك المجتمع أمام احتمال التفكك والتداعي وخوض غمار أتون حرب أهلية.

يقول الباحث والمفكر الإسلامي التونسي عيّاض بن عاشور، في كتابه (أصول الأرثوذوكسية السننية)، إن "المواطنة في الدولة الحديثة تمتص الطوائف وتجذبها، وعندئذ يمكن لكل فرد أو جماعة اعتناق الدين الذي يهواه، ويصبح التدين ضميراً شخصياً، فالمواطنة توحد الشعب من خلال سيادة واحدة، وتحرر الضمائر من تبعية

(٦) سليم سوزه -قناعة الأربعين -الحوار المتمدن -العدد ٤٤٧٦ في ٢٠١٤/٦/٨

الجماعة الجبرية، وتذوب الأقليات الدينية داخل الإرادة الديمقراطية للمواطنة و تستمد حرياتها الأساسية من ضمان القانون والنظام وبهذا تتم المصالحة التاريخية بين المؤمن والمواطن".

إن الدولة المدنية بكل مثالبها ونواقصها القابلة للإصلاح على الدوام، هي أفضل أنواع العقد الاجتماعي التي خلص إليها العقل البشري حتى يومنا هذا.

لقد شرعت وببدأت الدعوة لدين الإسلام عن طريق الدعاة لنشر تعاليم القرآن وإقناع الناس بفحوى الدين الجديد وتحمل دعاته ومعتنقه صنوف التعذيب وأنواع الأذى، من الجانب المختلف "الكافر"، كان هذا في مطلع وبداية الدعوة الإسلامية في مكة، ولما بدأ الإسلام بالتمدد والانتشار في المرحلة المدنية (نسبة إلى "المدينة" أي "يُثرب") قوت عزيمة وشكيمة المسلمين وباتوا قوة مؤثرة، ولدت من رحم المجتمع البدوي، وحملت كل إرثه الحماسي من غزو وثار واقتتال - تحت شعار "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً- كان يدوم ويستمر لعقود من الزمن بين أفراد قبائله لأسباب تافهة يموت فيها المئات من البشر، وجاءت معركتنا بدر وأحد بين المسلمين وأعدائهم لتأخذنا ذات النهج والمنحى، حيث استعمال السيف والرمح والقتل والتدمير أحياناً بين صفوف الطرفين المتقاتلين، وعندما انتصر المسلمون على أعدائهم وأصبحت الغلبة والسيادة لهم باتت الحاجة لتأسيس وتوطيد دعائم دولة الخلافة الإسلامية، فبدأت بالتوسيع إلى خارج حدود الجزيرة العربية وفتحت البلدان والأمصال، وضمتها وألحقتها بها بقوة السيف، وإنما هذا "الفتح" ضعف وغاب دور الدعاة والدعوة الإسلامية "وجادلهم بما هي أحسن وبالكلمة الطيبة" لتحل محلها "استخدم السيف" كوسيلة لتبني الدين الإسلامي تحت شعار "أسلِمْ تسلِّمْ" ، لتفتح باباً جديدة لدوامة العنف المشتعلة.

إن قيام دولة الإسلام العربية على القبلية وقيمها ومعاييرها، وتمرس العنف بثقافة وعقيدة العرب، طبع أساليب الصراع في هذه الدولة، وعلى هذا الأساس مات قتلاً كل

الخلفاء الراشدين الأربع (أبو بكر مات مسموما) ^(٧)، وفي زمن الخليفة علي بن أبي طالب انتقلت عاصمة الخلافة من مكة إلى الكوفة، ودارت بين المسلمين أنفسهم معارك الجمل وصفين والنهرawan فراح ضحيتها الآلاف منهم.

توضح التاريخية العنفية في منطقتنا على مر العصور أن استخدام العنف والقتل قد تم تارة باسم الدين وتارة أخرى باسم القومية وثالثةً باسم المذهب، طيلة فترة هذا الصراع المحتمم الذي لم يزل أواره مشتعلًا، وسيستمر في حالة بقاء هذه الأوضاع، ما لم تجثت مسبباته.

إن معاوية بن أبي سفيان، الذي نصب نفسه خليفة للمسلمين وأميرًا للمؤمنين وقبصراً... مستندًا في ذلك إلى مطالبته "بدم عثمان" حيث استغلها للتحشيد ضد علي بن أبي طالب الذي انتهى مغدورًا في المسجد بسيف عبد الرحمن بن ملجم، قد تسبب في قتل أكثر من سبعين ألف إنسان في معركة صفين، ورغم كل هذا دخله البعض في التاريخ كأحد "أبطال الأمة العربية الإسلامية" متناسين ما حصل في عهده من جرائم قتل وعنف فاقت التصور، ويخلص بي القول إلى أننا أمة تحمل في عقلها ووجدانها التاريخ الذي كتبه وسطره الحاكم مهما كان غاشماً وظالماً.

فهذا سعيد بن العاص، ابن عم عثمان بن عفان، أعطى الأمان لأهل طمسين، مقابل أن يفتحوا أبواب مدinetهم، أثناء غزوه لبلاد طبرستان، وعلى لا يقتل منهم رجلاً واحداً، وأبر الرجل بوعده متلاعيباً باللغة التي أباح تأويلاً لها كل الظلم والظلم في تأريخنا حيث أبادهم عن بكرة أبيهم، ولم يُبقَ منهم على قيد الحياة إلا رجلاً واحداً!

وبعد أن توفي معاوية بن أبي سفيان، تولى الخلافة ابنه يزيد ليرفع من وتيرة العنف وقد أضفى عليه ألواناً أكثر وحشية وبشاعة، غارقة بنهر من الدم، وفي عهده استباح الجيش الأموي في واقعة الحرّة، بقيادة مسلم بن عقبة، المدينة يترسب، لمدة ثلاثة أيام، بسبب خلع الانصار لبيعة يزيد، وذلك لفساده، فاغتصبت أكثر من ألف امرأة، وقتل ثلاثة آلاف رجل، كما هدم يزيد الكعبة بالمنجنيق، وقام جيشه بقتل كل آل

(٧) هادي العلوي - الاغتيال السياسي في الإسلام، -دار المدى للثقافة والنشر -ص، ٢٩، ٥٩، ٨٥.

بيت النبي في واقعة الطف في كربلاء، ولم يبق أحداً من الرجال على قيد الحياة، سوى علي بن الحسين الصغير والعليل، حيث أخذه مع السبايا من النساء إلى الشام، بعدما ذبح الحسين بن علي بن أبي طالب حفيد النبي محمد بن عبد الله هو وأل بيته وأصحابه، إذ قام جيش يزيد بفصل رؤوسهم عن أجسادهم لترفع على أسنة الرماح لأول مرة في تاريخ الدولة الإسلامية الحديثة، بمسيرة من العراق إلى الشام، عرضت على أهالي البلدات والمدن التي مرروا بها، بقصد إرهاب أهلها بمظاهر تميز من أساليب العنف، وأخذت نساء آل بيت النبي المسلمين سبايا من العراق إلى الشام، بركتب، سيراً على الأقدام حيث مقر حكم "ال الخليفة يزيد بن معاوية"، في أكبر مأساة إنسانية كجريمة يندى لها الجبين، لتننتقل دوامة الصراع والعنف إلى العراق.

قام الحجاج بن يوسف الثقفي والي عبد الملك بن مروان، بقتل معارضيه من موالي علي بن أبي طالب، ولم ترده عن ذلك حرمة مساجد الله، فذبح منهم عشرين ألف شخص مرة واحدة بحد السيف بعد أن حاصرهم في مسجد الكوفة عند الصلاة.

يذكر المفكر العراقي هادي العلوى في كتابه شخصيات غير قلقة في الإسلام، المدى، ص ١٠٣ ، : " أمر يوسف بن عمر الثقفي والي الكوفة في عهد هشام بن عبد الملك الأموي، بقتل زيد بن علي بن الحسين وصلبوا جثته في كناسة المدينة بعد أن قطعوا رأسه، وبقي زيد مصلوباً في الكوفة ثلاثة سنين حتى مقتل ابنه يحيى في خلافة الوليد (الثاني) الذي أمر يوسف بن عمر بإنزاله وإحرقه، ونفذها يوسف بإضافة من عنده اذ أمر بنشر قسم من رماده في نهر الفرات، والقسم الآخر في المزارع، وقال لأهل الكوفة أنه فعل ذلك حتى يجعلهم يشربونه في مأهوم ويأكلونه في طعامهم".

وكان الحجاج يستمني كلما قتل أو سحل خصومه. وفي المؤثر التاريخي الإسلامي، أن الحجاج بن يوسف قتل وأحرق وصلب وذبح مائة ألف شخص. بينما سابقه زياد بن أبيه (ت ٦٧٣ م) كما يروي المؤرخ الطبرى (ت ٩٢٤ م) أنه كان يدفن معارضيه أحياء، ويفقاً عيونهم، ويحرقهم على نار هادئة، ثم يجز رؤوسهم وهو يقهقهه منتاشياً، حين يطلق كلابه الجائعة على سجنائه، ويعزى أنه أول من أنزل عقوبة قطع اللسان في

الدولة الأموية، فقد قطع لسان رشيد الهجري، ثم صلبه لخلافه في العقيدة، ويروى عن زياد بن أبيه أنه هو أول من أباح قطع الرأس وحمله على السيف وكان ذلك الرئيس عمر بن الحمق، فأصبحت من بعده مثلاً يقتدى به.

أما الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (٦٩٠ - ٧٤٤م) أباح الحرق واستكثر منه، مضيفاً له قطع الأطراف، كما فعل مع غيلان الدمشقي، أو كما فعل عامله على العراق خالد القسري مع الجعد بن درهم، حيث تم ذبحه وحرقه، وهو المصير نفسه الذي حل بالمغيرة بن معيد وأتباعه، والحارث بن سريح وأنصاره، على ما يرويه الطبرى.

وفي الأندلس أقام المعتمد بن عباد (١٠٤٠ - ١٠٩٥م) مزرعة من الرؤوس البشرية المقطوعة في إحدى حدائق قصره في أشبيلية. ويروى المؤرخ البلاذري (توفي ٨٩٢م) في كتابه (أنساب الأشراف) أن مسلم بن عقبة القائد العسكري المعروف، خلال ولاية يزيد بن معاوية، استباح المدينة المنورة لثلاثة أيام، نهباً وإغتصاباً وقطعاً للرؤوس، وحصلتآلاف الولادات غير الشرعية جراء "جهاد الإغتصاب".

ويذكر هادي العلوى في كتابه (من تاريخ التعذيب في الإسلام -المدى، ص، ١٠، ١١، ١٢) : "يروى السمعانى أن زياد بن أبيه أمر بقطع لسان رشيد الهجرى وصلبه لأنه تكلم بالرجعة" ، والشاعر بشار بن برد أمر الخليفة العباسى المنصور بقتله تحت السياط وألقى بجثمانه في أحد أهوار البصرة ثم حمل إلى مدفنه، وأن أحداً لم يشيشه سوى أمة له كانت تسير خلف الجثمان وهي تصيح وا سيداه وا سيداه.... وهذه حكاية مرتبة للاستهانة به، لمجرد أنه كتب قصيدة في تأييد وثبة البصرة بقيادة ابراهيم بن عبد الله الحسنى". ولدينا رواية في الطبرى، ان المنصور العباسى قتل بعض العلوين بدعهم أحياء . وقد تعددت حواجز القمع وخرجت عن الغرض السياسى لتصبح جزءاً من السلوك اليومى للحاكم كما فعل صدام حسين، عندما قام باستعادة تطبيق هذا الاسلوب من التعذيب بالاقتصاص من عارضه أو تطاول عليه، فقد قام بقطع ألسنتهم، أو قتلهم بدعهم أحياء.

أما العباسيون فقد فاقوابني أمية وحشية ودموية، فأسرفوا بالثار، وأبادوا الأمويين، ونبشو قبورهم، واستباحوا الشام، وقتلوا فيها أكثر من خمسين ألف إنسان، كما قام السفاح عبدالله بن علي العبسي بقتل أكثر من ألف إنسان في ليلة واحدة وفرش على جثثهم سماط العشاء، ثم تناول وجنته فوق أصوات حشرات الموتى وزفرات وأنين المحتضرين وتسللاتهم، ونقل عنه الرواة قوله "إنه لم يطعم في حياته أذل وأطيب من طعامه تلك الليلة (وهذا المشهد يذكرني بنظام كزار في معتقل قصر النهاية عندما كان يعذب المعتقلين وصرخات آلامهم تتعالى من شدة وقسوة تعذيبه لتشنّف أذنيه بينما كان هو يتلذذ بتناول وجبة طعامه الشهية من على مكتبه في غرفة التعذيب). وقد كان المتكول من أكثر الخلفاء العباسيين ظلماً وعربدة وسفكاً للدم، وكان في ملك يمينه أربعون ألف جارية!!!، ولقب بنيران الشرق، وبات خلاف الرأي المؤثر سبباً ومصيراً حتمياً لقتل دعاته والتمثيل بهم. ^(٨)

ويروي أبو فرج الأصفهاني أن أبي جعفر المنصور (ت ٧٧٦م) أوغل في الشناعة، فكان يدفن معارضيه أحياءً حتى الموت، وبعدما كان تقطيع الأوصال يجري دفعه واحدة، غداً في عهد الخليفة هارون الرشيد (ت ٨١٠م) أربع عشرة دفعه، وهذا ما فعله الخليفة الرشيد ب بشير بن الليث وفقاً لرواية الطبرى، وتشعبت أسباب الذبح والقتل وترواحت بين سبب سياسى، أو عقائدى، أو هروب من الجيش أو إنعدام القدرة على دفع الخراج، أو لوشيات يصعب حصرها".

وقد أبدع الأمويون والعباسيون ومن بعدهم السلاجقة والمماليك وال Ottomans في التلذذ بتعذيب ضحاياهم، وإبتکروا طرقاً شتى في الإمعان بالتعذيب منها:

- التشميس: وتعني ترك الضحية تحت الشمس الحارقة حتى الموت.
- المسمرة: ويعني دق المسامير في أيدي الضحية على جذوع الأشجار حتى يلقي حتفه.

(٨) هادي العلوى -من تاريخ التعذيب في الإسلام-دار المدى للثقافة والنشر-ص-٥٤.

- الحشو: ويعني سلخ جلود البشر وهم أحياء، وقد أورد ابن الأثير أن الخليفة العباسي المعتصم بالله (ت ٩٠٤ م) سلخ جلد معارضه محمد بن عبادة، وكذلك فعل السلجوقة بقيادة محمد بن ملك شاه، مع أحمد بن العطاش وأصحابه ممن وقعوا في الأسر.

في العصر العباسي شاعت طريقة سمل عيون الخلفاء لإسقاط خلافتهم شرعاً، فالاعمى لا يحوز الولاية، وعلى ذلك، تم تعطيل أهلية القاهر بالله، بسمل عينيه من قبل ابن أخيه الراضي بن المقتدر، ومثل ذلك جرى مع المتقى لله، حيث سمل عيني ابن عمته المستكفي، ولا يخرج عن السياق الخليفة العباسي المتوكل (ت ٨٦١ م) فقد ذبحه إبنه المنتصر، وكان ولـي عهده.

يبـدو أن أسماءـ الجـلالـةـ التـيـ يـحملـهاـ هـؤـلـاءـ الـخـلـفـاءـ:ـ القـاـهـرـ بـالـلـهـ وـالـمـقـتـدـرـ بـالـلـهـ وـالـمـسـتـكـفـيـ بـالـلـهـ وـالـمـتـوـكـلـ بـالـلـهـ وـالـمـنـتـصـرـ بـالـلـهـ...ـ إـلـىـ آـخـرـ الـقـائـمـةـ،ـ هـيـ لـلـتـعـرـيفـ وـلـخـدـاعـ الـعـامـةـ،ـ وـلـيـسـ لـهـ وـشـيـجـةـ أـوـ آـصـرـةـ تـمـتـ بـصـلـةـ لـمـاـ تـحـمـلـهـ نـفـوسـهـمـ مـنـ ظـلـمـ وـعـنـفـ وـقـتـلـ وـتـعـذـيبـ هـيـ أـبـعـدـ مـاـ تـكـوـنـ عـنـ سـنـنـ اللـهـ وـأـوـامـرـهـ وـشـرـيـعـةـ إـلـاسـلامـ السـمـحـاءـ،ـ وـالـشـرـائـعـ إـلـهـيـةـ وـالـقـوـانـيـنـ إـلـنـسـانـيـةـ.ـ فـقـدـ أـعـمـىـ بـصـيرـتـهـمـ حـبـ الـحـكـمـ وـشـهـوـةـ الـمـلـكـ وـالـسـطـوـةـ وـالـجـاهـ فـبـاتـواـ كـالـأـسـرـىـ الـمـسـتـكـيـنـيـنـ الـخـانـعـيـنـ لـهـ،ـ وـجـبـهـمـ لـلـحـكـمـ وـالـمـلـكـ وـتـشـبـهـمـ بـهـمـاـ وـمـهـمـاـ كـانـ ثـمـنـ الـحـفـاظـ عـلـيـهـمـاـ،ـ وـمـاـ تـنـطـلـبـهـ الـحـاجـةـ إـلـيـهـ مـنـ قـتـلـ وـذـبـحـ وـشـنـاعـةـ وـمـكـرـ وـخـدـاعـ سـيـراـ علىـ قـوـلـ مـعاـوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ:ـ "ـ فـأـمـاـ أـنـاـ فـقـدـ تـضـجـعـتـهـ (ـأـيـ الدـنـيـاـ)ـ ظـهـرـأـ لـبـطـنـ وـانـقـطـعـتـ إـلـيـهـاـ فـانـقـطـعـتـ لـيـ".ـ

فـهـذـاـ اـبـنـ الـمـقـفـعـ (ـأـبـوـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ الـمـقـفـعـ)ـ ٧٢٤ـ مـ ٧٥٩ـ مـ قدـ اـعـتـنـقـ الـإـسـلـامـ وـعـاصـرـ الـخـلـافـتـيـنـ الـأـمـوـيـةـ وـالـعـبـاسـيـةـ وـمـؤـلـفـاتـهـ تـحـدـثـتـ عـنـ (ـعـلـاقـةـ)ـ الرـاعـيـ بـالـرـعـيـةـ فـيـ كـتـابـهـ (ـالـأـدـبـ الصـغـيرـ)،ـ بـيـنـمـاـ أـلـفـ (ـالـأـدـبـ الـكـبـيرـ)ـ لـتـهـذـيبـ الـنـفـسـ الـإـسـلـامـيـةـ وـتـعـلـيمـهـاـ كـيـفـ يـقـدـمـ الـسـلـطـانـ الـإـسـلـامـيـ أـعـمـالـاـ صـالـحةـ لـوـجـهـ اللـهـ...ـ وـأـكـدـ عـلـىـ حـقـيقـيـتـيـنـ:ـ تـسـلـيمـ الـسـلـطـةـ وـالـحـكـمـ إـلـىـ (ـأـهـلـ الـمـعـرـفـةـ)ـ أـحـقـ النـاسـ بـتـدـبـيرـ الـدـوـلـةـ هـمـ (ـالـعـلـمـاءـ).ـ

يـبـدوـ أـبـنـ الـمـقـفـعـ قدـ تـخـطـىـ حدـودـهـ وـرـفـضـ الـانـصـيـاعـ لـوـلـيـ الـأـمـرـ وـأـغـضـ الـخـلـيفـةـ الـمـنـصـورـ فـحـلـتـ عـلـيـهـ الـلـعـنـةـ بـالـقـتـلـ،ـ حـيـثـ قـامـ بـتـكـفـيرـهـ وـاتـهـمـهـ بـالـزـنـدـقـةـ وـأـمـرـ وـالـيـهـ عـلـىـ

البصرة سفيان بن معاوية بتقييده وضربه بالسياط، وبإحضار فرن تنور أوددوه حتى أصبح حاميًا متوقداً، عندئذ أمر سفيان رجاله بتفتيح أعضاء وأطراف ابن المقفع عضواً فعضواً، وكلما قطعوا عضواً من جسمه يقول لهم سفيان أن القوه وارموه في النار، فجعل رجاله يقطّعون أعضاءه ثم يرمونها للفرن حتى تحرق بينما يراها وينظر لها ابن المقفع وكانت آخر كلماته: والله أنك لتقتلني، فيقتل بقتلي ألف نفس، ولو قتل مائة مثلك لما وفوا بواحد، حتى هلك ومات من شدة التعذيب، وقال له سفيان عندما كان يحتضر "ليس علي في المثلة بك حرج لأنك زنديق قد أفسدت الناس".^(٩)

وقد اشتهر الحسين بن منصور بلقب **الحلاج** لأنَّه كان قد حلَّ القطن في صباحٍ ثم حلَّ الفكر فيما بعد ذلك. وانتهت حياة هذا الشيخ الصوفي والفيلسوف نهاية شنعاء وكان الحكم على **الحلاج** سياسياً ولم يكن دينياً لأن خطه الديني كان إصلاحياً يدعو إلى رفض الظلم والطغيان، إذ قُطِّعت أطرافه وُصلبَ بعد ذلك كالMessiah، ثم ضربت رقبته في اليوم التالي وأحرق جثمانه، ورمي ما تبقى منه في النهر.

فإن كانت هذه هي العدالة وحرية الرأي فكيف يكون الظلم والقمع؟ كل هذا لأنَّه رغب بشدة في إصلاح أحوال الأمة في زمن كثرة الظلم وانتشار الفساد، وتفاقم الفقر المتفشي بين أفراد المجتمع، بينما عاش الحكام والوجهاء في غنى فاحش غير مكثرين بآلام أمتهم مما جعل نار الفتنة تشتعل وسم التفرقة يتسرّب ويتوغل بسرعة في شرایین الدولة.... فالقرامطة يثورون ويفلحون في تكوين دولة لهم في البحرين والأدarsة ينشقون عن الخلافة بالمغرب والشيعة يتربصون ويتخيّلون الفرصة للانقضاض على الخليفة وحاشيته. في هذه الظروف العصيبة للدولة وقف أهل العلم وأصحاب الفكر التنويري مواقف مختلفة، منهم من انحاز للباطل طمعاً في العطاء ومنهم من انكمش على نفسه وزهد في المجتمع. وما وقف في وجه الظلم والجور إلا القلائل من أمثال أبي العباس ابن عطاء الحنبلي والحلاج وقد تعرض الرجال للسخط والعقاب. وبالرغم من المحن التي تعرض لها هذا الصوفي الورع فإنه ما كان قد فكر

(٩) رشيد خيون - دروس من تراث الاسلام - مؤسسة الانتشار العربي - بيروت.

في نهج التغيير عبر سياسة العنف والتطرف بل على العكس من ذلك سعى إلى تغيير سلمي، أي ثورة صوفية لا تهرق فيها دماء ولا يشوه جمالها ذبح، لأن الحلاج كان يعرف وبحق أن العنف لا يورث إلا العنف والفتن والفوضى ويجعل البلاد والعباد عرضة لمخاطر داخلية وخارجية. إلا أن أفكاره السلمية هذه لم تنجه من كيد الأعداء وغاظ السلاطين، حيث تأمروا عليه ولفقوا له التهم كي يتخلصوا من ضمير عصرهم وأمتهم.

فالمحكمة الصورية، التي ترأسها حامد بن العباس وزير الخليفة العباسي المقتدر وعدو الحلاج، وجهت له ومن دون خجل تهمة الفسق، وقد قال ابن تيمية فيه "من اعتقد ما يعتقد الحلاج من المقالات التي قتل الحلاج عليها، فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين". وبسبب آرائه ومعتقداته التي كان يجدها الحاكم خطرا على حكمه، كان قتله يمثل نهج العنف السياسي، الذي كان يسود سلوك الحاكم.

وأمر صلاح الدين الأيوبي إبنه واليه في حلب بقتل شيخ الاستشراق المت指控 شهاب الدين السهروردي، حيث تم تجويعه، وقتل بالسيف ثم أحرق، بتهمة الانحاد والزندة.

أما الكندي يوسف بن اسحق فيلسوف العرب، فقد قام الخليفة المعتصم بسجنه وتعذيبه، وجُرِّد من ملابسه وهو في الستين من عمره، وجلد في ميدان عام وسط تهليل العامة. وهكذا كان حال الرازى الذى ضربوه بكتبه على رأسه حتى فقد بصره وأحرقت داره وكتبه. ولم ينج أو يسلم من العقاب وممارسة أسلوب العنف لا ابن سينا ولا ابن خلدون، أو ابن رشد الذي اتهم بإيمانه.

إنه أبوالوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي البربri، ولد في قرطبة عام ١١٢٦م وتوفي عام ١١٩٨م، العالم والفيلسوف والطبيب وهو قاضي القضاة في زمانه، وقد تنوّعت دراسته في مختلف العلوم من الكلام والفقه والشعر والطب والرياضيات والفلك والفلسفة، وتم تعيينه طبيبا ثم قاضيا في قرطبة، وتولى منصب القضاة في أشبيلية، وأقبل على تفسير آثار ارسطو، تلبية لرغبة الخليفة الموحدى أبي يعقوب يوسف، وفي قرطبة تولى منصب قاضي القضاة، وبعد ذلك بنحو عشر سنوات التحق

بالبلاط المراكشي كطبيب الخليفة الخاص، حتى تعرض لسخط الحركة السلفية التي قامت بتكميله ومحاربته حتى تم حبسه، إلا أنه لم يطل، حيث انتقل إلى مراكش لتصعد روحه لبارئها، وهو القائل: التجارة بالأديان هي التجارة الرائجة في المجتمعات التي ينتشر فيها الجهل، إذا أردت أن تحكم في جاهل فعليك أن تغلف كل باطل بغلاف ديني.

أما في الحقبة التي تلت العصر العباسى وسقوط امبراطوريته، فقام هولاكو وتيمورلنك مع الحشود البدوية القادمة من شمال قارة آسيا، بذبح وقتل وسفك دم العراقيين، من شيوخ وأطفال ونساء ورجال، حيث انتهكوا بغداد في خدرها الآمن المستكن المستقر، وطلوا أرضها دما أحمر قانيا، لتحول علينا فيما بعد الفترة العثمانية التي دامت قرونًا، وقد اشتد فيها الصراع مع الفرس على أرض العراق فكان وقودها وضحّيتها العراقيون أنفسهم.

لم يتوقف مسلسل الحروب ويعيد التاريخ دورته بعد أكثر من ألف عام لتطل علينا "داعش" أو ما تسمى بـ"دولة الخلافة الإسلامية" بزعامة مزعوم هو "الخليفة أبو بكر البغدادي" في العراق وسوريا وتقوم بحملة ارهابية قل نظيرها من ذبح وحرق وتهجير لكل الذين يخالفون فكرها ولم يقبلوه أو ين الصاعوا وي الخضعوا له، وكانت حملة تسبي بها نساء الأقليات الدينية من مسيحيين وإيزيديين، ويدبح أولادهن وأزواجهن أمام أنظارهن، وتفرض على الناس بدعا وقوانين جائرة غريبة، في ارتداء الملابس، وفرض ما يرونه من التعليم في المدارس والجامعات التي تحت سيطرتهم، كما حصل في نينوى، بمنع تدريس علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء واستبدالها وقصرها على علوم الفقه والحديث والتفسير، وحفظ وتعليم القرآن، لإلغاء عناصر التقدم الحضاري لدى المجتمع وتطبيق اجتهادات لفقهاء مسلمين في تحريم العلوم الوضعية وفنون الموسيقى والرسم والنحت، وتهشيم التماثيل وتحطيم ما يدعونه "الأصنام"، في محاولة لإلغاء هذا الإرث الحضاري البشري، وإزالته من الوجود.

٢- عن بغدادنا الحزينة نموذجا

يقول الثنائي والشاعر مظفر النواب (لم أر أرضاً رويت بالدم والشمس كأرض بلادي، ولا حزناً كحزن الناس فيها، لكنها بلادي، لا أضحك من القلب، ولا أبكي من القلب، ولا أموت من القلب إلا فيها).

دمار بغداد

لنقف وهلة نسترجع الماضي ونرقب ونرى سوية الدم والحزن الذي تسربت به بغداد، وغطى سماءها، وما حل بهذه المدينة العريقة التي ازدهر الفكر والعلم بها، وعاشت وبرزت فيها رموز سامقة شامخة من العلماء والمفكرين والمبدعين، وتنوعت بها المدارس الفكرية، لكن احرقت كتبها واحتلت وانتهكت بخدرها، وذبح بشرها ودوابها، بأساليب عنف مارسه معها كل الغزاة الحاكمين.

كانت المكتبة الكبيرة ببغداد تحتوي على وثائق تاريخية ثمينة وكتب علمية كثيرة تتراوح مواضعها من الطب لعلم الفلك، وقد تم تدميرها كاملاً وقال المتبكون على قيد الحياة أن مياه نهر دجلة أصبحت سوداء نتيجة لكمية الحبر الهائلة من الكتب التي ألقي بها في النهر.

حاول العديد من مواطنين ببغداد الهرب ولكن تم اعتراضهم من قبل قوات المغول، وتراوحت أعداد القتلى من مائتي ألف حتى مليون قتيل.

المساجد، القصور، المكتبات العامة، المستشفيات والبنيات الضخمة التي استغرق بناؤها وقتاً كبيراً نهبها المغول جميعها ثم أحرقوها بعد ذلك.

تم أسر الخليفة وأجبر على مشاهدة دمار المدينة، ثم أمر هولاكو جنوده فقاموا بلفه بسجاد وأوسعوه ضرباً ودهساً بالخيول حتى مات لأنهم كانوا يعتقدون أنه لا ينبغي أن يتم إراقة دماء ملوكية.

اضطر هولاكو لتحريك معسكره بعيداً عن المدينة نتيجة للرائحة الكريهة التي كانت تصاعد من الموتى والمدينة المدمرة.

ظلت المدينة خالية من السكان لبضعة سنوات.

إضافة إلى ذلك فقد خرب المغول أنظمة الري والمزارع إذ كانوا قوم مقاتلون رُحل يأكلون لحوم الصيد ومن المحتمل عدم معرفتهم بأكل الفاكهة حيث خربوا مزارع العنبر أينما وجدوها!

بدأ هولاكو سلسلة الذبح والقتل عام ١٢٥٨م، حين حاصر بغداد وضرب أسوارها بالمنجنيق ثم ذبح جميع الذكور فيها واستباح المدينة، ولم يخرج منها إلا بعد أن ثقل الهواء فيها بما حمل من كريه رائحة الجيف المنتفخة، وأشلاء القتلى المطروحة في شوارعها.

وبعد حوالي القرن ونصف احتل تيمورلنك بغداد وقتل عشرات الآلاف من سكانها وعدب الأحياء في شوارعها، وبعد عام واحد من احتلاله لها، ضرب السلطان أحمد حصارا حولها، ودخلها عنوة وارتكب المجازر مروعة فيها، ثم عاد تيمورلنك وحاصرها أربعين يوما، وبعد قصف شبه يومي بالمنجنيق والنار، دخلت قواته المدينة، وقد أمر هذه المرة بإبادة سكانها عن بكرة أبيهم، فأقيمت فيها عدة أبراج من رؤوس القتلى، بعد هدم وتدمير منازلها وجوامعها، واضطرر هو إلى مغادرة بغداد بسبب رائحة الجيف وفساد الهواء من تفسخ جثث مئات الآلاف من القتلى.

وبعد سبع عشرة سنة فقط سقطت بغداد بعدما حاصرتها جيوش قره يوسف التي قادها ابنه محمد شاه الذي أسس فيها دولة "الخروف الأسود" التركمانية، وقام بقتل جميع سكان المدينة من العرب.

وبعد أقل من تسع سنوات سقطت بغداد مرة أخرى، حين حاصرها السلطان جيهان شاه مدة ستة أشهر كاملة، أكل خلالها سكان المدينة القبط والكلاب والجيف، ثم قام بتدميرها وتخريبها وحرقها، وبعد أشهر قليلة عاد السلطان ذاته بسبب غضبه على ابنه بير بوداق الذي أعلن الانفصال عن أبيه، وتوجه بجيش جرار إلى بغداد وحاصرها لمدة سنة كاملة، أكل خلالها الناس بعضهم بعضا من الجوع، وقام السلطان بقطع رؤوس جميع الذكور في المدينة، وأعدم ابنه بير بوداق بعد تعذيبه.

إن الأتراك مثلهم كمثل ما تقدم من العرب وبدو آسيا، عندما زينوا قبر تيمور لنك بالآيات ليصبح مزارا يتبركون به وكأنه لم يسفك دم الآلاف من البشر، ويسبى آلاف النساء غنائم حرب.

لعت بغداد جراحها ولملت نفسها وأعادت بنيانها لتلتحق بركب المدن المتقدمة في العصر الحديث منذ تأسيس الدولة المركزية المعاصرة عام ١٩٢١ ثم تم استكمال هذا البنيان بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، في محاولة لمواكبة تطور هذا العالم المتقدم واللاحق به، هذا العالم الحضاري الذي وضع تطوره وتقدمه في شتى مجالات الحياة على مسار يوازيه في تقدم وسائل القتل والدمار والعنف، ليهاجم بغداد من جديد، ويصفها قصداً عنيفاً بحلف ضم ثلاثين دولة، على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وبغطاء "شعري" من الأمم المتحدة، لتصب آلة حربها جام غضبها على رؤوس أهل بغداد دورهم ومؤسساتهم ومصانعهم عام ١٩٩١ بسبب رعونة حاكمها وحماقاته، عندما قام بغزو الكويت واحتلالها.

وتعاد الكرة مرة أخرى عام ٢٠٠٣ ليتم احتلال العراق وبغداد من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، احتلاً مباشراً دام ثمان سنوات، تفككت وانهارت خلالها المؤسسات العسكرية والأمنية من الجيش والشرطة ودمرت ونهبت الوزارات، وألغيت الدولة وهشممت بنيتها، ونشبت وما زالت حرب طائفية، راح ضحيتها الآلاف من أبناء بغداد والمحافظات الأخرى.

٣- عن الصراع العائلي على السلطة

السياسة المتضمخة بالدم والعنف لم تعف، ولم تفرق بالقتل بين الأب والإبن والأخ من الحكام في صراعهم على السلطة، فالسلاطين العشرة الذين حكموا الدولة العثمانية ما بين ١٢٩٩ - ١٥٦٦ قتلوا جميعاً أولادهم وأشقاءهم من أجل السلطة، والخلفاء العثمانيون لم يكونوا سوى وحوش في ثياب بشر، فلم يسلم من جبروتهم حتى أفراد أسرهم، حيث يذكر حلمي محلی في مؤلفه (حفايا التاريخ) أن "بعد وفاة أرطغرل نشب نزاع على السلطة بين ابنه عثمان وأخيه دوندار، فقتل عثمان عمه ليستولي على الحكم، ولينشئ الدولة العثمانية، وتبدأ معها مسيرة الجرائم العائلية، التي استمرت حتى نهاية الدولة العثمانية عام ١٩٢٢ م.

قتل مراد الأول بن أورخان ثالث سلاطين آل عثمان شقيقه إبراهيم وخليل وسمّل عيني ابنه ساوجي وأعدمه حتى لا ينافس أولاده الآخرين على الحكم".

وقد أصدر السلطان مراد في معركة كوسوفو عام ١٣٨٩م أمراً بخنق ابنه يعقوب حتى لا ينافس شقيقه بايزيد الأول، حيث استدعي يعقوب من ساحة المعركة مع الصرب إلى خيمة أبيه، وهو على فراش الموت. وقام مراد الثاني بقتل عمه، وشقيقه مصطفى وسلم عيني شقيقه الأصغر يوسف، وعندما نصب مراد الثالث - وهو نجل السلطان سليم الثاني - على العرش، خلفاً لوالده قتل أشقاءه الخمسة، وكذلك قام ولده محمد الثالث - عندما تولى الحكم - بقتل أشقاءه التسعة عشر، وسبع من الجواري حوامل من بعضهم، وقتل ولده الصغير محمود، وكان عمره ستة عشر عاماً، لكي يبقي السلطة لولده السلطان أحمد الذي كان عمره أربعة عشر عاماً، والأكثر من ذلك أصدر السلطان محمد الفاتح أمراً "شرعياً" حل فيه قتل السلطان لشقيقه من أجل وحدة الدولة.

إن عدد الأمراء العثمانيين الذين قتلوا على يد أهلهم مائة وواحد وعشرون أميراً مقابل أربعة وأربعين رئيساً للوزراء، وهذا يعني كما هائلًا من المؤامرات والدسائس واستخدام التعذيب وسلم العيون، وتقطيع الأوصال والقتل وإزهاق الأرواح، والتصفيات الجسدية... وكان آخرها ما اقترفوه مجردة قتل قرابة مليون أرمني عام ١٩١٥م، لم يفرقوا فيها بين رضيع أو طفل أو امرأة أوشيخ وشاب.

الفصل الثاني

منذ المملكة الأولى حتى الجمهورية الخامسة

١- العنف في الدولة المعاصرة

إن الحكم الوطني العراقي بدأ بتنصيب فيصل بن علي الهاشمي ملكاً على العراق عقب الاحتلال البريطاني، وال فترة الرمنية التي حكمت بها العائلة الهاشمية بلدنا، والتي تجاوزت ثلاثة عقود، لم تخُل من مظاهر العنف والإيذاءات الجماعية لانتفاضات الفرات الأوسط والانتفاضات الكردية في الثلاثينيات كما مارست الأجهزة الأمنية القمع، من سجن وتعذيب في مكاتب التحقيقات الجنائية وأمثالها، وتم قمع المظاهرات السلمية وقتل المتظاهرين بالرصاص مثلما حصل في الإضراب العمالى في كاور باغي عام ١٩٤٦، وفي الوثبة عام ١٩٤٨، حيث استشهد عواد الصفار، أو بالإعدامات التي طالت قادة الحزب الشيوعي العراقي (يوسف سلمان "فهد" وذكي محمد بسيم "صارم" وحسين محمد الشبيبي "حازم") الذين كانوا يدافعون عن حقوق العراقيين ويطالبون بتأسيس حكم وطني يتمتع الشعب فيه بحرية الرأي، شعب مستقل لا يرهن مصيره بقوى استعمارية أجنبية، سياستها هي النافذة الفاعلة.

ولكي نعطي صورة جلية وواضحة لما قامت به سلطاته المتنفذة الحاكمة من أعمال وحشية تجسدت في قمعه لحرية الرأي والتعبير والتظاهر، واسقاط الجنسية عن المعارضين (بموجب المرسوم رقم ١٧ لسنة ١٩٥٤ بأسقاط جنسية من حكم عليه بجريمة الشيوعية ونحوها من الجرائم وفق ذيل قانون العقوبات البغدادي رقم ٥١ لسنة ١٩٣٨). ومحاربة المعارضين، واضطهادهم، وتشريدهم، ونفيهم، وزجهم في السجون والمعتقلات واقامة المجالس العرفية العسكرية التي أصدرت بحقهم أحكاماً جائرة -نورد بعضاً مما كتبه الرفيق عبد الجبار وهبي (أبو سعيد):

"كان التنكيل بالمواطنين وحشياً وقاسياً بعد وثبة ١٩٤٨ وخلال هجوم ١٩٤٩ الذي شمل الوطنين والديمقراطيين والنقابيين والشيوعيين من عمال ومستخدمين وطلاب ومحامين وتجار ومعلمين وفلاحين رجالاً ونساءً. وانتشر في طول البلاد وعرضها جو هستيري محموم، لم يسبق للعراق أن عرف مثله من قبل". واضربات السجون التي "استشهد فيها عدة مناضلين منهم: دنخو يلده (عامل) في سجن نقرة السلمان ، نعمان محمد صالح (طالب) في سجن بغداد، حسين مهدي (فلاح) كبير السن في سجن بعقوبة، وراح من السجناء ضحايا آخرون ، منهم : هاشم أحمد مات مسلولاً، مهدي حسين اغتاله في المستشفى طبيب فاشستي، كريم صوفي وحبيم توفيا في التعذيب وغير أولئك كثيرون أصيروا بالشلل والعاهات الدائمة، وشهداء المشانق وضحايا معارك الجسر وباب الشيخ وباب المعظم ومذابح السجون، والتعذيب والاعتقال والسجن والنفي، فكان عدد من اعتقلتهم الشرطة من آب ١٩٥٤ حتى نيسان ١٩٥٥ ، أكثر من ١٥٠٠ مواطن. وسيق من هؤلاء للمحاكم المدنية قرابة ٨٠٠ شخص، وفي السجون أكثر من ٧٠٠ سجين سياسي بينهم ٢٠ سجينه، وهناك أكثر من ٩٠ مبعداً سياسياً في منافي (بدرة) (نقرة السلمان) وأماكن أخرى بينهم عدد من النساء، وطرد من طلاب الكليات والمدارس نحو ١٥٠ طالباً، وفي صيف ١٩٥٣ قتلوا ١٨ سجيناً وجروحوا أكثر من ٢٠٠ وارتكبوا فضائع وحشية بحجة نفل السجناء السياسيين من السجون الأخرى إلى سجن بعقوبة".^(١٠)

وإذا نظرنا إلى ذلك النظام كما هو في زمانه فهو في هذا المقياس كان نظاماً فاسداً، سيئاً، عصياً على الإصلاح والتطوير، وهو الذي خلق ظروفاً مؤاتية لذلك العنف السياسي بسبب عدم تأسيسه لحياة سياسية سليمة تقوم على تقاليد مستقرة مما جعل اللجوء إلى الثورة والإنقلابات العسكرية كما حصل في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

(١٠) من أعماق السجون في العراق - عبد الجبار وهبي "أبو سعيد" - اعداد وتقديم محمد علي الشيببي - مؤسسة النبراس - العراق - النجف الاشرف - ٢٠١٣ . عن كتاب من أعماق السجون في العراق - محمد راشد (عبد الجبار وهبي) - دار القلم - القاهرة - ١٩٥٥ - ص ٢٦، ٢٤ .

والانقلابات التي تلتها في العام ١٩٦٣ والعام ١٩٦٨ وحتى التغيير الذي حصل عام ٢٠٠٣ جاء - هو الآخر - عبر قوة عسكرية خارجية.

ولإعطاء صورة أوسع عن ذلك العهد وممارساته أذكر ما كتبه بهذا الشأن كل من جعفر الحسيني وحنا بطاطو وعبد الكريم الأزري. فقد كتب جعفر الحسيني تحت عنوان (خطايا العهد الملكي) مستعرضاً فيه الفترة الزمنية (١٩٥٨-١٩٢١) التي حكمت بها العراق العائلة الملكية. (١)

١٠ عندما سقط العهد الملكي - بعد ٣٧ سنة من قيامه - كانت نسبة الأمية في العراق ٨٠٪ (جمهورية الخوف ص ١٤٠) ولم تتأسس جامعة بغداد إلا عام ١٩٥٧

٢٠ عندما سقط الحكم الملكي كان أربعة أخماس عائلات العراق بلا إرث املاك بطاطو - العراق الكتاب الأول - ص ٣٢٩ .

٣٠ وصفت المخابرات البريطانية الطبقة الحاكمة باللصوصية او حرفيًا : "قلة متحكمة من مبتهلي المال" (بطاطو - العراق - الكتاب الأول ص ٣٨٣) ٠ وكاملة على ذلك : استولى ياسين الهاشمي والگيلاني على اراضي الحكومة وصارا من كبار القطاعيين (عبد المجيد القيسي محافظ الكوت في العهد الملكي - التاريخ يكتب غدا ص ٧٠ ومير بصرى - اعلام السياسة ص ١٨٢) وكذلك رؤساء الوزراء الاخرون (بطاطو العراق - الكتاب الأول ،ص ٣٩٤، ٢١٢، ٢١٨) وفي العام ١٩٢٢ كان فيصل الأول قد امتلك مزرعة للألبان تغطي ٨٠٠ هكتار من أراضي الدولة، وكانت العائلة المالكة تملك ١٧٧٠٠ دونم من الأراضي الزراعية، وكانت لها استثمارات كبيرة في مصنع للنسيج وفي "شركة المنصور لسباق الخيل" ، وإن لصاح ابن نوري السعيد سندات أرض قيمة مساحتها ٩٢٩٤ دونم، أما في ما يتعلق برفاق نوري من الشريفيين السابقين، فإنهم جمعوا من فرصهم السياسية أموالاً أكثر بكثير مما جمع هو بنفسه، وكان صهره جعفر العسكري قد وضع يده، بالإشتراك مع جميل المدفعي وعلى جودت

(١) جعفر الحسيني - ثورة في العراق - العراق ١٩٥٨-١٩٦٣ - الرسوم للنشر - بغداد - ٢٠١٨ - ص ٢٥، ٢٤.

الأيوبي على قسم كبير من شاطئ دجلة الذي تملكه الدولة في منطقة المجيدية في بغداد، والأيوبي إضافة إلى حيازته في المجيدية كان يملك حوالي ٩٠,٠٠٠ متر مربع في حي أم العظام في كراده مريم في بغداد، و ٦٣٦٦ دونم من الأراضي الزراعية، ناهيك عن حصته في "شركة الإسمنت العراقية"، وكان جميل المدفعي يملك إلى جانب العقار الزراعي الذي مساحته ٣٩٧٦ دونم مصنعاً للسجاد بالشراكة مع رئيس الوزراء السابق توفيق السويدي وأخرين. (بطاطو، العراق، الكتاب الأول ص ٣٩٢، ٣٩٣)

٤ . كان علي حجازي مدير الشرطة العام يضع مراكز الشرطة بالمزايدة وينحها لأكثر الدافعين من المفوضين والمعاونين (القيسي ص ٥٣٥) ويبلغ من فساد الشرطة ان جرى اعدام ابراء - في قضايا جنائية - بدلاً من المجرمين الحقيقيين (الهلالي - قال لي هؤلاء ص ١٨٨ - ١٨٩)

٥ . لقد ترك الفساد اخطاراً جسيمة على مستقبل العراق، فناجي الاصيل وزير الخارجية ذهب إلى إيران، للتفاوض بشأن الحدود وشط العرب، وقيل انه تساهل في ذلك (مير بصري ص ٨٦) وكان عبد الله بن سعيد وزير خارجية نجد (السعودية) قد وقع اتفاقية الحدود مع العراق، ثم أصبح بعدها وبقرار من نوري السعيد وزيراً لخارجية العراق، وصار اسمه عبد الله الدملوجي، ومكلفاً بملف الحدود مع السعودية (مير بصري ص ٦٤) .

٦ . عندما هاجر اليهود من العراق، قامت شركة يملكونها أحد الوزراء بتسفيرهم إلى الكيان الصهيوني (الازري ص ٣٦٥) ولما مسکوا رئيس التنظيم الصهيوني، هربوه خارج العراق، ووضعوا محله مجنوناً يهودياً (مذكريات بهاء الدين نوري ص ١١٨ - ١١٩) وعندما كان الجيش العراقي يقاتل الكيان الصهيوني - ١٩٤٨ - كان عدد من المسؤولين العراقيين واقاربهم يهربون البنزين إلى الكيان الصهيوني (روفائيل بطى - ذاكرة عراقية الجزء الثاني ص ١٤٠)

٧ . يلوم احمد مختار بابان رئيس آخر حكومة ملوكية، نوري السعيد، على علاقته ببريطانيا، حتى بعد تراجع نفوذها بعد الحرب العالمية الثانية، وعلى ابقائه لقواعدها العسكرية (مذكرات بابان ص ٥٥) حتى انه لم يكن في العراق - عندما سقط النظام الملكي - جهاز رadar واحد لكشف الطائرات (الزيبيدي ص ٣٧٧)

٨ . ليست هناك امتيازات نفطية في العالم تشبه تلك التي تتمتع بها شركات النفط في العراق، من ناحية شمولها لكل الاراضي العراقية، بحيث لا يحق للعراق نفسه التنقيب عن النفط في اراضيه . فضلا عن تحكمها بالإنتاج، فالكويت تنتج ٦٠ مليون طن سنويا، بينما ينتج العراق ٣٠ مليون طن (مذكرات احمد مختار بابان ص ٢٤٦ - ٢٤٧)

٩ . كانت الانتخابات في العهد الملكي مهازل حقيقة . يقول النائب والوزير عبد الكريم الاذري بان قريبا له اتصل به يخبره بان الاذاعة اعلنت قبل قليل فوزه في الانتخابات عن محافظة العمارة، رغم انه لم يرشح ولا يعلم بترشيحه ولم يكن راغبا بذلك (الاذري ص ١٦٠) . وهناك روايات مماثلة كثيرة، والغريب ان المجالس النيابية، والتي كان يتم تشكيلها بهذه الطريقة، كان يتم حلها بعد اسابيع او اشهر من ذلك، ما خلا مجلس واحد اكمل مدة، ولكنه شهد اسوأ المهازل الدستورية، فهو الذي عزل عبد الله - في مايو ١٩٤١ - بأجماع الحاضرين، وهو الذي اعاد عبد الله بعد شهر من ذلك بأجماع الحاضرين ايضا.

١٠ . عندما سقط النظام الملكي في العراق، كان عمر جريدة الاهرام المصرية ثمانين عاما، بينما لم يتجاوز عمر اية جريدة او مجلة عراقية السنتين، فقد فرضت الاحكام العرفية - في العهد الملكي - ست عشرة مرة (الزيبيدي ص ١٩) حيث يتم منع كل اشكال الحياة المدنية او الثقافية، وحتى منع تجمع بعض اشخاص لأي غرض كان .

١١- ان المؤس الذي كانت عليه حياة الفلاحين في ذلك العهد انعكس في أغانيهم، وفي هذه الأغنية يسير الوعي بظلم المجتمع جنبا الى جنب مع إذعان له كجزء من نظام

طبيعي. ولكن الفلاح خلال العقدين الأخيرين من العهد الملكي أخذ يتساءل، وبشكل ما يحتاج، على حتمية اسلوب حياته وهو ما تعكسه هذه "الدارميات" التي كان يرددتها في أغانيه:

يا ربى هيج ويابي ما بيها معنى
ينتفع بيها الغير مو حق تعينا

وأرد أشد لبغداد من هالعشيرة
لا تجبر المكسور لا عدها غيرة

وأرد أشد لبغداد من هالفلاحة
لا تشبع الجوعان لا بيها راحة

يدرك هنا بطاوطو: "وضع جعفر العسكري (صهر نوري السعيد) يده بالإشتراك مع جميل المدفعي وعلى جودت الأيوبي على قسم كبير من شاطئ دجلة الذي تملكه الدولة في منطقة المجيدية في بغداد، وكان علي جودت يملك أيضا حوالي ٩٠ ألف متر مربع في كرادة مريم و٦٣٦٦ دونما من الأراضي الزراعية، فضلاً عن حصته في (شركة السمنت العراقية) أما المدفعي فإلى جانب العقار الزراعي البالغة مساحته ٣٩٧٦ دونما يملك مصنعا للسجاد بالشراكة مع رئيس الوزراء السابق توفيق السويدي وأخرين".^(١٢)

ويذكر عبدالكريم الأزري حول الأرباح الفاحشة التي حصل عليها السياسيون من الأراضي الأميرية : "في الثلاثينات بدأ (الكيلاني) و (ياسين الهاشمي) بمتلك الأراضي الأميرية وأصبحا من المالك الذين يشار إليهما بالبنان" و "كان الإثنان قد خرجا عام ١٩٢٤ بنظرية جديدة في السياسة والزعامة وهي أن السياسي يجب أن لا يعتمد في حياته على الراتب الحكومي بل يجب أن يوفر له إيرادا إضافيا يعنيه عن الاعتماد على الحكومة ويحرره من قبضتها (فاغتصبا أراضي الحكومة ... فتملكا الأراضي في سامراء والمحمودية وديالي والعزيزية والنعماني... وصارا من كبار الإقطاعيين).

(١٢) هنا بطاوطو - العراق - الكتاب الأول - مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت - ١٩٩٠ ص ٣٩٢، ٣٩٣.

"وفي منتصف الثلاثينات وزعت أراضي الوزيرية مجاناً على عدد من الساسة البارزين ومنهم نوري السعيد الذي حصل على قطعة أرض مساحتها عشرة آلاف أو أحد عشر ألف متراً مربعاً وقد شيد فيها هو الآخر بيتاً لسكناه، وحمد رستم حيدر أحد عشر ألف متراً مربعاً، ومحمد الصدر خمسة آلاف متراً مربعاً، ومحمد زكي المحامي ورؤوف البحرياني وعلى ممتاز الدفتري وغيرهم كما وزعت قطع أراضي أخرى على موظفي الديوان الملكي على النحو التالي: رئيس التشريفات الملكية تحسين قدرى حوالي خمسة آلاف متراً مربعاً، ناظر الخزينة الخاصة شاكر حميد حوالي خمسة آلاف متراً مربعاً ورئيس المرافقين محمود سلمان حوالي ألفي متراً مربعاً، ومعاون رئيس الديوان الملكي عبدالكريم الأزرى ما يزيد على ألفي متراً مربعاً ... وغيرهم، ومن عجيب المصادفات أن هذه العروض كانت شؤماً على كثير من تملکوها فلم يتمتعوا بسكنها"^(١٣) ورغم كل ما تقدم لم يزل هناك من يصر على وصفه بـ"عهد الاستقلال والحرية والديمقراطية والعدالة" عندما يقارنه بحكومات العهود التي تلتة.

نستعرض في كتاب (من أعماق السجون في العراق) ما ورد عن ذلك العهد وطريقة تعامله مع المعارضين السياسيين والاعمال الوحشية التي ارتكبها في سجون بغداد وبعقوبة والكوت ونقرة السلمان. فقد اعتمد عبدالجبار وهبي في جميع الواقع والمعلومات على وثائق رسمية وعلى شهادات ومذكرات وتقارير اناس عاشوا حياة السجن وصمدوا بوجه الاضطهاد والجرائم والمجازر ويصف بشكل دقيق وتفصيلي مجريات الاحداث، ووضع السجون، وما عاناه السجناء السياسيون من مصادره حرياتهم وامتهان كراماتهم وتجويدهم وقتلهم وتعذيبهم، رغم أن المادة الخامسة من الدستور (الملكي) تمنع منعاً باتاً نفي العراقيين. والمادة الثانية عشر تعطي للمواطن العراقي حق الرأي والعقيدة والاجتماع... الخ!!.

(١٣) عبد الكريم الأزرى - تاريخ في ذكريات العراق ١٩٣٠- ١٩٥٨- ج ١ - بيروت ١٩٨٢- ص ٩٦، ٩٨، ٩٩، ٤٨١، ٤٨٦

مذبحة سجن بغداد السياسي:

"في سجن بغداد تعرض المناضلون الى حملات اعتداء وانتقام فضيعة. ففي سنة ١٩٤٩ مثلا، دبرت الحكومة هجوما قامت به عصابة من مجرمين سجناء يساندتهم حرس السجن. فهدموا عليهم السقوف وقد ذفوه بالطابوق وجلدوا أحد السجناء السياسيين أكثر من ألف جلدة على قدميه. وكسروا أسنان عدد من السجناء بالمطرقة لأنهم رفضوا شتم قادة الشعب العراقي المناضل في سبيل خبيثه وحربيته. وفي صباح ١٨ حزيران ١٩٥٣، أبلغت السلطات الحكومية السجناء السياسيين بقرار مفاجئ لنقلهم الى سجن بعقوبة، رفض السجناء هذا القرار، وأظهروا عدم موافقتهم على الانتقال الى سجن آخر، وعلى إثر ذلك قامت شرطة السجن بصنع ربایا واستحکامات تشرف على ساحة السجن الداخلية، وشرعت بأطلاق قذائف غاز الدموع على ساحة السجن، وبعدها أخذت تقذف السجناء بأحجار كبيرة وتطلق الرصاص في محاولة لاقتحام الباب لإخراج السجناء عنوة. وتحول الى هجوم عسكري بالمعنى الصحيح ومهدوا للهجوم بخراطيم المياه، وفتحت القوة المهاجمة الباب وهي مستخدمة الحراب والرصاص، سقط عامل من عمال السلك وسحقوا رأسه، وسقط شهيد ثانى المعلم "محمد علي حسون" والسبعين السياسي الزنجي "ال حاج بشير"، وكان السجناء يفزعون الى الغرف والردّهات ونار الرشاشات والبنادق تحصدتهم. وبعد سيطرتهم على السجن، كثّلوا الجميع مثنى مثنى بالسلسل الحديدية وجرهم من شعر الرأس أو الساق مسافة ١٥٠ مترا، حتى الباب الخارجي حيث وقفت سيارات الشحن التي شحنتهم اكداسا بعضها فوق بعض بجروحهم وكسورهم وسلاملهم، مسيرة ساعتين شرقي بغداد حيث سجن بعقوبة. فقد كان عدد الجرحى الذين هم بحالة خطيرة جدا ٢٣ سجينًا حملوا بالنقلات الى المستشفى القريب من السجن.

مجزرة سجن الكوت:

" حصار تام لسجن الكوت استمر اثنين وثلاثين يوما، قطعت ادارة السجن المياه، وهدمت الخزان الخارجي، وامتنعت عن تقديم الطعام الحكومي، ومنعت ادخال أي شيء الى السجن. وبعد حصار دام ٣٢ يوما، من الجوع والعطش، بدأ الهجوم على جبهتين، على الارض بالهراوات وقضبان الحديد والخناجر. ومن السطح والابراج برصاص البنادق والرشاشات التي صوبت نحو السجناء مباشرة، وكانو مجتمعين داخل نطاق امام الردhetين (٣) و(٤)، وسقط ١٨ شهيدا و٢٠٠ جريح. كان من الشهداء: وحيد منصور، صبيح مائير، احمد علوان التميمي، رؤوف الدجيلي، يحيى عباس البارح، جبار الزهيري، هادي جواد، محسن هداد، حسن مهدي، عبد النبي حمزة، وأحكام متغافلة ضد ١١٨ سجيننا، وانتزعت السلطات الحكومية المناضلين الخمسة عشر اليهود وكان بعضهم مصابا بجروح خطيرة، فشحنتهم بالسيارات الى نقرة السلمان لاحتجازهم هناك مع المجرمين العاديين والصهيونيين.

سجن نقرة السلمان:

" في اواخر ١٩٤٩، انتقل المجلس العسكري العسكري بكامل هيئته الى سجن نقرة السلمان، حيث اجرى محاكمة أربع وأربعين سجيننا بتهمة ترويج الشيوعية، لأنهم قدّموا الى السلطات الحكومية عريضة يحتجون فيها على اختطاف قادة الحزب الشيوعي من سجن الكوت واعدامهم. فحكم المجلس "المتنقل" عليهم بسنوات اضافية. عام ١٩٥٣ كان عدد السجناء السياسيين ٢٦ سجيننا من المناضلين ومناضلين آخرين بينهم بعض "اليهود" وقد كان الى جانب الـ(٢٦) سجيننا سياسيا سجناء عاديون، وسجيناء صهایین. دبرت ادارة السجن هجوما غادرا عليهم مستعينة بعصابة من السجناء العاديين المجرمين والصهيونيين وعلى رأسهم الصهيوني البريطاني الجنسية (رودني)، ويأخذ الهجوم عادة شكل نزاع "داخلي" بين السجناء ، بينما يكون السجناء عملاء الادارة مسلحين بالسكاكين والهراوات والقضبان الحديدية وادارة السجن تساندهم جهارا!، ففي نقرة السلمان عدد من السجناء المحكومين بسبب

نشاطهم الصهيوني وانتماهم الى منظمات ارهابية صهيونية او علاقتهم بفضيحة الاسلحة التي قيل أنها اكتشفت مدفونة في بعض الاماكن في بغداد، وكان "رودني" أخطر من كشفت عنه المحاكمات حول قضية الاسلحة. اذ ثبت أنه جاسوس صهيوني وانه كان يجمع المعلومات والحقائق عن العراق وكان ينوي الاتصال بشخصيات عراقية كبيرة لأقناعها بعقد الصلح مع حكومة الكيان الصهيوني. والمُسْتَر رودني هذا كان من خدم في الجيش البريطاني واشتهر بوحشيته وبراعته في اضطهاد المناضلين وتعذيبهم وقتلهم. وخلال اقامة رودني في سجن نقرة السلمان. زاره -مرة- القنصل البريطاني في البصرة وانفرد به مدة من الزمن. يهمنا من هذا الحادث الاخير ناحيته السياسية. هذه الواقعه وزعامة "رودني" لعصابة المعتدين تفضح السياسة الاستعمارية التي تسير عليها الحكومات العراقية ورجالات الحكم في العراق في الوقت الذي يشنون فيه حربا شعواء على السجناء "اليهود" المناضلين ضد الاستعمار والصهيونية، ويبроверون فيه اقامه المذابح بتلميحات واسارات منافقة قذرة، الى وجود عدد من الشيوعيين والوطنيين اليهود في السجون العراقية. فالحكومة تهدف الى صبغ نقرة السلمان بصبغة الصهيونية واليهودية، لتضعف الحملة الشعبية الداعية لإلغاء ذلك السجن الرهيب، ولتنشر الافكار العنصرية والطائفية بين الجماهير. وكان في ثكنة قلعة السجن ٢٥٠ شرطيا من شرطة البايدية، اجتمع بعضهم على السجناء واخذوا ينزعون عنهم الملابس المدنية، وألبسوهم بدلا عنها ملابس السجن الرسمية. ثم ضربوا في أرجلهم أطواق الحديد المسلسلة وكبّلوا أيديهم بسلسل آخر. اجتمعت الشرطة كلها، الا نفرا ظل يطلق الرصاص في الهواء، وتوزعت جماعات جماعات حول السجناء والجرحى المكبلين في ايديهم وارجلهم، فانقضت كل جماعة على فريستها، حتى أغمي على معظم السجناء من اثر الضرب والركل والسحق".^(١٤)

يذكر هنا بطاوطو: "في العقد الاخير من العهد الملكي، كما في العقد الاول من عهد الجمهورية، كان مجرمون العاديون يعاملون في السجون بإنسانية أكبر من التي يعامل بها المذنبون السياسيون. وكثيرا ما كان سوء المعاملة والتعذيب الجسدي

(١٤) من أعماق السجون في العراق -عبد الجبار وهبي "أبو سعيد"- اعداد وتقديم محمد علي الشبيبي - مؤسسة النبراس -العراق -النجف الاشرف -٢٠١٣ . عن كتاب من أعماق السجون في العراق -محمد راشد (عبد الجبار وهبي)- دار القلم - القاهرة -١٩٥٥ ص ١٣٨، ١١٠، ١٠٧، ٦٨، ٦٦، ٣٤.

ودمار الصحة ينتظر العراقيين الذين وقفوا في الجانب الخطأ سياسياً. وكان الناس مهياًون لتوقع حتى أسوأ الأمور من حرّاس السجون العراقية ومن الشرطة السياسية، ولكن، وقع في العام ١٩٥٣ حادثان في السجون صدماً البلد وكان لهما أصداء قوية جداً. يومها كان هناك حوالي ٣١٢ شيوخياً فقط خلف قضبان السجون، ١٦٤ في سجن بغداد المركزي، ١٢٣ في سجن الكوت، ٢٥ في نقرة السلمان. وكان معظم هؤلاء السجناء يقيمون في السنوات الابكر في نقرة السلمان النائية والمنيعة، ولكن اضراباً عن الطعام استمر لعشرة أيام في تموز ١٩٥١، ومظاهرات صاحبة قام بها أقرباء المساجين، أقنعت السلطات بنقلهم إلى أقرب السجون وأكثراً منها مراعاة للصحة في الفترات الاصعب، كأشهر ما بعد "وثبة" ١٩٤٨. وأشهر ما بعد انتفاضة ١٩٥٢.

كان الوقت في شهر حزيران ١٩٥٣، وأشهر خلت كان هنالك تيار خفي من الاستياء يسود صفوف الشيوعيين في قلعة بغداد. وكان هنالك اتجاه نحو تفاقم مراة المشاعر ناجم عن طول مدة السجن وقسوة السجان وانعدام الرحمة، وكان أحد السجانين وهو عبد الجبار أيوب، الذي لم يخف فيما بعد عن مؤلف هذا الكتاب أنه لو ترك الامر له لأفناهم جميعاً وبسرعة. وتضختت الأمور لتصل أوجها يوم ١٨ حزيران. في ذلك اليوم، أعلن أيوب أمام السجناء، وبشكل غير متوقع، أنهم سينقلون إلى سجن آخر. فقد رفض السجناء التحرك. واستناداً إلى رئيس شرطة محافظة بغداد، فإنهم أغلقوا أجنحة السجن على أنفسهم وحولوا كل ما وقعت عليه أيديهم، من القوارير إلى مواسير المياه وأدوات الطبخ والأجر الذي اقتلعوه من الممرات إلى سلاح. وسارعت فرق من الشرطة المتحركة وتلك المحلية إلى المكان واتخذت لها مواقع على الأسطح، وفي فناء السجن، وحتى في الشوارع المجاورة، وبدأ رجال الشرطة باستخدام قنابل الغاز المسيل للدموع على أمل إخراج الشيوعيين إلى الخارج، ولكن دون جدوى. ثم وجّهت إلى الاجنحة سيول مائية قوية بواسطة مضخات اطفاء الحرائق، ولكن الشيوعيين ردّوا فقط بهتافات معادية للحكومة راحت الان تدوّي بحدة وباستمرار في أرجاء السجن. وفي النهاية، وبتأثير ضغط الماء وضربات رجال الشرطة والسجانين،

انهارت البوابة. ولكن وابلا من الاجر والزجاجات الفارغة أبقى المهاجمين في مكانهم، وان لفترة قصيرة. وما أن تلقوا التعزيزات حتى اندفعوا الى الأمام شاقين طريقهم بواسطة الهراءات وأعقاب البنادق. ولكن المقاومة التي واجهوها -على حد تعبير الرواية - كانت شرسة الى درجة اضطرتهم الى فتح النار في النهاية. وقتل سبعة سجناء، من بينهم اسماعيل أحمد، الذي كان عضواً مرشحاً للجنة المركزية في أيام فهد، وهادي عبد الرضا، وكان ضابطاً ارتبط الحزب الشيوعي في العام ١٩٣٨. وجرح ٨١ سجيننا آخرين مات أحدهم لاحقاً في المستشفى. وعاني ٧٤ شرطياً وسجاناً اصابات مختلفة.

ولما يمض شهر واحد الا وبدأت الاحداث في سجن آخر هو سجن الكوت، مما كان له أن يؤدي الى حدث لا يقل بشاعة عن الاول. ففي ٥ تموز ١٩٥٣ رفع السجناء الشيوعيون الـ ١٢٣ المقيمون هناك عريضة الى السلطات يشتكون فيها من أن الطعام ضئيلاً ولا يؤكل، واحتتجوا بلهجة حادة ومريرة، على التعذيب الجسدي الذي تعرض له بهاء الدين نوري، سكرتير الحزب، وثلاثة من رفاقه. وفي ٢٧ تموز وصلت الى الكوت قادمة من بغداد محكمة خاصة تحمل تعليمات بالتعامل مع مقدمي العريضة على اساس الاساءة الى الحكومة والتشهير بها. ولكن السجناء رفضوا حضور المحاكمة واغلقوا اجنبتهم على أنفسهم، وتجاهلوا التفقد خلال الايام التالية، ومنعوا تفتيش الحرس. وقد ذدوا الى الشوارع المجاورة مناشير "ملتهبة" بواسطة أجهزة بدائية تسمى "معاجل". صباح ٢ آب سمع أهل الكوت الحائرين صرخات حادة آتية من ناحية السجن. وعلا، فوق صوت الضجيج العام، صوت نداءات مستمرة تصرخ من مكبر صوت بدائي: "يا أهل الكوت! حرمنا الطعام! ... ارواحنا في خطر! ... بدا الخونة يقتلوننا جميعاً! ..." وعلى الرغم من بيان صادر عن مشرف السجن يقول إن الشيوعيين هم الذين يرفضون وجباتهم، فإن مظاهرات عنيفة عممت البلدة يوم ٤ آب، مما تطلب استدعاء وحدات الشرطة المتحركة اليها. بعض عشرة أيام سقط اثنان من السجناء صرعى بعد إطلاق مفاجئ للنار. استناداً الى الشرطة، فإن انقضاضاً

للسّيويين على سجّانين يحملون تموينا هو الذي تسبّب في الحادث. أمّا استناداً إلى الشّيوعيين، الذين سرعان ما أعلنا خسائرهم للملأ، فان رجال الشرطة حاولوا اقتحام السجن ولكنّهم فشلوا. ولكنه كان مازال للأسوأ أن يأتي. في ٢ أيلول، نفذ مخزون الطعام الذي كان السجناء قد تلقوه من أقاربهم قبل بدء الحصار. وأدى بهم الانهك وتالي حالات الاغماء إلى السماح بالتفتيش الذي كانت تريده السلطات. وكان التفتيش، الذي أجري فوراً، دقيقاً وكاملاً. وبدأ في الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر واستمر حتى الخامسة إلا الرابع من صباح اليوم التالي، وصودرت فيه رسائل ومناشير وادوات حادة وتجهيزات من كل الأنواع. ومضى كل شيء على ما يرام حتى تلك اللحظة. ولكن، عندما طلب مشرف السجن بعد ذلك تقديم ١٥ شيوشاً يهودياً إليه فوراً، انقلب السجناء وعادوا إلى موقفهم الجريء. وسارع المشرف إلى اعلام رؤسائه ثم كرر طلبه. واذ فهم أن السجناء مصرون على موقفهم بقوة، طلب من رئيس الشرطة أن يقوم بـ "واجبه". ولا يختلف ما حدث هنا عما حدث في بغداد إلا في عدد من التفاصيل. فمن ناحية كان السجناء هنا بلا سلاح على الإطلاق. ومن ناحية أخرى، فإن رجال الشرطة لم يقتروا أنفسهم هذه المرة على استخدام المسدسات والبنادق، بل انهم وضعوا رشاشاً قيد العمل، ثم كان هناك قطع للتيار الكهربائي خلال القتال الحاد قصير الأمد، مما تسبّب في غير قليل من التشويش. ويدعى الشّيوعيون أنه قبل دقائق من البدء بأطلاق النار فتحت السلطات كل بوابات التحكم بمياه سدة الكوت بحيث يمتص هدير الماء صوت إطلاق النار. ومهما كان الأمر، فعند توقف إطلاق النار، كان هناك ثمانية قتلى من السجناء و٩٤ جريحاً من أصل ١٢١ سجيناً واصيب ١٢ شرطياً و١٦ سجاناً ببعض الخدوش. وأدت أنباء حادث الكوت التي جاءت في أعقاب أنباء حادث قلعة بغداد، إلى احداث ما يشبه صيحة الاستنكار العامة".^(١٥)

(١٥) هنا بطاطو -العراق- الكتاب الثاني- مؤسسة الابحاث العربية-ص ٣٥٧، ٣٥٩

ثم يأتي الحكم الجمهوري بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، فيفتح عهده الأول بمجزرة بشعة اقترفها بعض المنفلتين من عناصر الوحدات العسكرية، التي قامت بالثورة، بقتل العائلة المالكة المسالمة، التي لم ترفع السلاح بوجه الشّائرين عليها وخرجت مستسلمة رافعة الأيدي برايات بيضاء لتفاجأ بوابل من الرصاص يحصدّها نساء ورجالاً وشيوخاً، وخدماً ومرافقين، ليتكلّل هذا المشهد العنيف البالغ القسوة بعمليات سحل وقتل وتمثيل وتقطيع أوصال وتعليق جثث على أعمدة الكهرباء - أعمال قام بها رعاع من عامة الشعب - كما حصل للوصي على العرش الامير عبد الله بن علي الذي عُلّق بعمود كهرباء وقطعت أوصاله ومثلّ بجثته بعد أن سحلها متظاهرون، ولرئيس الوزراء نوري السعيد، الذي رُبط إلى شاحنة سحب بها على الأرض وهو جثة هامدة، لتلتحقها مرحلة جديدة من الصراع السياسي والعنف المرافق له بين السلطة وبعضة أحزاب سياسية أو في ما بين هذه الأحزاب السياسية ذاتها، رافقتها عمليات الاغتيال والقتل والتهجير، وخلال ثلاثة عهود من الحكم الجمهوري كانت دورة القتل والعنف مستمرة بلا توقف، بل زادت عنفاً وقسوة كلما تقدم الزمن بها.

أما في العقود الأخيرة من القرن الماضي في العراق وبخاصة عند المجيء الثاني لحزب البعث عام ١٩٦٨، فقد تم إعدام الكثير من الوطنيين اليساريين، وتصفية المعارضين غيلة وبطرق متعددة، وتغييب الحركات السياسية المعارضة، حتى امتدت إلى الشركاء، كما تمت تصفيّة أعضاء في القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم، في مسرحية مصورة من على شاشات التلفاز، حيث استدعيت قيادات بارزة تحمل توجهاً معارض لنهج الحاكم، إلى قاعة اجتماعات، ونودي على بعض الأسماء وأخرجوا بطريقة مهينة من القاعة إلى مراكز الاعدام، منهم عدنان الحمداني، محمد عايش، غانم عبدالجليل، ومحيي عبدالحسين مشهدي، وأعدم عبد الخالق السامرائي، ومحمد محبوب، وحامد الورد، وتم اغتيال عبدالكريم الشيشلي في الأعظمية بعد أن نحي من منصبه كوزير للخارجية، والوزير ناصر الحاني الذي أُلقيت جثته في شارع فلسطين، وصفي العديد من القادة السياسيين أو العسكريين بتهم

ملفقة عنوانها الخيانة والتآمر، وأعدمت شخصيات دينية وسياسية، منها العلامة والمفكر والمرجع الديني السيد محمد باقر الصدر صاحب كتابي "اقتصادنا" و"فلسفتنا" الشهيرين ومؤلفات أخرى، وهو أحد مؤسسي حزب الدعوة الإسلامية، كما تم إعدام أخته بنت الهدى، وقريبه السيد محمد صادق الصدر و ولديه مؤمل ومصطفى الذين تم اغتيالهم سوية وهم خارجون من مسجد الكوفة في طريقهم إلى بيتهما، والشيخ عبدالعزيز البدرى الذى عذب وقتل في قصر النهاية عام ١٩٦٩، والاغتيالات التي تمت خارج العراق للمعارضين، منهم على سبيل المثال لا الحصر مهدي الحكيم، وحسن الشيرازي، وعبدالرازق النايف، وطالب السهيل وغيرهم بالمئات، كل ذنبهم أنهم يحملون أفكاراً تختلف أفكار الحاكم، ويعملون من أجل نشرها خطاباً أو كتابة والدعوة لإعلانها، فكان يجدها خطراً على سلطته، وإثارة الرعب في قلوب الناس ونشر الخوف بينهم كانت تمارس عملية قطع أيادي من يمارس المتاجرة بالعملة الأجنبية، أو تجدع إذن الهارب من العسكرية أو تدمغ جبهته، أو يقتل العسكري المتراجع عن ساحة المعركة - في الحرب التي خاضها النظام - بواسطة فرق يطلق عليها فرق الاعدام تقف في الخطوط الخلفية، ويعمل أهل الضحية من إقامة شعائر العزاء لا بل يطالب ذووه بثمن الرصاصات التي قُتل بها!

لقد كان من أخطر دورات العنف في العراق، هو العنف الديني الذي شأنه شأن استبداد الدين، يتمكن من القلوب فتتعطل العقول، وعندما يسري ينهمك الرجال الدينيون وأتباعهم في القتل من (أجل "الله" وبإسمه)، وتتعطل كلماته الداعية للسلام والمحبة، بل يصبح تداولها في دورات العنف ضرباً من ضروب الترف، وشاهد الاستبداد الديني الأخير هو ما تقوم به تنظيمات القاعدة وداعش من ابتکار لطرق الموت، كالنحر الجماعي بالسكين، وحرق الأشخاص داخل أقفاص حديدية مغلقة، أو الصعق بالكهرباء، أو صب الماء المغلي عليهم وهم مكبّلون، ناهيك عن القتل الجماعي بالرصاص بدم بارد، والجلد وقطع الأيادي أمام أعين الناس وسط الساحات العامة، وفرض قوانين العصور الظلامية، من هدم التراث الحضاري الإنساني، وتقديم الولاء

والطاعة لخليفة "الدولة الاسلامية"، وتوقيع وثيقة العهد التي يأمر بها، وفرض نوع الملبس، والعودة لعصر الكتاتيب، واقتصارها على تعلم دروس القرآن، وغلق الجامعات والمدارس، وحجر النساء في البيوت، وعدم السماح لهن بالعمل، وتدمير المقامات والكنائس والنصب التذكارية، ونبي آلاف النساء الايزيديات، والاغتصاب الجماعي لهن، وقتل أزواجهن وأبنائهن الذين رفضوا الدخول في الاسلام أمام أعينهن.

إن هذه الحركات الدينية التكفيرية الظلامية ما هي إلا وباء طاعون يطحن ويسحق آلاف الأرواح، ويدمر المدنية والحضارة ويترك آثارا كبيرة من الخراب والدمار، مثلها كأسراب الجراد المكتسحة للحقول. يقابلها ويمثل نقضها النوعي عالم آخر متمدن قد ارتاد إنسانه الفضاء وارتقى سطح القمر، وقام بثورته في عالم الاتصالات والمعلومات، وكشف بتقنياته العالم المجهول، وأرسى آخر تطورات العلم في الهندسة والطب وأمثالهما.

إن البعض من جوانب العنف والانتقام تنسحب على الفرد العراقي، بسبب عدم قدرته على توظيفه الفعل الايجابي باتجاه النسمة على السلطات الحاكمة الظالمة ومجابتها - أيًّا كانت السلطة - فتراه يوظفها باتجاه آخر خاطئ عندما يعبر عن ما في دواخله من نسمة وعنف، يذهبان به إلى تدمير كل ما يتعلق بشأن النفع العام، يهدم المؤسسات ويرحرقها، يحرق الطرقات والأرصفة، ينزع السياجات العامة للطرق السريعة الحامية للإنسان والحيوان من الحوادث، يهشم الإنارة في الشوارع، يحرق الطاقة الكهربائية، يسرقها ويسخرها لمنفعته الشخصية، كما أن الإنسان السلبي يوجه النسمة إلى جلد الذات بصورة خاصة في المناسبات الدينية من "تطهير" الرأس وإيلام الجسد بالسلسل الحديدية وإدماء الصدور، ويعكس عدم قدرته في الإيقاع بالذين تحت سيطرته سواء في حقل العمل أو الأسرة، وكل هذا يمثل التمرد السلبي المشوب بمسحة العنف المتصلة في نفسه على الحاكم.

يقول صامويل هانغتون "إن أعمال التعبئة الاجتماعية السريعة تؤدي إلى زيادة أعمال العنف وعدم الاستقرار بالارتباط بمتغيرات بسيطة تحكم هذه العلاقة، وهي التنمية

الاقتصادية وال المؤسسية، فإذا كان معدل التعبئة الاجتماعية أسرع من معدل التنمية الاقتصادية وال مؤسسية، فإن ذلك يؤدي إلى العنف السياسي".^(١٦)

وهذا ما حصل في العراق: إذ أن عدم جدية البرامج السياسية والاقتصادية للدولة المعاصرة -منذ التأسيس ١٩٢١م- في مواجهة التعبئة الاجتماعية السريعة التي حدثت داخل المجتمع وخاصة بعد سقوط النظام ٢٠٠٣م، أدى إلى زيادة العنف، وتماهيه في مجتمعنا العراقي كثيرا حتى كاد أن يكون سمة مميزة له، بعد أن اقترنـت الشخصية العراقية بطابع ذلك العنف واتصفـت بصفاته.

إن العنف الغالب في العراق عنـف سياسي أكثر مما هو عنـف اجتماعي، وحيث أن العنـف يعـد المشاكل السياسية والاجتماعية، فإن الخطر الأـكبر إذا ما أفضـى العنـف السياسي إلى اندلاع حرب أـهلية، وأن الظروف الموضوعية التي تحكمـت بالعنـف لدى الشخصية العراقية هي أكثر رجـاحـاً من الظروف الذاتية.

إن الإرث السياسيـولوجي الثقافيـي الديـني الإسلاميـي الكبير والواسـع تمتد جذورـه من عـمق التـاريخ الإسلاميـي، مضـافة لـه "المفاهـيم الطـقوسـية"، التي تـشرـبت وتأصـلت في روـحـية الجـمـع الإنسـاني العـراـقي، بعد أن رـوـجـ لها وـثقـفـ بها من خـلـال "بيـوت اللهـ" التي تـعـتـبر بمـثـابة مـراكـز اـعلامـية، والـتي كان يـصـعب ويـستـحـيل عـلـى الحـاـكـم حـجـبـها أو الـوقـوف في وجـهـها، لـخـوفـه من ردـود فعلـ عـنـيفـة، تـقـومـ بها المؤـسـسـات الـديـنـية.

إن ما قـامـ به نظامـ صـدامـ حـسـينـ من تـغـيـيبـ للـديـمـقـراـطـيةـ، وـخـنقـ للـحرـيـةـ، وإـقصـاءـ للأـحزـابـ الـوطـنـيـةـ، وبـخـاصـةـ التـقـدـمـيـةـ منـهـاـ، وـمـنـعـهاـ منـ مـارـسـةـ نـشـاطـهـاـ العـلـنـيـ، وـعـدـمـ السـماـحـ لـهـاـ بـالـمسـاـهمـةـ فـيـ الشـائـنـ السـيـاسـيـ العـامـ وـمـنـ ثـمـ مـحاـولـةـ اـجـتـشـاثـهـاـ، وـتـجـهـيلـ الأـجيـالـ المـتـعـاقـبـةـ وـمـنـعـهاـ منـ التـعـرـفـ عـلـىـ أـفـكـارـ وـمـنـاهـجـ هـذـهـ الأـحزـابـ، وـمـحاـولـاتـهـ اـقـتـلـاعـهـاـ مـنـ الـوـجـودـ خـلـالـ فـتـرةـ ثـلـاثـةـ عـقـودـ مـنـ حـكـمـهـ، وـحـصـرـ وـسـائـلـ الـاعـلـامـ وـالـتـوجـيهـ بـالـحـاـكـمـ وـحـدهـ... كلـ هـذـهـ وـغـيرـهـاـ مـنـ الـاجـرـاءـاتـ أـوـ التـحـولـاتـ التـيـ جـرـتـ فـيـ الـعـراـقـ أـوـ الدـوـلـ الـاقـلـيمـيـةـ "أـبـرـزـهـاـ الثـوـرـةـ الـايـرانـيـةـ"ـ، وـالـعـالـمـيـةـ "أـبـرـزـهـاـ سـقـوـطـ الـمعـسـكـرـ

(١٦) حـسـينـ توـفـيقـ إـبرـاهـيمـ - ظـاهـرـةـ الـعـنـفـ السـيـاسـيـ فـيـ النـظـمـ الـعـرـبـيـةـ - مرـكـزـ درـاسـاتـ الـوـحدـةـ الـعـرـبـيـةـ.

الاشتراكي"، قد فسحت الطريق أمام الحركات والأحزاب الدينية لتكون الرائدة والسبّاقة في أي عملية تغييرية مستقبلية، بعد أن مكنتها من القدرة على نشر أفكارها والوصول إلى عقول المسلمين عبر "بيوت الله" التي لا يمكن للحاكم إغلاقها، وقد كانت "الحملة اليمانية" التي أطلقها صدام حسين في العقد الأخير من حكمه عاملاً مساعدًا على ترسیخ المعتقدات الدينية الغبية الطقوسية وانتشارها، نظراً لحجب حرية الرأي وغياب الأحزاب المدنية الوطنية، ووجود تربة خصبة "سمّتها" مئات من سنين الجهل والتخلف، تحتوي في باطنها بذرات كامنة متى ما وجدت الظرف الملائم ظهرت وبانت للوجود، وحصل انقلاب في البنية السيكولوجية العراقية التي كانت تعرف بحب الحياة فباتت غالبيتها متدينة بسبب احباطات الفقر ورثاثة الأوضاع، وفي هذا السياق قام صدام حسين ببناء عشرات المساجد في بغداد، وأصدر قراراً رسمياً بمنع الكحول في المطاعم والفنادق ونشر ظاهرة الحجاب في الشوارع، حيث حصل هذا في السنوات العشر الأخيرة التي سبقت سقوطه، وقد تبين ذلك واضحًا بعد سقوط دكتاتوريته عام ٢٠٠٣، على يد الاحتلال الأمريكي.

٢- العنف ضد المكونات الصغيرة

كان العنف أسلوباً ونهجاً وممارسة في التعامل مع الأقليات -المكونات الاجتماعية- عبر التاريخ، وحتى في العصر الحديث. ولم يتوان المجتمع والقوى النافذة فيه والسلطات الحاكمة من استخدامه ضد أية أقلية دينية أو عرقية، وقبل أن نخوض في توصيف هذا الاستخدام في العراق، لابد من التعرف على أبرز الأقليات في بلدنا، من حيث تأريخها ونشأتها وعاداتها وطقوسها.

أ-الإيزيديون

إن تسمية هذه الأقلية بـ "الإيزيدية" لا علاقة لها بـ "يزيد بن معاوية"، ثاني حكام الدولة الأموية، لكن يأتي لفظ "إيزيدي" من لفظي (يزد) و(يزدان)، وذلك لاعتقاد الإيزيديين بوجود إله بهذا الاسم، أو يطلقون على أنفسهم هذه التسمية نسبة إلى كلمة ((إزدائي)) التي تعني "الشعب الذي يؤمن بالله من دون نبي" على وفق لغتهم، وُطلق عليهم تسمية "يزيدي" في اللغات التركية والإنجليزية والعربية بالإضافة إلى اللغة الكردية، التي يتحدثون بإحدى لهجاتها. كذلك يطلقون على أنفسهم "الدواسين" اشتقاقة من اسم "ديوسيس" في المعتقد النسطوري الكنسي القديم في الشرق، والمأخوذ من الأبرشية، حيث يستنبطون الكثير من معتقداتهم من الديانة المسيحية، كما أنهم يوقرون القرآن والإنجيل معاً، ويعتبر تراثاً شفهياً.

هناك من الباحثين من يرجع أصل الأيزيدية إلى زمن الحضارة السومرية (٢٠٠٠ ق.م) مستدلاً على ذلك بكلمة أ-зи-دا (a-zi-da) السومرية، وتعني الروح الخيرة غير الملوثة، والذين يمشون على الطريق الصحيح، وهذا يطابق قول الإيزيديين "نحن على دين الحق والطريق الصحيح... بيضاء ملابسنا، الجنة مكاننا". ومنهم من يرجع أصولها إلى الديانة الزرادشتية، نسبة إلى كلمة يزدان أو إزيد والتي تعني عند الزرادشتيين الإله المقدس والمعبد، ففي صلاة الفجر يقولون "بِاسْمِ يَزْدَانِ الْمَقْدُسِ الرَّحِيمِ، إِلَهِ الْعَظَمَةِ وَلِمَقْامِكَ وَلِمَلْوَكْتِكَ يَا رَبَّ أَنْتَ الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ، إِلَهُ الْمَلَكُوتِ الْجَمِيلِ، إِلَهِي لَعْظَمَتِكَ وَلِمَقْامِكَ وَلِمَلْوَكْتِكَ يَا رَبَّ أَنْتَ الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ، إِلَهُ الْمَلَكُوتِ الْجَمِيلِ، مَلَكُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"، وهناك من يعتقد أنهم ملة وثنية ثم إهتدت إلى الإسلام بتأثير شيخ يسميه العرب عدي - أو عادي-بن مسافر الأموي، ثم خرجوا عن الإسلام بعد موته ليصبحوا ديناً مستقلاً.

ونتيجة للسرية التي تكتنف معتقداتهم، فإن هناك الكثير من المفاهيم الخاطئة عنهم والتي تعتقد بأن معتقد الإيزيدية له ارتباط بالديانة الزرادشتية المجوسية بل وحتى بعبادة الشمس، إلا أن الدراسات الحديثة أظهرت أنه بالرغم من أن أضرحتهم غالباً ما

تزين برمز الشمس وأن مقابرهم تشير إلى جهة الشرق في اتجاهها، فإن التقديس والإجلال هذين ينبعان من أهمية هذا الكوكب وعلاقته المباشرة بالحياة والضياء، إلا أنهم يستقون بعض شعائرهم الدينية من المسيحية والإسلام أيضاً، ومن ذلك أن يقوم "الببر" - وهو مسمى يطلق على إحدى مراتب رجال الدين عندهم - بعميد الأطفال بمياه مباركة، كما أنه في مراسم الزواج يقسم رغيف خبز إلى نصفين يعطي أحدهما للعروس والأخر للعربيس، حيث ترتدي العروس فستاناً أحمر اللون وتزور الكنائس المسيحية، بالإضافة إلى الختان الذي يعتبر من الطقوس الأساسية والمهمة لديهم.

يعرف إله الإيزيديين الأعظم باسم "ئيزدان" وهو يحظى بمكانة عالية عندهم، ولا يمكن عبادته بشكل مباشر، حيث يعتبرونه صاحب قوة كامنة، ومع أنه هو خالق الكون إلا أنه ليس حارسه، كما أن هناك سبعة أرواح أخرى تنبثق عن هذا الإله، أعظمها هو الملَك طاوس وهو المنفذ والفاعل للمشيئة المقدسة، وقد كان الطاووس في المسيحية القديمة يرمي إلى الخلود لأن لحمه لا يفسد، ويعتبر الملك طاوس عند الإيزيديين تجسيداً لذات الإله ولا ينفصل عنه، ويصلون له خمس مرات يومياً، كما له عندهم تسمية أخرى هي الشيطان، وهذا ما جعلهم معروفيين خطأً لدى الناس بأنهم عبدة الشيطان، وأساس هذه الفكرة أنهم يرفضون الجمع بين حرف الشين والطاء، ولعدم التمييز بين ما تعنيه التسميتين، فقد اتهموا بعبادة الشيطان، والحقيقة أنهم يتشارعون من أي لعن، حتى لعن الشيطان أو إبليس، وأنه لم يسجد لآدم فإنه بذلك -

في نظرهم - يعتبر الموحد الأول الذي لم ينس وصية رب بعدم السجود لغيره، في حين نسيها الملائكة وسجدوا، حيث أنهم يعتقدون أن أمر السجود لآدم كان مجرد اختبار وقد نجح إبليس في هذا الاختبار فهو بذلك أول الموحدين، وقد كفأه الله على ذلك بأن جعله طاووس الملائكة ورئيساً عليهم، فهم بذلك لا يعبدون الشيطان بل يعتقدون بأنه ملك رفض العبودية لغير الله، وهذا الاعتقاد معتبر عند كثير من العارفين كمحامي الدين بن عربي، كما وأن الله جعل هذا الموجود (إبليس) فتنه للإنسان ووسيلة للامتحان.

يعتقد الإيزيديون أن الأرواح تنتقل داخل أشكال جسدية متعاقبة وأن التطهير التدريجي ممكن من خلال التوالي الجديد وتعاقب الأجيال، ويعتبر أسوأ ما يصيب معتقد الإيزيدية أن يُطرد من مجتمعه، حيث أن ذلك يعني أن روحه لا يمكن لها أن تتجدد، لذا فإن اعتناق أي ديانة جديدة يعد أمراً غير وارد في معتقداتهم. (١٧)

كذلك يعتقدون أن "الشيخ عدي بن مسافر" تلقى وحياً من السماء، بأنهم شعب اختاره الله، ويعتبرون مرقده الكائن في منطقة "شيخان" بمحافظة نينوى مكاناً مقدساً، حيث يوجد معبد "لالش" المقدس الذي يحج إليه الإيزيديون في العراق ومن جميع أنحاء العالم، ولهم كتابان مقدسان، هما كتاب "رش"، أي: الكتاب الأسود، وكتاب "جيلوة" الذي يؤكد على التوحيد لكنه لا يشير إلى النبوة بشيء.

في حين يرى البعض أن الإيزيدية هي ملة إبراهيم الخليل وكتابهم المقدس مصحف "رش" نزل عليه، وأن عيد القربان عندهم يأتي مع عيد الأضحى عند المسلمين، وهو من الأعياد البارزة عند الإيزيديين، حيث أنه ذكرى لمحاولة الخليل ذبح ولده إسماعيل ففداء ربه بذبح عظيم. وهكذا فإن الديانة الإيزيدية كما هو الحال مع ديانات الأقليات الأخرى في المنطقة، كالدروز والعلويين، لا يعتنقها إلا من ولد بها ولا يمكن اعتناقها دون ذلك، فهي بهذا ليست تبشيرية. كما يعتبر ترك الديانة "خطيئة كبيرة"، لهذا يتزاوج الإيزيديون فيما بينهم، حيث الزواج من أصحاب الديانات الأخرى عندهم خطيئة، ولذا لم تسجل عليهم أفعال مخلة بالأمن والأخلاق والتعدى على من جاورهم من أقليات أخرى مثل الشبك والتركمان والآثوريين والكرد وغيرهم.

ويقدر عدد الإيزيديين بعشرات الآلاف في العراق، الذي يعتبر مركز الديانة الإيزيدية، ويقطن أغلبهم في "سنحار" و"شيخان" و"الحمدانية" غرب الموصل، وفي منطقة الحسكة السورية، كما توجد مجموعات منهم في بعض ولايات تركيا حيث المناطق

(١٧) ناشط من داخل الموصل-Maouris Milton- عام كامل على داعش في الموصل: القسم الثاني.

النائية جنوب شرقها على حدود العراق وسوريا، وتعيش جالية إيزيدية في ألمانيا وفرنسا وبلجيكا، وعلى الرغم مما واجهوه من تضييق واضطهاد لقرون طويلة، لم يتركوا ديانتهم أبداً، وهذا دليل على احساسهم المتميز بهويتهم وقوّة شخصيتهم، حيث بلغ تعدادهم في العالم بحدود مليونين ونصف مليون نسمة.

تعرض الإيزيديون عبر التاريخ إلى اثننتين وسبعين عملية إبادة استهدفتهم لأسباب دينية، كان أشدّها ما حصل لهم في عهدي سليمان القانوني وسليم الثاني، إبان الدولة العثمانية، وقد صدرت فتاوى أباحت قتلهم، لعل أخطرها فتوى "أبي سعود العمادي"، مفتى العثمانيين حيث أباح فيها حتى سبي نسائهم وذرياتهم، بعد أن وصفهم بأنهم "أشد كفراً من الكفار الأصليين"، معللاً ذلك ببغضهم للإمام علي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين!، فضلاً عن فتاوى عديدة ضدّهم من شيوخ دين عثمانيين آخرين أمثال أبي الليث السمرقندى والمسعودى وعبد الله الربتکي وغيرهم.

يطلق الإيزيديون على حملات الإبادة الجماعية لهم اسم "فرمان"، كلمة تركية تعني "القرار"، إشارة إلى الفرمانات التي كان يصدرها السلاطين العثمانيون في الاستانة، حيث الحملات العسكرية التي كان الشعب الإيزيدي في الغالب عاجزاً عن مواجهتها، والتي كانت مهددة لأفراده لضخامتها وقلة عددهم وعدّتهم، لذا كانوا يضطرون للاعتراض في أعلى الجبال وفي الكهوف، وأدى هذا بمرور الزمن إلى انتشار الأمية والتخلف بينهم، وأنهكتهم الحروب والكوارث فأثرت على بنيةّهم ودورهم الحضاري والثقافي. (١٨)

وعن ذلك كله يقول الباحث العراقي الدكتور سيار الجميل "إن الحروب العثمانية شنت ضد يزيديي جزيرة ابن عمر في منطقة بلاد الجزيرة، حيث تم ذبح الآلاف منهم في جبل سنجار لإجبارهم على التخلّي عن دينهم. وفي عام ١٨٤٧ م حاولت الحكومة

(١٨) لمحات عن الإيزيدية - زهير كاظم عبود - بغداد - دار النهضة - ١٩٩٤

العثمانية إجبارهم على الخدمة العسكرية باعتبارهم طائفة إسلامية ومن الذين يتبعون الملة العثمانية، وبعد حملات ومذابح إبادة لا حصر لها اضطر الكثير منهم اللجوء للكنائس وإعلان مسيحيتهم للتخلص من الاضطهاد العثماني "مشيرا إلى" أن الهجمات والمذابح تكررت أيضا في عام ١٨٧٢م الدواعي، ووقدت اضطهادات محلية في مناطق مختلفة يقوم بها أمراء عشائر وقبائل بكل همجية ووحشية الا أن الإيزيدين صمدوا وحافظوا على هويتهم الدينية في المناطق العراقية الخالية من خصومهم".

بالإضافة للحملات العديدة التي قام بها ولاة بغداد العثمانيون تجاه الإيزيديين، هنالك استئصال لهم قامت به الامبراطورية الفارسية وخصوصا حملة نادر شاه عام ١٧٤٣م، كما سبقتها حملة حسن باشا عام ١٧١٥م وأحمد باشا عام ١٧٣٣م، وتواصلت الحملات للفترة بعدها، فقام سليمان باشا بحملته عام ١٧٥٢م، ثم حملة نادر شاه، والحملة على إمارة شيخان، ثم حملات أمراء الموصل "الجليليين"، ثم حملات الباشوات العثمانيين، علي باشا عام ١٨٠٢م، وإنجه بيرقدار عام ١٨٣٥م، ورشيد باشا عام ١٨٣٦م، وحافظ باشا عام ١٨٣٧م، ومحمد شريف باشا عام ١٨٤٤م، ومحمد باشا كريديلي أوغلو عام ١٨٤٥م، وطيار باشا عام ١٨٤٦م، وأيوب بك عام ١٨٩١م، والحملات إبان مذابح الارمن عام ١٩١٥م، في القرن العشرين، بما فيها حملة تشريد الإيزيديين من قبل حزب الاتحاد والترقي ومن ثم حملة إبراهيم باشا عام ١٩١٨م، وحملة الجيش العراقي الملكي عام ١٩٣٥م.

يقول الدكتور سيّار الجميل، في دراسته عن هذه الطائفة، ما يأْتي: "أسجل هنا للتاريخ ما كتبه العديد من مؤرخي الموصل في كتبهم التي لم يزل بعضها مخطوطا، عندما كتبوا تفصيلات لتلك الحملات التي كانت تقوم بها السلطات المحلية بأوامر من المركز والعاصمة العثمانية، إضافة إلى صراعات العشائر فيما بينها، وكانت صراعات دموية مريرة لا تحسمها إلا سلطات الادارة في الولايات. ومن أشنع المذابح التي حصلت ضد الإيزيدية تلك التي قام بها ميزكور (الأغور) أمير راوندوز في القرن التاسع

عشر، في الموصل وديار بكر، وظهرت تساؤلات مهمة عن سبب وسر استهداف هذه الطائفة، خاصة أنها ليست المرة الأولى التي تستهدف بها هذه الطائفة، فقد سبقتها مذابح مماثلة، ولفترات طويلة". ويستمر الدكتور الجميل معقبا على ذلك بالقول: إن اليزيديين اتهموا دوما بالكفر والمرroc على الدين، و"عبادة الشيطان" رغم أنهم ينفون ذلك بشدة، مؤكدين أنهم مؤمنون بالله، ويعتبرون أن النبي إبراهيم هو جدهم الكبير وينفون أيضا تهمة "عبادة الشيطان"، مضيفا أن هذه التهم هي التي عرضتهم لأنواع من الاضطهاد والمذابح خصوصا في حقبة الدولة العثمانية إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ^(١٩)

وفي الوقت الحاضر بعد تغلغل الإرهاب في مدينة الموصل واتساع نشاطه في محافظة نينوى، حيث تنوّعت أساليب عقابه من قتل وتفجير وتهجير للناس الآمنين المسلمين، تحمل الإيزيديون قدرًا كبيراً من المعاناة ودفعوا فاتورة ثقيلة جراء الاستهداف المتواصل لهم من الجماعات الإرهابية، حيث كانت المذبحة التي تعرضوا لها في ١٤ آب ٢٠٠٧ ثاني أكبر هجوم إرهابي في العالم من حيث عدد القتلى بالمتفجّرات استهدفت مجمعاً سكنياً لهم في سنجار، خلال ما صارت تُعرف بتفجيرات القحطانية.

وفي العاشر من حزيران ٢٠١٤، إثر سقوط الموصل على يد داعش الإرهابي، تعرضت محافظة نينوى وأهلها على اختلاف قومياتهم وطوائفهم ودياناتهم إلى الكثير من الانتهاكات من قبل هذا التنظيم، من قتل وسببي وكان للطائفة الإيزيدية النصيب الكبير منها، وعلى رأسها سنجار، التي سيطر عليها الإرهابيون، فتم قتل ثلاثة آلاف إيزيدي، واحتطاف خمسة آلاف آخرين، وتشريد أربعين ألف إلى دهوك وأربيل

(١٩) دراسة في موقع ايلاف على حلقتين بعنوان (الإيزيديون العراقيون: طيف رايري حيوى نادر الخصوصيات بتاريخ ٢٩ / ٣٠ / ٢٠٠٧).

واخوا، فضلا عن تعرض ألف وخمسمائة امرأة للاغتصاب الجماعي، وبيع ألف منهن في سوق النخاسة كسبايا، وفرار الآلاف إلى جبل سنجار الحصين للنجاة من أيدي هذا التنظيم المتوحش الدموي، وقد صنفت الأمم المتحدة ذلك كله كجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية.

ب-الأشوريون

محازر بدرخان:

هي عدة محازر قام بها أميرا حكاري وبوهتان الكورديان نور الله وبدرخان استهدفت سكان منطقة حكاري وتياري من الأشوريين. في تموز ١٨٤٣ هاجم الحلف الكردي بقيادة بدر خان الأشوريين في حكاري فدمروا قراهم وقتلوا العديد منهم، وسبوا أعدادا كبيرة منهم تم بيعهم في أسواق النخاسة. أعاد بدر خان الكرة وهاجم القرى الأشورية مرة أخرى سنة ١٨٤٦ وأعمل فيها المجازر التي حازت على اهتمام الصحفة الأوروبية هذه المرة، كما ساهمت في إشهار معاناة المسيحيين العثمانيين. فقامت دول أوروبية بالضغط على الباب العالي للتدخل بوقف المجازر، وفعلاً أرسل الباب العالي جيشاً إلى المنطقة سنة ١٨٤٧ م اشتباك مع الكورد بمعارك انتهت بـ القاء القبض على كل من نور الله وبدرخان ونفيهما سنة ١٨٥٠ م، وأدت هذه المجازر إلى مقتل ما لا يقل عن عشرة آلاف آشوري.

مذبحة سميل:

هي مذبحة قامت بها الحكومة العراقية عام ١٩٣٣، سبقتها مذبحة الأرمن في تركيا عام ١٩١٥م، حيث ذبح ما يقارب المليون أرمني، في مجزرة بشرية فريدة ب بشاعتها، ضحاياها من الأطفال والنساء والشيوخ، وكان الهيجان الدموي لدى الحاكمين الترك، وبين أوساط مواطنיהם المسلمين، قد بلغ ذروته، فراح ضحيته هذا العدد من الضحايا، وقد دخل البعض من الأرمن في الإسلام للحفاظ على حياتهم وهرب الباقيون منهم، ومن بقوا على قيد الحياة، إلى بلدان المجاورة كالعراق وسوريا ولبنان، وشكلوا جاليات استطاعت التعايش مع أقوام هذه البلدان بسلام.

في السابع من آب عام ١٩٣٣م، قامت الحكومة العراقية بعمليات تصفية منظمة بحق أبناء الأقلية الآشورية في شمال العراق في عهد حكومة رشيد عالي الكيلاني الأولى، وقد ازدادت العمليات الانتقامية حدة بين يومي الثامن والحادي عشر من الشهر، وشملت بلدة سميّل بالإضافة إلى حوالي ثلث وستين قرية آشورية في لواء الموصل آنذاك "محافظتي دهوك ونينوى حالياً"، وأدت إلى موت أكثر من ثلاثة آلاف آشوري، في الوقت الذي كان الشعب الآشوري قد خرج لتوه من إحدى أسوأ مراحل تاريخه عندما أبيد أكثر من نصفهم خلال المجازر التي اقترفت بحقهم من قبل الدولة العثمانية وبعض العشائر الكردية التي تحالفت معها أبان الحرب العالمية الأولى.

كان لهذا الحدث تأثير كبير على الدولة العراقية الناشئة، وقد صور إعلامها هذه المجازر على أنها انتصار عسكري للجيش العراقي، مما أدى إلى زيادة الدعم له، وبعد عودة فرقه تعالـت هـنـافـات تـشـيـدـ بالـعـراـقـ وـأـتـاـتـورـكـ - لأنـ المـوـصـلـ وـقـتـهـ ماـ زـالـتـ وـاقـعـةـ تحتـ التـأـيـرـ الـمـعـنـويـ لـتـرـكـياـ - وـحـضـرـ الـاسـتـقـبـالـ الـمـلـكـ غـازـيـ شـخـصـيـاـ فـقـامـ بـتـقـليـدـ كـبارـ الضـبـاطـ وـشـيوـخـ الـعـشـائـرـ الـمـشـارـكـةـ بـعـمـلـيـاتـ الـقـتـلـ وـالـنـهـبـ أـنـوـاطـ شـجـاعـةـ، كـذـلـكـ حـصـلـ الـأـمـرـ فيـ بـغـدـادـ حـيـثـ تـمـ اـسـتـقـبـالـ الـفـرـقـ الـعـسـكـرـيـةـ بـحـفـاوـةـ لـدـىـ عـودـتـهـاـ، وـقـامـ الـجـيـشـ بـاستـعـاضـ عـسـكـرـيـ فيـ شـوـارـعـ الـمـدـيـنـةـ وـتـمـ تـرـقـيـةـ بـكـرـ صـدـقـيـ الـذـيـ قـادـ حـمـلـةـ الـإـبـادـةـ

هذه، وكان أول "الأبطال" المشرفين على هذه الحملة هو رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني، ووزير داخليته حكمت سليمان ابن سليمان فائق رئيس المالك في العراق، وقيل إنه مملوك شركسي، وقد نشأ في استانبول تحت رعاية أخيه الجنرال محمود شوكت باشا الذي قاد انقلاباً عسكرياً وخلع السلطان عبد الحميد الثاني عن عرش الامبراطورية، وقد مارس القائد العسكري للمنطقة الشمالية بكر صدقي دور الوالي التركي في مواجهة من المسألة الآشورية، وكان يوصف بأنه "على قدر كبير من الغرور والحمق"، بالإضافة إلى تطرفه القومي، وقد كان لوصول وزير الدفاع جلال بابان إلى الموصل، تأثير على بعض القبائل العربية والكردية وقد شجعهم ذلك على مهاجمة قرى الآشوريين في دهوك وزاخو، وكان لتشجيع بابان ومدير الشرطة العام صبيح نجيب وقائد المنطقة الشمالية بكر صدقي أثر مهم وكبير في التأثير المادي والمعنوي على توجهات القتال.

إن هذه الحملة العسكرية الشرسة، التي استخدمت فيها المدفعية والطيران، على قرى يسكنها الآشوريون، حيث مورست أقسى وسائل العنف والتنكيل بهم، وما قام به أفراد الجيش والشرطة والقبائل المشاركة معهم، من هجوم بربري وحشى على هذه القرى، حيث أبواحوا سفك دماء أبنائها، ثم نهبهم وسلبهم، وأخذ نسائهم زوجات أو جاريات أو خادمات في البيوت، وبيع أطفالهم عبيداً في مناطق مختلفة من العراق، لا يبررها ادعاء الحكومة بأن الآشوريين قد قاموا بتمرد وعصيان مسلحين قادهما بطريقتهم مار شمعون إيشاي، وأنهم يريدون "حكم ذاتياً"، وما يؤكد ذلك طلب حكمت سليمان من البطريريك، أن يكتب له تعهداً خطياً بالتخلي عن هذا المراد، لأن إقراره به سيؤدي إلى اعتقاله، ومن ثم إثارة السخط لدى الآشوريين، ليعلنوا التمرد والعصيان المسلحين، وهذا ما كانت تصبو إليه حكومة العراق آنذاك. (٢٠)

(٢٠) تاريخ الوزارت - عبد الرزاق الحسني - ج ٣ - ١٩٨٢ - ص ١٨٤.

ت-البهائيون

١-البهائيون في إيران

تعد إيران الموطن الأول للبهائيين، حيث بلغت نفوسهم حوالي الاربعمئة ألف، وقد أطلق عليهم "البابية" نسبة لمؤسسها الذي لقب نفسه بـ"الباب"... و"البهائية" نسبة لزعيمها الذي لقب نفسه "بهاء الله"، وسبقهما مرحلة اعدادية تمثلت في تعاليم الفرق الشيعية (أحمد بن زين الدين الأحسائي وكاظم بن قاسم الحسيني الرشتي)، ويمكن تقسيم التاريخ البهائي إلى دورتين:

- الدورة الأولى/ دورة التبشير أو البابية (لم تتعد ثمانية سنوات).
- الدورة الثانية/ دورة الظهور أو البهائية.

الدعوة البابية: (في ليلة ٢٣ أيار ١٨٤٤م أُعلن على محمد بن محمد رضا الشيرازي الملقب "الباب"، وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره بأنه جاء مطبقاً للنباءات والوعود السابقة وبأن مهمته هي تمهيد الطريق والتبشير بوشوك مجيء من سماه "من يظهره الله" الذي سيكون مربي العالم في هذا الزمن، وحصل ذلك عندما أعلن لضيفه تلك الليلة الملا حسين بشرؤي والذي كان من فرقه الشيعية ومن تلاميذ الشيخ أحمد الأحسائي ومن بعده السيد كاظم الرشتي، بأنه الموعود الذي كان قد بشراً بوشوك قدومه وبأن كل العلامات التي وصفاه بها تنطبق عليه وبعد إجابة أسئلة ملا حسين وتقديم البراهين التي طلبها، آمن به الملا حسين واتخذ علي محمد لنفسه لقب "الباب" في خطاب له: "يا من هو أول من آمن بي حقاً إنني باب الله وأنت باب الباب...", وتنبأ في تلك الليلة الأولى بالمصاعب والأذى الذي كان لا بد أن يلحقه نتيجة هذا الادعاء وأعرب عن رضائه وتقبله لذلك، وطلب من الملا حسين أن لا يجهر ما حصل تلك الليلة إلى أن يؤمن به سبعة عشر شخصاً آخرون بعد أن يجدوه بنفسهم وبدون مساعدة الملا حسين، حصل ذلك في بيت الباب في مدينة شيراز في بلاد

فارس، ومن بعدها كان ذلك البيت مزاراً للبهائيين لحين تهديمه بعد الثورة الإسلامية في إيران).

(لقد انتهت المرحلة بتأمر السلطتين الحاكمة والدينية بالإجماع على قتل حضرة الباب، فقد تم سجنه في إقليم أذربيجان البعيد، إلا أن سجنه أضحم مكاناً يقصده الحجاج، ومن هناك جمع حضرة الباب أوراقه وأرسلها مع قلمه وخاتمه إلى بهاء الله في طهران إشارة إلى وشك انتهاء مهمته، نقل بعدها بقليل مع أربعة من أتباعه إلى تبريز حيث أعدت العدة لإعدامه، وفي اليوم التالي لوصوله المدينة، أصدر علماء تبريز فتواهم بإعدامه، وفي اليوم التاسع من تموز ١٨٥٠ أعدمت الدولة القاجارية الباب رمياً بالرصاص مع أحد أتباعه (محمد علي الزنوزي) الذي أصر أن يعدم معه، وبعد إعدام الباب ورفيقه نقلت رفاته ورفات محمد علي إلى حافة الخندق خارج المدينة، وفي الليلة التالية خُلص بعض البابيين جسديهما في منتصف الليل وبعد نقلهما وإخفاء الجسدتين ما يزيد عن ٦٠ سنة في أماكن سرية عديدة في إيران، جيء بهما بصعوبة وتحت الخطر إلى فلسطين ودفنا يوم ٢١ آذار ١٩٠٩ على سفح جبل الكرمل في مدينة حيفا في مقام يسمى الآن بضريح الباب على مقربة من كهف إيليا النبي).

(وفي عام ١٨٥٢م حاول البهائيون في طهران اغتيال الشاه ناصر الدين، إنتقاماً لإعدامه الباب، وعلى إثرها أمر الشاه بحملة تعقب للبابيين على مستوى الدولة أدت إلى تعذيب المئات منهم وقتلهم مما نتج عن مقتل خمسة آلاف بابي في الفترة ما بين ١٨٤٩-١٨٥٥م، وقد بلغ أتباع السيد علي محمد، مع حلول عام ١٨٤٩م إلى نحو مائة ألف).

(عرف تلاميذ الباب الثمانية عشر الأولون بـ "حروف الحي" وهؤلاء هم الذين أرسلهم الباب إلى جهات مختلفة من إيران والعراق وتركستان لنشر خبر ظهوره وكانت من ضمنهم امرأة باسم "فاطمة زرين تاج البرغاتي القزوينية" وهي أديبة وشاعرة، أما في

إيران فقد شهدت الفترة من عام ١٨٣٧م حتى عام ١٨٤٥م تزايداً كبيراً في أعداد الذين سموا أنفسهم بالبابيين، وشملت تلك الأعداد العوام والخواص وبباقي طبقات المجتمع، وكان عدد كبير من أتباع الباب الأوائل من رجال الدين. قضى الملا حسين علي السنوات الباقية من عمره في نشر دعوة الباب وتعاليمه في العديد من مدن إيران، رغم المواجهة الشديدة والاضطهاد الذي تعرض له إلى أن لقي مصرعه.

كان حسين علي بن عباس بزرك الذي تسمى بهاء الله، ولد في طهران في ١٢ تشرين الثاني ١٨١٧م، آمن بدعوة الباب سنة ١٨٤٤م وهو في الثامنة والعشرين من عمره. وفور اطلاعه على بعض كتابات الباب، صار بهاء الله من أشهر أتباع الباب وأنصار دينه وقام بنشر تعاليمه، ولعب بهاء الله دوراً رئيسياً في انتشار دعوة الباب وخاصة خلال "مؤتمر بدشت" الذي يعتبر نقطة تحول هامة في تاريخ البابية لأنه تم من خلالها الإعلان عن استقلال الشريعة البابية عن الإسلام واعتبارها شريعة مستقلة بأحكامها ومبادئها، واتخذ حسين علي لنفسه خلال المؤتمر لقب "بهاء الله"، وبعد وفاة الباب استمر بهاء الله بترويج دعوة الباب وتمتع بمكانة قيادية خاصة بين البابيين، وفي سنة ١٨٥٢م قبض على بهاء الله وزوجه في سجن سياه جال "النقرة السوداء"، بعد محاولة فاشلة لاغتيال الشاه اتهم بهاء الله بالضلوع فيها رغم عدم توفر الأدلة، ولم تتحمه مكانته الاجتماعية من التعرض لشئ أنواع العذاب والاضطهاد بعد ذلك. وهو في سجنه توقع بهاء الله صدور حكم بإعدامه، قرر أن تكون بداية دعوته من ظلمات سجنه، التي قضى بها ما لا يقل عن أربعة أشهر، ويذكر التاريخ البهائي أن بداية نزول الوحي على بهاء الله كان فترة وجوده في ذلك السجن ولو أنه لم يفصح بذلك إلا بعد مرور ١٠ سنوات، بعدها أطلق سراحه دون محاكمة وصودرت ثروته وممتلكاته ونفي على الفور مبعداً من إيران إلى العراق الذي كان تابعاً آنذاك للحكومة العثمانية، وبدأ بهاء الله بهذا الابعاد فترة من النفي والسجن والاضطهاد المرير دامت أربعين عاماً، فمن بغداد إلى عزلة في كردستان العراق في العاشر من نيسان ١٨٥٤م تاركاً أهل بيته وراءه مرتدياً خرقاً الزهاد الخشنة مكتفياً بكسكول وغيار واحد، مسمياً نفسه

"الدرويش محمد"، ونتيجة ضغوط الحكومة الإيرانية، نفي بهاء الله بعد ذلك مرة أخرى إلى اسطنبول وبعدها إلى مدينة أدرنة، بقي هناك خمس سنوات حبس بعدها في قلعة عكا في فلسطين وكان حبسه ونفيه اللذان داما طوال الأربعين سنة الأخيرة من حياته لغرض التخلص منه والحد من انتشار دعوته، ويذكر التاريخ البهائي أن بهاء الله أعلن دعوته كصاحب رسالة مستقلة إلى بعض أتباعه في حديقة على ضفاف نهر دجلة سميت فيما بعد "حديقة الرضوان"، وكان ذلك قبل رحيله من بغداد).

(كتب بهاء الله خلال الأربعين سنة التي قضتها في الحبس والنفي العدد الوفير من الكتب والرسائل باللغتين العربية والفارسية ومن كتبه المشهورة "الكتاب الأقدس" الذي دُون فيه أحكام الدين البهائي وكتاب "الايقان" وكتاب "الكلمات المكونة" وغيرها، وخلال إقامته في أدرنة سنة ١٨٦٦م وكذلك بعدها خلال سجنه في قلعة عكا سنة ١٨٦٨م، أرسل بهاء الله عدة رسائل معنونة إلى ملوك وسلطانين ذلك العصر ولبابا الكنيسة الكاثوليكية أعلن لهم فيها عن مقامه ودعاهم فيها إلى نبذ الخلافات والعمل من أجل وحدة العالم ومن أجل السلام، وكان من ضمن هؤلاء السلطان عبد العزيز وناصر الدين شاه ملك إيران، ونابليون الثالث والملكة فكتوريا ملكة بريطانيا وملك النمسا وقيصر روسيا وغيرهم، وقرب نهاية حياته تراحت صرامة الحبس وتطبيق أحكام السلطان عبد العزيز شيئاً فشيئاً، ورغم أنه كان لا يزال سجيناً رسمياً، فلقد سمح لبهاء الله أن يقضي آخر سنوات عمره في بيت واسع في إحدى ضواحي المدينة كان قد اشتراه ابنه عباس أفندى "عبد البهاء"، واستمر بهاء الله في الكتابة في سنواته الأخيرة في هذا البيت الذي يسمى "قصر البهجة" وزاره في هذا البيت المستشرق ي. ج. براون، ووصف براون لقاءه هذا مع بهاء الله في كتابه "مقالة سائح" من مطبوعات كمبردج).

وعند وفاة بهاء الله في سنة ١٨٩٢ دفن في إحدى الغرف في البيت المجاور لقصر البهجة، ويعتبر مرقده أحد الأماكن المقدسة التي يزورها العديد من الناس ويعتبر كذلك قبلة البهائيين في صلاتهم. (٢١)

يستعرض خوان كول في كتابه (دراسات في البهائية - البهائيون في إيران) الديانة البهائية ونشوءها والاضطهاد الذي عانت منه ومحاولات استئصالها في بحث طويل نستقطع منه ما يخدم موضوعنا الذي يتعلق بالعنف الذي واجهته الأقليات في العراق والدول المجاورة.

يقول في تعريفه للدين البهائي "الدين العالمي" النبوئي والرافض للعنف والمؤمن بالعصر الألفي السعيد، الذي ولد زعيمه من رحم القلاقل السياسية والاجتماعية في إيران خلال القرن التاسع عشر والذي يعاني أتباعه منذ ذلك الحين من اضطهاد الشاه والحكومة الإسلامية على حد سواء".

"يشكل البهائيون الذين تتراوح أعدادهم ما بين ٣٠٠ ألف إلى ٤٠٠ ألف في إيران أكبر أقلية غير مسلمة، وقد أعدم رجال الدين الذين يحكمون حالياً قرابة ٢٠٠ من أكثر زعماء البهائية نشاطاً، وفرضوا معوقات شديدة أمام معتنقي هذه الديانة، وقد رد البهائيون على هذا الاضطهاد دون اللجوء إلى العنف، ورغم أن السنوات العشر الأخيرة قد شكلت أطول فترة من الاضطهاد الرسمي المتواصل للبهائيين في إيران

(٢١) ١- كتاب القرن البديع من آثار قلم حضرة ولی أمر الله شوقي ربّانی-من منشورات دار النشر البهائية في البرازيل -١٩٨٦ ترجمة محمد العزاوي.

2- The Bahai Faith، The Emerging Global Religion، William Hatcher & Douglas Martin، Harper & Row publishers، 2nd Edition، 1975.

ترجمة عبد الحسين فكري بعنوان "الدين البهائي بحث ودراسة" دار النشر البهائية - البرازيل - ٢٠٠٢ - م.

3- Bahaullah The king of Glory ، Hassan Balyuzi ، Oxford ، Ronald 1980.

4- Adib Taheradeh ، The Revelation of Bahaullah ، Georg Ronald، Oxford –

فإنهم واجهوا منذ بداية دينهم في ستينيات القرن التاسع عشر مذابح مدبرة تنطوي على عدائية شديدة".

"إنتشرت الديانة البابية سريعاً، وجذبت التجار والحرفيين والعمال في المدن والبلدات الصغيرة في إيران، ويرجح بلوغ عدد أتباعه مائة ألف مع حلول عام ١٨٤٩م. لكن في هذا العام أُعلن رسمياً عن أنه من المهرطقين، ومن ثم بدأت الاشتباكات بين الشيعة والأحياء البابية الجديدة في بعض المدن، مما استلزم تدخل القوات الحكومية، وفي عام ١٨٥٠م أعدمت الدولة القاجارية الباب وتدخلت لصالح الشيعة في النزاعات المحلية، وفي عام ١٨٥٢م حاول زعماء المذهب البابي في طهران اغتيال الشاه ناصر الدين انتقاماً لإعدامه لنبيهم، لكنَّ المحاولة باءت بالفشل، ورداً على ذلك أمر الشاه بحملة تعقب للبابيين على مستوى الدولة أدت إلى تعذيب المئات منهم وقتلهم، مما نتج عنه مقتل قرابة ٥آلاف بابي في الفترة ما بين عامي ١٨٥٥ و ١٨٤٩".

"لاقت رسالة بهاء الله آنذاك استجابة بين أتباع المذهب البابي في إيران، وتحولوا كلهم تقريباً إلى البهائية، وفي عام ١٨٥٥، لاحظ (جيه دي ريس) الموظف في الخدمة المدنية بالهند دليلاً على وجود عدد ضخم من أتباع البهائية بين طبقة التجار التي تعيش في مدينة قزوين وبين أهل مدن حمدان وأباده ومشهد، كانت القيادة المحلية للطائفة البهائية - التي لم تكن تشمل على رجال دين رسميين - تنتمي غالباً إلى طبقة التجار التي تعيش في المدن، وبالإضافة إلى أتباع المذهب البابي، استقطب بهاء الله أتباعاً من الطبقات الوسطى الشيعية ومن المجتمعات اليهودية والزرادشتية في إيران، وانتشر الدين إلى الهند، أثناء حياة بهاء الله، وسرعان ما امتد بعد موته إلى الولايات المتحدة".

"أصبح اضطهاد البهائيين من جانب الحكومة أو علماء الدين بالتعاون مع العامة الذين ينفذون أحكام الاعدام دون محاكمة سمة عامة لحياة البهائي في إيران، فأثناء

حياة بهاء الله وقعت حوادث اضطهاد خطيرة في أصفهان عامي ١٨٧٤م و ١٨٨٠م وفي طهران من عام ١٨٨٢م إلى عام ١٨٨٣م وفي مدينة يزد عام ١٩٩١م، وفي عام ١٩٠٣م تعرض البهائيون في مدن رشت ويزد وأصفهان لمذابح كبرى منظمة على يد غوغائيين شيعة، ومع مجيء الدولة البهلوية (١٩٢٦-١٩٧٨م) التي تبنت منهج التحديث والعلمانية، تحسن قليلا وضع معظم البهائيين ممن لا يزالون يعيشون في كنف المجتمع المدني الشيعي المعادي لهم، في الواقع شن الشاه رضا حملة لقمع البهائيين في أواخر ثلاثينيات القرن العشرين كجزء من برنامجه الاستبدادي العام، بينما أيد الشاه محمد رضا لبعض الوقت المذبحة الوحشية المنظمة التي استهدفت البهائيين في جميع أنحاء البلاد عام ١٩٥٥م، والتي كان يقودها رجال الدين الشيعة ومؤيدوهم في البرلمان والقوات المسلحة ولم تعترف حكومة إيرانية قط – على عكس حكومة باكستان مثلاً – بحق البهائيين في حرية الفكر أو حرية الاعتقاد.

"من ناحية أخرى اختلفت حدة الاضطهاد الذي تعرض له البهائيون في عهد الدولة الإسلامية في إيران عن أي مما واجهوه من قبل، إذ اتخذ أجواء كئيبة اتهم بها رجال الدين الشيعة البهائيين ممن ساعدوا في عقد مراسيم الزواج البهائي بنشر الدعاية، حيث كانوا يعتبرون تلك الزيجات غير شرعية، واتهموا من يحضرن المؤتمرات الدينية في نيودلهي أو لندن بالتجسس لصالح القوى الاستعمارية، وعلاوة على ذلك، اعتقلوا مئات الأطباء وموظفي الدولة وأساتذة الجامعات والتجار والطلاب البهائيين، بينما اضطر بعضهم ببساطة إلى الاختفاء من المشهد وعدّب آخرون وأعدموا، وصودرت ممتلكات البهائيين بالإضافة إلى أموال صناديق المعاشات وحسابات البنوك المخصصة للأطفال وأصبح إرغامهم على الارتداد عن عقيدتهم أمرا شائعا، ورفضت السلطات منح البهائيين بطاقات تموين ومنعت أبناءهم من دخول المدارس والجامعات الحكومية، وحظرت عليهم ترك البلاد، وعلى الرغم من أن بعض مئات من أحكام الاعدام وأضعافا مضاعفة من أحكام السجن لا ترقى إلى مستوى الإبادة العرقية،

فقد كان الهدف من تلك الاجراءات استئصال الطائفة البهائية على المدى الطويل".^(٢٢)

مما تقدم يتضح مدى الظلم الذي لقيه البهائيون في إيران على أيدي الحكام المستبددين على مر عصورهم، وعلى أيدي زعماء الدين ومن العامة، من عنف وقتل وتعذيب ونفي وتشريد وإكراهم على البراءة من دينهم وإجبارهم على ترك معتقدهم، وما عانوه جراء ذلك، وكل ذنبهم أنهم يحملون أفكاراً تختلف عن السائد الديني، كالذين قتلوا وعدّلوا من قبلهم لنفس الأسباب، لتعيد عجلة ثقافة العنف وإقصاء الآخر المختلف دورتها وتسحق الإنسان دون رحمة.

إن احتقار الأقليات واضطهادها وممارسة العنف ضدها أمست ثقافة شاعت في المجتمع الإيراني وهذا ما تؤكده الكاتبة الإيرانية الدكتورة آذر نفيسي في روايتها (أشياء كنت ساكتة عنها). تقول في الصفحة ٤٦٩ وهي تعرّف البهائية "ديانة نشأت في بلاد فارس خلال القرن التاسع عشر، تؤكد على الوحدة الروحية للبشرية جماء، تتميز برأيها أنه عبر التاريخ كلّه كانت ديانات العالم الرئيسية منهكمة في الحوار المستمر، في حين يؤمن البهائيون أن جميع رسل السماء الذين حملوا المعتقدات الدينية مترباطون ببعضهم البعض، ويؤكدون جوهرياً على التطور الجمعي للجنس البشري. كانت هذه الطائفة، وهي فرع من شيعة المسلمين، بؤرة الاضطهاد في الجمهورية الإسلامية، ويرجع السبب الرئيس إلى ادعائهم أن (المهدي المنتظر) يتجسد في شخص بهاء الله. ويعد هذا هرطقة من وجهة نظر الطائفة الشيعية التقليدية". وفي مجرى حديثها عن الطائفة البهائية تقول أيضاً "كان الأطفال يدقون أبوابهم منشدين: (الأرمني) الكلب الأرمني كناس الجحيم، اليهود لم يكونوا قدرin فحسب بل أنهم شربوا دم الأطفال البريء، كان الزرادشتيون عبيد النار وملحدين، بينما لم يكن البهائيون، وهم طائفة إسلامية، انفصالية، مهرطقين فقط بل عملاء وجواسيس للأمريكان والبريطانيين بل من الواجب قتلهم.... مع أنه من حين لآخر

(٢٢) دراسات في البهائية -البهائيون في إيران-خوان كول -ترجمة نفين عبد الرؤوف -ديسمبر ٢٠١٤ .

كانت التوترات تبرغ إلى السطح، إلى أن تكشف تماماً الطبيعة الدموية لهذا النزاع الخفي بعد مرور عدة عقود لاحقاً، بعد الثورة الإسلامية سنة ١٩٧٩م، حين هاجم المسلمين، وسجّلوا عدداً كثيراً من الأرمن، واليهود، والبهائيين، وأرغموا المطاعم على أن تحمل يافطات على نوافذها تعلن (أقلية دينية) إن لم يكن أصحابها مسلمين. لكننا لا نستطيع أن نلزم الجمهورية الإسلامية على كل شيء لأنها بطرائق معينة أبرزت للعيان وضحت تعصباً أعمى كان موجوداً من قبل".^(٢٣)

تذكر الكاتبة البريطانية كلارا إيدج في كتابها (الطاولة - قرة العين - كلارا إيدج - الرافدين للنشر - لبنان - ٢٠٢٠ - ص ٢٦٣، ٢٦٢): في أكتوبر ١٨٤٨ اعتلى العرش الشاه ناصر الدين وفي عهده استدعى الطاهرة إلى البلات الملكي لفترة طويلة حاول خلالها أن يثنّيها عن دينها وتركها له، لكنها أصرت على ايمانها الراسخ بدينها ودفعها عنه بشجاعة نادرة، رغم كل المغريات التي قدمها لها بما فيه زواجه منها الذي رفضته، وبعد أن عجز من اقناعها سلمها وبقية البهائيين المعتقلين بيد مرؤوسه من متعطشى الدماء، ليتم اعدامها شنقاً. فقد اعتبرهم رجال الدين أنهم كافرون وخارجون عن ملة المسلمين، وأطلقوا شعارهم (السيف فقط هو الذي يمكنه سحق هذه الثورة الكافرة، اقتلوا لهم أ杀了وا البهائيين). وجاء اليوم الذي غسل الشاه يديه ونفضها من هذه المسألة الشائكة. على الفور أرسل هؤلاء سعاة البريد إلى بقية المدن مع أوامر تدعوه لقتل البهائيين المكرهين الأبرياء أينما وجدوا، رجالاً كانوا أم نساءً أم أطفالاً دون مساءلة، وبأبشع الطرق البربرية التي استنبطتها عقولهم المريضة "قتل البهائيين يدخلكم الجنة". فقطعوا أسنة ضحاياهم، وثقبوا لحوم أجسادهم وهم أحياء وحشروا بداخلها شموعاً موقدة، وقطعوا أجسادهم وعلقوها على أبواب المدن والقرى كعلامة تحذير، ورموا بضحاياهم الأبرياء أحياء داخل النيران.

كانت هذه بعض طرق الإبادة التي حسموا بها أمر أولئك الذين لم يعجبهم معتقدهم

(٢٣) أشياء كنت ساكتة عنها - ذكريات - آذر نفيسى - منشورات الجمل - بيروت ٢٠١٤ - ص ٦٣ .

٢- البهائيون في العراق

"ان الدعوة التي مهدت وبشرت بظهور البابية البهائية في العراق، بدأت في كربلاء والنجف، ثم في بغداد والكاظمية، ثم بعدها في أطراف العراق، وسميت بالشيعية نسبة إلى الشيخ أحمد الأحسائي، وكان ذلك في النصف الأول من القرن التاسع عشر، عندما أعلن السيد علي محمد الباب دعوته عام ١٨٤٤م آمن به جمع من علماء الدين وطلاب العلم في العراق، ومن أبرزهم ملا حسين بشروئي، ملا علي البسطامي، قرة العين (الطاهرة)، الشيخ صالح الكريماوي، عبدالهادي الشعري باف، الملا إبراهيم الحمداني، الحاج محمد الكرادي، سعيد الجباوي، عبدالهادي الزهيري باي، سيد عبد الله شبر، الشيخ محمد الشبل، سيد جواد الكربلائي، وغيرهم، واتبعهم من اتبعهم وخالفهم البعض الآخر".^(٢٤)

يذكر هنا بطاطو: "أن عبد الهادي الجلبي مؤسس ثروة العائلة كان بهائيا".^(٢٥)

أن عبد الهادي بن عبد الحسين بن علي هادي الجلبي لم يكن بهائيا إنما كان شيئاً إثنا عشرياً وما يؤكد ذلك سيرته وعمره. ربما كان هنا بطاطو يقصد بذلك والده عبد الحسين أو جده علي هادي عميد عائلة الجلبي، وهما من سكنة الكاظمية في تلك الفترة الزمنية التي انتشرت فيها دعوة السيد علي محمد الباب منتصف القرن التاسع عشر في العراق، فقد بدأت في كربلاء والنجف والكاظمية، وإن عمرهما مقارب لتلك الفترة.

"واستمر النزاع الاجتماعي والديني بين المؤيدين والمخالفين مما حدا بعلماء الشيعة إلى اتهام (قرة العين) بأنواع التهم الباطلة فحبستها الحكومة في دار مفتى الديار الإسلامية السيد محمود الألوسي لمدة ستين يوماً لحين ورود الأمر السلطاني بنفيها

(٢٤) محمد مصطفى البغدادي - الرسالة التسع عشرية - مطبعة السعادة ١٣٣٨هـ شهر محرم الحرام - مصر.

(٢٥) (حنا بطاطو - العراق - الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية - الكتاب الأول - ص ٣١٨).

إلى إيران، ومما يجدر ذكره هنا أن السيد محمود شهاب الدين الألوسي قد شهد بحق الطاهرة (قرة العين) بخط يده الشهادة التالية (فقيل إنها كانت تقول بحلال فروج ورفع التكاليف بالكلية، وأنا لم أحس منها بشيء من ذلك، مع أنها حبست في بيتي نحو شهرين، وكم من بحث جرى بيني وبينها رفعت فيها التقية من البين، والذي تحقق عندي أن البابية والقرتية طائفة واحدة... ويزعمون انتهاء حق التكليف بالصلوات الخمس، وأن الوحي غير منقطع، وأخبرني بعض من خالطهم أنهم يوجبون على من نظر أجنبية من غير قصد، للتصدق بمثقال من الذهب، وعلى من نظرها بقصد التصدق بمثقالين منه، وأن منهم من يحي الليل بكاء وتضرعا، وأنهم يخالفون الاثني عشرية في كثير من الفروع، وأنا قد دققت أن الاثني عشرية يكفرونهم ويبرؤون منهم)، وقد قتلت هذه المرأة أيضا بعد أن بعثت وخرجت على الشاه في طهران، وتتبع الشاه أصحابها بالقتل، فقتلوا إلا قليلا منهم وفي قرى العراق بقية يسيرة منهم". (٣٦)

بعد إعدام السيد علي محمد الباب في تبريز سنة ١٨٥٠ نفي بهاء الله إلى العراق من إيران بصفته أبرز زعماء البابيين، وذلك بأمر ناصر الدين شاه، بعد إطلاق سراحه من السجن سنة ١٨٥٣ م وفي ٨ شباط ١٨٥٣ م وصل إلى مدينة بغداد وسكنها، نظرا لأهميتها في الدين البهائي. يقول (الوجيه البهائي) السيد عبد الرزاق العبايجي في تقرير عن (الدين البهائي في العراق منذ نشأته وإلى اليوم): "كان أعداء الدين الخارجيون من أهل الدنيا والذين مسؤولين بصفة خاصة عما عاناه الدين من إهانات ونكبات، ولكنهم اليوم أخلدوا إلى الراحة والهدوء النسبي، وقللت لديهم شهوة الانتقام، التي كانت في يوم من الأيام ظامة لا ترتوي، وذلك نتيجة لسيول الدماء التي فاضت من قبل، وفضلًا عن ذلك خيم شعور يشبه الانهاك واليأس على بعض الأعداء الألداء الذين كانوا من الفطنة بحيث أدركوا أن جوهر الدين ظل سليمًا، وأن روحه لم يتم رغم أنه ترتع تحت الضربات الوجيعة التي كالوها له، وكان نتيجة ذلك

(٣٦) نهج السلام إلى مباحث الإمام للعلامة السيد محمود الألوسي مفتى مدينة السلام، مخطوطه بيد المؤلف محفوظة في مكتبة مديرية الأوقاف برقم ٦٧٨٧.

أن هدأت الحال نسبياً لفترة وجيزة، قطعتها مرحلة متأخرة موجة أخرى من الاضطهاد تعاون فيها سلطان تركيا ووزراؤه والمحافل السنوية من جهة والشاه ورجال الشيعة في إيران والعراق من جهة أخرى، في محاولة للقضاء على الدين وكل ما يرمز له قضاء تاماً، وفي هذا الهدوء النسبي، أخذت بوادر الأزمة الداخلية التي أشرنا إليها تظهر وتتضح".

ويكمل السيد العبايجي في تقريره ليخبرنا عن هجرة بهاء الله إلى كردستان فيقول "وفجأة ودون أن يخطر أحداً حتى من أهل بيته رحل في الثاني عشر من رجب سنة ١٢٧٠هـ الموافق العاشر من نيسان ١٨٥٤م بصحبة خادم مسلم يدعى (أبو القاسم الهمداني)، الذي قتله اللصوص ليبقى حضرة بهاء الله وحيداً فريداً في فيافي كردستان، وهو إقليم عرف أهله الأشداء ذوو البأس بعدائهم التقليدي للإيرانيين لأنهم يعتبرونهم مارقين عن الإسلام، فضلاً عن اختلافهم عنهم في المظهر والعرق واللغة، وهام حضرة بهاء الله في الفيافي والقفار، وارتدى خرقاً الزهاد المساكين الخشنة، مكتفياً بكشكوك وغيار واحد من الملابس، وتسمى باسم (الدروش محمد) وأوى فترة من الزمن إلى جبل سركلون، ظل حضرة بهاء الله معتكفاً على ذلك الجبل حتى سعى إليه شيخ يقيم في السليمانية وله بعض الممتلكات في تلك النواحي، وقد دفع الشيخ إلى هذه الزيارة رؤيا رأى فيها مهداً رسول الله يوجهه إليه، وبعد هذه الزيارة بقليل زاره الشيخ اسماعيل قطب الطريقة الخالدية في السليمانية وبعد إلحاح شديد من جانب الشيخ اسماعيل قبل حضرة بهاء الله أن يقيم في المدينة، في إحدى خلوات تكية مولانا خالد، وقد عمد أساتذة تلك التكية ومریدوها إلى التقرب إليه واختبار درجة علمه ومدى معرفته بتلك العلوم المتداولة بينهم، وكان هذا المركز العلمي (تكية مولانا خالد) مشهوراً بأوقافه الشاسعة وتكاياه العديدة وصلته بصلاح الدين الأيوبي وسلالته، وفيه تخرج كثير من نوابغ أهل السنة، ولقد بلغ من اجلالهم له أن اعتبره بعضهم من (رجال الغيب)، و(قطب الكون)".

"من أبرز الكنوز النفيسة التي ألقى بها خضم الهمام حضرة بهاء الله الموج كتاب (الإيقان) الذي نزل في السنوات الأخيرة من هذه الفترة في بحر يومين وليلتين لا

أكثر! تحقيقاً لنبوءة حضرة الباب الذي نص على أن الموعود سوف يتم نص البيان الفارسي الذي لم يكتمل، وإجابة عن الأسئلة التي وجهها إلى حضرة بهاء الله الحاج ميرزا سيد محمد وهو خال لحضرتة الباب لم يكن قد آمن بعد أثناء زيارته لكربغاء مع أخيه الحاج ميرزا حسن علي. وفي حدود مائتي صفحة يعلن الكتاب اعلاناً لا لبس فيه ولا غموض وجود إله واحد، غير، منيع، لا يدرك ولا يحد ولا يشار إليه، مصدر كل وهي وإلهام، أبدي أزلي، علیم قادر محظوظ، وينبه على أن الحقيقة الدينية حقيقة نسبية، وأن الوحي الإلهي مستمر، ويؤكد وحدة الأنبياء وشمول رسالتهم واتفاق تعاليمهم الأساسية وصحة كتبهم المنزلة المقدسة، ويبين طبيعة مقامهم المزدوج.... ويظهر صحة الظهور البابي وسمو دلالته ويثنى على بطولة أصحابه وانقطاعهم، ويتنبأ بالانتصار العالمي الشامل الذي يحرزه الظهور الذي وعد به أهل البهاء، ويعلن إيمانه بظهور السيدة مریم العذراء وبراءتها، ويمجد أئمة دین حضرة محمد، ويتوخّ لاستشهاد الإمام الحسين ويُمجّد سعادته الروحية، ويكشف عن أسرار مصطلحات الرجعة والبعث وخاتم النبيين ويوم القيامة، ويظهر المراحل الثلاث للظهورات الإلهية ويميز بينها، ويُسَهِّب القول بعبارات مشرقة فيذكر مفاخر ومحامد (مدينة الله) التي يجددها، على فترات مقدرة، ظهور العناية الربانية، لهداية الجنس البشري، وخلاصه وتأمين منفعته ومصلحته، ويمكننا أن ندعى بحق أن هذا الكتاب وحده، دون سواه من سائر الكتب التي أنزلها مؤسس الأمر البهائي، قد وضع الأساس الراسخ العريض للوفاق الدائم بين أتباع الأديان العالمية العظمى ، بفضل تحطيمه للحواجز العتيدة العريقة التي فرقتها تفرقا لا يمكن تخطيّه وتجاوزه".

"يتلو خزانة النفوس الكنية الفذة هذه، تلك المجموعة الرائعة من العبارات الدرية، وتعني به (الكلمات المكونة)، التي أوحى بها حضرة بهاء الله، نزلت سنة ١٢٧٣ هجري بعضها بالفارسية، وبعضها بالعربية". "وإلى هذين الأثرين البارزين في الأدب الديني العالمي اللذين يحتلان من آثار مؤسس الدورة البهائية، في أصول الدين ومبادئ الأخلاق منزلة على أعظم جانب من الأهمية. أضيف في أثناء الفترة نفسها كتاب

(الوديان السبعة) الذي يعد أعظم آثاره العرفانية. كتبه صاحبه جوابا على أسئلة الشيخ محى الدين قاضي خانقين، يعين له فيه المراحل السبع التي تسلكها روح السالك قبل أن يبلغ غاية وجوده".

وقد تبين من الاقتباسات هذه أن بهاء الله قام بإدارة شؤون الأتباع في جميع الأقطار من بغداد، فأصبح العراق هو مركز الدين الجديد لمدة عشر سنوات، خلالها توسيع الدعوة وانتشرت في أطراف العراق من المدن الأخرى والقصبات، وتوطدت العلاقات بين بهاء الله وبين شخصيات بغداد المعروفين من رجال علم ودين وموظفي دولة كبار وقضاة وغيرهم، وكان بهاء الله محظ احترامهم وتقديرهم، وقد ذكر الرحالة الألماني الشهير بترمان في كتابه (رحلات في الشرق) بعد أن قضى مدة خمسة أشهر في بغداد سنة ١٨٥٤ م ما يأتي "وعلى ما أكده لي (ملا صالح) أن في بغداد ما يقارب خمسة آلاف بابي بهائي بين مسلمي المدينة ممن فروا من إيران والتجأوا إليها ومن بين أولئك البابيين امرأة شابة اسمها (قرة العين) وهي مقدسة، وقد تميزت بجمالها وعلمهها وقد سلم الوالي نجيب باشا هذه المرأة إلى الفرس فالتحق بها مئات من أتباعها، وقتلوا معها، ولهم كتب دينية خاصة، وقد وقف الملا صالح نفسه على بعض تلك الكتب ومما تميز به البابيون الأخلاص لبعضهم البعض وابتعادهم عن الكذب، ويذكر الرحالة بترمان أعداد الطوائف الدينية الأخرى و يقدر سكان بغداد آنذاك بستين ألف نسمة".^(٢٧)

وفي سنة ١٨٦٣ م أعلن بهاء الله دعوته في بغداد على أنه هو الذي بشر به السيد علي محمد الباب وسماه في كتاباته "من يظهره الله" وكان ذلك في حديقة نجيب باشا يوم ٢١/٤/١٨٦٣ م عندما كان مستعدا للسفر إلى استانبول. وخلال مدة اثنين عشر يوما كان الوحي الالهي ينزل عليه أمام عدد من أصحابه وجمع من المودعين، وقد اعتبرت

(٢٧) بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة مطبعة دار المعرفة - بغداد - ١٩٥٤
ترجمة سعاد هادي العمري - ص (٨٧).

هذه الأيام عيداً يحتفل به البهائيون كل سنة ويسمى عيد الرضوان وهي من العشرين من نيسان حتى الثاني من مايس. (٢٨)

إن أول اعتراف رسمي بالطوائف غير المسلمة في العراق ومنها الطائفة البهائية كان بيان المحاكم رقم ٦ الصادر في ١٩١٧/١٢/٢٨ وقد جاءت المواد (١٣، ١٦، ١٧) منه بما يأتي "فاقتضى النظام احترام العقائد الدينية فيه وأن تكون الأحوال الشخصية لكل طائفة معهودة إلى جماعة ممن ينتسبون إلى تلك الطائفة لينظر فيها طبقاً لأصول الدين الذي يعتقدونه والقواعد المدنية الخاصة بهم. وينبغي على ذلك أن محاكم البداءة المدنية (محاكم المواد الشخصية) عندما يعرض أمامها نزاع بشأن أية قضية من قضايا الأحوال الشخصية الخاصة بالطوائف غير الإسلامية، فإن عليها أن تعمل بموجب بيان المحاكم رقم ٦ لسنة ١٩١٧ الصادر في ١٩١٧/١٢/٢٨ فتحيل هذا النزاع إلى أحد علماء الدين للطائفة و يجب على المحكمة أن تحكم بمقتضى هذا الرأي إذ يكون ملزماً لها في الحكم إلا إذا كان مخالفًا للنظام العام". (٢٩)

وجاء الدستور العراقي في سنة ١٩٢٥م ليعزز هذا الاتجاه، حيث اعترف صراحة بحرية الأديان والعقائد الدينية، وخلال هذه الفترة استكمل البهائيون في العراق تأسيس مجالسهم الروحانية (المحفل الروحياني المركزي والمحافل الروحانية المحلية) واتخذوا لهم مقراً رسمياً وعلنياً في محلة الحيدر خانة في بغداد، يقيمون فيه شعائرهم الدينية، وفعالياتهم الاجتماعية، وكذلك يديرون فيه شؤونهم الإدارية، ويسمى هذا المركز عندهم بـ (حظيرة القدس).

وفي سنة ١٩٣٦ أصدرت الحكومة العراقية الدليل الرسمي الوارد من وزارة الداخلية وقد جاء في فقرة الطوائف العراقية منه ما يلي "يتألف من عرب وأكراد وتركمان وأقوام أخرى بعضها من أقدم الأمم التي عرفها العراق وبعضها نزح إليه في

(٢٨) مطالع الانوار -نبيل زرندي -دار البديع للطباعة والنشر - بيروت لبنان - ٢٠٠٨ .

(٢٩) الحكومة العراقية مجموعة القوانين والأنظمة مطبعة دنكور الحديدة الجزء الاول صفحة بيان المحاكم رقم ٦.

العصور القريبة وفي الأيام الأخيرة، ومن أولئك السريان والكلدان والآشوريون وهذه العناصر والأقوام كلها بالنظر إلى وحدة أصلها تذوب في بوتقة القومية العراقية وفي ظل الوحدة ينعم أصغر العناصر كما ينعم بها أكبرها وأضخمها. وفي العراق مسلمون ومسيحيون ويهود ويزيدون وصابئة وعدد قليل من البهائية والمجوس، والحرية الدينية مكفولة بالدستور العراقي ومضمونة بالعقد الاجتماعي الذي احترمه العراقيون منذ أقدم الأزمنة إلى اليوم". (٣٠)

وخلال فترة الأربعينيات والخمسينيات، قام المحفل الروحاني المركزي بطبع بعض الكتب البهائية في العراق، ولو أن أغلب الكتب الدينية البهائية كانت تستورد وبصورة رسمية من مصر ولبنان والهند، ومن أمريكا وأوروبا بالنسبة للغات الأجنبية.

وفي سنة ١٩٥٢ تبرع أحد المؤمنين البهائيين بقطعة أرض في بغداد الجديدة لتكون مقبرة للبهائيين في بغداد، واستحصل المحفل الروحاني الموافقات الأصولية من وزارة الصحة وأمانة بغداد لإنشاء المقبرة (٣١)

وفي سنة ١٩٣٤، عندما أجرت الحكومة العراقية أول إحصاء للنفوس، بدأ البهائيون بتسجيل عقيدتهم في حقل الدين في سجل (النفوس) أي الأحوال المدنية، وفي شهادة الجنسية العراقية، وكذلك في بيان الولادة لكل مولود بهائي، وتكرر هذا في إحصاء سنة ١٩٤٧م، وفي إحصاء ١٩٥٧م قامت الحكومة العراقية بتثبيت العقيدة البهائية في السجل الأساسي، وكذلك في استماراة التعداد نفسه، حيث ذكرت ثلاث أديان وهي الإسلام، المسيحية، الموسوية، وثلاث عقائد دينية هي: الصابئة، اليزيدية، البهائية، فحصل البهائيون على دفاتر النفوس و هوئيات الأحوال المدنية لسنة ١٩٥٧م وكذلك شهادات الجنسية العراقية ثبت فيها في حقل الدين (بهائي) تماماً كما يكتب في حقل الدين (مسلم) للمسلمين (مسيحي) للمسيحيين، واستمر

(٣٠) عبد الرزاق العبايجي- تقرير عن الدين البهائي في العراق منذ نشأته والى اليوم - ٢٠١٦ .

(٣١) موافقة وزارة الشؤون الاجتماعية - الطب الاجتماعي رقم ٧٠٢٣ في ١٥/٣/١٩٥٢ .

.....النهاية في البداية

الحال كذلك لحين صدور قرار مديرية الأحوال المدنية المرقم ٣٥٨ في ٢٤/٧/١٩٧٥
القاضي بتجميد قيود البهائيين في سجلات الأحوال المدنية.



المحفل الروحاني البهائي المركزي في العراق عام - ١٩٢٥

واستمرت العلاقة بين الطائفة البهائية من جهة والحكومات العراقية المتعاقبة من جهة أخرى، على أحسن حال إلى أن وقع انقلاب ١٩٦٣م، حيث جرى في إحدى جلسات مجلس الوزراء برئاسة أحمد حسن البكر، بحث موضوع الدين البهائي والطائفة البهائية في العراق، ومنذ ذلك الوقت بدأت المضايقات والتعقيدات التي تبعت على البهائيين، وفي ٤/٣٦ ١٩٦٥م وضع وزارة الداخلية يدها على مبني

حظيرة القدس المركزية مع جميع محتوياتها من آثار وكتب وأدوات ومكائن طباعة واستنساخ ومواد قرطاسية وسجاد وستائر وغيرها. (٣٢)

وقد قام البهائيون بعدة محاولات عام ١٩٦٩ كان آخرها عريضة إلى رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر، مقدمة ومؤقة من مجموعة بهائيين يمثلون بهائيي العراق وذلك في ٣ / ٨ / ١٩٦٩، يطلبون فيها إعادة فتح أماكن عبادتهم التي أغلقت في العهد العارفي السابق، وطالبو أيضاً بإنصافهم وإعادة حقوقهم في تشكيل هيئاتهم الروحانية وإقامة شعائرهم وعبادتهم في حظائر القدس. وفي الوقت الذي كان البهائيون يتوقعون بعد مقابلة القصر الجمهوري أن يصدر عن رئيس البلاد ما ينصفهم ويعيد لهم حقوقهم، صدر قرار مجلس قيادة الثورة بقانون رقم ١٠٥ لسنة ١٩٧٠ (قانون تحريم النشاط البهائي) في العدد ١٨٨٠ من الوقائع العراقية بتاريخ ١٩٧٠/٥/١٨، ولما كانت شريعة الديانة البهائية تحتم على معتنقيها إطاعة القوانين والأنظمة في الدولة التي يتواجدون فيها، وتأمرهم بالتعامل بالصدق والأخلاق مع الجهات الرسمية، فقد قام المحفل الروحي المركزي للبهائيين في العراق بحل نفسه وحل كافة المحافل الروحانية المنتشرة في المدن والنواحي والقرى العراقية، وذلك تطبيقاً للقانون المذكور.

وفي منتصف شهر كانون الأول عام ١٩٧٣ بدأ مديرية الأمن العامة بتوقيف البهائيين بناء على أمر من رئيس الجمهورية نفسه، وشمل التوقيف الرجال والنساء والشباب والشابات من المدارس أيضاً، واستمر التحقيق مدة أربعة أشهر، وبعدها صدر الحكم من محكمة الثورة في ٤/٢٣ / ١٩٧٤ بأحكام المؤبد والخمس عشرة سنة والعشر سنوات وقضى المحكومون رجالاً ونساء ست سنوات في السجن وأطلق سراحهم بموجب العفو العام الذي صدر في ١٦/٨/١٩٧٩، وخلال فترة السجن التي دامت ست سنوات، كانت دوائر الأمن العامة، تحاول أن تضغط على السجيناء

(٣٢) الدعوة البهائية في العراق للباحث يوسف حسن محمد صفحة ١١٩ وزارة الداخلية محاضر جرد الموجودات لحظيرة القدس البهائية في بغداد.

البهائيين من أجل تغيير عقيدتهم الدينية، ويطلبون منهم بكل صراحة ووضوح تقديم تعهدات بنبذ الدين البهائي حتى يطلق سراحهم، وازداد التركيز والضغط عليهم، شدة واستمراً، بهدف إنجاز هذا المطلب الذي يريده رئيس الجمهورية، وتكررت زيارات المسؤولين لهم لهذا الغرض، بيد أن السجناء البهائيين صمدوا بعدم تقديم مثل هذه البراءة، ما دعا إلى استثنائهم من قرار العفو عن السجناء السياسيين والدينيين، إذ ذكر في القرار "عدا البهائيين"، ومن خلال الحديث مع الوزيرين جاسم محمد الركابي وبابكر شكري ومع عضو مجلس قيادة الثورة محى عبدالحسين، تبين أن البكر هو الذي يصر على انتزاع البراءة من البهائيين، وبتصريح العbaraة كرر محى عبدالحسين عدة مرات بأن الحكومة لا تريد هذا الاسم في العراق أى (الدين البهائي).^(٣٣)

أما بعد عام ٢٠٠٣م، عقب تغيير النظام، فقد تصرف البهائيون في العراق، كما تصرفت المؤسسات الدينية والإعلامية دور النشر والمنظمات المدنية والاجتماعية والمهنية، وعادت إلى ممارسة نشاطاتها التي كانت محظورة بصورة أو بأخرى، بموجب قرارات مجلس قيادة الثورة المنحل، فقاموا بجهود هادئة ودؤوبة مع كل من وزارة حقوق الإنسان والداخلية وديوان الوقف المسيحي والأديان الأخرى والجمعية الوطنية والحكومات الأولى برئاسة إياد علاوي والثانية برئاسة إبراهيم الجعفري والثالثة برئاسة نوري المالكي، بهدف إزالة ما حل عليهم من ظلم في زمن الحكومات السابقة ابتداء من حكومة أحمد حسن البكر سنة ١٩٦٣م حتى آخر حكومة برئاسة صدام حسين سنة ٢٠٠٣م، وهو الظلم الذي تمثل في:

١-إصدار قرار وزارة الداخلية المرقم ٢٦٦٨ والمؤرخ ١٩٦٥/٥/١١ في وضع اليد على مبني "حظائر القدس" في بغداد وديالي ومصادرة محتوياتهما، ومداهمة بعض بيوت البهائيين ومصادرة كتبهم، وإحالة بعضهم إلى المحاكم العرفية العسكرية، وحبسهم بحجة مخالفة قانون الجمعيات.

(٣٣) عبد الرزاق العبايجي تقرير عن الدين البهائي في العراق منذ نشأته وإلى اليوم - ٢٠١٦.

٢- إصدار قانون رقم ١٠٥ لسنة ١٩٧٠م بتحريم النشاط البهائي، وهذا القانون، الذي يخالف الدستور المؤقت المعمول به آنذاك والمعهود والمواثيق الدولية التي صادق عليها العراق والشريعة الإسلامية السمحاء "لا اكراه في الدين"، نص على:

المادة الأولى: يحظر على كل شخص تحبيذ أو ترويج البهائية أو الانتماب لأي محفل أو جهة تعمل على تلقين أو نشر البهائية أو الدعوة إليها بأي شكل من الأشكال.

المادة الثانية: لا يجوز بيع أو توزيع أو طبع أو حيازة الكتب أو النشرات البهائية، وتنمنع مثل هذه الكتب أو النشرات الصادرة من الخارج من الدخول إلى العراق أو التداول فيها.

المادة الثالثة: تغلق جميع المحافل البهائية ومراكزها الموجودة في العراق ويوقف نشاطها وينزع كل شخص طبيعي أو حكمي وأية منظمة وهيئة أو جهة من القيام بأي نشاط كانت تمارسه المحافل والمراكز المذكورة، ولوزير الداخلية إصدار القرارات اللازمة لتنفيذ ذلك.

المادة الرابعة: تؤول أموال موجودات المحافل البهائية ومراكزها بعد تصفيتها إلى الجهة أو الجهات التي يصدر بتعيينها قرار من رئيس الجمهورية بناء على اقتراح من وزير الداخلية، ويسري هذا الحكم على الأموال والموجودات والعقارات المسجلة بأسماء المحافل والمراكز البهائية أو بأسماء أخرى يثبت أنها مخصصة للأغراض البهائية.

المادة الخامسة: يحتفظ في دوائر الأمن بجميع المستندات والأوراق والسجلات والكتب والموجودات والأموال الأخرى التي لا يجوز تداولها، العائدة إلى المحافل البهائية ومراكزها.

المادة السادسة: يعاقب المخالف لأحكام هذا القانون بالحبس مدة لا تقل عن عشر سنوات وبالغرامة أو بإحدى هاتين العقوبتين.

وقد تم تعديل هذا القانون بعد خروج السجناء من السجن سنة ١٩٧٩م، وأصبحت العقوبة بموجب التعديل المؤبد والاعدام في حالة العود.

يؤكد ما ذكر سلفاً، أن الممارسة القسرية في التعامل مع الآخر المختلف وإقصائه ومن ثم إلغائه، وقد جاءت هنا من أعلى سلطة وهو رئيس الجمهورية، ما هي إلا دليل على ممارسة ثقافة العنف الفكري والجسدي المترسخة والكامنة في العقل العراقي حيث قتل وأعدم العديد من قادة وأتباع الديانة البهائية، وطوردوا واعتقلوا، ومنعوا من ممارسة طقوسهم الدينية بسبب عدم تنازلهم عن معتقدهم، إذ أن صدور تشريع حظر البهائية زمن ولاية العبيدين، في عهد الرئيس أحمد حسن البكر، هو في الحقيقة محاولة قسرية الغائية من الخريطة العراقية، كديانة لها خصوصيتها ومنهجيتها الواضحتان، ومصادرة الحق الوطني لأتباعها في العيش ضمن هذا الوطن، ليمارسوا دورهم الطبيعي فيه كمواطنين عراقيين يتمتعون بالحرية الالزمة للتعبير عن أفكارهم ومعتقداتهم.

أي أن هذا التشريع كان يهدف إلى محو جماعي من الذاكرة، ويصب في خانة العنف السياسي، حيث حظر على البهائيين اعلان هويتهم الدينية أو الحديث عن عقيدتهم، وكان يزج بهم بين فترة وأخرى في السجون والمعتقلات، فيعانون جراء ذلك من التعسف والاضطهاد والقمع والتنكيل، و لتشديد سياسة الحظر هذه صدر قرار من مديرية الأحوال المدنية برقم ٣٤٨ في ٢٤/٧/١٩٧٥م يقضي بتجميد قيود البهائيين في سجلات الأحوال المدنية، وقد ترتب عن هذه آثار معنوية ومادية، هددت وجودهم، منها: عدم تسجيل عقود الزواج للبهائيين في سجل الأحوال المدنية/ عدم تزويدهم بـهوية الأحوال المدنية، أو صورة قيد من السجل/ عدم تسجيل مواليدهم الجدد في سجل آبائهم، ومن ثم عدم حصولهم على هوية الأحوال المدنية، مما يتربّع عليه

حرمانهم من الحصول على جواز سفر أو وظيفة حكومية، ومن الانتساب إلى المدارس والجامعات، وعدم قدرتهم على التصرف بالعقارات، كبيع وشراء المساكن والأملاك وغيرها، وكل الأمور التي تتطلب إبراز هوية الأحوال المدنية أو شهادة الجنسية العراقية.

لقد زج بالبهائيين في السجون بسبب التفسير الكيفي القسري لعبارة "النشاط البهائي"، وهذا ما كان البهائيون يخشونه حيث سجن شبان وشابات بسبب تلبيتهم حفلة عيد ميلاد إحدى البهائيات بعد ورود اسمائهم ضمن تقرير أمني فسر الحفلة بأنها "تجمع ونشاط".

لم يكن اصدار القانون وتطبيقه، من طرف السلطة الحاكمة، بغرض تحديد العقيدة البهائية وردعها ومنعها من الانتشار فحسب، بل كان الغرض الأبعد هو القضاء على الدعوة البهائية وإزالتها ومسحها من ذاكرة الأجيال الجديدة، بعد مصادرة مؤسساتها وموجوداتها ومقتنياتها من كتب وغيرها وتحريم نشاطاتها، بحيث ينشأ جيل جديد، قد أزيلت عقيدته من ذاكرته، مهيأً لاعتناق عقيدة السلطويين ، وهذا ما صرّح به عزت الدوري وزير الداخلية في نظام صدام حسين، عام ١٩٧٩م، عند مقابلته لفتيات بهائيات قبيل إطلاق سراحهن، مقابل تعهدهن بعدم القيام بنشاط بهائي في المستقبل، حيث قال لهن بصوت عال "سوف ينسى أبناؤكم ما كنتم تعتقدون به"، وهذه اللهجة ذات النبرة التحذيرية، التي تعكس بتسلٍ واحتقارٍ مسح الآخر المختلف ومحاولة تغييبه وإلغائه، هي اللهجة لا تطلقها سوى النفوس المريضة المليئة بالكره والحقد والعنف وبكل ما هو سلبي كامن في عقول الحاكمين المتسلطين.

.....النهاية في البداية.....



سجناء بهائيون / السجن المركزي / عام ١٩٧٣ / أحكام (مؤبد، ١٥ سنة، ١٠ سنوات)



سجينات بهائيات / سجن النساء في أبو غريب المركزي / عام ١٩٧٣ / أحكام (مؤبد و ١٥ أو ١٠ سنوات)

ث-المندائيون

"لقد ذهب هنري لا يرد عالم الآثار البريطاني الذي أسهم في الكشف عن الآثار الآشورية إلى أن الدين الآشوري في أيامه المبكرة الأولى وقبل أن تمسه التأثيرات الفارسية وغيرها (هو امتداد للدين البابلي) كان صابئي المنحى. ولكننا نرى إن الصابئة المندائية تمتد إلى ما قبل ذلك وبالتحديد إلى العهد السومري. فكلتا الديانتين تعظّمان الماء وتضعانه في منزلة عظيمة. فقد كان في الزمن السومري إله اسمه (آيا) إله المياه وهو يجلس في مقصورة من الماء الجاري.

إن طغيان الماء في الشعائر والطقوس الصابئية المندائية يمثل تمسكاً قوياً بأصل ديني بعيد يعود إلى العهود السومرية. فيعتقد الصابئة المندائيون إن الإنسان عندما يموت تنقل نفسه إلى العالم الآخر. هناك تحاسب النفس وتوزن أعمالها فإذا كانت الحسنات كثيرة تصعد إلى عالم الأنوار أما إذا كانت السيئات أكثر فإنها تذهب إلى (المطраطي) وهي رحلة تمر بها النفس بسبع محطات (عواالم الحساب).

الحالة نفسها نجدها عند السومريين فهم يرون إن الإنسان عندما يموت تذهب روحه إلى العالم الآخر وتجتاز هذه الروح البوابات السبع ثم تذهب إلى مستقرها في العالم الأسفل. كما إن هناك تقليداً دينياً مندائياً يتضمن إطلاق اسم ديني على الصابئي بالإضافة إلى اسمه المعلن، ويستعمل هذا الاسم في طقس التعميد والمناسبات كالزواج والوفاة وغيرهما. وهو يسمى بـ(الملواحة) وهو اسم ديني حيث ينسب الفرد إلى أمه.

إن هذا التقليد هو تقليد سومري حيث كان يطلق أسماء على رجال الدين. حيث يعتقد بأن ممارسة السحر الأسود أو الضار يسري على الاسم الديني وليس على الاسم المعلن، وكان الكهنة يتحاشون الكشف عن أسمائهم الدينية لكيلاً يتعرضوا إلى أخطار السحر والأعداء. كما وتأتي جذور الصلة بين الديانتين الصابئة المندائية والديانة البابلية أن كلتا الديانتين تقدسان الشمس باعتبارها قوة للخير. كذلك فإن الديانتين

تنزلان الماء منزلة عظيمة فكان سكان ما بين النهرين يرون أن الماء يدخل في كل جانب من جوانب حياتهم. وقد ظل سكان بلاد الرافدين يقدسون الماء ويضعونه بمنزلة عظيمة فاعتبروه أداة للتطهير. لقد كان من تقاليد الطقوس اليومية للمعبد البابلي أن يجري غسل تماثيل الآلهة، ورش المعبد بالماء الطاهر.

أما بالنسبة للصابئة المندائيين فالماء هو مصدر الحياة ذاتها. ففي الموضوع أو ما يسمونه بـ(الرشامة) التي تجري عند النهر الجاري يقول المندائيون (أبرح يرد نه آدميه هيي مشبه ماري كشطة سنخون). وتعني (تبارك الماء العظيم ماء الحياة سبحان إلهي احفظ عهده) كذلك يقولون في الموضوع (مللين ابملاي اد زيوه واذهي طن بصرى دنهور) وتعني (لينطق بكلام النور ول يكن ضميري نقيا مؤمنا بالصلاح). وكذلك يظهر المندى سنويا وفق طقوس خاصة بالماء. ويلتقي الصابئة المندائيون بالبابليين بلباس التعميد الأبيض (الرستة) لدى المندائيين باللباس الأبيض الذي كان يرتديه الكهنة في بابل. ويحرم المندائيون حلق اللحى وشعر الرأس كذلك البابليون رغم إن عامة الصابئة لا يتقيدون بهذا التحرير اليوم، إلا إن رجال الدين منهم ملزمون تماماً بهذا التحرير فهم يتركون لحاظهم وشعر رؤوسهم. أما في حالة الوفاة فيعتقد الصابئة إن نفس الميت لا تصعد إلى السماء إلا بعد مرور ثلاثة أيام على الوفاة وخلال هذه الأيام الثلاثة تظل النفس تحوم ما بين القبر وبيت الميت وبعد الأيام الثلاثة تأخذ سبيلاً إلى السماء. نفس الصورة نجدها لدى البابليين. فروح الميت عندهم تبقى تحوم ثلاثة أيام بعد إيداع جثمانه القبر."^(٣٤).

يرى الكاتب رشيد الخيون أن المندائية هي أحد منابع الإسلام الرئيسية، وما أحناف الجزيرة إلا مندائيين فيقول: " والمجوس لم يذكروا إلا في سورة الحج (آية ١٧). لهذا، فالإحتمال الوارد أن سلمان الفارسي وإسمه الحقيقي (روزبه) كان صابئاً مندائياً، فللدين المذكور وجود ببلاد فارس والعراق عندما كانا تحت حكم واحد يروى عن عائشة إنها قالت : كان للرسول مجلس مع سلمان الفارسي "ينفرد به في الليل حتى

(٣٤) كورت رودولف -أصول وصول - الجزء السابع - الصابئة المندائيون.

كاد يغلبنا على رسول الله" ، فربما كانت هذه العلاقة سبباً في ورود شيء من اعتقادات المندائيين في الإسلام ، فهم أول الأحناف، وأن إبراهيم الخليل أحد الكبار في الدين المندائي، ولعل تسمية الإسلام لها جذر مندائي، فقد ورد في أحد أدعية them أو صلاتهم "يا شلماني وأمهيمني... يا امهيمني وشلماني... لا تيفخون من مملأ لخون" ومعناها "إيها المسلمين المؤمنون، ايها المؤمنون المسلمين، لا تتراجعوا عن عهدمكم الذي عاهدتم الله عليه" ، و"طوبى لعباد الحق المسلمين....طوبى للمسلمين المبتعدين عن السوء". وعبارات أخرى تتضمن كلمة المسلم والمسلمين، وبالتالي لا أحد سبباً يمنع من إشادة الآية: "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصراوياً ولكن حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين" آل عمران (٦٧).

هاجر المندائيون في القرن الأول قبل الميلاد من موطنهم جنوب الشام إلى جنوب وادي الرافدين وخلطوا السكان الأصليين الوثنيين الأنباط (السريان قبل المسيحية) ونظراً لطبيعة دينهم الذي يتطلب التعميد "المشبّانة" بالماء الجاري الحي "هيّة" سكن المندائيون في العراق قرب الأنهار وخاصة نهر دجلة والفرات وسط العرب والقارون "الكارون" في منطقة خوزستان في إيران، وأصبح المندائيون جزءاً من النسيج الاجتماعي العراقي الجنوبي الذي تعايش مع المسلمين لمئات السنين، ومما يذكر في التعايش والتدخل بين المسلمين والصابئة المندائية تلك الصداقة الحميمية بين ابن نقيب الطالبيين الشريف الرضاي محمد بن الحسين بن موسى الرضاي (ت ٤٠٦ هجري) وبين الصابئي أبي إسحق إبراهيم بن هلال وما تبادلاه من رسائل وجداً، جُمعت في كتاب "رسائل الصابيء والشريف الرضاي" ، وقصيدة الراء الرائعة في ثمانين بيتاً للشريف الرضاي إثر وفاة صديقه الحميم إبراهيم بن هلال (ت ٣٨٤ هجري)، ومطلعها :

أعلم من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي

ومنها أيضاً:

ما مات من جعل الزمان لسانه يتلوا مناقب عَوْدًا وبوادي

فاذهب كما ذهب الربيع وإثره باقٍ بكل خمائٍ ونجاد

وتكلموا العربية بلهجة أهل الجنوب ونسوا لغتهم الآرامية الأصلية عدا بضعة من رجال دينهم يقرأون كتبهم المقدسة ويرددون ترانيمهم الصلواتية باللهجة الآرامية الشرقية.
النادي " (٣٥)

كما ذكرنا ينتشر المندائيون في مناطق جنوب إيران وجنوب العراق وكان عددهم يربو على المائتي نسمة في العراق، إلا أن الممارسات الاجتماعية الخاطئة ضد أتباع هذه الديانة من قبل المجتمع جعلت الكثير منهم يهاجرون، وإن الآلاف منهم هجروا من العراق منذ عام ٢٠٠٣م. وكان معظمهم قد انتمى إلى الحركات اليسارية، بل الحزب الشيوعي العراقي تحديداً، لأنهم وجدوا فيه مدافعاً عن الأقليات العرقية والدينية، كما أنه لا يفرق بين من ينتمي إليه وينتظم في صفوفه من تاحية العرق أو الديانة أو المذهب، وعندما اضطهد الحزب في السبعينيات من القرن الماضي، أصابهم الكثير من الاضطهاد والعنف والقتل والتشريد.

ويعتقد المندائيون أنهم أتباع أقدم ديانة سماوية توحيدية غير تبشيرية على وجه الأرض، وأن أهم كتبهم الكنز العظيم (كنزا ربا) الذي يحتوي على صحف آدم وشيت وادريس ونوح. وقد اتخذوا من جنوب العراق وإيران على ضفاف الأنهراء موطنًا لهم لارتباط طقوسهم الدينية بالماء الجاري (اليردنا)، ولكنهم أقلية، لا تؤمن بالقتل والعنف بل تؤمن بالسلام، تعرضوا على مر التاريخ للكثير من الاضطهاد الديني والسياسي والاجتماعي والإيذاء النفسي والاعتداء الجسدي، لا لذنب اقترفوه سوى تمسكهم بديانتهم وعشقهم لتراب أرض آبائهم وأجدادهم. فكانت نتيجة ذلك تهجير الآلاف منهم وإجبارآلاف أخرى على تغيير ديانتهم، إلى الديانة الإسلامية، وكان

٣٥) د. موفق كمال قنبر وفي -الوجود والدين -ص ١١٥.

تكفيرها ذريعة لإبادتهم، ونتيجة لطغيان الثقافة العربية الإسلامية، التي اضطهدتهم طيلة قرون، اندرست لغتهم المندائية التي لا يتحدث بها الآن إلا عدد قليل منهم. هذه اللغة التي تعتبر لهجة من اللهجات الآرامية الشرقية، والتي كانت لغة التخاطب فيما بينهم ولغة كتبهم الدينية، لم يفهمها محظوظهم العربي الإسلامي. لهذا، ونظراً لكون دياناتهم غير تبشيرية ولعدم تمكّنهم من التحدث بلغتهم ومن ممارسة طقوسهم بحرية وبشكل علني، فقد اكتنفthem الغموض، وساهم الجهل المطبق لسكان المنطقة من جيرانهم في ذلك، حيث اعتبر البعض من فقهاء المسلمين ورؤساء العشائر المتخلفين أنهم من عبادة الكواكب والنجوم.

يذكر د. رشيد الخيون، في كتابه (الأديان والمذاهب بالعراق)، أن الجهل في تاريخ هذا الدين بسبب سريته جعل الطبراني ينقل عن الصناعي، سنة ٢١١هـ، عن سفيان الثوري قوله (الصابئون قوم بين اليهود والمجوس ليس لهم دين). كما برر البعض نجاستهم لأنهم مشركون حسب الآية القرآنية "انما المشركون نجس" في سورة التوبة، رغم أن التعميد في الماء الجاري يعتبر من أهم طقوسهم الدينية، فأفتووا بأخذ الجزية منهم أسوة بالمشركين بالرغم من حكم القرآن فيهم، والذي خصهم بثلاث سور "البقرة والحج والمائدة" وساواهم في الآية ٦٢ من سورة البقرة بـ"الذين آمنوا واليهود والنصارى". أما القسم الآخر من الفقهاء فقد أفتووا بقتلهم مما جعلهم هدفاً سهلاً للمتطرفين الإسلاميين والعصابات والسارقين. ومن تلك الفتوى للقاضي والفقير الشافعي أبي سعيد الحسن بن يزيد الاصطخري سنة ٣٢٨هـ أيام الخليفة العباسى القاهر بالله محمد بن الخليفة المعتصم بن الموفق طلحة بن الخليفة المتوكلى على الله، وهو الخليفة التاسع عشر في ترتيب خلفاء الدولة العباسية، حيث عزم على قتلهم حتى كف عنهم بعد دفع مال كبير له، ففضلوا إثر ذلك الانزواء كوسيلة للحفاظ على دينهم وتراثهم من بطش جيرانهم.

ويشير كتاب "حران كويثا"، وهو أحد الكتب الدينية التي تتحدث عن تاريخ الصابئة المندائيين، إلى تعرضهم في القرن الميلادي الأول، وفي بداية الدعوة المسيحية،

لحملة إبادة جماعية في مدينة أورشليم، سنة ٧٠ م، وكان يسيطر عليها الحكم الروماني، حيث أبى الآلاف منهم، بينهم ٣٦٠ رجل دين، وكانت هذه الإبادة العامل الأساسي في هجرتهم الأولى من أورشليم والعودة إلى موطنهم الأصلي في وادي الرافدين ووقف التبشير بالدين المندائي مما أثر على أعدادهم لاحقا.

وتتحدث الليدي إي. أس. دراور في كتابها "الصابئة المندائيون في العراق وإيران" عن الإبادة التي تعرضوا لها في القرن الرابع عشر في العمارة، حين كان السلطان محسن بن مهدي حاكماً عليها وكان ابنه فياض حاكماً على شوشتر، حيث تعدى بعض العرب على امرأة مندائية لغرض اغتصابها، ثم أعلنوا حرباً على المندائيين، فتم قتل الرجال والنساء والأطفال فضلاً عن الزعماء الدينيين بحيث "بقيت الطائفة بلا رجال دين لمدة سنين".^(٣٦)

وفي زمن حكم الملك الساساني بهرام الأول عام ٢٧٣ م في إيران جرت حملة إبادة جماعية بحق المندائيين، حيث قتل منهم الآلاف. كذلك عام ١٧٨٢ م، في جنوب بلاد فارس، حدثت حملة مماثلة، بعد محاولة المسلمين الحصول على الكتب الدينية للمندائيين ومصادرتها، لغرض حرقها والقضاء عليهم وعلى ديانتهم، وحين فشلت المحاولة، تلك، تم اعتقال الآلاف منهم، ومن فيهم جميع رجال الدين، حيث تعرض المئات إلى عمليات تعذيب وجلد وحرق وقلع عيون وقطع أطراف، لم ينج منها إلا القليل بهروبهم إلى تركيا حاملين معهم ما تيسر من كتب دينهم ليتم استنساخها فيما بعد.

وفي مدينة شوشتر الإيرانية، القريبة من الشوش والأهواز، تعرضوا عام ١٨٧٠ م لحملة أخرى، تم خلالها قتل غالبية سكان المدينة والبالغ عددهم ٢٠ ألف مندائي على يد

(٣٦) الصابئة المندائيون في العراق وإيران -أثيل ستيفانا دراور -ترجمة المرحومين غضبان الرومي ونعميم بدوي.

الحاكم الإيراني آنذاك ناصر الدين شاه، الذي حكم إيران ما بين ١٨٣١ - ١٨٩٦م، وقد أشارت بعض الكتابات المندائية إلى هذه الحملة "المذبحة".

وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى للفترة ما بين ١٩١٤ - ١٩١٨م وسقوط الدولة العثمانية سنة ١٩١٨م ودخول القوات الإنكليزية للعراق واحتلالها البصرة ومن ثم توجهها نحو بغداد من خلال مدن الجنوب التي تقطنها نسبة كبيرة منهم، تأثر المندائيون بظروف عصيبة جداً، حيث فقدان الأمن وعدم وجود مؤسسات حكومية وانتشار الفوضى، انعكست على حياتهم وديانتهم، مباشرة، فتعرضوا للقتل والسطو والنهب والخطف، فضلاً عن إجبارهم على ترك دينهم ومنعهم من ممارسة طقوسهم، ما أدى إلى هجرتهم لمدن أخرى أكثر هدوءاً، إلا أن أحوالهم لم تتحسن في مناطق سكنهم الجديدة، حيث تعرفت السلطات الانكليزية تدريجياً على المندائيين وديانتهم ومعتقداتهم ما أثار انتباه المبشرين والمستشرقين والباحثين في الديانات القديمة لغرض التعرف عليهم أكثر والوقوف على ديانتهم القديمة فتوافد الكثيرون منهم إلى جنوب العراق. مما حدا بالمبشرين الأوروبيين لاحقاً لممارسة الضغوطات والإغراءات المالية لتحويلهم إلى الديانة المسيحية باعتبارهم من (الخارجين على المسيحية)، أو ما يطلق عليهم "مسيحيون من أتباع يوحنا المعمدان"، ورافق ذلك ضغط وتهديد إسلاميين من سكان المنطقة للتحول إلى الديانة الإسلامية.

لقد اشتهر الصابئة المندائيون منذ القدم، بالنتاجات الأدبية والعلمية، ولحد الآن تجد فيما بينهم الطبيب والمهندس والمعلم والمهني والشاعر والأديب الكثيرين... فقد يبرهن لهم: أبو إسحاق الصابي وزير الطائع والمطيع، ثابت بن قرة وولده سنان وإبراهيم اللذان برعَا في الطب والرياضيات والفلك والترجمة، إبراهيم بن هلال الأديب الذي تولى ديوان الرسائل والمظالم سنة ٩٦٠م. وفي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ورغم ظروف الإضطهاد والقصوة والإجبار على تغيير الدين، لم يتوقفوا عن أداء واجبهم في بناء وطنهم العراق فتوجهوا لممارسة المهن الحرة التي تتناسب مع متطلبات واحتياجات المنطقة كصناعة الأدوات الزراعية والقوارب وأدوات الصيد

والصياغة و غيرها، وتوجه أبناؤهم إلى المدارس والكليات المختلفة لمواصلة تعليمهم ودخل العديد منهم في المعترك السياسي الوطني وبرز منهم الكثير من الأطباء والأساتذة والعلماء والمهندسين، كان لهم الدور الكبير في عملية البناء اللاحقة للعراق، كالعلامة القدير الدكتور عبد الجبار عبد الله صاحب الانجازات العلمية العالمية في الفيزياء والأنواع الجوية، كما أنه كان أول رئيس لجامعة بغداد بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بطلب من عبدالكريم قاسم، وقد ساهم أيضاً في تأسيس جامعة البصرة من خلال تطبيق الخطط التي وضعها لتطوير التعليم الجامعي عندما كان رئيساً لجامعة بغداد بعد ثورة تموز. ويعده البعض أعلم عالم في مجاله في الأنواع الجوية في القرن المنصرم، وقد كان قبل مجئه للعراق استاذًا له كرسى في معهد ماساتشوسيت للتكنولوجيا الذي حصل منه على شهادة الدكتوراه علوم في الفيزياء، ومحرراً في مجلات علمية عالمية عديدة، وله بحوث قيمة كثيرة.

ومع هذا كله، تعرض لأبشع أنواع الإهانة والتنكيل أثناء اعتقاله. وبعد إطلاق سراحه سافر إلى أمريكا وعين استاذًا في جامعة كولارادو.

وهنالك آخرون: الشهيد الشيوعي والأديب اللامع في الأدب السياسي الساخر ابن البصرة عبد الجبار وهبي (أبوسعيد) وعزيز سباхи / غضبان رومي - الكاتب والمعلم الأول في لواء العمارة / نعيم بدوي - المربي الكبير / يحيى الشيخ - الفنان التشكيلي / لميعة عباس عمارة - الشاعرة / عبد الرزاق عبد الواحد - الشاعر / علي عرمش شوكت / الدكتور عبد الرزاق مسلم / البروفيسور صبيح السهيري / إبراهيم عزيز السهلي / الدكتور بشار فاضل فرج / الدكتور تحسين عيسى / العالم الدكتور عبد العظيم السبتي - سمي أحد الكواكب باسمه / الفنان مكي البدرى / الممثلة القديره سهام السبتي / الرسامه والشاعرة سوسن سلمان سيف / الدكتور المهندس نزار الدليمي / الدكتور المهندس والكاتب مأمون الدليمي / الأديب الروائي والفنان التشكيلي هيثم نافل والي / الجيولوجي قيس المبارك / طارق بركات.

كما برع منهم في مجال فن الصياغة كثيرون مثل عباس عماره الذي شارك في الثلاثينيات بمعارض فنية في نيويورك للترويج للصناعات العراقية في الذهب والفضة واستقر في أمريكا لمدة عشرين عاما وعاد بعدها إلى العراق وزار العمارة ليتوفى هناك.

لكن رغم كل هذا بقيت الطائفة تعاني من عدم ممارسة حقوقها وطقوسها الدينية والتحدث بلغتها في فضاء الحرية كما يحب، وازداد التمييز بين المندائيين وبين الآخرين أمام القضاء، ولم يتبوأ أحد منهم مناصب عليا في الدولة رغم وجود العشرات من الشهادات العليا التي يحملونها، كل ذلك بسبب النظرة الدونية التي كان ينظرها لهم جيرانهم المسلمون لعدم معرفتهم بديانتهم الموحدة. ومما زاد من معاناتهم ما كتب عنهم بشكل مشوه. ففي الثلاثينيات من القرن الماضي قام المؤرخ العراقي المعروف عبد الرزاق الحسني في كتابه "الصابئيون في حاضرهم وماضيهم" بتشويه ديانتهم متهمًا إياهم بأنهم من (عبدة الكواكب والنجوم). وبالطبع كان لكتابه هذا في تلك الفترة الواقع السيئ على الطائفة حيث لا يزال الكثير منهم ليس لديهم إطلاع عليها يقتنعون بما ذكر في هذا الكتاب ويعتبرونه أحد مصادرهم في الكتابة عن الصابئة.

لقد استمرت معاناة المندائيين لسنوات طويلة، لكن بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ثمة الزعيم عبد الكريم قاسم الذي لم يكن يغير اهتماماً لديانة الشخص أو مذهبه أو عرقه معياراً لمواطنته بقدر ما ينظر لكتفاته وقدرته على العطاء وخدمة الوطن. على هذا الأساس تعامل معهم، فتم تعيين الدكتور عبد الجبار عبد الله رئيساً لجامعة بغداد وكان قد طرح أسم الدكتور عبد العزيز الدوري كبدليل له للتعيين في هذا المنصب، وهو أعلى منصب حصل عليه مندائي. ولكن كان الانتماء الوطني للعراق الأساس في اختياره. فلم يكن هناك تفريق بين أي من المكونات للنسيج الوطني العراقي وبين باقي العراقيين بالمعاملة والتعيين وحرية ممارستهم لمعتقداتهم. ولو قيض لحكم قاسم أن يستمر فترة أطول، لتم إنصافهم بالحصول على حقوقهم كاملة، لكن الحكم لم

يستمر طويلاً بسبب انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣. فدخلوا من جديد في دورة القتل والاعتقال على يد سلطة البعث، حتى تجاوز عدد ضحاياهم المئات ما بين قتيل ومتغل.

وفي ثمانينيات القرن الماضي، حيث الحرب العراقية الإيرانية، تعرضوا لعمليات تصفيية جديدة، فتم إرسال الكثير من شبابهم إلى الخطوط الأمامية للجبهات، رغم أن ديانتهم تحرم عليهم القتال، بغية التخلص منهم قتلاً أو إعداماً، لكونهم من طائفة محسوبة على جهة سياسية معينة، بحكم كره وحقد دفينين في ذاكرة المتعصبين الطغاة القساة الذين لا يؤمنون بوجود الآخر المختلف.

أما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، حيث فقدان الأمن وانتشار الفوضى، فقد واجهوا الكثير من الانتهاكات لحقوقهم، وارتكب التكفيريون، من الإرهابيين والمتطرفين الإسلاميين، جرائم بشعة ضدّهم، بعدما جرى تكفيرهم من بعض المرجعيات، فتعرضوا لأبشع صور القتل المعتمد، وهم يمارسون طقوسهم الدينية، إضافةً للخطف والسرقة وفرض الإتاوات الشهرية والتهجير القسري واغتصاب النساء والإجبار على اعتناق الإسلام ولبس الحجاب وتحريم شراء ممتلكاتهم، وذلك لغرض إبادتهم، وتحتفظ مجموعة حقوق الإنسان المندائي بآلاف من الوثائق والصور والأفلام لضحايا كل هذه الممارسات العنيفة.

إن هؤلاء الضحايا المندائيين لم يكن أحد منهم شرطياً أو رجل أمن أو عضواً في مجلس النواب أو وزيراً أو غيرها من المناصب التي اعتبرت سبباً للقتل والتهجير، بل أن جميعهم من الأبراء المسلمين، أصحاب الشهادات العليا والكفاءات العلمية، وليس بينهم من يستحق قتلاً وتهجير! فالمندائيون هم من أكثر الناس طيبة وبساطة وأحسنهم خلقاً، أناس مُسالمون بكل معنى الكلمة، وكل من عايشهم يدرك مدى المحبة والهدوء والصفاء والتسامح وأمثالها مما يتعاملون بها مع غيرهم، واليوم يعاني الآلاف من مهجريهم وعائلاتهم ظروفاً قاسية جداً، مع آلاف أخرى من بقية أبناء

الأقليات الدينية، وقد تركوا كل ما يملكون خلفهم، في وطنهم العراق، ينتظرون عطف دول اللجوء والمنظمات الإنسانية لتقديم المساعدة والعون اللازمين لهم.

ج-الفيليون

هم من مكونات الشعب الكوردي، مذ سكناً أقصى الجنوب من كردستان، وبالتحديد منطقة (بشتوك أو بيشكتو) التي تمتد بين شرق دجلة وإلى العمق الإيراني.

لقد انقسمت هذه المنطقة بعد ترسيم الحدود بين الإمبراطوريتين العثمانية والفارسية، إذ وقع القسم الشرقي منها في دولة إيران من كرمانشاه إلى خرم آباد شرقاً وخوزستان جنوباً، فيما وقع قسمها الغربي في دولة العراق ضمن المناطق الوسطى والجنوبية من نهر دجلة وهي: خانقين، مندلوي، جلواء، زرباطية، بدراه، جصان. وانتقل الكثير منهم إلى بغداد والبصرة والعمارة والحلة والناصرية وبقية المدن العراقية.

ومن سكناً العاصمة كانوا يزاولون النشاط التجاري فيها، ثم تم إبعاد أكثرهم عن العراق قسراً منذ انقلاب عام ١٩٦٨م، واشتد الإبعاد إبان حكم أحمد حسن البكر عام ١٩٧٠م وصدام حسين عام ١٩٨٠م، بحججة التبعية لإيران. وكان كثيرون منهم في العراق لا يتقنون اللغة الكردية (سواء لغتهم الكردية اللورية أم السورانية أو البهدينانية) بل يتكلمون اللغة العربية بحكم الاختلاط الطويل بالعرب حيث مناطق هواء محاذية لمناطقهم.

أما من الجانب الإيراني فتتوزع مناطق الکرد الفيليه، الذين يسمون الـر في كردستان، على محافظات كرمانشاه وعيلام و خوزستان و مدنها من الشمال إلى الجنوب هي خسروي، قصر شيرين، كرمانشاه، إسلام أباد غرب، سربل زهاب، عيلام، بدرا، مهران، اندیمشک، وملایر، والتي تحاذى الجنوب العراقي في محافظة ميسان.

يسمى موطن الکرد الفیلیین (کردستان کلھر)، یقال لها في العراق الفیلیة وفي إیران الكلھوریة، وهم یدینون بدبیانة الإسلام من الشیعة علی المذهب الجعفری، ولھجتهم الکردیة تختلف عن مثیلاتها في کردستان العراق و إیران بعض الشیء حيث تسمی اللهجة اللوریة.

ويذكر العديد من المؤرخين أنهم من بقايا العيلاميين أو الكوتين في وسط وجنوب العراق (مندلي، بدرة، جصان، خانقين، زرباطية، كركوك، بغداد وغيرها).

كما تذكر مصادر أنهم ينحدرون من عشائر كردية معروفة عاشت في منطقة خوزستان والشرق العراقي لاسيمما شرق دجلة، وهي من أقدم المناطق التاريخية العراقية التي نشأت عليها أقدم الشرائع، وأن تسمية (الكرد الفيلي) أطلقها بعض المؤرخين العرب على الذين جاؤوا من كردستان إيران (جبال زاجروس) والذين نجحوا في الاندماج منذ مئات السنين بالمجتمع العراقي وفي امتهان العمل التجاري أو الزراعي أو الصناعي، ويرزوا في ميدان الحركة الوطنية العراقية عموماً والحركة التحررية الكردية خصوصاً، وضمن صفوف الحزب الشيوعي العراقي، فظهرت منهم أسماء لامعة في التاريخ السياسي للعراق. ويشير المؤرخ العراقي عباس العزاوي في كتابه "العراق بين احتلالين" إلى "أن بلدة العمارة العراقية الحالية (مركز محافظة ميسان) التي كانت تسكنها عشيرة من الكرد الفيلية كانت تدعى دوزاده من اللر الفيلية. وأن أصولهم العيلامية القديمة لا غبار عليها، إذ تنتشر عشائرهم من العمارة جنوباً مروراً بالكوت ومن ثم ديالى وإلى كركوك حيث تلتقي ببقية العشائر الكردية الأخرى من غير الفيلية، وتسكن في جانبي الحدود العراقية الإيرانية".^(٣٧)

لقد أثبتت الدراسة أنهم من المجموعات الفاعلة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً في حركة المجتمع العراقي، غير أن معظمهم كانوا فقراء مسحوقين، ما دفعهم إلى الانتماء للحركة اليسارية الوطنية التي كان من صلب منهجها تبني الطبقات الفقيرة

^{١٧}) عباس العزاوي -العراق بين احتلالين -الجزء الثاني -الصفحة ١٧)

المسحوقه والدفاع عن مصالحها. فضلا عن أنهم "أقلية" كانت عرضة للاضطهاد من جميع السلطات التي تعاقبت على العراق منذ ظهور الدولة العثمانية مرورا بالحكم الملكي ومن ثم الجمهوريات. خصوصا إثر انقلاب شباط الدموي عام ١٩٦٣، حيث قاوموه سواء في مناطق تجمعهم أو ضمن صفوف الحركة الوطنية، فتم التنكيل برجالهم ونسائهم، وإعدام العديد منهم، وإيداع آخرين في المعتقلات والسجون. لذلك يعتقد البعض خطأ أن السلطات العراقيه بدأت حملاتها الشوفينية القمعية المتصاعدة ضد الكرد الفيليه بعد وقوفهم للدفاع عن الجمهوريه والنظام الوطني بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم. بيد أن بدء تلکم الحملات كان بشكل سري غير ملحوظ في أول أيام سلطة العهد الملكي حين تم التنسيق بينها وبين السلطة الإيرانية على اضطهادهم. إذ كانت إيران تفصل في التعامل بين كرد الشمال وكرد اللر الفيلي، في حين بقي العراق يتبع سياسة دقیقة في إيجاد شروخ أو حدود في التعامل بين كرد الشمال والكرد الفيلي من منطلق طائفي، الذين حرموا من الوظائف المهمة في الدولة أو تطوعهم كضباط في الجيش والشرطة أو تمثيلهم في المجالس النيابية، متقدما عدم مساواتهم في الحقوق، بعكس ما نص عليه الدستور العراقي.

ففقد أنكرت سلطة العهد الملكي القومية الكردية للفيليين، واعتبرتهم أقلية ليست لها أهمية، ودأبت على تحقيير الطبقة الفقيرة منهم، وأشاعت أوساطها أنهم خلقوا لأعمال "الخدمة الثقيلة"، وصرفت النظر عن كونهم مكونا اجتماعيا هاما، من الشعب العراقي، كان هذا بسبب السياسة التي اتبعها قادة هذه السلطة من خلال نظرتهم الطائفية الشوفينية المتعالية على هذه الأقلية واحتقارهم لطبقاتها المسحوقه. ومما زاد النقاوة على الكرد الفيليين انخراطهم الواسع في الحركة اليسارية الوطنية والثورة الكردية المسلحة، ما دفع السلطات العراقيه على مر العهود إلى حرمان العديد منهم من شهادة الجنسية العراقيه، التي كانت تشكل الحجة والتبرير للذين تتغزّل عليهم في محاربتهم، ثم أقدمت على تسفير بعضهم بحجة التبعية الإيرانية، حيث قمة المأساة أن الكردي الفيلي الذي يتم تسفيره من العراق باعتباره إيرانيا يتم اعتباره في

إيران أجنبياً عن الإيرانيين، فيقع وسط محنَّة إنسانية كبيرة لم تلتفت لها الأمم المتحدة، فتركتهم ضحية سطوة وظلم الحكام في كلا البلدين هذين.

وكانت الأجهزة الأمنية لسلطة البعث الحاكم للفترة التي تلت انقلاب تموز ١٩٦٨م، قد شرعت بشن حملتها المعروفة ضد الكرد الفيليين، فقادت بتسفير شبابهم، بعدما تم انتزاعهم من عائلاتهم وحجزهم في معتقلات سرية بعيدة عن الأنظار، ثم إعدام الكثير منهم دون ذنب أو جريمة ارتكبواها، وأوغلت في عملها المرعب بحقهم والإمعان في إيذائهم والتنكيل بهم بانتزاع أفراد عائلاتهم من البيوت، وهم بملابس النوم، وإجبارهم بالقوة على ركوب الشاحنات، تاركين وراءهم بيوتهم بما احتوت، وتفرق الأطفال عن الأمهات والرجال عن النساء والشيوخ عن أولادهم، وعزل الشباب منهم.

وفي سياق هذا التصرف الوحشي العنيف ثمة هذه الحادثة: (كانت هناك عائلة تسكن مدينة جميلة انتزعوا أفرادها ليلاً من بيتهم ومنعوا الأم من أن تأخذ رضيعها معها الذي بقي راقداً في مهده رغم عويلها وصراخها وبكائها ومناشدتهم العودة لأخذها من مهدده، بيد أن الأوغاد لم يصغوا إليها أو يردوا عليها، بل شتموها وأهانوها وأسموها كلاماً بذئباً، وانطلقوا بمسيرتهم المؤلمة القاسية الظالمة غير مكتفين ودون أن يؤثر بهم توسل الأم النائحة الفاقدة لرضيعها، وبعد لاي أوصلتهم شاحنات النقل إلى المناطق الحدودية، وأفرغت حمولتها ورمتها - بما حوتة من شيوخ وأطفال ونساء - في العراء على الأرض التي تقع على الحدود ما بين العراق وإيران كما ترمى الانقضاض. بعد فترة زمنية عاد رجال الأمن إلى بيت هذه العائلة المنكوبة ليصادروا البيت ويسلبوا محتوياته وقد تفاجؤوا بوجود الرضيع ميتاً متيبساً، متخلشاً في مهدده، لم تزل يداه متشبثتين برضاعته وشفتاه مطبقتين على مبسمها، ليعطي صورة يثبت للعالم بها شناعة الظلم وفظاعة العنف الذي يمارسه الإنسان تجاه أخيه الإنسان).

هكذا تعرض الكرد الفيليون لأبغض عملية تهجير "تسفير" في تاريخ العراق المعاصر على يد نظام البعث، بعد مصادرة بيوتهم ونهب أموالهم وإتلاف أوراقهم الثبوتية، حيث شنت سلطاته القمعية بتاريخ ٧/٤/١٩٨٠ حملة شرسة، ابتدأتها باعتقال العشرات من كبار تجارهم، بعدهما دعتهم لاجتماع وهما في غرفة تجارة بغداد، ليجدوا أنفسهم وقد حشروا في شاحنات نقل سارت بهم إلى الحدود الإيرانية لتلقיהם هناك دون وثائق ثبوتية أو زاد أو ماء غير الملابس التي يرتدونها، وأجبرتهم قسراً، دافعة بهم مشيا على الأقدام بمسيرة نحو الأرضي الإيرانية، بعد أن سلبت وصادرت محالّهم وأسواقهم ومعاملتهم ومكاتبهم وأملاكم المنقوله وغير المنقوله ووثائقهم العراقية، وحجزت ذويهم وأولادهم والألاف من عائلاتهم، ليتم تهجيرهم إلى إيران بعد أن رمohem في العراء على المناطق الحدودية، فمات العشرات منهم شيوخاً وأطفالاً ونساء، وقدرت لجان الصليب الأحمر الدولي والهيئات الإنسانية المهاجرين من الكرد الفيليين أعداداً تعدد المائة ألف شخص، وغيب العشرات بل المئات منهم في سجون: نقرة السلمان، التسفيرات، الحكومية، الفضيلية، أبو غريب، فضلاً عن السجون السرية التابعة للمخابرات العراقية خلال السنوات ١٩٨١ - ١٩٨٥، وكانت بحق عملية تغييب وقتل مقصودة للشبيبة الفيليين، حيث تم عزلهم وحجزهم في معتقلات محاطة بأسلاك شائكة، تشبه المعتقلات النازية، وقد استحدثتها السلطة القمعية لكثرة أعداد المعتقلين كمخازن مختبرات وزارة الإشغال في منطقة الصناعة..... "كمساره".

إن هذه العملية التي مورست ضد الكرد الفيليين عام ١٩٨٠، كانت أوسع عملية تهجير في العراق، إذ تعرض فيها الآلاف منهم إلى التهجير من قبل النظام الصدامي، وقد بدأت في ٧ نيسان ١٩٨٠ بقرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم ٦٦٦ بتاريخ ٧/٥/١٩٨٠، وهذا القرار كان مخالفًا لأبسط مبادئ حقوق الإنسان فضلاً عن مخالفته للدستور العراقي المؤقت لعام ١٩٧٠ النافذ آنذاك، حيث أعز نظام صدام لأجهزته الأمنية القمعية المتوحشة لتهاجمهم في بيوتهم ليلاً في كافة المناطق العراقية

وبشكل خاص في بغداد وزجهم في شاحنات عسكرية وهم بملابس النوم وتجميعهم في سجون المخابرات والأمن العامة ووزارة الداخلية ومقرات الجيش الشعبي ومرافق شرطة الكاظمية وقناة الجيش والحاكمية ومعتقلات مخابرات كركوك والكوت وخانقين والبصرة والحلة والديوانية وبعقوبة وبدرة وجصان، لترحلهم بعدها للحدود حيث تم تهجيرهم إلى إيران بعد مصادرة ممتلكاتهم المنقوله وغير المنقوله، ووثائقهم الثبوتية كالجنسية وشهادة الجنسية وهويات غرفة التجارة والشهادات الدراسية والجامعية وغيرها من الوثائق بحجة أنهم من التبعية الإيرانية. كما قامت السلطة الصدامية بترحيل عدد من القرى التي يسكنها الكرد الفيليون في المناطق الحدودية، بزعم حماية الحدود أو احتلالها عسكرياً، ومحاولة تجميع الناس في قلاع أو مخافر أو مجمعات أشبه ما تكون بمعسكرات اعتقال، دون أن تقدم على نفيهم إلى مدن الوسط والجنوب لمعرفتها الأكيدة بما يكنه العراقي في هذه المدن من تقدير ومحبة واحترام لهذا المكون العراقي الذي ساهم بفاعلية في تاريخ وحياة شعبنا، وكانت له مواقفه المعروفة في المعارك الوطنية ضد الظلم ومقارعة السلطات الدكتاتورية القمعية عبر العهد السياسي المختلفة التي مر بها العراق، وأبلى بلاء حسناً في الدفاع عن حقوق الشعب، وتحمل شتى أنواع وأساليب القمع والعنف السياسي، ناهيك عن ما قدموه من تضحيات ومساهمة في كل أنشطة المجتمع ومن شخصيات بارزة وأسماء وطنية في تاريخنا السياسي والثقافي.

ح-الشبك

يذكر بعض المؤرخين أن الشبك نتاج تفاعل مجموعات بشرية متكونة من عدة أعراق تحت تأثير العديد من المعطيات والعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية وعبر فترات زمنية طويلة وموغلة في القدم، حيث أوجد هذا التفاعل مجموعة بشرية جديدة جعلها تميّز عن المجموعات البشرية الأخرى والأعراق المكونة لها، سواء التي كانت متواجدة أو وجدت بعد ذلك، في منطقة سهل نينوى، بعاداتها وتقاليدها وتراثها ولغتها، وكون لها هوية مؤكدة وخصوصية متميزة وقومية مستقلة إلى جانب المكونات الأخرى في العراق. لكن يجب ملاحظة أن تسمية (الشبك) لاحقة لوجود هذه المجموعة البشرية في الموصل، بمعنى أن هذه التسمية جاءت بعد تفاعل الأعراق المتعددة في ظل المعطيات المذكورة، حيث أن (الشبك الأولي)، أي نواة الشبكيين، كانوا قد أتوا من المشرق الفارسي واستوطنوا الجانب الشرقي من المدينة في عهد الدولة الساسانية كما ذكر ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ"، وأن التوسع الساساني في هذه المناطق كان امتداداً للهجرات التي كانت قد بدأت من المشرق باتجاه الغرب وبشكل متتابع، حيث اتّخذ بعضها شكل الغزوات، وليس مستقلاً عنها، أي أن (الشبك الأولي) كانوا من الفرس الساسانيين، حيث أنهم كانوا يعرفون بلغتهم وأصولهم وعاداتهم وتقاليدهم الفارسية، وهناك العديد من الأدلة التي تؤيد وجهة النظر هذه، منها، إضافة إلى ما ذكره القائلون بهذا الاتجاه، أن القرى التي شيدها الساسانيون هي ذات القرى الحالية للشبك بدلالة مواقعها وأسماء بعضها وطريقة البناء الساساني التي كانت معتمدة لدى الشبك في قراهم، والتي كانت مشيدة على شكل القباب أو بأشكال مخروطية كما كان الحال في قرية (كمبة كل) المندثرة. وكذلك ميلهم للقادمين من بلاد فارس كجيش نادر شاه والصفويين قبله إنما كان للتقارب اللغوي والعرقي بينهم وبين الفرس، وقبلهم للعوائد التي أتوا بها أكثر من الأعراق الأخرى الموجودة في المنطقة، سواء الطرق الصوفية كالبكتاشية والقزلباشية والتسيع وهذا أيضاً يبرر موقفهم من جيش نادر شاه

ابان حملته على مدينة الموصل ومن ثم موقف أهالي هذه المدينة من الشبك بعد ذلك إلى حد اعتقاد البعض بأنهم من بقايا هذا الجيش.

أما عن كيفية دخول الأعراق الأخرى في تكوينتهم، فلم تكن بمعزل عن المتغيرات السياسية والاقتصادية والجغرافية وحركة الأقوام في هذه المنطقة، بل كانت جزءاً منها ومتفاعلة معها، فمن المعروف أن الموصل كانت تقع على مفترق طرق الشرق والغرب وهي مدينة ذات استراتيجية خاصة للإمبراطوريات والحضارات والقوى التي لعبت كثيراً في التركيبة العرقية لبلاد ما بين النهرين، بشكل عام، وللمدينة ذاتها، بشكل خاص، فهذه المنطقة لم تكن منعزلة عن العالم، بحيث يولد فيها عرق واحد، إنما كانت من أكثر مناطقه تأثراً بالمتغيرات المذكورة، منذ سقوط الدولة الآشورية والسيطرة البيزنطية والفرثية ثم الساسانية على هذه المناطق ثم الصراعات التي دارت بين الإمبراطوريتين اليونانية الرومانية والفارسية والفتح الإسلامي لمدينة الموصل والدولتين الأموية والعباسية من ثم توالي الأتابكة والسلاجقة والمغول، والنزاع العثماني - الفارسي، الذي كان قائماً ومستمراً بينهما، حيث أن هذه الأعراق والإمبراطوريات والغزوat المختلفة وحركة الأقوام، أثرت في تركيبة الشبك الحالية، بل أثرت في التركيبة القومية لكل القوميات الموجودة في بلدان شرق البحر المتوسط.

يقول القاضي زهير كاظم عبود "إن الشبك هم من الأقوام التي قدمت من المشرق الفارسي واستوطنت في منطقة مرج الموصل واختلطت وتصاهرت مع بعض العشائر العربية والكردية والتركية وتشابكت مع بعضها البعض وكونت مجموعة سكانية متميزة وانصهرت جميعاً في بوتقة الشبك، لهم عاداتهم وتقاليدهم وتراثهم ولغتهم الخاصة بهم، تميزهم عن مكونات الشعب العراقي الأخرى، حافظوا عليها عبر الزمن واكتسبوا أعرaca وطوائف أخرى معهم، ولكن دون أن يفقدوا خصوصيتهم وهويتهم الشبكية، إلا في حدود خصوصية الهوية العراقية ومتطلبات التعايش السلمي مع المكونات الأخرى للشعب العراقي، وتمكنوا من امتصاص الضغط القومي والتعايش مع

القوميات الأخرى في سلام ووئام رغم معاناتهم وتجاربهم المريرة مع الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق ومحاولاتها طمس هويتهم رغم أن فيهم كل مقومات القومية الأساسية المستقلة عن القوميات الأخرى.

ومما يؤيد خصوصية الشبك، كقومية مستقلة، ما جاء في إحدى المذكرات الخاصة بتفتيش منطقة الحمدانية ذات الأغلبية الشبكية (مذكرة رقم ٥٤١ عام ١٩٥٢) بأن منطقة الحمدانية تتكون من عدد من القوميات أكثرهم عدداً القومية الشبكية ومن ثم القوميات العربية والكردية والتركمانية والمسيحيين، هذا اعتراف واضح من الحكومة الملكية العراقية باستقلالية الشبك عن الكرد والعرب والأتراك وأنهم يشكلون قومية مستقلة، وقد لا يختلف الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للشبك، عن واقع الشعب العراقي، أما بالنسبة إلى عقيدة الشبك الدينية، فإنها لم تسلم بدورها من التشويه والتشكيل والطعن حتى في انتمائهم إلى الفرق الإسلامية، فقد ذهب البعض إلى اعتبارهم من فرق الغلاة والخارجين عن الإسلام بل عدهم البعض من أتباع ديانة خاصة ولهم كتابهم المقدس وممارساتهم وطقوسهم الخاصة بهم، لأغراض طائفية وتفرقة عنصرية بغية إرضاء لأهداف سياسية. والحقيقة إن جميع الشبك هم مسلمون، وكتابهم المقدس الوحيد هو القرآن الكريم والسبة الغالبة منهم شيعة إمامية (حوالي ٧٠ %)، أما الحياة الاقتصادية للشبك، فهي لا تختلف كثيراً عن الحالة الاقتصادية لعموم أهالي محافظة نينوى، المشهورة بالزراعة بالدرجة الأولى وبعض الصناعات البسيطة، مع الأخذ بنظر الاعتبار خصوبة مناطق الشبك وموقعها في سهل الموصل أعطاها ميزة التقدم في الزراعة والرعي والتربية الحيوانية على سائر المناطق الأخرى في محافظة نينوى. حيث يمتلك الشبك قطعانًا كبيرة من الأغنام وحقولاً كبيرة لتسمين المواشي ومساحات واسعة من الأراضي الزراعية، تزرع بالحنطة والشعير والعدس والحمص والبقوليات الأخرى، كما يمتهن العديد من العائلات الشبكية التجارة والحرف الأخرى وهم من أوائل مالكي معامل البلوك والمنتجات الكونكريتية ولديهم عشرات المعامل الصناعية، لا توجد إحصاءات دقيقة لنفوس

الشبك، في الوقت الحاضر ولكن هناك بعض الإحصائيات التي تقدر نفوس الشبك في محافظة نينوى، في الوقت الحاضر ما بين ثلاثة وخمسين ألفاً إلى أربعين ألف نسمة، يسكن جزء منهم في الساحل الأيسر لمدينة الموصل في أحيا (نينوى الشرقية، نينوى الشمالية، الجزائر، النعمنية، التأميم، عدن، الشهداء، البكر، الكrama، القدس، الاربجية، والتحرير) وأحياء أخرى عديدة.

وينتشر جزء آخر منهم في حوالي (٧٠) قرية ممتدة ما بين الساحل الأيسر من نهر دجلة إلى نهر الخازر شرقاً وجبال النوران شمالاً إلى ناحية النمرود جنوباً، في أرض منبسطة تعتبر من أخصب أراضي محافظة نينوى، خالية من العوارض الطبيعية في مثلث منقلب القاعدة. إضافة إلى سكناً كثيرة منهم في مراكز أقضية: الحمدانية، تلکيف، نواحي بربطة، النمرود، وبعشيقه. ومن أهم القرى الشبكية، كوكجي، بازوايا، علي رش، خزنة تبه" ... ويضيف القاضي عبود "أما بالنسبة للحالة السياسية والاجتماعية للشبك، فقد عانى الشبك، في العهد الملكي من الاضطهاد الطائفي بسبب انتمام الأغلبية منهم إلى المذهب الجعفري حيث كانوا يوصمون بالروافض، بسبب سُكنائهم في منطقة أغلبيتها سنية، إلا أن التعصب المذهبى أخذ يضمحل في منتصف القرن الماضي نتيجة التفاعل التجاري والاقتصادي، وبعد استلام حزب البعث الحكم عام ١٩٦٨ تعرض الشبك إلى اضطهاد كبير، خاصة خلال الحرب العراقية الإيرانية واتهم عدد كبير منهم بولائهم لإيران زوراً وبهتاناً واعدم آخرون لانتمائهم لحزب الدعوة ومنع الكثيرون من أبناء الشبك من اكمال دراساتهم أو تعيينهم في المناصب المهمة أو حتى الصغيرة في دوائر الدولة فقد كانوا دائمًا محل شك واتهام بعدم الولاء، بل حتى أن البعضين منهم لم يعطوا ما يستحقونه من مناصب في الدولة، للتشكيل الدائم بولائهم، ولم يكتف النظام السابق بهذه الإجراءات بل تمادى في إجراءاته بطبعهم هويتهم من خلال سياسة تعریب المنطقة وفرض الهوية العربية عليهم قسراً، وعلى هذا الأساس قامت الحكومة بترحيل أكثر من ثلاثة آلاف عائلة شبكية إلى مناطق الحكم الذاتي ومن سجلوا قومية أخرى غير

العربية و هدم دورهم في ٢٢ قرية من قرى الشبك ومصادر عقاراتهم لأسباب معروفة".^(٣٨)

أما بعد نيسان ٢٠٠٣، فسقط ما يقارب ألفاً وثلاثمائة ضحية من الشبك وتم تهجير ما يقارب ستة آلاف عائلة من مناطق سكناهم في الموصل، ومنذ تموز ٢٠١٣ أجبرت خمسمائة عائلة منهم على الهجرة وترك منازلهم ومناطقهم بسبب تهديدات بالقتل والتصفية لأسباب طائفية، وداهمت عصابات داعش على الدراجات النارية والخيول قرية الفاضلية واعتدى على أهلها، كما قامت بتفجير مسجد الموظفية مخلفة عشرات القتلى والجرحى، وفجر انتحاري نفسه داخل مجلس عزاء للشبك في ناحية بعشيقه شمال الموصل، فقتل ثلاثون شخصاً وجرح خمسون آخرين، وقد بلغ عدد القتلى من الشبك ثلاثة آلاف، ونزع عشرات الآلاف منهم، باتجاه سهل نينوى وإقليل كردستان ومحافظات الجنوب، بعد عمليات إبادة وتفجير منازل واغتيالات بكاتم الصوت مارسها ضدتهم عصابات التكفير الإرهابية، وأودع ثلاثة من الشبك سجون داعش، في بادوش والرقه.

أصبح الشبك أحد الأهداف الرئيسية للجماعات الإرهابية، كان أخطرها ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية، فحسب تقرير لوزارة حقوق الإنسان العراقية، قتل المئات منهم منذ عام ٢٠٠٣ حتى عام ٢٠١٤، وسبب استهدافهم ديني وسياسي، إذ أن التنظيم يعتبرهم غير مسلمين، شأنهم شأن الإيزيدية والشيعة من حيث التعامل، كما أنّ وقوفهم مع التغيير في العراق بعد عام ٢٠٠٣ وتصويتهم لصالح الدستور العراقي جعلاهم هدفاً عند الإرهابيين والقوى المناهضة للعملية السياسية، بحيث دمرت خمسة وأربعون مزاراً دينياً لهم في مناطق سهل نينوى.

بعد سيطرة تنظيم داعش على هذه المناطق، حدثت مجازر كبيرة في القرى الشبكية لم تصدر حتى الآن تقارير دقيقة عنها، لكن يخمن عدد الضحايا بالألاف، كما جرت

(٣٨) زهير كاظم عبود - الشبك في العراق - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - لبنان - ٢٠٠٩.

حالات اختطاف لعائلات شبكية، ولم يعرف مصير المختطفين لآخر، وهناك أكثر من ثلاثة آلاف عائلة فقدت منازلها ونزحت إلى المدن الشيعية في الوسط والجنوب أو إقليم كردستان، والتى ممثل الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بأعداد كبيرة من تلك العائلات في مدينة كربلاء، وروى بعضهم أمامه قصصاً مرعبة عما حدث لهم وكيفية هروبهم ووصولهم إلى المدينة، وقال الناشط المدني الدكتور عباس ناجي له إن مدینته الواقعة شمال الناصرية في جنوب العراق قد استقبلت خمسين عائلة شبكية، وما زال العدد يتضاعف بشكل كبير، وقال الأمين العام لجمعية الشبك الديموقراطي حينينaldo في ١٥ تموز ٢٠١٤ "إن أبناء القومية الشبكية يتعرضون لإبادة جماعية، ونطالب بإجراء تحرك سريع لإنقاذهم"، وناشد ممثليهم في مجلس النواب العراقي سالم جمعة المنظمات العالمية "التدخل لإيقاف القمع الجماعي للشبك".

كذلك علمت الأمانة العامة لهيئة الدفاع عن أتباع الديانات والمذاهب في العراق أن عائلات الشبك في محافظة نينوى تعرضوا للتهديد والتنكيل والاضطهاد وأرغموا على ترك منازلهم بعدما تحولت حياتهم إلى جحيم لا يطاق والانتقال إلى مناطق أكثر أمنا واستقرارا وخلاصا من تهديدات الإرهابيين والتكفيريين المعادية لهم، وقد تسبب هذا الوضع في المزيد من المصاعب والتعقيدات لعائلاتهم، وأجبرت أكثر من ٣٠ عائلة شبكية على مغادرة مناطق سكنها والانتقال بشكل عشوائي إلى سهل نينوى حفاظا على حياتها وكرامتها، وأن عاملأ في البلدية من الشبك قد قتل يوم ٢٠١٤/٣/٨ مائة هجوم وقع شرقي الموصل على أيدي القوى التكفيرية والمتعصبة دينيا، وقد وجهت هذه الأمانة نداء إلى الحكومة العراقية والمسؤولين في محافظة نينوى ولرئاسة وحكومة إقليم كردستان من أجل بذل أقصى الجهود باتخاذ الإجراءات الضرورية لتأمين الحماية الفعلية اللازمة لهم ونقلهم إلى مناطق آمنة ذات أغلبية من الشبك.

صفحة أخرى تعكس العنف والقتل والتهجير، الذي مارسته قوى والارهاب، والاقصاء ومحاولاتها إلغاء الآخر المختلف.

خ-اليهود

بلغ عدد سكان بغداد في العام ١٩٤٧ (٥١٥,٣٥٩ ألف) منهم (٧٧,٤١٧) يهود وتشكلون نسبتهم ١٥% وكان صرافو بغداد في العام ١٩٣٦ (٣٩ صراف) منهم: ٣٥ يهودي، ١ مسيحي، ٣ مسلمين شيعة، أما في عالم التجارة فكان الشيء الذي أفاد اليهود بصورة خاصة هو روابطهم مع إخوانهم اليهود في الهند، نظراً للإعتماد الكثيف لأسواق العراق وفارس على الهند، وكان كثيرون من يهود الهند من أصل بغدادي. ومن المحتمل كانت هناك هجرة يهودية من العراق إلى ساحل مالابار منذ وقت مبكر يعود إلى القرن التاسع، وبعد إلغاء إحتكار شركة الهند الشرقية للتجارة (١٨٣١م) اندفع التجار اليهود البغداديون أماماً إلى الهند بأعداد كبيرة بحثاً عن الربح، واستقر البعض مثل عائلة ساسون في بومباي، واستقر آخرون، مثل عائلتي يهودا وعزرا، في كلكوتا. وهذا يعني بالنسبة لأقاربهم الذين بقوا في العراق أنه صار بالإمكان إستيراد سلع القطعة وبضائع أخرى مباشرة من الهند، ومع بداية القرن الحالي كان قد صار لكل تاجر يهودي بغدادي منهم تقربياً بيوت تجارية في الهند وإنكلترا. وهكذا، فإن عزرا ساسون سحيق الذي كان ذا دخل أو ممتلكات تساوي حوالي مليون جنيه استرليني في العام ١٩١٩م، وكان له وزن كبير في عالم الأعمال، ومالكا لشركة "مرز ج. س. سايكس أند كومباني، في مانشستر، وكان من بين أثرياء التجار المالكين لبيوتات تجارية في مانشستر كل من: حسقيل شماش، وشاؤول معلم حسقيل (دافيد إخوان)، ويهودا زلوف، وكان لصهيون بيغور، وعزرا اسحق صالح، وكلاهما تاجر بغدادي، شركات في بومباي ولندن.

ولكن البغداديون الذين قرموا كل الآخرين سواء بالثروة أم بالتفرع الجغرافي، هم أبناء عائلة ساسون، الذين كثيراً ما أشير إليهم على أنهם روتشيلد الشرق، بالرغم من أن عائلة ساسون كانوا تجاراً في الجوهر، وأآل روتشيلد كانوا ممولين، وكان مؤسس بيت ساسون هو داود ابن ساسون بن صالح، الذي كان لسنوات طويلة صراف باشي مماليك بغداد. ويقال إنه في العام ١٨٢٩م، عندما كان في السابعة والثلاثين من عمره خشي

انتقام الوالي الذي كان هو نفسه قد حرض على طرده، فهرب من البلاد، وأخيراً، وفي العام ١٨٣٢م، أغرته إمكانيات الهند فأقام في بومباي وبدأ يصدر الأقمشة الإنكليزية إلى بلاد فارس والى موطنها الأصلي، العراق وعندما نمت أعماله بسرعة، وبفضل معرفته بالأسواق المحلية ومتطلباتها، صار أكثر التجارة الرابحة بين الهند والعراق واقعا تحت سيطرته. وفي حلول الخمسينيات لم يكن ساسون هذا قد اكتشف سوق الصين فحسب بل أصبح صاحب الإحتكار الفعلي لإستيراد الأفيون والأقمشة والغزل القطني إلى الصين، وكانت شركته ناشطة أيضاً في يوكوهاما وناغازاكي ومدن يابانية. وصارت سيطرتهم في الهند تشمل إضافة إلى الشركة التجارية (دافت ساسون أند كومباني)، شركة ساسون للغزل والنسيج، وشركة ساسون لصناعة الحرير، وشركة المرفأ لحفظ الأغذية وتحسين الأرضي، وهي شركة زراعية ضخمة كان يعمل فيها ١٥٠٠٠ فلاح، ومع ذلك فقد اشتروا حصصاً ملحوظة في الشركة الشرقية للتأمين على الحياة، وشركة أمير ويلز للتأمين ضد الحريق، وبنك فارس الإمبراطوري، وبنك الصين واليابان، وشركة وكالة التوظيف الإمبراطوري والأجنبي، وشركة الإئتمان والإقراض للصين واليابان والمضائق.

وعنما افتتح "إيسترن بنك ليمنتد" الذي كان مسجلاً في لندن في العام ١٩٠٩م برأسمال مليوني جنيه استرليني فرعاً له في بغداد في العام ١٩١٢م بدا على السطح وكأنه رأسمال بريطاني أخذ بتوسيع عملياته إلى العراق، أما في الواقع فقد كان أبناء من كان صراف باشي المماليك يعيدون إحياء وجودهم المالي إلى مدينة أجدادهم القدامي، سرا هذه المرة وعلى مستوى أكثر تطوراً.

ومن اليهود البغداديين المهاجرين عائلة الساعاتي وعرفوا في الغرب بساتشي، أبوهم ناثان ولد في العراق عام ١٩٠٧ وهو تاجر أقمشة وهاجر إلى بريطانيا، وأولاده تشارلز ساتشي وموريس ولدا في العراق وأسسوا وكالة الإعلانات Saatchi & Saatchi. أكبر وكالة إعلانات في العالم في الثمانينيات.

ولا يمكن بالطبع أستبعاد، ومن المحتمل، أن تكون تقديرات عدد اليهود أقل من الواقع فيما يخص الجزء المبكر من القرن، خصوصاً وأن الكثير منهم كانوا يفضلون في تلك الأيام الإبتعاد عن الأنظار تجنيباً لدفع ضريبة الأعناق (الجزية).

وعندما أصبح القانون العثماني في القرن التاسع عشر اقل استناداً الى القرآن تقلصت سلطة القادة اليهود بعض الشيء لكنهم استمروا المسؤولين الأولين أمام الدولة عن السيطرة السياسية على مجتمعهم. وفي ظل العثمانيين والمماليك كان يهود العراق مثلهم مثل كل الطوائف الأخرى غير المسلمة يديرون بأنفسهم شؤون مجتمعهم وكانوا يؤلفون فيما بينهم جماعة معترف بها أو "ملة" لا تتعامل الحكومة معها ككل إلا من خلال قادتها المعينين ".^(٣٩)



(٣٩) هنا بطاطو-العراق – الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية- الكتاب الأول -مؤسسة الأبحاث العربية- ص-٢٨٦، ٢٨٨.

١-عام الفرهود

بعدما فشلت الحركة الانقلابية التي قام بها رشيد عالي الكيلاني ومجموعة الضباط القوميين ("العقداء الأربعة"، صلاح الدين الصباغ، فهمي سعيد، كامل شبيب، محمود سلمان) غادرت القيادة العسكرية والسياسية البلاد، وعقد اجتماع لمجلس الوزراء برئاسة الكيلاني في ٢٧ مايو ١٩٤١م ثم صدر عنه القرار رقم س ٣٦٤٦ بتاريخ ١٩٤١/٥/٢٨ القاضي بتشكيل "لجنة الأمن الداخلي في العاصمة والطوارئ" حيث تم انتخاب أمين العاصمة رئيساً لها، وهي اللجنة التي وقعت اتفاقية الهدنة مع القوات البريطانية، والتي بدأت مفاوضاتها لوقف زحفها على بغداد، في ٣١ مايو.

وفي ٢٩ مايو غادر الكيلاني بغداد، وكذلك المفتى الحاج أمين الحسيني، باتجاه إيران، وكان آخر من غادر العراق محمد يونس السبعاوي، أحد أقطاب حركته، وكان قد طالب باستمرار المقاومة ضد القوات البريطانية، بعد أن أعلن نفسه حاكماً عسكرياً لمنطقة بغداد والمنطقة الجنوبية، بيد أن لجنة الأمن الداخلي أقنعته بعدم جدوى المقاومة وطلبت منه مغادرة البلاد إلى إيران، وببدأ التفاوض مع القوات البريطانية لغرض إعلان شروط الاستسلام.

وكان السبعاوي قبل مغادرته قد شكل ثلث منظمات شبابية شبه عسكرية، لحمايةه والدفاع عن الحركة الانقلابية والتصدي للقوات البريطانية القادمة إلى بغداد، وهي "كتائب الشباب" و"الحرس الحديدي" و "فدائيو يونس السبعاوي"، وكانت في مقدمة القوى التي هاجمت اليهود ونفذت فاجعة الفرهود في بغداد.

وفي اليوم الأول من حزيران ١٩٤١م قامت غيلان القطيع الهائجة، من صغار ضباط الجيش والشرطة والرعاع والمجرمين، بعملية منظمة لمحاجمة ونهب بيوت اليهود العراقيين، ابتدأت من محلة باب الشيخ لتنطلق إلى مناطق أبو سيفين وأبو دودو والفناءرة وفضوة عرب ومناطق أخرى في رصافة بغداد، وعاثت بالأرض فساداً، فكان

يوماً أسود ملطخاً بالوحش العنفي وروح الكراهية واضطهاد ابن الوطن المنتج الفاعل في محيطه، والذي أضاف الكثير للعراق، ثقافياً واقتصادياً وحضارياً.

ولم تتم هذه الأعمال في بغداد حسب، بل امتدت إلى مدن العراق الأخرى التي يتواجد اليهود فيها، حيث يذكر الرفيق جاسم المطير عن فرهود اليهود في البصرة؛ "أردت تدوين ذكريات والدي عن الأحداث السياسية التي مر بها خلال الحربين العالميتين وخلال انقلاب رشيد عالي الكيلاني، وحوادث البصرة خلالها، وعن حوادث (الفرهود) في البصرة التي نهبت فيها أملاك اليهود، تلك الحوادث التي أجبرت أهالي العشار على تشكيل لجنة من الوجهاء والأهالي لتأمين الأمن والإطمئنان والحفظ على ما تبقى من بضائع مخازن اليهود وأثاث بيوتهم، وكان والدي واحداً من أعضاء تلك اللجنة". (٤٠)

ولتأكيد الموقف المتعصب لبعض القوميين العرب المتطرفين تجاه اليهود، أورد ما ذكره السيد عبد الله الجيزاني: "في مجلس النواب عام ١٩٥٠ طلب النائبان في مجلس النواب فائق السامرائي وأسماعيل الغانم بوجوب ترحيل كل اليهود من العراق بضمهم الراغبين في البقاء ومصادرتهم أملاكهم من قبل الحكومة". (٤١)

وعلى العكس من هذا الموقف العنصري المتطرف وقف الشيوعيون العراقيون موقفاً إنسانياً ومبذئياً آخر، فقد قدم يوسف سلمان (فهد) سكرتير عام الحزب الشيوعي العراقي، رسالة خاصة إلى رشيد عالي الكيلاني، رئيس الحكومة، ورد فيها فقرة تخص اليهود والدفاع عنهم قال فيها: "يشعر الحزب بأنه مدعو لأن يعرض على فخامتكم رأيه فيما يتعلق بإيمور ضارة بالحركة الوطنية. أولاً يأسف الحزب الشيوعي، بل ويشمئز، من أعمال الإستفزاز المدببة ضد إخواننا اليهود من قبل صنائع الإمبريالية - البريطانية من جهة ودعوة الإمبريالية الألمانية من جهة أخرى. إن انتهاك

(٤٠) جاسم المطير - نقرة السلمان - دار المكتبة الأهلية - ٢٠١٨ - ص ٤٠١.

(٤١) عبد الله الجيزاني - حزب الإستقلال العراقي ١٩٤٦-١٩٥٨ - التجربة الفكرية والممارسة السياسية - ١٩٩٤ - ص ٧٩.

الحرمات وإقتحام البيوت، وسلب الممتلكات، وضرب الناس وحتى قتلهم ليست، يا صاحب الفخامة، مخالفة للقانون والعدالة فحسب، بل وإنها أمور تتعارض مع التصرف الطبيعي لهذه الأمة ونزعها نحو الكرم والشهامة والنبل. إن أمثال هذه الأفعال الإجرامية تسيء إلى سمعة الحركة الوطنية الموحدة، وبالتالي إلى الفشل، ومن يستفيد من هذا غير الإستعمار؟ إننا إذ نبدي عدم موافقتنا، فإننا لا ننكر بشكل من الأشكال وجود خونة ينت�ون إلى الطائفة اليهودية الذين وقفوا إلى جانب عصابة عبد الإله ونوري السعيد وأتباعهما الشريرة، لكننا نشعر أن العقاب لا يجب أن يعومهم جميعاً، إستناداً إلى مواد القانون". (٤٢)

وكان نسبة الذين يفضلون البقاء في العراق تفوق كثيراً من كان يرغب في الهجرة. وحين أعلن عن قيام دولة الكيان الصهيوني في فلسطين أوعزت الحكومة البريطانية إلى الحكومة العراقية لتشريع قانون يجيز لليهود أن يهاجروا إليها بهدف دعمها وتعزيز قوتها. فاستجابت الحكومة العراقية في الحال وتقدمة بـلائحة قانونية إلى مجلس النواب في ٢ آذار ١٩٥٠ تقضي بإسقاط الجنسية عن كل يهودي يرغب في الهجرة، على أن يسري هذا القانون مدة سنة من تاريخ تنفيذه، وطلبت من مجلس النواب مناقشة لاحتها هذه بطريقة الإستعجال. وقد تحقق لها ما أرادت إذ أقرها المجلس النيابي ثم مجلس الأعيان في ٤ آذار ١٩٥٠، ووضعت مختلف التسهيلات لنقل المهاجرين بما فيها رحلات جوية غير قانونية، والطيران من بغداد إلى الكيان الصهيوني مباشرة، وكانت الشرطة العراقية تشرف بنفسها على تهريب من يرغب من اليهود إلى إيران بالسيارات الحكومية إما عن طريق خانقين أو عن طريق شط العرب، ولكن رغم كل هذا لم يترك العراق سوى ٢٣ ألف نسمة في نهاية العام من مجموع ما يزيد عن ١٣٥ ألف نسمة، لذلك عمدت الدوائر الصهيونية إلى تفجير القنابل في الأحياء السكنية اليهودية، ومحلات العبادة اليهودية، بغية إحداث الرعب بين أوساط اليهود وحملهم على الهجرة. وكانت الصحف القومية من جانبها، لاسيما

(٤٢) عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي-عزيز سباهي -ص ٢٨٤.

جريدة (اليقظة) لصاحبها سلمان الصفواني، تثير الهمج بين أوساط اليهود بما تنشره من مقالات تهديدية وعنصرية.^(٤)

وفي عام ١٩٥٠ صدر عن الوزارة السويدية الثالثة ٢/٥/١٩٥٠-١٩٥٤ م قانون إسقاط الجنسية عن يهود العراق، ممن يرغب بمعادرته دون العودة إليه، وهو مخالف للمبادئ الأساسية التي قام عليها الدستور العراقي لعام ١٩٢٥ م، وتم تجميد أموالهم وممتلكاتهم وإسقاط الجنسية عنهم، وقد صدر هذا القانون بفعل ثلاث قوى: السفارة البريطانية/ جهاز الموساد / الحكومة العراقية المتواطئة ممثلة برئيسها توفيق السويدي ووزير داخليتها صالح جبر.

لقد تم خلال فترة زمنية قصيرة تهجير أكثر من مائة وأربعين ألف مواطن من اليهود العراقيين وإجبارهم على السفر إلى الكيان الصهيوني، عبر بعض البلدان كقبرص وإيران، وفي حين استقر بعضهم فيها، هاجر بعض آخر إلى أوروبا، وما زالوا يعيشون هناك، والعديد منهم ما زال يفخر بعرaciته حتى أن أولادهم الذين ولدوا فيها يتكلمون بمختلف اللهجات العراقية.

لقد ارتكبت جريمة ضد الدستور العراقي ضد الإنسانية وتم تنفيذها بمؤامرة ثلاثة
اشتركت فيها حكومات ثلاث دول هي بريطانيا والكيان الصهيوني والعراق وبدعم
كثيف من جانب الولايات المتحدة الأمريكية. وكان الأستاذ هاشم الشبلي على حق
كبير حين أكد بصواب ما يلي: اليهود في العراق ليسوا لاجئين أو مستوطنيين وإنما
هم من سكنته العراق منذ آلاف السنين وكان لهم دور مشهود في بناء حضارة وادي
الرافدين وفي الحضارة العربية الإسلامية وفي بناء العراق الحديث". (٤٤)

(٤٣) * الحسني - تأريخ الوزارات العراقية - ج ٨ - ص ١٥٩-١٦٢.

(٤٤) هاشم الشبلي محطات سودا في تاريخ العراق الحديث - ١٩٣٦-٢١٧ - دار مجلة للنشر - عمان - الأردن - ص. ٤٠.

كتب الباحث الدكتور سلمان درويش في كتابه الموسوم "كل شيء هادئ في العيادة" يقول: "بدأت مذبحة الفرهود في يوم ١ حزيران في باب الشيخ من قبل الأكراد الشيعة الفيلية بعد أن دس المفوض الألماني فريتز غروبه سمومه النازية وحضر ضد اليهود وبث دعايته العنصرية بين أفراد الشعب والجيش العراقي خلال عدة أشهر مما هيأ الأجواء للإيقاع بهم. ثم جاء اندحار الجيش العراقي، الذي ضم بعض الأطباء والضباط اليهود، أمام القوات البريطانية ورفض طلب "مختار محلة الكريمات من السفير البريطاني السر كنهام كورنواليس السماح للجيش البريطاني المحتل بدخول بغداد وإن كانت تقع على عاتقه مسؤولية الحفاظ على الأمن فيها. وتؤكد بعض المصادر والمعلومات المتوفرة أن السفير البريطاني كنهام كورنواليس حينذاك، ورغم علمه بما كان يحصل من فرهود في شوارع وأذقة بغداد ضد العائلات اليهودية المسالمة، لم يتتخذ أي إجراء لوقف هذه المجازرة البشعة ورفض دخول الجيش البريطاني، الذي كان عند أبواب بغداد، من الدخول إليها وزجه في الدفاع عن العائلات اليهودية وانقادها من براثن الأوغاد والعنصريين والنهاية^(٤٥)

لم يبق من اليهود في العراق إلا القليل الذين يعدون على أصابع اليد وغالبيتهم من كبار السن، حيث تذكر مؤلفة كتاب "الأيام الأخيرة في بابل" مارينا بنجامين، وهي عراقية الأبوين، يهودية الديانة، بريطانية المولد، كانت أمها وجدتها هاجرتا من العراق عام ١٩٥١ إلى الهند بدلاً من الكيان الصهيوني، أن عدد اليهود العراقيين عام ٢٠٠٥ بلغ اثنين عشر فقط ولم يحدث أي زواج في (الكنيس) المعبد اليهودي الموجود في البتاوين منذ عام ١٩٨١، ويقال الان ان عددهم هو ستة افراد.

(٤٥) كل شيء هادئ في العيادة -سلمان درويش -منشورات رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق - مكتبة الدكتور داود سلمان- سالاً لمؤلفات يهود العراق، ١٩٨١، ص ٦٠-٦٢.

٢-اليهود العراقيون والصهيونية

عصبة مكافحة الصهيونية



لقاء مشترك لأعضاء الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني وأعضاء الهيئة الإدارية لعصبة مكافحة الصهيونية من اليهود الشيوعيين العراقيين، من الموجودين في الصورة: عبود حمزة، محمد علي الزرقا، يوسف هارون زلخة (رئيس العصبة)، محمد حسين أبو العيس، حسين محمد الشبيبي، سالم عبيد النعمان، محمود صالح السعيد، يعقوب مصرى (سكرتير العصبة) شريف الشيخ، مسروور صالح قطان (عضو الهيئة الإدارية للعصبة)، جميل حبيب، يعقوب نسيم، نعيم يشوع (من نشطاء العصبة)، فؤاد بهجت، ابراهيم شاؤول.



جريدة العصبة لسان حال عصبة مكافحة الصهيونية

منهاج العصبة:

"إن أهداف العصبة مكافحة الصهيونية وفضح أعمالها ونواياها بين جماهير الشعب العراقي لاسيما بين اليهود"، وتحدث برنامجها عن الوسائل المباشرة التي ستسلكها في تحقيق أهدافها ومن بينها إصدار صحيفة، وإصدار المنشورات والكراريس، وإقامة الإجتماعات وإلقاء المحاضرات، وعرض الرقوق السينمائية والتعاون مع المؤسسات التي تكافح الصهيونية في العراق وفي البلدان العربية الشقيقة، والإشتراك في المؤتمرات العالمية المعادية للصهيونية، وإصدار المطبوعات باللغات الأجنبية لفضح الصهيونية وشرح قضية فلسطين العادلة، وفضح عملاء الصهيونية أمام جماهير اليهود، ومحاربة النفوذ الاقتصادي الصهيوني الذي يحاول السيطرة على البلاد العربية اقتصادياً والقضاء على الصناعات الوطنية الناشئة.

أما الوسائل غير المباشرة فهي كما قال البرنامج، العمل على مكافحة النعرات الطائفية التي تمزق وحدة الشعب العراقي، وبث روح الديمقراطية، ومعالجة مشاكل اليهود الاجتماعية التي تخلق التذمر وتفسيرها تفسيراً علمياً، وفضح أولئك الذين يريدون إستغلالها لبعث الدعاية الصهيونية بين جماهير اليهود، لاسيما الشباب منهم".

وراحت الهيئة المؤسسة تطوف على رجال السياسة في البلاد على اختلاف مشاربهم وأفكارهم السياسية، وتحصل منهم على التصريحات التي تؤيد نشاطهم وتباركه بمن فيهم رئيس الحكومة آنذاك، حمدي الباجه جي وأبدى هؤلاء الساسة إستعدادهم لمساعدتها، وشرعَت الهيئة المؤسسة في عملها، وقد تلقت الهيئة برقيات التأييد من جمعية عمال بيت جالا في فلسطين، وجمعية العمال العرب في غزة، ومن اللجنة التنفيذية لمؤتمر العمال العرب في يافا، وجمعية العمال العرب في بئر سبع، ومن عصبة التحرر الوطني في حيفا. وقالت مخاطبة اليهود الذين يفكرون بأن حل مشكلة الإضطهاد الذي يتعرض له اليهود في أوروبا يمكن أن يتم بالهجرة إلى فلسطين. إن "حل" فلسطين هو فضلاً عن أنه لا يحل المشكلة اليهودية، فهو اعتداء صريح غاشم على حقوق الشعب العربي لا يمكن أن يرضاه أي إنسان حر..... ونحن بصفتنا يهوداً وعرباً بنفس الوقت نعلن إستنكارنا لوعد بلفور وإحتاجنا عليه، وندعو كل مواطن للنضال من أجل استقلال فلسطين إستقلالاً تاماً وتأليف حكومة ديمقراطية عربية فيها، ومنع الهجرة إلى فلسطين وإيقاف إنتقال الأراضي إلى الصهاينة".^(٤٦)

واستمرت المنظمة في نشاطاتها رغم العرقل التي وضعتها أمامها حكومة حمدي الباجه جي آنذاك، وداحمت الشرطة مقر الهيئة المؤسسة وانتزعت اللوحة التي تشير إليها، وحجز بعض موجوداتها، ونسخا من البيان المشار إليه، ورفضت أن تسمح لها بإقامة إجتماع إحتاجاً على وعد بلفور. غير أن المنظمة ظلت تواصل عملها، رغم كل العقبات ففي إجتماع عام عقده القوى الوطنية بمناسبة وعد بلفور، شاركت الهيئة

(٤٦) مركز الدراسات الفلسطينية - عصبة مكافحة الصهيونية - جامعة بغداد - لجنة توثيق القضية الفلسطينية ١٩٧٧ ص ١٤، ٣٣.

المؤسسة فيه، وألقى نعيم سلمان أحد المؤسسين للمنظمة، كلمة بالنيابة عنها قال فيها: " لقد عرفنا في الصهيونية حركة إستعمارية، ونحن بإعتبارنا يهوداً واعين نقف بوجه كل حركة إستعمارية مهما كان لونها ومهما كانت أسبابها، ومن أي صوب أنت. لقد عرفناها حركة تباعد بين اليهودي ومواطنه الذي يعيشون على أرض الوطن يشاركون خيراتها وثمارها، ولذلك لم نتردد في إعلان جهادنا ضدها صراحة ولم نرض بل ولن نرضى بغير عراقنا بديلاً. وسوف لن تلين قناتنا حتى نجهز عليها بالإشتراك مع إخواننا العرب في جميع أنحاء البلاد العربية." (٤٧)

يدرك يعقوب مصرى أبو سرور إن إنشاء منظمة العصبة قد إنبعثت عن اللجنة الحزبية التي كان هو فيها والتي كانت تضم رفاقاً من اليهود وغير اليهود، وقد رفع الإقتراح إلى قيادة الحزب وأيده فهد"، وبعد أن أقر هذا الإقتراح، قدم يعقوب مصرى وسرور صالح قطان، وإبراهيم ناجي ويعقوب سحيق، ورفاق آخرون طلباً إلى وزارة الداخلية في ١٢ أيلول ١٩٤٥ للسماح لهم بتأسيس جمعية بإسم (عصبة مكافحة الصهيونية) وأرفقوا طلبهم بالنظام الأساسي للمنظمة. وفي تاريخ ١٦ آذار ١٩٤٦، أجازت وزارة توفيق السويدى (عصبة مكافحة الصهيونية) بعد أن ظل طلب تأسيسها معلقاً منذ ١٢ أيلول ١٩٤٥. وعقدت مؤتمرها الأول في ١٣ نيسان ١٩٤٦، وانتخبت هيئة إدارية كان من بينها يوسف هارون زلخة رئيساً، ويعقوب مصرى سكرتيراً، وسرور صالح قطان محاسباً، ومحمد حسين أبو العيس وأخرين أعضاء، وبعد أيام من إجازة المنظمة أجيزة لها إصدار جريدة يومية بإسم "العصبة" على أن يكون المحامي محمد حسين أبو العيس مديرًا مسؤولاً لها، وصدرت الصحيفة في ٧ نيسان ١٩٤٦، وقد صدر من جريدة "العصبة" ٥١ عدداً فقط. ولعبت دوراً سياسياً كبيراً تحرি�ضياً وتشريفياً، عندما جمعت بين الإستعمار والصهيونية كوجيدين لعملة واحدة هي الرأسمالية الإحتكارية. وقال زلخة رئيس العصبة: "إن الصهيونية هي التعبير الصادق للرغبات والمصالح الطبقية للرأسمالية اليهودية في إنكلترا وأمريكا وللإحتكارات الإنكليزية والأمريكية". و "أننا لا

(٤٧) جعفر عباس حميدي - التطورات السياسية في العراق-النجف - مطبعة النعمان - ص - ٣٩٩.

نرى في الفاشية والصهيونية سوي توأمين لبغي واحدة، وهي العنصرية محضية الإستعمار". كما ظلت تؤكد على أن السياسات اللاديمقراطية التي سارت عليها الحكومات العربية، المعادية لشعوبها العربية والموالية للإستعمار لن تضمن تحرير فلسطين. وهذا ما أكدته الحياة المرة تلو الأخرى^(٤٨).

وتظل الدراسة التي أعدها يوسف هارون زلخة، رئيس عصبة مكافحة الصهيونية، حول الصهيونية بعنوان (الصهيونية عدوة العرب واليهود) من خيرة ما كتب في هذا الشأن، ورغم مرور ثمانية عقود قد مرت على صدور هذا الكتاب، وجرت منذ ذلك الحين تغيرات كبيرة على المؤسسات التي قامت الصهيونية عليها، إلا أن الكتاب لا يزال يحتفظ بقيمة في مهم الأفكار التي تقوم عليها الصهيونية والسياسات التي تسير عليها".^(٤٩)

ويؤكد المؤرخ عبد الرزاق الحسني على الموقف الواضح والمصريح للعصبة من اللجان التي يشكلها الإستعمار ويوفدها إلى المنطقة العربية، لغرض ترسیخ الكيان الصهيوني في فلسطين، ومقاطعتها لها، وتبين موقفها الثابت تجاه القضية الفلسطينية وحلها حلاً ديمقراطياً يضمن مصالح وحقوق جميع سكان فلسطين الحاليين دون تمييز في العنصر والدين، وتأليف حكومة وطنية ديمقراطية.

"جاءت إلى بغداد في ١٦ آذار ١٩٤٦ لجنة التحقيق الإنكلو-أمريكية بدعوة من الحكومة العراقية، وقبل يومين من وصولها إلى العراق اصدرت عصبة مكافحة الصهيونية بياناً - وقبلها كانت قد رفعت مذكرين إلى الحكومات العربية - أوضحت فيها كلها أن الإستعمارين البريطاني والأمريكي يلجان إلى إيفاد اللجان التحقيقية للتمويل على مشاريعهما الإستعمارية التي لا نفع للعرب فيها مطلقاً لحل قضية

(٤٨) عبد اللطيف الرواи - عصبة مكافحة الصهيونية-في العراق ١٩٤٥-١٩٤٦ - دار وهران - دمشق - ١٩٨٦ ص ٢٢٩، من رسالة يعقوب مصرى إلى الدكتور عبد اللطيف الرواى.

(٤٩) عزيز سباهي -عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي-ج ١، ص ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٦.

فلسطين بما يرضي المصالح الصهيونية وإدامة الإنتداب البريطاني، لذلك دعت عصبة مكافحة الصهيونية إلى مقاطعة اللجنة ورفع القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة على أساس إلغاء الإنتداب البريطاني وإستقلال فلسطين إستقلالاً تاماً وتمكين الشعب الفلسطيني من تأليف حكومة وطنية ديمقراطية تضمن مصالح وحقوق جميع سكان فلسطين الحاليين دون تمييز في العنصر والدين".^(٥٠)

لقد مرت ثمانية عقود على إنشاء الكيان الصهيوني، والسياسة التي انتهت بها الدوائر الحاكمة في الكيان الصهيوني، تخللها التنكيل والإضطهاد والقتل للشعب الفلسطيني، وإحتلال أراضيه، والعدوان على البلدان العربية الأخرى، وبناء المستوطنات اليهودية، وتمييزها أيضاً لليهود العرب ويهود الفلاشا، واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية، كل ذلك يؤكد ما ذهبت إليه (العصبة) عندما ذكرت : "أننا لا نرى في الفاشية والصهيونية سوى توأمين لبغي واحدة، هي العنصرية محظية الإستعمار" كما ظلت تؤكد على أن السياسات اللاديمقراطية التي سارت عليها الحكومات العربية، المعادية لشعوبها العربية والموالية للإستعمار لن تضمن تحرير فلسطين. وهذا ما أكدته الحياة المرة تلو الأخرى. وتظل الدراسة التي أعدها يوسف هارون زلخة، رئيس عصبة مكافحة الصهيونية، حول الصهيونية بعنوان (الصهيونية عدوة العرب واليهود) من خيرة ما كتب في هذا الشأن، ورغم مرور ثمانية عقود على صدور هذا الكتاب، وجرت منذ ذلك الحين تغيرات كبيرة على المؤسسات التي قامت الصهيونية عليها، إلا أن الكتاب لا يزال يحتفظ بقيمة في أهم الأفكار الأساسية التي تقوم وترتكز عليها الصهيونية والسياسات التي تسير عليها.

(٥٠) الحسني – تاريخ الوزارات العراقية – الجزء السابع – ص ١٦.

يتناول عزيز سباхи -في كتابه عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي -اليهود والمسألة القومية ويعتبر سياسة الحزب الشيوعي العراقي إزاءها في تلك المرحلة حيث يقول: "... لكن الفكر "القومي" "العروبي" وإن كان يمر في تلك



صورة في براغ تجمع الفقيد محمد مهدي الجواهري مع الفقيد عادل مصرى (يعقوب مئير مصرى) سكرتير عصبة مكافحة الصهيونية.

السنوات في وضع عصيب يسعى فيه إلى التخلص من آثار الدعاية الفاشية ويجاهد للوصول إلى إصالة خاصة به، إلا أنه ظل على عدائه للشيوعية وللفكر الماركسي، وكان يؤلف قوة منافسة لا يستهان بها تغذيها من جانب المظالم الإمبريالية في فلسطين وغيرها، كما تجد في المقابل ما يزيد في انفعاليتها في خطاب الحزب الشيوعي الموجه إلى الجماهير الذي لم يستطع أن يجمع بحذافة بين الدفاع عن الكادحين

اليهود ضد التجاوزات العنصرية من جهة والدعوة إلى شعاراته القومية السليمة إزاء فلسطين وغيرها من الجهة الأخرى".^(٥١)

اليهود والثقافة العربية

لقد اتّخذ يهود البلدان العربية -بحكم مواطنتهم الطويلة- اللغة العربية أداة للتعبير عن ثقافتهم وأدابهم خلال خمسة عشر قرناً في ظل الحضارة العربية، وبرز الكثير منهم على مر تأريخ تلك الحقبة، وان اليهود في العالم العربي قد شاركوا بالكامل في هذه الثقافة، لكن يمكننا القول إنها إضمحلت وتکاد أن تندثر كلغة تعبير أدبية وثقافية.

إن إضمحلال الثقافة اليهودية العربية واندثارها كلغة تعبير أدبية وثقافية، سوى لدى القليل منهم الذين لايزالون يشعرون "بسريانها في عروقهم". كما يشير إلى ذلك المحامي سلمان شينه في مجلة (المصباح) (١٩٢٤-١٩٢٧) وأنور شاؤول في مجلته الإسبوعية (الحاصل) (١٩٣٩-١٩٣٨).

وبعد مغادرة أنور شاؤول ومير بصري العراق في مطلع السبعينيات من القرن العشرين، أسدل الستار على حلم مشاركة (اليهود العراقيين واليهود العرب الذين نزحوا من البلدان العربية إلى الكيان الصهيوني) في الثقافة العربية في الشرق الأوسط.

(٥١) عزيز سباхи -عقود من تأريخ الحزب الشيوعي العراقي -ج ١-ص ٢٧٦.

٣- العنف وفق الغزو الداعشية

أ- نشأت داعش:

في العودة إلى جذور نشأة هذا التنظيم وببروز الحركة السلفية الجهادية في شكلها الدموي الذي بلغت فيه هيئتها الراهنة "اعش" و إعلانها ما يسمى بدولة الخلافة الإسلامية أواخر حزيران ٢٠١٤م و تتوسيع أبي بكر البغدادي (إبراهيم عواد البدرى) خليفة للمسلمين، يتضح من خلال استقراء تاریخها لما يقارب الثلاثة قرون، أنها ليست ظاهرة فكرية أو سياسية - مجتمعية طارئة أو عابرة، بل هي امتداد لسلالة الجيل الوهابي المؤسس، و هي نسخة متطورة من تجربة حركة "الإخوان" الوهابية التي نشأت من خلال التحالف التأريخي بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٧٤٤م و التي امتدت إلى حفيديهما عبد العزيز آل سعود و عبدالله عبد اللطيف آل الشيخ، و تأسيس الجيش العقائدي الإخواني الوهابي، وقد وصفهم أمين الريحاني بقوله: "هم الفئة المحاربة، الفئة المتعصبة - أي المتمذهبة - جديدا في الوهابية، الإخوان هم جنود عبد العزيز بن سعود الذين كانوا بالأمس من العرب الرحل، من البدو الجاهلين... وهم في غلوهم يعتقدون أن من كان خارجا عن مذهبهم ليس بمسلم" (٥٢)

ويرى عالم الاجتماع العراقي علي الوردي "أن التكفير عامل مهم في نجاح حركة محمد بن عبد الوهاب، فهو قد أعطى لأنصاره حجة لغزو المخالفين لهم باعتبارهم مشركين تحل دمائهم وأموالهم ونسائهم" ، ويحدد سنة ١٧٩٠م كبداية للخطر الوهابي على العراق "حيث ظهرت على الحدود من ناحية الصحراء جماعات وهابية وسمت إبلها بشارات بارزة وهي تحمل رقعاً دينية غريبة، وصارت تغزو مراعي الظفير والمنتفق والشامية، وكذلك أخذ الدعاة يتسلّلون إلى العراق في محاولة لنشر الدعوة الجديدة في أوساط العشائر والمدن، فكانوا يرتادون مضائق العشائر في

(٥٢) أمين الريحاني - تاريخ نجد الحديث وملحقاته ص ٥٦٥.

الفرات ليخطبوا فيها و يستغلوا العداء الموجود لدى العشائر ضد الحكومة العثمانية ووالي بغداد". وقد أقدم مسلحو الدولة الوهابية على ارتكاب مجزرة في ٢٢ أيار ١٨٠٢، حيث يروي الوردي مختصارا تلك الحادثة: "دخل الوهابيون بلدة كربلاء يومذاك على حين غرة وهم شاهرون سيفهم يذبحون كل من يلقونهم في طريقهم ولم يستثنوا منهم الشيوخ والنساء والأطفال،... وقدر عدد من قتلوا بثمانية آلاف شخص، ثم شنوا غارة أخرى على النجف ولكنها فشلت، حيث كان أهل النجف قد استعدوا لهم و دافعوا عن بلدتهم دفاعا مستميتا"، ثم يضيف "وفي ١١ آذار ١٩٢٢م قام (الاخوان) وبصورة غادرة ومباغطة بارتكاب مجزرة في لواء المنتفق بالعراق ضد مدنيين عزّل، إذ تسلل عناصر منهم و هم مدججون بالسلاح إلى داخل مراعي لواء المنتفق و ضربوا طوقا حول مجاميع الرعاة العزل ثم جمعوهم مع نسائهم وأطفالهم و قتلواهم جميعا و نهبوا ما قدروا عليه من حيوانات وحلي وذهب، فيما كان رجال المنتفق مشغولين بموسم الحصاد في هذا الشهر".^(٥٣)

وثمة مثال آخر يذكره ياسين أفندى العمري يبين شناعة ظلم هذا الفكر الظلامي، الذي يعتبر أن كل من لم يكن وهابيا هو كافر حلّ دمه وماله وعرضه، حيث يقول "إن الوهابيين كانوا يظهرون هنا وهناك غرب الفرات فيقطعون الطرق، ويفيرون على القرى، وفي إحدى الغارات عام ١٨٠٠م، نهبوا قافلة قادمة من الشام، بالقرب من بلدة عانة وقتلوا عددا من العانيين، وأغاروا على عانة نفسها ونهبوا بعض بيوتها وقتلوا أربعين شخصا من سكانها، وأغاروا على كبيسة ولكنها قاتلتهم فولوا الأدبار".^(٥٤)

وفي مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، ظهرت بوادر تشكيل تيار ديني في المجتمع الوهابي الجديد، حين قرر الملك فهد بن عبد العزيز مواجهة المد الإسلامي الثوري الإيراني، عن طريق فسح المجال أمام الوهابية كي تنهض مجددا وتغطي

(٥٣) على الوردي لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث -الجزء الاول -الجزء الاول -ص ١٨٣، ١٨٠، ١٩٠، ١٩١.

(٥٤) ياسين أفندى بن خير الله الخطيب العمري -الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون-نشر معاوية احمد نظام العمري -مخطوط يعود الى ثلثينات القرن الثامن عشر الميلادي.

الفضاء العام. وقد خصت الحكومة السعودية ميزانية ضخمة لتحقير الداخل إزاء الثورة الإسلامية الإيرانية في إطار الترويج للعقيدة الوهابية حول العالم، لتنتقل من كونها عقيدة محلية محافظة إلى أديولوجية ثوروية عابرة للقارات، وتأكيداً لهذا التوجه يذكر السفير الأمريكي في كوستاريكا كيرتن وينسور "أن السعودية أنفقت على الأقل ٨٧ مليار دولار لنشر الوهابية في الخارج خلال العقود الماضيين، وأن و Tirah الانفاق في السنوات الماضية (٢٠٠٥ - ٢٠٠٧م) قد بلغت معدلات قياسية، وتنفق هذه الأموال في الغالب على البناء والموازنة التشغيلية للمساجد، والمدارس والمؤسسات الدينية الأخرى لنشر الوهابية، والأوقاف للجماعات في مقابل التأثير على تعيين علماء الدين"^(٥٥) كما أن انخراط السعودية في مشروع "الجهاد الأفغاني" في مطلع الثمانينيات قد عزّز من فرص تبلور وظهور تيار سلفي جهادي بقيادة رجال الدين الوهابيين، أسس لبزوغ تنظيم "القاعدة" و "حركة طالبان".

ب-سيطرة "داعش"

ثمة عوامل أدت إلى سيطرة "داعش" على مدن وبلدات ومساحات بلغت ثلث مساحة أرض العراق، ولا بد من ذكر بعض العوامل الأساسية التي شكلت رافعة لهذا التنظيم كي يمكنه مثل هذه القدرة:

* الحملة اليمانية الممنهجة التي بدأها صدام حسين في العام ١٩٩٤م بقرار منه، مستغلاً ومستخدماً بعض شيوخ الدين بالترويج لها، حيث أصدر أوامره ببناء عشرات المساجد، ومنع المشروبات الكحولية في المطاعم والفنادق، وتم قتل وتقطيع وأصال المؤسسات والسماسرة بسيوف "فدائى صدام" أمام أنظار المارة، رافقها انتشار ظاهرة الحجاب، وعامل الرعب والخوف الذي انتشر بين العراقيين وتمكن منهم، كل ذلك ظهرت انعكاساته على الشارع العراقي، وبرزت وطفت حالة من التدين أحذثت تغييراً

في البنية السيكولوجية لدى العراقيين، الذين لم يكن غالبيتهم ملتزمين دينيا، وقد أمسى غالبيتهم من المتدينين، بسبب ما تقدم ذكره وبسبب احبطات الحصار والفقر ومتطلبات الحياة الضاغطة التي رافقها نهج سلطي قمعي قسري، ومن هنا برزت التجليات الدينية للحملة اليمانية التي دفعت بالعراقيين إلى اللجوء للتدين والاحتماء به، وباتت ظاهرة التدين تسير بوتيرة سريعة، وقد أخذت بعد سقوط نظام صدام حسين شكلًا دموياً غير مسبوق، وخلقت بيئات متطرفة مؤاتية لتحالفات مجموعات دينية متشددة ومتطرفة، وصار الانخراط في التنظيمات السياسية يتم عبر البوابة الدينية والطائفية على وجه أخص، وأصبح للتنظيمات السلفية الجهادية (القاعدة وداعش) دور بارز ومهم.

* إتقاء مصالح فلول نظام صدام حسين ومشروع (القاعدة) العابر للحدود، بعد سقوط النظام الصدامي، والتعاون والتنسيق بين الطرفين من باب مقاومة المحتلين الأميركيين.

* الاحتلال الأميركي ومحاولته في تأسيس وترسيخ نظام (طائفي - قومي) وتمزيق النسيج المجتمعي من خلال النزعة الطائفية التقسيمية، مما دفع الكثير من النخبة السياسية والعسكرية السنوية إلى اعتناق خيارات متطرفة والاندماج في تنظيمات سلفية تكفيرية وطائفية، وأصبح معظم قيادات "داعش" تضم عناصر من الجيش العراقي كانت تعمل تحت إمرة صدام حسين.

* تشكّل وتكون بيئات حاضنة -لأسباب مختلفة وعديدة- لإستطاع "داعش" الاحتماء بها وتجنيد عناصر كثيرة من أهلها للعمل معه والاستفادة من امكانياتهم لمعرفتهم بجغرافية مناطقهم وطبع وأحوال سكنتها.

* إمتلاك التنظيم امكانيات ضخمة حصل عليها من تبرعات رسمية وشعبية من بلدان خليجية محددة، ومن فرض الآتاوات على المؤسسات الحكومية -حتى قبل احتلاله الموصى -وعلى سكان المدن، تحت مسميات شتى مثل التبرع والزكاة والجزية...

إلى، ووضع اليد على أموال الدولة واستحوذه على مخازن أسلحة وأعتدة بكميات كبيرة من سوريا والعراق.

* الدعم الدولي من خلال تمهيد طرق الإمداد والنقل وتسهيل مرور المعونات العسكرية، عبر دول الجوار ودعمهم، وفسح المجال أمام "المتطوعين الجهاديين" وتواجد عشرات الآلاف منهم، من شتى دول العالم، وبهذه الأعداد الهائلة، التي تحتاج لإمكانيات دول وليس لقدرات أفراد، كي يلتحقوا بما يسمى "دولة الخلافة الإسلامية" وقد كشفت هذه الحقائق المرشحة الديمقراطية وزيرة الخارجية السابقة هيلاري كلنتون وما كشفه ترامب أثناء حملته الانتخابية عن دور أمريكا في صنع داعش.

* إستخدام الإرهابيين للأساليب المفرطة بالعنف والطرق المبتكرة في تنفيذها والمؤدية لمشاعر الإنسان، ونشرها من خلال الإعلام المناصر لهم، وعبر مراكز التواصل الاجتماعي، ليث الرعب والفزع في قلوب الناس الآمنين، وشل إرادتهم، كي يتمكن النوع والاستكانة والاستسلام من نفوسهم، وإجبارهم إما على الالتحاق بهم والانضمام إلى صفوفهم، أو النزوح من أرضهم وبلداتهم ومدنهم، كل هذا كان يحصل ما بين (٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م) وهي فترة إماراة "أبو مصعب الزرقاوي" على تنظيم (التوحيد والجهاد) و(القاعدة) في العراق، وقبل أن يظهر "داعش" للوجود.

* الاستفادة من الانقسامات الداخلية، وأجواء الشحن الطائفي والتوترات السائدة، ورفع شعار محاربة الشيعة، واستغلاله لصالح أجندتهم.

ت-جرائم "داعش"

بعد غزوته الهمجية للعراق في حزيران ٢٠١٤م، قام تنظيم "داعش" بجرائم ضد الإنسانية، أمام أنظار وأسماع الرأي العالمي، ترتعش لها الأبدان، وتدهل لها العقول، وتقفز من مواضعها القلوب جزاً وهلعاً وخوفاً وقلقاً على مصير الوطن العراقي وإنسانه، بفعل هذا الوباء الطاعوني الظلامي الكهوفي المتطرف الذي يدّعي تطبيق

الشريعة الاسلامية، فقد أقدم غيلان هذا التنظيم على غزو واحتلال مدينة الموصل و النواحي و القصبات التابعة لها، و قتلوا على الهوية مئات من السجناء الذين كانوا موجودين في سجون المدينة، قبل استباحتها، و ما ارتكبوه من جرائم و فظائع و انتهاكات فيها كرروه في تلعفر ممارسين ضدها القتل الجماعي، وفي محافظة صلاح الدين ارتكبوا جريمتهم المعروفة بجريمة "سبايكير"، التي تجاوز عدد ضحاياها ألفا و سبعمائة شخص، جميعهم قتلوا بدم بارد، لأنهم قطيع خراف يساق إلى المسلخ، كذلك الحال مع المئات من شباب قبليتي الجبور في ناحية العلم و البو فهد في محافظة الانبار، ليكللوا مسيرتهم الظلامية بأبغض وأرذل الجرائم بحق الانسانية، من قتل جماعي و قطع للرقب و نحر بالسكاكين و حرق لضحايا بريئة داخل أقفاص حديدية مغلقة، ونبي لألاف النساء الايزيديات، والأطفال، في قضاء سنجار، واغتصابهن وبيعهن في أسواق النخاسة، ولم يوفروا حتى البنات القاصرات، فقد اغتصبت مجموعة من أبوياشهم طفلة عمرها تسع سنين، حملت في بطنهما جنينا منهم، وانتقل الهوس إلى غلق المدارس والفصل بين الطلاب والطالبات في الجامعات وإلغاء الدروس العلمية وقصرها على "علوم الشريعة"، وإجبار الفتاة على عدم الخروج من بيتها إلا و معهاولي أمرها فارضين عليها "اللباس الاسلامي الداعشي"، الشبيه بأكياس القمامنة السوداء، فأعدموا العديد من الفتيات بسبب رفضهن أوامرهم، وجلدوا المخالفين لهم و "لشرعيتهم الاسلامية" في الساحات العامة أمام أنظار الناس، وفرضوا عقوبة الجلد على كل امرأة تخرج من دون ولی أمر سواء كانت فتاة شابة أو سيدة طاعنة بالسن.

قامت عصابات "داعش" بمصادرة الحريات الشخصية للناس والحد منها، وأصدرت فتاوى عديدة بهذا الشأن، منها فتوى بمنع التدخين وعقوبتها الجلد لمن يجده "رجال الحسبة"، أي الشرطة الشرعية، متلبساً بهذا الجرم، و في حالة تكراره تكون عقوبته الموت، و ابتدعت عقوبة قطع أصابع يد من يستعمل جهاز الهاتف النقال، مع تشديد العقوبة بقطع يده إن ضبط ثانية وهو يكرر استعماله، وشوهدت أخيرا في

شوارع قضاء الحويجة دوريات لنسوة داعشيات يطلق عليهن اسم "الشرطة الاسلامية... فصيل العضاضات" يقمن بمعاقبة النساء اللواتي لا يرتدين ما يعرف بالزي الشرعي الذي يفرضه التنظيم عليهن في المناطق الخاضعة لنفوذه، وبعد رصدهن وهن يخالفن تعليمات هذه العصابات الارهابية تقوم "العضاضة" بالانقضاض على المرأة المخالفة وغضها في مواضع مختلفة من جسدها لتترك أثراً وعلامة عليه، وينتعلى بكاء الضحية وصراخها من شدة الالم، وقد أثار هذا الاجراء العقابي الهلع والخوف بين نساء الحويجة.

ثـ-إجراءات "داعش"

"إلغاء كليات القانون والفنون الجميلة، والعلوم السياسية والأثار والتربية الرياضية وقسم الفلسفة، وقسم إدارة المؤسسات السياحية والفندقية، وأقسام اللغة الفرنسية والإنكليزية والترجمة، وكما تضمنت التعليمات إلغاء مواد وعبارات صنفت على أنها غير شرعية، مثل الديمقراطية، الثقافة، الحقوق، الحريات، الرواية والمسرحية، وعدم وضع أسئلة تتعلق بالوطنية أو بالمعاملات الربوية والحوادث التاريخية المزيفة، والموقع الجغرافية والحدود المصطنعة، وشطب اسم الجمهورية العراقية ووزارة التعليم العالي واستبدالها بالدولة الاسلامية وديوان التعليم، كما تم نقل الطالبات من كلية الهندسة إلى كلية الطب وتقليل سنوات دراسة الطب من ست سنوات إلى ثلاث، وعزل الإناث عن الذكور".

"وزع الدواعش في مدينة الموصل (فتوى) منشوراً على هيئة أسئلة وأجوبة عن شرعية سبي النساء الكافرات، ومواقعهن ووطئهن، حتى لا يخالف المسلم فقه الموقعة والوطء، كما أنهم عرّفوا "النبي" بأنه (ما أخذه المسلمون من نساء وأطفال أهل الحرب) وأجازوا للمسلم سبي النساء والأطفال من غير المسلمين. (٥٦)

(٥٦) الموصل بين احتلالين ٢٠٠٣ - ٢٠١٤ - ص .٩٤

لم يخرج "الداعشيون" عما أفتى به أئمتهم وشيوخهم بل التزموا بها، حيث يقول ابن تيمية في إحدى فتاواه "إذا دخل المسلم ديار الكفر بغير حرب، يجوز أن يشتري منهم أولادهم ونساءهم، ويصيرون ملكاً له ويجوز له البيع والشراء باتفاق الأئمة، وإذا دخل المسلمون ديار الكفار بعد حرب، يحق للمسلم أن يأخذ أموالهم، وأن يقهرهم بأي طريقة كانت، فإنفسهم وأموالهم مباحة للمسلمين".^(٥٧)

"إن محمد بن عبد الوهاب لم يكتف بالقول بشرك المسلمين المعاصرين له فحسب، بل كان يهدف إلى قتالهم وسلبهم أموالهم وسببيتهم نسائهم وأطفالهم، الأمر الذي يتطلب توسيع دائرة من يستبيح دماءهم، حتى أنه حكم بشرك واباحة دماء أربعة أصناف من الناس، وأحد هذه الأصناف هو من يحب المسلمين ويبغض الوهابيين".^(٥٨)

لقد خيرت عصابات "داعش" المسيحيين في بداية دخولها إلى نينوى، بين أن يدخلوا دين الإسلام أو يدفعوا الجزية، والرافض الممتنع يحل عليه القتل بحد السيف وتجرز رقبته، مما حدا بآلاف العائلات المسيحية إلى ترك بيوتها وما حوت لتهرب وتنجو، وقامت هذه العصابات بوضع حرف "ن" أي "نصراني" على بيوت وممتلكات المسيحيين الذين تركوها، ويحق لـ "دولة الخلافة الإسلامية" مصادرتها وضمها إلى بيت مال الدولة.

"في الموصل وفي يوم ٢٠١٤/٧/١٧ عرضت داعش على المسيحيين ثلاثة اختيارات: الإسلام / عهد الذمة (أخذ الجزية) / إن أتوا ليس لهم إلا السيف. وقد من عليهم ما يسمى أمير المؤمنين الخليفة أبو بكر البغدادي بالسماح لهم بالجلاء بأنفسهم فقط من حدود الخلافة يوم ٢٠١٤/٧/٢١ الساعة الثانية عشرة ظهرا، وبعد هذا ليس بيننا وبينهم إلا السيف، وفي يوم الجمعة ٢٠١٤/٧/١٨ تم إجلاء المسيحيين من الموصل

.(٥٧) المنتخب من مدونات التراث (ابن تيمية) عزيز العظمة - ص ١٧٤

(٥٨) فتاوى ومسائل الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ص

ليتم إفراغ المدينة من المسيحيين لأول مرة منذ أكثر من ألفي عام، وقامت عصابات داعش بسرقة أموال المسيحيين الذين خرجموا من المدينة يوم الجمعة ومصادرة سياراتهم ومصوّغاتهم الذهبية وأموالهم، كما قام التنظيم بمصادرة منازل المسيحيين في الموصل وسرقة محتوياتها وتوزيعها على منتسبيه، أما قضاء سنجار فقد تعرض هو وناحية سنوني إلى أكبر عملية تهجير وحشية، حيث قام التنظيم في اجتياح القضاء في ٣ آب ٢٠١٤م، بعد هروب جماعي لقوات البيشمركة التي كانت مسؤولة عن أمن المنطقتين منذ عام ٢٠٠٣م، ورافق احتلال داعش - بعد اجتياحه للمدينة - سبي عدد كبير من نساء اليزيديين، ومحاصرة النازحين في الجبل وقطع الغذاء والماء عنهم، إضافة إلى سلب أموالهم وممتلكاتهم وقتل عدد كبير منهم، وقام التنظيم بأكبر عملية نهب لمعامل ومصانع سهل نينوى العائدة للمسيحيين والشبك ونقل بعضها إلى داخل الموصل وإلى الرقة، وقام ببيع كل منتجات المعامل الانشائية للشبك في المنطقة الصناعية الملوثة في كوكجي بأسعار بخسة، وقام بتشغيل تلك المصانع لحسابه الخاص".^(٥٩)

ليس هذا حسب، بل قام الداعشيون بهدم الآثار التي تمثل حضارة العراق منذآلاف السنين، وتغيير كنائس ومعابد وأديرة المسيحيين، وتسويه بالأرض لمعالم حضارة الآشوريين قبل الميلاد بآلاف السنين، ومقامات ومساجد عمرها تجاوز الألف عام، ولعمري أنها مجرفة ذبحت فيها عصابات "داعش" التراث الحضاري بهذا الشكل الوحشي المرعب المخيف، الممعن بالظلمانية، و الذي لم نسمع أو نرى له مثيلاً منذ مئات السنين، ويذكرنا هذا بمجزرة مثيلة لها حصلت في أفغانستان مؤخراً، فقد قامت القاعدة وربيتها حركة طالبان بوضع متفجرات هدمت وأزالت بها تماثيل نحتت في الجبال وهي عبارة عن عمل فني كبير من منحوتات تمثل رموزاً مقدسة عند أتباع الديانة الهندوسية، قائمة منذ أكثر من ألفي عام، لم تستطع إزاحتها وقلعها بالمعول والازميل.

(٥٩) الموصل بين احتلالين ٢٠٠٣ - ٢٠١٤ - ص ٩٨

ذلك يدلل بوضوح على أن هذه الحركات الظلامية التكفيرية المتعصبة، لا تمتلك حسا وبعدا انسانياً، إنما تهدف إلى طمس وتغييب الرموز والمعالم التي تمثل عمق الحضارة الإنسانية، ومحاولة العودة بالإنسان إلى عهود التخلف والظلم والهمجية، ومحاولة محق وسحق كل ما قدمته البشرية من تقدم إنساني وحضاري ومدني، وما هدفت إليه من خدمة الإنسان وتقديس حريته الشخصية، منطلقة بهذه الأعمال المدمرة الدينية، من عقل قد عشش فيه أرداً وأسوأ وأرذل وأتعس بقايا وفضلات عفونة الرجعية.

ج-بنية "داعش"

هناك وصف للبناء الهيكلية والتنظيمي لداعش في الموصل كتبه دونه وثبته (موريس ميلتون)، يبين سوءة هذا التنظيم ورثاثة فكره ومنهجه وطريقة تعامله مع الآخر المختلف معه، وقد جاء في موضوعة تحت عنوان (ناشط من داخل الموصل - عام كامل على داعش في الموصل: القسم الثاني) ما يأتي: "حين دخلت داعش إلى الموصل ظن الجميع أنهم جاءوا بطريقة عشوائية، وأنهم سيحتاجون وقتاً طويلاً لتأسيس وجودهم في المدينة، ولكن الحقيقة كشفت أن داعش كانت قد جهزت لكل شيء في المدينة، وكانت تحمل معها أدوات الدولة كاملة حين دخلت، وكانت على دراية كبيرة في أوضاع الحكومة المحلية والإدارية والشؤون الاقتصادية والاجتماعية في المدينة، كان لدى داعش إرث نصّي ومحرك كبير في أوضاع الموصل واستناداً إلى ذلك الإرث جاءت أعمالها في ملء الفراغ الذي خلفته الحكومة المحلية في الموصل. لقد فهمت داعش الطبيعة السكانية، وأهمية الموصل والآليات التي ينبغي اتخاذها لتنفيذ منهجها و برنامجهما، وقد أخطأ الكثيرون في فهم داعش، واعتبروها مجرد عصابة أو جماعة عشوائية، لكن داعش لم تكن كذلك، فهذا التنظيم كان خلاصة التجارب السابقة للجماعات الجهادية، وكان لديهم المنهج الديني الكامل والموروث التاريخي الذي استندت إليه مباني الفكر والدولة في

منهج الخلافة فقد شهدت المنطقة نشوء دول اسلامية كثيرة، بداية من عهد النبوة وعهد الخليفة الراشدة فالاموية والعباسية وما تفرع عنها من دويلات في المشرق والمغرب العربي، واقتراان تلك الدويلات بأدبيات فقهية وتشريعية كثيرة لا تعد ولا تحصى، وبوجود فقه الواقع و السياسة الشرعية، والأدبيات التي أسس لها ابن تيمية محمد بن عبد الوهاب وحفيده سلمان، والشوكاني وغيرهم من أئمة "داعش" ومراجعهم الفكرية والدينية.^(٦٠)

يقول الكاتب

وكانت لهم دراية كبيرة في أوضاع الحكومة المحلية والإدارية والشؤون الاقتصادية والاجتماعية في المدينة.

لقد أغفل دور شركائهم العسكريين العاملين في تنظيم داعش والذين كشف الاعلام أسماءهم ومركزهم فيه و كانوا من قياداته الفاعلة. يمكن مراجعة كتاب هيثم المناع (خلافة داعش من هجرات الوهم إلى بحيرات الدم-المعهد الاسكندري لحقوق الانسان، آب ٢٠١٤، ص ١١)، حيث يذكر الأسماء الصريحة للعشرات منهم وكناهم ودورهم القيادي في التنظيم. بينما لم ينكر عزت الدوري دوره في جيش النقشبندية الذي أسسه وقاده، وكلنا نتذكر خطابه التحريري الذي بث عبر الفضائيات قبيل وأثناء فترة دخول الداعشيين إلى العراق واحتلالهم مدينة الموصل ومحافظتي الأنبار وصلاح الدين، ناهيك عن العديد من أعضاء تنظيمات البغث المتواجدين داخل مدينة الموصل والذين كانوا ينسقون ويعملون ويتعاونون معهم وهم على دراية بكل شؤون المدينة وعمل مؤسساتها الحكومية - فأهل مكة أدرى بشعابها - وكانوا يفرضون الآتاوات على المسؤولين والتجار والمؤسسات لسنوات عديدة قبل غزو داعش، وهم من أمدتهم بهذه المعلومات عن كل تلك

(٦٠) ناشط من داخل الموصل-Maouris Milton- عام كامل على داعش في الموصل: القسم الثاني...

الفعاليات التي كانوا يقودونها، قبل أن يقلب الداعشيون عليهم بعد ١٤ حزيران ٢٠١٤م، ويقوموا بتصفية الخط الأول من قياداتهم.

كانت الوثيقة السياسية التي أعلنتها داعش يوم ١٣ حزيران ٢٠١٤ ملخصاً للمنهج والدستور اللذين اعتمدتهما، وفي فقرة منه وضعت التقسيم الإداري والتنظيمي لها في الموصل. وفي فقرة من المادة ١٦ من وثيقة المدينة كتبت "ها هي الآن حقبة الدولة الإسلامية وعهد الإمام أبي بكر القرشي... إماماً قرشية اتخذت الوحي المنزل منهجاً والقضاء به أبيض أثليج". في هذه الفقرة إعلان واضح وصريح بأن المنهج والقانون والدستور والمصدر التشريعي الوحيد هو فهمهم لـ "القرآن" وبدرجة ثانية السنة النبوية التي لا تغير لها داعش أهمية كبيرة. على هذا الأساس، أعلنت عن تأسيس نظام الدواعين المتبوع في الدول الإسلامية التي نشأت على مر التاريخ الإسلامي، وقد فصلتها هنا، وفي كل ديوان كتبت الفئة المتنفذة فيه، ومن لهم السلطة عليه.

ح-نظام "داعش"

١. **ديوان القضاء:** منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للنزاع وقطعاً للتداعي بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة وهو من الوظائف التابعة للخلافة، ويرتبط بشكل مباشر بأعلى مجلس تشريعي في داعش لأنه المنصب الفاصل في القضايا لكل الناس من المدنيين الذين تسميهم داعش "العوام" وجندوها.

لهذا المنصب أهمية كبرى لدى داعش، ويعتبر من المناصب التي لا يمكن الوصول إليها بسهولة، فهناك شروط وضوابط كثيرة يجب تنفيذها حتى يستطيع الشخص أن يكون قاضياً شرعاً، لكنها حسمت الأمر، وأعطت المنصب للموالين لها من قبيلة عراقية، وهناك ثلاثة قضاة رئيسيين في الموصل يتمتعون بصلاحيات واسعة، ويعمل تحتهم قضاة صغار بالسن، منهم المدعو "مصطفى الشرعي" الذي ظهر برفقة الصحفي الألماني في المدينة، ولا يتجاوز عمره ٢٣ عاماً، يتولى منصب القضاء في المحكمة

الشرعية في الساحل الأيسر منها، ويعمل معه قضاة آخرون، وقد أنسست داعش مؤسسة خاصة لتدريس القضاء الإسلامي تخرجت فيها دفعة جديدة من القضاة انتشروا في مدينة الموصل، وللقاضي مجلس يسمى "مجلس الاستئناس والشورى" حيث تم مداولة الأحكام والقضايا والخروج بقرار قطعي.

وقد ركّزت داعش في إعلامها الترويجي والجاذب للانضمام إليها على ما تسميه "طلاب العلم الشرعي" الذين يشكلون جوهر هذا الديوان، لأنها بحاجة لوجود هؤلاء بينها، خاصة في الفصل بين القضايا المتعلقة بين مقاتليها. فالقضاة هم الذين يصدرون أحكام الاعدام وإقامة الحدود والعقوبات. وهناك فرع من القضاء يتولاه "قاضي التحقيق" الذي يبحث في القضايا والشؤون الآنية والجرائم والحوادث. وهناك شخص مسؤول عن النظام القضائي، يرجع القاضي الأعلى في شؤونه إليه، وبإمكان المسؤول الأول عنه أن يلغى أي قرار يصدر من المحكمة الشرعية، وأن يعدل على أي قرار.

ولديوان القضاء فروع: القاضي الذي يعمل بالشؤون المدنية مثل الزواج والأحكام المدنية والأحوال الشخصية/ القاضي الذي يعمل بالشؤون الجنائية والجرائم والجنح/ قاضي العسكر ويرتبط بالقضايا المتعلقة بالجند والشؤون والحوادث التي تجري في صنوف داعش العسكرية والأمنية/ قاضي الأموال ويرتبط بالشؤون المالية والجوانب الاقتصادية وما يتصل بها.

وهنا بعض القضايا المتعلقة بديوان القضاء خلال عام واحد:

* اعتقلت داعش شخصا يوم زفافه لأنه لم يذهب للمحكمة الشرعية لتسجيل زواجه، وإنما اكتفى بكتابة العقد المعروف في الموصل بـ"عقد الملا"، كونه يرفض محكمتهم، فأجبرته أن يكتب العقد لديها.

* أصدر القاضي الجنائي قرارا بالإفراج عن ١٥٠ سجينًا لدى داعش ثبتت براءتهم، لكن القاضي الأعلى رفض إطلاق سراحهم، وأمر بإبقاءهم قيد الاعتقال لوجود إحساس وشك لديه بأن خروجهم سيفعلهم للعمل ضد داعش، وما يزال هؤلاء معتقلين منذ ٩ أشهر.

* أصدر القاضي الشرعي وحده فقط أحكاما بالإعدام بلغ عددها ٣٧١ حكما بحق عناصر شرطة وشباب ونساء، كلهم من السنة من سكان الموصل.

* أصدر مصطفى الشرعي أكثر من ٤٦٧ حكما بالإعدام بحق شباب اعتقلتهم داعش، وعناصر من الشرطة وأجهزة أمنية أخرى، وكلهم من أطراف مدينة الموصل.

* أصدرت المحكمة الشرعية ٣٨٩ حكما بالإعدام ثبت أنها استندت إلى شهادات زور عبر المخبر السري ونفذت هذه الأحكام بحق أبياء، سلمتهم داعش لأهاليهم مع عبارة "رحم الله ابنكم ونحسبه شهيدا عند الله لأنه قُتل بالخطأ"، ودفعت لهم الديّات.

* أصدرت المحكمة الشرعية تعديلا (الثلاثاء ٢٤ آذار ٢٠١٥م) على قانون (حد الردة) الذي صدر (الخميس ١٧ حزيران ٢٠١٤م) وكان يقتصر فقط على قوات الأمن من الذين يتم اعتقالهم أثناء الحرب، أو الذين عليهم أحكام سابقة من تنظيم داعش قبل احتلال الموصل، ووسعـتـ هذاـ القـانـونـ ليـشـملـ (ذـكـورـاـ وـإـنـاثـاـ)ـ كـلـ مـنـ:ـ الشـرـطـةـ،ـ المـرـشـحـينـ لـلـبرـلـمانـ وـالـمـنـاصـبـ الـحـكـومـيـةـ التـابـعـةـ لـلـمـحـافـظـةـ وـالـقـضـاءـ وـغـيرـهـ،ـ موـظـفـيـ المـفـوضـيـةـ العـلـيـاـ الـمـسـتـقـلـةـ لـلـاـنـتـخـابـاتـ،ـ مـنـ "ـسـبـ الذـاتـ الإـلهـيـةـ"ـ،ـ مـنـ أـعـلـنـ مـوـقـفـاـ بـمـدـحـ الـحـكـومـةـ أوـ الجـيـشـ أوـ الشـرـطـةـ،ـ الزـانـيـ المتـزـوجـ،ـ باـعـةـ السـجـائـرـ وـالـمـشـرـوـبـاتـ الـكـحـولـيـةـ وـالـمـتـاجـرـينـ بـهـاـ،ـ الـمـتـخـابـرـينـ معـ جـهـةـ خـارـجـيـةـ ضـدـ دـاعـشـ،ـ الأـطـباءـ وـالـكـوـادـرـ التـعـلـيمـيـةـ وـالـأـكـادـيمـيـةـ الـذـينـ تـرـكـواـ الـمـوـصـلـ وـرـفـضـواـ الـعـودـةـ إـلـيـهـاـ،ـ الـمـنـتـمـيـنـ لـلـقـوـاتـ الـتـيـ تـنـوـيـ تـحرـيرـ الـمـوـصـلـ،ـ السـرـاقـ،ـ الـعـالـمـلـيـنـ بـالـرـقـيـةـ الـشـرـعـيـةـ وـالـذـينـ تـسـمـيـهـمـ دـاعـشـ "ـالـسـحـرـةـ"ـ،ـ نـاكـثـيـ الـبـيـعـةـ،ـ مـنـ يـثـبـتـ أـنـهـ يـؤـمـنـ بـالـفـكـرـ الـعـلـمـانـيـ وـالـشـيـوعـيـةـ وـالـبعـثـيـةـ وـالـوـطـنـيـةـ،ـ مـنـ يـعـثـرـ لـدـيـهـ عـلـىـ عـلـمـ الدـوـلـةـ الـعـرـاقـيـةـ،ـ مـنـ يـنـاـصـرـ التـحـالـفـ الدـوـلـيـ بـ"ـالـتـفـكـيرـ،ـ الـكـلـمـةـ،ـ الـفـعـلـ،ـ التـرـوـيجـ،ـ التـمـنـيـ"ـ،ـ الـمـدـخـنـ الـذـيـ يـصـرـ عـلـىـ التـدـخـينـ بـعـدـ اـعـتـقـالـهـ وـجـلـدـهـ

(يعبرون من يصرّ على التدخين قد عرف الحق وأنكره، ولأن التدخين فيه مجاهرة في المعصية، ومناصرة للاقتصاد الأميركي باعتبار أكبر الشركات المنتجة للدخان هي أمريكية، فشرب الدخان يعني دعم الاقتصاد "الصليبي"، من يتحدث عن المسيحيين والايزيديه ويعتبر ما حدث لهم ظلما، من يرفض دفع الزكاة متعمدا، متداولي الكتب التي تحمل افكار "الكفر والعلمانية" ونشرها، متداولي وناشري الكتب والأخبار المعارضة لداعش).

*وهناك حكم ردة يصدر ويطلب التوبة، لكنها لا تمنع من إعدام الشخص، وقد حدث هذا مع عناصر الشرطة خاصة، وتقول داعش إن التوبة فقط لإعادته إلى الإسلام، وبعدها تنتفي عنه عبارة "المرتد"، لكن اعدامه تنفيذ للإرادة الإلهية في إنزال العقوبة، فيتم قتلها وهو "مسلم"، لأن عقوبة القتل هذه في حياته تنهي تعرضه للعقوبة يوم القيمة.

٢-ديوان المظالم: منصب ممتزج بين الهيئة الشرعية والقضاء، والعامل فيه له سطوة ويد عليا في التنظيم، وهو أعلى من القاضي، فهو ينفذ ما يعجز القضاة عن فعله، وينظر في الشكاوى والنزاعات بين القبائل والخلافات بين الناس، والخلافات بين المدنيين "العوام" وبين العناصر الداعشية، والخلافات داخل داعش، ولديه الحق بتأجيل أي قرار أو حكم، وأكثر من يعمل في هذا المنصب هم المنتسبون لداعش من (قبائل عربية عراقية جنوب الموصل).

٣-ديوان الحسبة: يختصر فعله بعبارة "الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر" حيث يتجلو منتسبوه في الشوارع بحثا عما يسمونها "المخالفات"، فهم جهة تنفيذية، فضلا عنها رقابية، يقومون بتنفيذ العقوبات التي يصدرها ديوان القضاء كالقتل والجلد والصلب والرجم والرمي من البنيات المرتفعة والاعتقال، وقد استطاعت (قبيلة عربية عراقية) من حيازة المنصب لصالحها، وصار من حصتهم، وأمير ديوان الحسبة من هذه القبيلة، ومن يحصل على منصب كهذا يكون خارجا عن دائرة

المساءلة أو المحاسبة، ويعتبر صاحب الحسبة نفسه كـ"الله صغير" في الأرض، لأنه مكلّف بأحكام شرعية إلهية سماوية، وهو الذي يحفظ "حقوق الله"، لذلك فإن العامل في الحسبة لا يدافع عن حقوق الناس، بل يدافع عن حقوق "الله" في الأرض، ولهذا يكون منصبه من المناصب القوية جداً، ما دفع الكثير للتنافس للحصول على هذا المنصب.

أ- الصفات الشخصية لعنصر الحسبة

يرتدي عنصر الحسبة ثوباً (دشداشة) بيضاء اللون، قصيرة، ويرتدي فوقها سترة بلا أكمام سوداء، ويضع على رأسه كوفية سوداء، أو صفراء. غالباً هو من القرويين، لم أجد أحداً من رجال الحسبة يتحدث اللهجة الموصلىة إلا قليلاً جداً، يشعر عنصر الحسبة بأنه مخول بفعل كل شيء، وبأنه خالص من كل شوائب أو عيوب، يتصرف بغضب مع من يخالفه أو يحاول أن يناقشه إذا ما تعرض للمساءلة، يمتلك "وقفة" كبيرة جداً للتصرف، يرتفع صوته على أتفه الأسباب، يميل دائماً إلى استخدام يديه أثناء الحديث مع المواطن، ودائماً يرفع أصبع يده باتجاه عين المواطن، لديه (نظر ثاقب) فهو يستطيع رؤية الكحل في عين المرأة حتى وإن كانت ترتدي نقاباً كاماً لا تظهر منه العينان، سُجّلت ببنفسي ٣٤ حالة اختراق نظر لعيون النساء رغم أنها لا تظهر. يمشي مشية متباخر، يتصرف كأنه "نصف الله"، حين يتحدث يشعر أنه وحده السيد وأن من حوله تابعون له، يتحدث وهو ينظر لعيون المواطن بطريقة وقحة جداً، لا يخفض عينيه حين يتحدث، غالباً أول شيء يقوم ب فعله إذا رأى مخالفة هو "الهجوم" ومسك الضحية، وسحبه من رقبته أو من أحد كرمي قميصه. حين يمشي، كتفاه مرتفعان، وساقامه متباعدتان عن بعضهما، يلاعب لحيته كثيراً، ويحمل بيده سواكاً دائماً، ويؤشر بالسواك على عين الضحية، لا يعتذر إذا كان مخطئاً، ويميل دوماً إلى القاء التهمة باستخدام "الشعور" فقط. يتحدث بكل شيء، كأنه يعرف كل شيء عن كل شيء، فهو رجل اقتصاد، وفقه، وسياسة، واجتماع، وتاريخ، وحروب. يكون بين أقرانه الآخرين من عناصر داعش من غير الحسبة بمثابة كائن خيالي لا يمكن الوصول

إليه، يضع أفضل أنواع العطور، وثيابه دائماً نظيفة ومكونة. حين يقود السيارة ينظر إلى الناس "شرا" كأنهم حشرات حوله.

ب-سيارات الحسبة ودورياتهم

سياراتهم فان بيضاء اللون وسوداء، مرقمة بأرقام من ١ إلى ٢٦ وتكتب هكذا "ديوان الحسبة ف (والرقم)" و "ف" إشارة إلى كلمة "فرقة". كل سيارة فيها نوافذ تفتح ويراقب من خلالها العنصر، وباب من جهة اليمين (في الخلف) يقوم بفتحه، ويمشي بسرعة كبيرة أحياناً. أما دورياتهم فتظهر فجأة عند كل أذان، حيث يقومون بوعظ الناس لحضور الصلاة، ويراقبون حركتهم والأسواق.

ت-الأفعال الموجبة للاعتقال من الحسبة

١. الفعل: التدخين. العقوبة: ٧٠ جلدة، غرامة مالية ٢٥ ألف دينار، إنذار نهائي.
٢. الفعل: إرتداء ثياب مخالفة لـ "لزي الشرعي" الذي عممه داعش. العقوبة: حلق شعر الرأس بالكامل، ٣٠ جلدة، غرامة مالية ٢٥ ألف دينار، تمزيق الثياب، إنذار نهائي، كتابة تعهد بعدم ارتداء ذات الثوب مرة أخرى.
٣. الفعل: إرتداء نقاب لا يطابق الشروط الشرعية والضوابط التي نشرتها داعش.العقوبة: منع المرأة من الخروج مرة أخرى من المنزل منعاً قطعياً، يتعرض الزوج للاعتقال إذا تكررت، غرامة مالية ٥٠ ألف دينار، كتابة تعهد خطبي بمنع خروج زوجته أو المرأة التي يتكتفلها هو منعاً قطعياً لا رجعة فيه.
٤. الفعل: حمل هاتف أثناء التجول في الشارع.العقوبة: إذا لم تثبت عليه حالة تجسس أو اتصال معلومات تكون: مصادرة الهاتف، ١٥ جلدة، تعهد بعدم حمل هاتف مرة أخرى.

٥. الفعل: مواد إباحية أو صور "فاضحة" في الهاتف.العقوبة: مصادرة الهاتف، ٨٠ جلدة، إنذار نهائي، كتابة تعهد خطى، الدخول في دورة تأديبية على الأحكام الشرعية.
٦. الفعل: عدم دفع أموال الجباية.العقوبة: غرامة مالية ضعف مبلغ الجباية، ٢٥ جلدة، إنذار نهائي، كتابة تعهد خطى.
٧. الفعل: حلق اللحية.العقوبة: ١٠٠ جلدة، غرامة مالية ٥٠ ألف دينار، سجن لمدة شهر (إلى حين أن تطول لحيته).
٨. الفعل: عدم دخول المسجد أثناء الأذان.العقوبة: ١٥٠ جلدة، سجن لمدة أسبوع، الدخول في دورة تأديبية على الأحكام الشرعية، غرامة مالية ٢٥ ألف دينار.
٩. الفعل: عدم اغلاق الدكان أثناء الأذان.العقوبة: إغلاقه لمدة ثلاثة أيام، ٢٠ جلدة، إنذار نهائي، تعهد خطى، غرامة مالية ١٠٠ ألف دينار.
١٠. الفعل: الاستماع للموسيقى والأغاني في السيارة.العقوبة: تحطيم جهاز التشغيل، ١٥ جلدة، تسجيل معلومات الشخص في سجل المخالفين للأحكام الشرعية، مراجعة ديوان الحسبة مرة كل ١٥ يوما، دخول دورة تأديبية على الأحكام الشرعية.
١١. الفعل: حلق الشعر بطريقة تشبه "الكفار". العقوبة: حلق الشعر بشكل كامل، ٢٥ جلدة، إنذار نهائي، كتابة تعهد خطى، مراجعة ديوان الحسبة كل ١٥ يوما.
١٢. الفعل: مغادرة المدينة بدون الشروط والضوابط.العقوبة: من يتم اعتقاله وهو يحاول الهروب، يمتلك القاضي الحق في إصدار حكم الاعدام عليه لأن رفض العيش في دار الاسلام وفضل العيش في دار الكفر، والعقوبة التعزيرية ٧٠ جلدة، وكتابة تعهد خطى بعدم المغادرة، ورهن الأملاك وسند الملكية والسيارة لدى ديوان الحسبة.
- ١٣.الفعل: عدم تسجيل (العربة المتوجلة"البسطية") لدى داعش.العقوبة: مصادرتها وما عليها من مواد، ٣٠ جلدة، منع قطعي من مزاولة أي عمل مرة أخرى.

١٤. الفعل: التأخر اسبوعا واحدا عن دفع أموال الجباية.العقوبة: إرسال انذار نهائي بتعرض نفسه للاعتقال والمصادرة للأموال في حالة امتنع عن الدفع لقسم الجباية.
١٥. الفعل: نشر الأخبار والاشاعات.العقوبة: ١٣٠ جلدة، حلق شعر الرأس بالكامل، غرامة مالية ١٥٠ ألف دينار، كتابة تعهد خطى بعدم نشر أية اخبار أو اشاعات مرة أخرى.
١٦. الفعل: التشكيك بحقيقة ما يجري من أحداث وحقيقة اعتبار داعش "دولة خلافة". العقوبة: ١٥٠ جلدة "مغلظة"، غرامة ٢٥٠ ألف دينار، كتابة تعهد خطى بعدم تكرار نفس الأمر، دورة تأدبية على الأحكام الشرعية.
١٧. الفعل: الاستهزاء بعمل ديوان الحسبة أو بأي قسم من أقسام داعش. العقوبة: ٧٠ جلدة، حلق شعر الرأس بالكامل، غرامة مالية ٣٠٠ ألف دينار.
١٨. الفعل: النظر الطويل إلى موقع داعش أو سياراتهم أو أفرادهم.العقوبة: الاعتقال بتهمة وجود رغبة في الحصول على معلومات، والتحقيق وابقاره قيد الاعتقال دون البث في قضيته، غالبا الاعدام.
١٩. الفعل: بيع ملابس تخالف الشرع، أو عرضها بشكل "فاضح" في المجال التجارية، أو عرض "مجسمات" الأزياء فيها.العقوبة: مصادرة المواد، إغلاق المحل لمدة اسبوع، كتابة تعهد بعدم تكرار نفس الحالة، ٧٠ جلدة.

ثمة ملاحظات:

النظام القضائي مقتصر على العراقيين، وعلى القبائل العربية فقط، إذ تم استبعاد الكرد والتعلفريين والأجانب من هذا الديوان/ حاول الأجانب وخاصة الشيشانيين تأسيس محكمة شرعية خاصة بهم للنظر في شؤونهم لكنهم فشلوا في ذلك، نظراً للسيطرة التي تتمتع بها القبائل العربية والتي لها نفوذ كبير في التنظيم/ تصرف رواتب كبيرة جداً للقضاة والعاملين بالحساب، بالإضافة إلى حصولهم على نسبة ٣٪ من الغنائم التي تستحوذ عليها داعش/ بعد اعتقال الشخص لا يعرض على القاضي إلا بعد مرور أسبوع على اعتقاله، وبعد التحقيق معه، وإذا كان حليق اللحية لا ينظر القاضي في قضيته إلا بعد أن تنمو له اللحية.^(١١)

إن قائمة الأعمال الإجرامية التي ارتكبها وترتكبها هذه التنظيمات "الإسلاموية" تمتد وتطول، وهي دليل شاهد على ظلامية وتخلف هذه الحركات الاقصائية، التي تريد العودة بنا إلى "الفكر الكهوفي" القادر من الماضي السحيق، والمتمثلة حديثاً بالجهل والتخلف والقسوة المفرطة والعنف الدموي، ولتفرض قوانينها على الآخرين بالقوة والقسر والإكراه، وبوسائل عنف مبتكرة، ترعبو الناس بها، وتجبرهم بقبولها على مضض درئاً للموت.

(١١) المصدر السابق

الفصل الثالث

مربع الطفولة والشباب

١-حي البتاوين حي التعايش والألفة

إن الغرض من التوسيع في المشهد الأول الذي يصف هذا الحي وحياة اليهود فيه، والإطالة بالحديث عن أوضاعه وجغرافيته وأحوال ساكنيه وسلوكهم وعاداتهم، والدخول في الكثير من تفاصيله، هو إعطاء صورة واضحة جلية عنه حيث الألفة بين قاطنيه من يهود يشكلون النسبة الأكبر و المسلمين و مسيحيين و عرب و كرد، رغم اختلاف أعراقهم و دياناتهم ومذاهبهم وأطيافهم، و عدم انجرارهم لأعمال العنف التي انتشرت ضد يهود العراق في مناطق مختلفة من بغداد وبعض المحافظات، بدعم عام ١٩٤١م، ولابد من عرض صورة واقعية كانت ولم تزل مرسمة في العينين مني ومطبوعة في تلaffيف ذاكرتي للعيش السلمي المشترك القائم بين مكونات وأديان ومذاهب أهل هذا الحي، تحديداً، وهو يمثل أنموذجاً مجتمعاً مصغراً لكل المدن العراقية، ولقد ولدت فيه وترعرعت، واتسعت حدقتا عيني وابصرتا أهله، لذلك أردت توضيح الصورة المرسومة فيه آنذاك، عندما كانت الطائفة اليهودية أغلبية سكانه.

٢-البتاوين في بغداد

لقد سميت بالبتاوين نسبة إلى مزارعين قدموا إليها من "البطة" -قرية من قرى الحلة- وكانت البتاوين منطقة زراعية تغطي مساحة أرضها بساتين النخيل كبسستان الأورفلي وبستان مامو وبستان الخاصكي وبستان الخس، وتشمل رقعة الأرض الزراعية التي تقع مباشرة خارج الأسوار الجنوبية لبغداد والتي تمتد طولاً من الباب الشرقي حيث موقع

دير راهبات التقدمة، إلى ساحة الفردوس، وعرضًا بين شارع أبي نؤاس قاطعة شارع البتاوين (السعدون لاحقًا) وشارع النضال.

قام "البتاوين" بالعمل فيها وفق نظام المغارسة (الزراعة) واستوطنوها، وقد كان للمرحوم الحاج صالح المهيدي الخفاجي الدور الكبير في ذلك، وهو والد كل من الحاج سلمان المهيدي وال الحاج حسن المهيدي وقد كان الحاج صالح المهيدي يمتلك بستانًا باسمه ملاصق لبستان جميل الأورفلي، وسجلت المنطقة هذه في سجلات الطابو باسم محلة "البتاوين" ناحية "الكرادة الشرقية"، ويبدو أن قبل هذا الوقت كان يقال لمن سكنتها من أهل البته "بتاوي"، وإذا سئل أحد هم إلى أين أنت ذاهب يقول إلى "البتاوين" وشاعت هذه التسمية حتى سمي الحي "حي البتاوين" ومن ثم اختصرت الكلمة إلى "البتاوين" لسهولة اللفظ، وقد أنيطت مختارية الحي بهذه العائلة، فكان منهم حميد المهيدي المختار (أبو كاظم) وحسن كريم المهيدي المختار وأخرهم عباس حسن المهيدي المختار (أبو ربيع)، وقد توسيع لاحقًا لتكون البتاوين الأولى والثانية والثالثة وقد شملت التسمية لاحقًا حي الأورفلي المقابل لسينما الأورفلي (السندباد) ومنطقة الرؤاف مقابل جمعية الشبان المسيحيين YMCA، ويقع في هذا الجزء كنيس اليهود وسوق البتاوين والمناطق الأخرى التي تمتد جنوب الباب الشرقي.^(٦٢)

قديمًاً كان هذا المكان عبارة عن بساتين ممتدة على ضفة النهر. يتحدث ياقوت الحموي في (معجم البلدان) عن هذا المكان تحديدًا ويدرك أنه كان موقعاً لدير عظيم زمن الدولة العباسية. كان يسمى (دير الزندورذ) و شأنه شأن الأديرة في تلك الأيام

(٦٢) المعلومة منقولة عن الدكتور كامل المهيدي وعن صديق الطفولة اسماعيل عبد الحسين الجاسم الخفاجي، "المولود في البتاوين عام ١٩٣٣" اللذان قدم اجدادهما من لواء الحلة، قرية "البته" ليستوطنوا هذه المنطقة، التي كانت خارج سور بغداد، وقد أخذوها بالمغارسة ومن ثم نسبت إليهم وأطلق عليها تسمية "البتاوين" التي اختصرت إلى "البتاوين".

وكان مطرح نزهه لأهالي بغداد على اختلاف دياناتهم واطيافهم لما فيه من
بساتين النخل وعرائش الكروم، وذكره في شعره الحسن بن هاني أبو نؤاس فقال:

واسقني من كروم الزندورد صحيٌ^١ ماء العناقيدِ في ظلِّ العناقيدِ

غير ان الدير اختفى كما يبدو بسبب الفيضانات الكبيرة والمتالية لنهر دجلة، وقد انتبه لذلك دارس ومستشرق فرنسي فطلب من جمعية تعود لطائفة اللاتين الكاثوليك تدعى (جمعية اخوات المحبة الفرنسيات) إنشاء دير في المكان نفسه، وكان هذا المكان عبارة عن بساتين ممتدة على ضفة النهر كما أسلفنا، يمتلك الحاج عبد الرحمن الاورفلي بستانها كان يقع الدير على أرضه سابقاً. يحده من شماله (ساحة التحرير ومدرسة راهبات التقدمة) ومن الجنوب بستان صالح المهيدي وبستانى مامو والخاصكي، وقد أهدى الاورفلي قطعة أرض من بستانه للجمعية، وقامت بإنجاز البناء شركة معمارية فرنسية عام ١٩٢٠م وضمّ المبني على غرار دير قديم كان الفرنسيون قد بنوه في القرن التاسع عشر في منطقة عگد النصارى وتمت تسميته (دير راهبات التقدمة المركزي) أو (College De Saint Rino). وكان بداية يتكون من سرداد ومبنيين ، احدهما يطل على موقع جسر الجمهورية الحالي وكان مخصصاً لكدير، والآخر كان يطل على جهة شارع أبي نؤاس الحالي كمدرسة للراهبات، وأما السرداد فقد كان مكان لمعيشتهن، بعد ذلك أضيف للمبني طابقين اخرين وأبنية جانبية ملحقة ليتم افتتاح مدرسة راهبات التقدمة التي اشتغلت على روضة وابتدائية وثانوية' وكانت السيدة إميلي رزق الله أول مديرية للمدرسة بروضتها وابتدائيتها وثانويتها، وكان الكادر التعليمي من الراهبات الأجنبيات والمحليات اللواتي حزن تعليماً متقدماً، فكانت الامريكية الماسيرة جوزفين تدرس اللغة الانكليزية والفرنسية الماسيرة دومنيك تدرس الفرنسية، أما الماسيرة روز فكانت استاذة للموسيقى وألة البيانو. وكان للمدرسة باصات مدرسية خصصت لنقل الطالبات من أماكن سكنهن الى المدرسة. وفي العام ١٩٧٥ قام النظام آنذاك بتأميم

المدرسة وجعلها مدرسة حكومية وغير إسمها من مدرسة راهبات التقدمة الى ثانوية العقيدة للبنات، وأحال ادارتها لوزارة التربية ففقدت المدرسة بذلك خصوصيتها المستقلة وامتيازات منهاجها المتقدم وقسمت المدرسة الى روضة الشقائق، ومدرسة دجلة الابتدائية، وثانوية العقيدة.

يضم حي البتاوين المنطقة الممتدة بين جبهة النهر غرباً إلى شارع النضال شرقاً، حتى كنيسة الأرمن الأرثوذكس التي تطل على شارع النضال بالقرب من ساحة السبعاوي (الطيران حالياً)، وكلها كانت ضمن حدود أراضي بستان الحاج جميل الأولفلي، وقد أهدي ورثته قطعة الأرض للأرمن سنة ١٩٥٤م لينشئوا عليها كنيسة ومدرسة وقاعة للاحتفالات والباقي ترك مقبرة لدفن موتاهم، وقد تم بناء الكنيسة عام ١٩٥٦م.

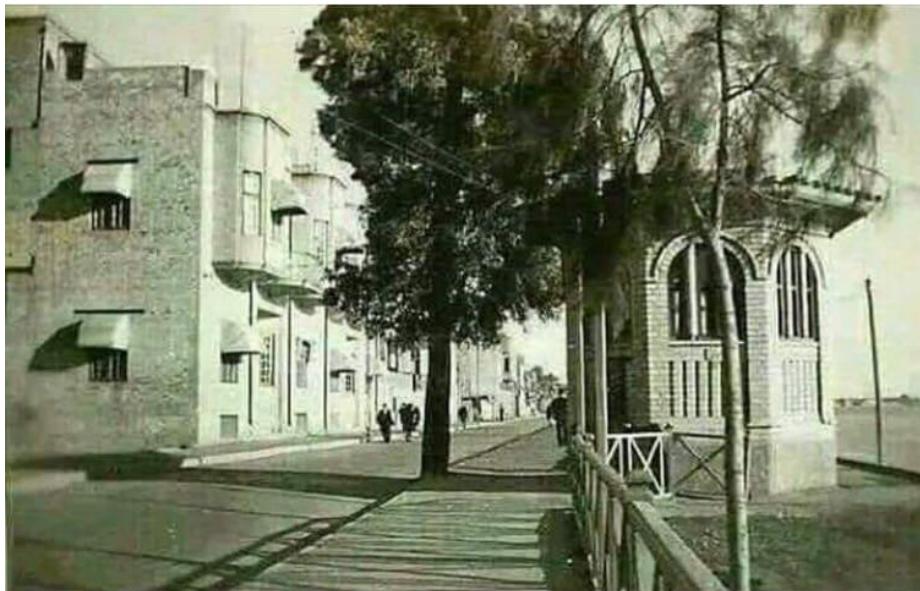
وبعد أن ابتدأ التنظيم العمراني لبغداد العاصمة، تم ترتيب ورسم حدود المنطقة وأزقتها وبيوتها الممتدة بين شارع البتاوين (السعدون حالياً) - الذي كان عبارة عن ممر ترابي يخترق البساتين، وقد أصبح له وجود أكثر مع دخول الانكليز إلى العراق بداية القرن العشرين - وبين ضفة نهر دجلة، يقطعها زقاق في وسطها يمر ببستان المهميدي وينتهي ببستان الخاصكي، كانت تقف فيه سيارات النقل الخاص الخشبية الهياكل، التي تقوم بنقل الركاب إلى منطقة الكرادة الشرقية، تتوزع على أرضه أربعة أزقة تبدأ من جهة النهر لتتصل بشارع البتاوين (السعدون)، في الزقاق الأول وعلى نهايته المواجهة لجبهة النهر تقع (مقهى المنشية) وفي داخل الزقاق يوجد (معمل نامليت للمشروعات الغازية) الذي كان يملكه ويديره الأرمني وارتان كرابيت، وكان بيت روبين ستي المعروف بأبي كمال - وهو من أشهر صرافي بغداد آنذاك - يقع على جبهة نهر دجلة، وبيت جميل الأولفلي يقع بجانب بيته، ومن سكان هذا الزقاق الطبيب اليهودي (سلمان درويش) وكانت عيادته في بيته، ونشأة عبد الرحمن الأولفلي، ومكي عبد الرحمن الأولفلي وقريراً من بيته بيت أنطوان شamas عضو محكمة تميز العراق، وبيت اسكندر اصطيغافان، أما الرقاد الرابع الذي كانت في نهايته

المواجهة لشارع السعدون بينما الأورفلي ومركز للشرطة وبجانبه من جهة أبي نؤاس بيت كامل الخضيري، ويعد هذا الزقاق هو الحد الفاصل بين بستان الأورفلي وبستان صالح المهيدى. وثمة المنطقة البعيدة عن النهر وهي التي يقع فيها جامع الأورفلي حيث تحولت إلى أزقة وبيوت ودكاكين بعدهما كانت مزارع وبساتين قامت عائلة الأورفلي ببناء بعض البيوت فيها، وكانت أغلبية بيوتها قد بناها وسكنها اليهود، وكان من سكنة هذا الحي السيد عبد الكريم الأزري وزير المالية في العهد الملكي، والمهندس والمؤرخ اليهودي أحمد سوسة الذي اعتنق الإسلام.

كنت قد تخطيت الخامسة من عمري وأنا العب مع أقراني في حي البتّاوين الذي ولدت فيه، كان بيتنا يقع في المنطقة المحصورة ما بين شارع أبي نؤاس وشارع السعدون (نسبة إلى عبد المحسن السعدون رئيس وزراء العراق الذي اتحرى إبان العهد الملكي فترة الثلاثينيات والذي يشمخ تمثاله منتصباً وسط هذا الشارع وتحديداً في ساحة النصر الآن). بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، قامت حشود من الناس البسطاء بمحاولة رفع أو هدم معظم التماثيل القائمة في بغداد، منها تمثيل لـ: صدام حسين في ساحة الفردوس، عبد المحسن السعدون في ساحة النصر، أبي جعفر المنصور في حي المنصور، أبي نؤاس على نهر دجلة، بدعوى أنها من آثار النظام السابق، وكان بينهم لصوص قاموا بسرقة الجزء النحاسي من تمثال السعدون لإذابته وبيعه، وقد قامت أمانة بغداد بإعادة بناء القاعدة والتمثال حسب النموذج السابق.

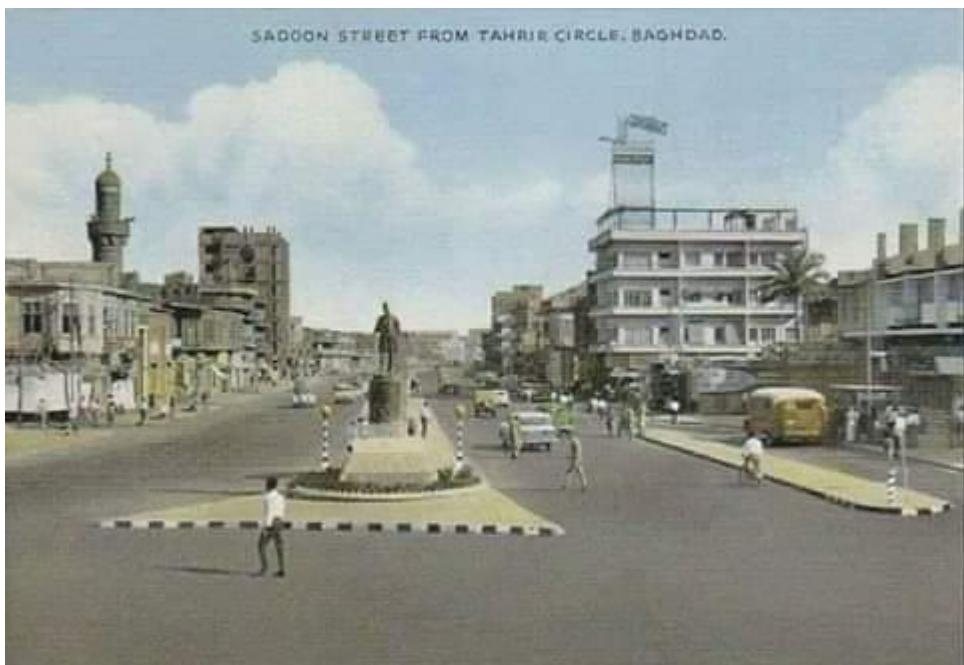
.....النهاية في البداية.....

شارع ابو نواس في بغداد عام 1951



شارع السعدون منطقة البتاويين عام 1954





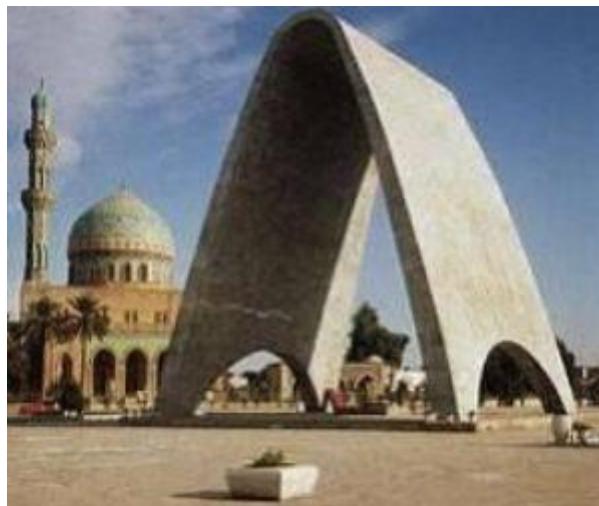
صورة نادرة تبين الموقع الأول لتمثال عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء العراقي الأسبق والذي انتحر عام ١٩٢٩، نفذه الفنان الإيطالي بيترو كاتيوكا عام ١٩٣٣ قبل أن يرفع وينقل إلى مكانه الحالي في ساحة النصر. تظهر إلى اليسار منارة جامع الحاجة نجية الأورفلي، وهو من معالم هذه المنطقة، وإلى يمين الصورة عمارة فاطمة والتي اشتهرت بمكتباتها الشهيرة، وبوجود محل الحلواني الشهير الحاج جواد الشكرجي وكافterيات كيت كات وأكسبرس فلسطين، ونلاحظ أيضاً وجود نقطة بداية ونهاية خطوط باصات مصلحة نقل الركاب... والموقع الآن يمثل مدخل ساحة التحرير وتفقهها من جهة شارع السعدون.



العراقيون يحتفلون امس برفع التمثال
 الجديد للسعدون في ساحة النصر ببغداد (اف.ب)

تم عمل التمثال الأصلي لعبدالمحسن السعدون^(٦٢) في إيطاليا من البرونز، وتم نصبه في ساحة النصر في شارع السعدون الذي سمى باسمه، وعقب إحتلال العراق في نيسان ٢٠٠٣، قام لصوص بسرقةه للإستفادة من مادة البرونز "النحاس" التي يتكون التمثال منها، وتم الإستعاضة عنه بتمثال آخر موجود حالياً بنفس المكان.

(٦٢) هو عبدالمحسن (باشا) ابن فهد بن علي السعدون، ينتمي إلى أسرة آل سعدون وهي أسرة يرجع نسبها للأشراف من سلالة أمراء المدينة المنورة (أعرجية حسينية النسب) وهم حكام إمارة المنافق تارياً، وكان ضابطاً رفيع المستوى في الجيش العثماني ، إنتمي للجمعيات السرية التي تدعو لإستقلال العراق وبعد الإستقلال وأثناء تأسيس الدولة العراقية تم تداول إسمه من قبل المجلس التأسيسي الذي رشح إسمه، تولى منصب رئاسة الوزراء أربع مرات في الأعوام ١٩٢٢، ١٩٢٥، ١٩٢٨، ١٩٢٩، وقد انتحر - لأسباب غامضة - ووُجده ميتاً يوم ١٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٢٩.



نصب الجندي المجهول في ساحة الفردوس من تصميم المهندس المعماري رفعت الجادرجي عام ١٩٥٩، أزيل عام ١٩٨١ وأقيم على موقعه نصباً كبيراً لصدام حسين، وقد أزيل هو الآخر عام ٢٠٠٣ م بواسطة دبابة أمريكية

إن شارع السعدون يمتد من الباب الشرقي، ساحة الملكة عالية (التحرير حالياً) شمالاً حتى مدخل الكرادة جنوباً، وتطل على جانبه الأيمن مباشرة بيوت كبيرة لليهود وفندق بغداد الذي انشئ في منتصف الخمسينيات، أما على جانبه الأيسر فتقع سينما بابل وسينما النصر اللتان بنيتا في منتصف الخمسينيات أيضاً، ومن ثم يخترق ساحة الفردوس التي يقع على أحد طرافها الآن نادي العلوية الذي كان بيت "مس بل" في العشرينات، وقد استخدمته ك منتدى ثقافي كانت تدعوه له مجموعة من الشخصيات الاجتماعية البارزة من وجهاه بغداد، وكان أبرز المقربين لها من جلاّسها الحاج ناجي رضا جادر اللامي - رئيس بلدية الكرادة آنذاك ومن ثم نائب عن بغداد في المجلس التأسيسي - لما يمتاز به من ثقافة ولباقة وسرعة بدبيهه وكرم، ويقول المؤرخ عبد الرزاق الجادر اللامي إن تسمية الجادرية نسبت لجده الحاج ناجي **الجادر اللامي**، أما ساحة الفردوس فقد كانت موقعاً لنصب الجندي المجهول بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م، ثم أزيل عام ١٩٨١ م ليستعاوض عنه بأخر في جانب الكرخ. كانت بيوت حي البتاوين تنتشر على جانبي شارع السعدون وكانت هذه المنطقة مسجلة آنذاك

بدوائر الطابو باسم "حي البتاوين" التابع لناحية الكرادة الشرقية و دفاتر نفوس عائلتنا في إحصاء ١٩٣٧ تشير الى ذلك.^(٦٤) إن اتجهت شمال هذا الشارع باتجاه الباب الشرقي تجد أمامك على يساره سينما الأورفلي (السندباد لاحقا) وفي الطرف الآخر منه على يساره تقع مدرسة التقدم للراهبات، وعند بلوغ ساحة الباب الشرقي على جهتها ليمنى تكون حديقة الملك غازي (حديقة الأمة حاليا)، أما على الجانب المقابل لسينما الأورفلي فيقع حي الأورفلي أو "الأورفلية" وجامع الأورفلي الذي مازال شاملاً موجوداً إلى الآن، وكان معظم قاطني دور هذا الحي على جانبي شارع السعدون هم من اليهود، وكلما تحدث السير بعيداً عن الباب الشرقي باتجاه الكرادة الشرقية، ترى الدور - التي شيّدت في وقت أحدث - أكبر مساحة من البيوت الأقرب، والشوارع أوسع، وإن واصلت سيرك نحو شمال الشارع، تجد بعد ساحة الباب الشرقي مباشرةً دور السينما كغازي والنجم والبيضاء الصيفي، ولاحقاً سينما غرانطة التي بنيت في الخمسينيات، تنتشر بالقرب منها على الجهة المقابلة لحديقة الأمة (حديقة الملك غازي سابقاً) البارات الشعبية التي تزدحم بروادها من الطبقات الفقيرة لرخص تسعيره ما تقدمه لهم. أما الجهة المقابلة لسينما الأورفلي من شارع السعدون الممتد من ساحة النصر حالياً إلى الباب الشرقي، والتي كان يطلق عليها اسم "الأورفلية" - أساساً كانت بستانًا يسمى بستان الأورفلي - فيسيطرها طريق إلى نصفين، أحدهما تطل واجهته على الشارع، حيث كانت بيته متلاصقة وأرقته ضيقة وأبواب دوره الرئيسية تقع على الزقاق مباشرةً، وأخرهما يمتد إلى ساحة الطيران وكنيسة الأرمن ومقربرتهم حيث كانت بيته يحدها قديماً من الجنوب سياج طيني تقع خلفه البساتين، وكانت المساحة التي تقع عليها ساحة النصر عبارة عن بستان يطلق عليه بستان الخس - كما ذكر لي أخي الكبير كاظم - ولم تكن البيوت جنوب السياج الطيني والتي تقع على الجانب الشرقي من الشارع قد شيّدت في العشرينية الأولى من القرن المنصرم، وإن ذهبت شرق "الأورفلية" ثمة "كمب الأرمن" الذي شيّد لهم بعد هجرتهم من تركيا إثر

(٦٤) دفتر نفوس والدتي الذي احتفظ به، الصادر من نفوس الكرادة الشرقية في ١٩٤٢/٨/١٨، مذكور في حقل الناحية "الكرادة الشرقية" وفي حقل المحلة او القرية "بتاؤين بستان مامو".

مذبحه عام ١٩١٥م، كذلك تقع كنيستهم وخلفها مقبرتهم وبجانبه ساحات تدريب مدارس الشرطة بأسوارها الطينية، التي بنيت على أرضها وزارات الصناعة والتربية والتعليم العالي، أما جانب الحي المطل على شارع السعدون من جهته الغربية فيقع فيه جامع الأورفلي، وبجانبه مطعم تاجران في الخمسينيات والستينيات، وقد تغير اسمه بعدها إلى أمريكا، وإن اتجهت شرقاً فثمة طريق وسطي يربط ساحة النصر بساحة الفردوس، ويتقاطع مع شارع "الزعيم" - التسمية جاءت بعد سقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣م - حيث كان فيه بيت عبدالكريم قاسم، الذي كان قد استأجره من دائرة الأموال المجمدة لليهود، ويستمر هذا الطريق الوسطي ماراً بمحاذاة ساحة كهرمانة إلى بدالة العلوية، ومن ثم مستشفى فيضي، التي يحدها شرقاً القصر الابيض "قصر الضيافة الملكي"، وبارك السعدون ذو الحدائق الغناء التي كان يقصدها البغداديون للترفيه عن أنفسهم، خصوصاً أيام الأعياد، لتصل إلى منطقة العلوية، التي كانت فيها دور الضباط الانكليز البسيطة والمبنية من طابق واحد، حيث أطلق عليها (دور العلوية)، وقد سمي نادي العلوية على هذا الأساس، وتنتهي حدود هذه المنطقة بالسدة الشرقية، حيث الآن شارع محمد القاسم السريع.

تقع في بداية هذا الشارع مدرسة البتاوين الابتدائية الأولى، التي تحدّها أزقة ثلاثة، يقع في أولها الجنوبي بيت صديقنا الملائم أول الطيار صباح نوري الموسوي - الذي قصف بطائرته حركة الشواف في الموصل عام ١٩٥٩م واعتقل بعد انقلاب شباط ١٩٦٣م فأرسل إلى سجن نقرة السلمان مع معتقلين آخرين بقطار الموت السيء الصيت - وهو شاب متوجه القامة مفتول العضل أبيض السحنة لطيف المعاشر، وأخيه علي نوري الذي كان معه في تلك المدرسة



القصر الابيض في العشريـة الرابعة من القرن المنصرم

ذاتها، وعلى بعد ثلاثة أزقة يقع بيت الصديق الملازم الطيار نوري كوريا، الذي اشتراك مع "صباح" في قصف الحركة نفسها، وكان شاباً طويلاً القامة أشقر وسليم الوجه، وبعد أكثر من خمسين عاماً التقى به عام ٢٠٠٤م في بغداد داخل قصر المؤتمرات وكان يمثل المسؤول العسكري الأميركي المشرف على منظمات المجتمع المدني العراقية، وقد تعرفت عليه - بعد أن سأله - من نبرة صوته المميزة وبقايا ملامح من وجهه لم تزل مطبوعة في ذاكرتي واستعدت معه تلك الأيام الخوالي، وفي الرقاد الثاني المقابل له، والممتد غرباً إلى شارع السعدون، يقع بيت كاظم الساعاتي، وولديه ناطق وطارق، وبيت الدكتور صالح البصام، وبيت هاشم جعفر، شقيق ضياء جعفر النائب والوزير في العهد الملكي وزوج ابنة الحاج محمود الاستربادي، أما الرقاد الثالث فهو الذي يحد المدرسة شمالي، وكان فيه بيت المحامي حسن العطار، وإذا استمررت في طريقك جنوباً يلاقيك كنيس اليهود ومن ثم حي الرواف الذي يسكنه أصدقاءنا ومعارفنا أبناء هزير، كامل (مفوض أمن إبان العهد الملكي) وكاظم وحسين وعباس، كذلك عبد الله الفياض وأخيه حمدي الفياض، وال الحاج كاظم البلداوي وابنه عادل الذي هو من عمري ومعي في نفس الصف المدرسي.

كان الشارع الذي يتقاطع مع شارعنا، حيث تقع على الزاوية اليمنى من تقاطعهما الواجهة الخلفية لسينما (النصر) التي اغلقت أواخر الخمسينيات وسميت (أطلس) لاحقاً، يمتد منحدراً من شارع أبي نؤاس على نهر دجلة مروراً بمحاذة فندق الامباسادور (السفير)- الذي شيده السيد خليل البحرياني والذي يقع بجوار بيت منشئ شعشوغ- إلى شارع السعدون الذي تقع في نهايته على جهته اليمنى سينما النصر "أطلس" التي كانت تمتد من الزاوية المقابلة لказينو "سيلكت" إلى نهاية هذا الشارع الذي تتقاطع مع شارع السعدون، كانت مقاهٍ عديدة تنتشر على جانبه الأيمن من جهة نهر دجلة، في الجزء الذي يقع ما بين ساحة النصر وسينما أطلس، حيث اشتهرت منها مقاهي فاضل وال حاج مجید وزناد، والأخير، الذي يقع قبالة ساحة النصر، شهد عام ١٩٦٠م اغتيال الشقي المعروف "خليل أبو الهب"، الذي كان صديقاً للشيوعيين، عندما كان يهم بالخروج من المقهى صوب سيارته الجيب التي كان قد ركّبها بجانبه.



(المدخل الخلفي لمبنى سينما النصر "أطلس حالياً"، والمواجه لمدخل كازينو سيلكت، انشأت في ثلاثينيات القرن الماضي وهي الان مخازن لبضاعة اصحاب محلات الديكور المجاورة لها، ويظهر البناء من الاجر القديم)

يذكر أخي الكبير كاظم ما يأتي: كان عبد الله القصاب "أبو فتّاح" صاحب أول محل قصابة في الباب الشرقي وهو صاحب "كبة أبو فتاح الشهيرة"، كان يدور على هذه المقاهي وكان يرتدي "الربون" أو "الصاية" ويحمل على رأسه صينية يضع فيها أقراص الكبة، وكانت على نوعين صغيرة بسعر (عaneة "أربعة فلوس")، وكبيرة بسعر عشرة فلوس، ويباعها على زبائن مقاهي زناد وفاضل وال حاج مجيد، ومن هذا المكان اشتهرت كبته تحت اسم "كبة أبو فتاح"، بعد أن فتح له محلًا متخصصاً بها في الزقاق الأول من هذه المنطقة.

لقد كانت هذه المقاهي تعجب روادها من اليهود والمسلمين والمسحيين، وتقع جمعية الشبان المسيحيين (YMCA) على الجهة ذاتها، يفصلها مبني سينما أطلس عن هذه المقاهي، وقد أزيلت هذه الجمعية في التسعينيات وأنشئت على موقعها بناية الخطوط الجوية العراقية، و كان يرتاد هذه الجمعية الكثير من الشباب السواح الأجانب، حينها كنا صغاراً وكنا نعتبرهم جميعاً من الانكليز نلاحقهم ونناديهم "صاحب... صاحب بخشيش" ليناولنا أحدهم "عaneة" أربعة فلوس أو "قران" عشرين فلساً، ونادرًا ما يعطوننا "درهماً" خمسين فلساً إن كان المانح كريماً لنعود به غير مدركيٍّ، فرحين بالهدية جذلين مسرورين.

كان لجارتنا الأرملة "فخرية الخبازة" ولدان شابان وثلاث بنات وكانوا كلهم أكبر منا سنًا، الشابان أكبرهما اسمه علي، كان مصاباً بمرض "السل" أي التدern الرئوي ورغم بنيته الضئيلة كان جريئاً، مشاكساً، أما ابن الثاني "لطوفي" - تصغير للإسم "لطيف" - فكان كفيفاً إلا أنه كان موضع اعجابنا، كنا نخافه ونهابه، كان "يتزعمنا" ونأتمن بأوامره بطريقة لا ندرك كنهها، لقد كان يقود دراجة هوائية وهو الأعمى، بعد أن يضع أمامه على "اللشة" أي هيكلها الأمامي، شخصاً مبصرًا يدلله على الطريق، وكان "لطوفي" يتسلق الأشجار، يفتش عن فراح الحمام "الفخاطي" في أعشاشها ليعود بها مخبأة في "عَبَّه" زيجه، ويجبرنا على شرائها منه، أو بيعها له إن لم نكن نملك ثمنها، وكان يعزف على آلة الناي بطريقة جميلة و كان عازف محترف، و كان يحرّضنا على

اعترض طريق الشباب اليهود اليافعين وهم يمرون بالقرب منا متوجهين في طريقهم إلى سينما النصر أو إلى المقاهي القريبة، ويقنعوا أنهم وحدهم من يتملك هذا القدر من المال، وهم جبناء (وهي النظرة الدونية أو الانطباع الذي كان سائداً عن اليهود حينذاك)، لن يعترضوا أو يردوا عليكم متى ما أخذتموهם، وعندها ستحصلون منهم على ما تريدون، وبدافع الخوف من لطوفي الأعمى، ولعدم إدراكنا، بسبب صغر سننا، حيث لم نكن قد تجاوزنا العاشرة من أعمارنا، كنا نتصدى لهم ممسكين بيد حجراً وفي الأخرى قطعة معدنية مدورة الشكل تشبه عملة "الريال" بحجمها وشكلها، وهي السدادة المعدنية لفتحة علبة الصفيح "التنك"، والريال هو العملة الفضية، المتداولة آنذاك، أكبر من الدرهم حجماً، عليها صورة الملك فيصل الأول، وهي تعادل أربعة دراهم أو مائتي فلس، نقدمها لهم على أنها ريال وكنا نطلب منهم صرفها لنا ولما كانوا يشاهدون الحجر بأيدينا ونحن نلوح به لهم، ينصاعون لطلبنا ويعطوننا ما في جيوبهم من نقود، خوفاً من أن تطال رؤوسهم حجارتنا وبعد أن يبتعدوا عنا ويكتشفوا أن القطعة المعدنية المدوره ماهي إلا سداده فتحة "التنكة"، يرمون بها إلى الأرض، فنهرع وللتقطه لنعيد اللعبة ثانية، ونعود بالنقود التي حصلنا عليها لنسلمها إلى لطوفي الأعمى الذي بدوره يعطي كل واحد منا وبكرم بالغ "عane" واحدة - تسميتها جاءت من العملة الهندية "آنة" - وتعادل أربعة فلوس.



الريال العراقي

على الزاوية الأخرى من الشارع الذي يقع فيه بيتنا، يطل بيت عباس حسن المهيدي "أبو ربيع" مختار محلتنا - الآن في موقعه بناية من أربع طبقات - وكان ابنه ربيع طالباً معنا في مدرسة البتاوين الأولى الابتدائية، التي تكون في الطرف الآخر من الحي، عبر شارع السعدون، في الشارع الوسطي الذي يوصل إلى الكنيست اليهودي، وكان مديرها المرحوم الاستاذ صادق الفتّال، ذو القامة المديدة والشعر الأبيض، مهيباً بوقاره وهدوئه، و كان نخافه ونهايته لشخصه وعصاه التي يحملها معه أثناء "تحية العلم" الصباحية، ونرغم على احترامه، وثمة معلم العربية الاستاذ شهاب أحمد والد الممثل أحمد شهاب، ذو القامة القصيرة المكتنزة، و مسطّره الخشبية التي كان يلوح بها ويعاقب الطلاب ويضرّهم على باطن أكفّهم بها، إلا أنّهم كثيراً ما كانوا يتّهكّمون عليه عندما يدير وجهه صوب السبورة، وكذلك معلم الانكليزية الاستاذ فرج، الأشقر ذو الصلة العريضة الواسعة التي تغطي جل رأسه، والتي تحرّم وتنشر عليها قطرات العرق عندما يبدو عصبياً، وفي درسه كان يعم السكوت بين الطلاب.

كان ربيع، ابن المختار عباس المهيدي، في الصف السادس الابتدائي، أي يكبرنا سناً، لكنه يوازي طالب جامعة الآن، حيث كان ضخماً و رياضياً، لاعب كرة سلة، حتى أنه كان يتّشاجر مع معلم الرياضة آنذاك الاستاذ كامل القيسي، الممثل لاحقاً، وكانت له أخت اسمها حليمة وقع في حبها لطوفي الأعمى، الذي كان يجبرنا على مرافقته والجلوس ساعات طويلة أمام باب بيتها، أو تحت شبابكه، لخبره أنها قد أزاحت ستارة الشباك، أو فتحت الباب قليلاً، ليهمس بحبه لها ويظهر لواعج هيمه بها، وهو الصب الذي لا تفصح عن عيناه، و نحن الذين كنا صغّاراً على مثل هذه الأمور لا ندرك أو نعي مغزاها وما هي المتعة التي يجنيها لطوفي منها و هو الكفيف البصير وقد توارت مقلتنا عينيه خلف ستارة جفنيه لتجحّب عنه رؤية الأشياء، و يبدو لي أنّ الحب في قلبه قد تخطى هذه الأشياء و تجاوزها!! في الجانب المقابل بيت عباس المختار، على زاويته المقابلة للشارع المؤدي إلى شارع أبي نواس والمتقاطع مع شارعنا، تقع كازينو "سليكت": لم تكن تبعد عن بيتنا أكثر من خمسين متراً، يديرها نسيم اليهودي

- الخمسيني، بكرشه الذي يتقدمه، وضحكته المجلجلة - الذي كنا نناديه عمون سيم، يقدم الخدمة لزبائنهما، وكان كثيراً ما يلطفنا ويمزح معنا لأولاده، كان بارعاً له قدرة التحكم في إخراج الأصوات من مؤخرته متى شاء، يخرجها موسيقية بنغمات مختلفة، يتحكم بها قد تطول أو تقصر، وكنا نستغرب ونندesh كيف يتحكم بها، ولا يخجل منها، وهو بهذا العمر المتقدم، فنخفي وجوهنا خجلاً، حابسين ضحكتانا، نخاطب أنفسنا: ألا يستحي من إخراج تلك الأصوات التي تعتبرها نحن عيباً كبيراً؟

في البال حادثة أتذكرها: كنت يومها في حديقة الكازينو، بعمر ست سنوات، كان يوماً صيفياً مشمساً، طلب مني نسيم الجلوس على كرسي، ذي قاعدة قد ضفرت من لحاء الخيزران، وأن أرفع "دشداشتني" عالياً إلى منطقة الصدر كي تظهر أعضائي في الصورة التي رام التقاطها لي، وبعد أن ظهرت لها أعطاها أخي، وقد احتفظنا بها في بيتنا لفترة، و لما شب طوقي وبلغت سن المراهقة، انتابني الحباء والخجل منها، فأقدمت على تمزيقها، ندمت بعدها كثيراً لتلك الفعلة، فقد كانت صورة غريبة التقطت في حديقة كازينو سيلكت الجميلة لتمثل ذكرى عزيزة علينا من ذلك الحي حيث حلاوة العيش المشترك بين أهله رغم اختلاف مللهم ونحلهم، إضافة لذكرى تلكم الكازينو، التي تمتد بمحاذاة الشارع المتفرع من شارع أبي نؤاس باتجاه شارع السعدون لتقف متهدية سينما النصر التي تربض شامخة على الطرف الآخر رغم ضآالتها أمام صرح هذه السينما، حيث ستبقى راسخة في الذهن لا تغيب عنه.

حينما العتيid الجميل المبهر الذي وصفته، كانت تقطنه غالبية من العراقيين اليهود، كانوا يعيشون ويتعايشون بانسجام وتناغم جميلين مع المسلمين من أمثال أهلنا، وأخرين من قاطنيه في تلك الحقبة من الزمن، وكانت بيوتهم قليلة جداً، قياساً إلى تلك التي يقطنها اليهود، أذكر منها بيت: سيد حسين العاني الذي يطل على نهر دجلة، خليل البحرياني، حمادي الخاصكي وأولاده حسن وحسين وعلي ومحمد وعباس، اسماعيل الخاصكي وولديه قحطان ورياض، عبدالحسين الجاسم وأولاده إبراهيم واسماعيل وصباح، حيث الأقرب منهم لنا اسماعيل الجاسم الذي كان ناشطاً

سياسيا، وقد اعتقل عام ١٩٥٥م وهو لم يزل شابا، ثم سافر إلى بريطانيا للدراسة مطلع السبعينيات، وكان هناك عضو جمعية الطلبة العراقيين التي كان يرأسها الشهيد خالد أحمد زكي، وثمة جارهم سلمان شيئاً نائب بغداد عن اليهود، حيث يقع خلف بيته كنيست يهودي صغير أمسى خربة، ويعقوب المنصور الذي انتقل سكنه معنا إلى منطقة بارك السعدون وولده منصور وعلى قرينان لنا، وعباس حسن المهيدي المختار وولده الوحيد ربيع، مهدي الرادود، كاطع محسن اللامي وأولاده حسن وكاظم وفوزي ومجيد وقاسم وعبدالله (نقيب سابق للصحفيين العراقيين)، وجاسم شمر وشقيقه علي، وجاسم محمد الملقب بالأجرب (الجدرة في وجهه) . حيث بيته ملاصق لبيتنا . وأولاده محمد و علي و كريم و ستار وابنته قسمة و حمديه، و كان جاسم الأجرب ومهدي الرادود (سمّاكه) يمتلكان محلين لبيع الأسماك على شاطئ أبي نؤاس، وأصبح كل من كاطع اللامي وجاسم الأجرب جيراناً ثانية، لما انتقلنا إلى بيتنا الجديد في بارك السعدون مطلع الخمسينيات، وجاسم هو شقيق "حجي" مجید محمد صاحب المقهى في شارع السعدون، وكان على من يجني الحمام أن يتقييد بتقاليد وأعراف وقوانين يلتزم بها هواة تربية طيور الحمام "المطيرجية"، فإن صادف أن اختلطت حمامات غريبة من سرب آخر وحلقت مع حماماته ونزلت داخل "برجه" عندها تعتبر ملكاً له، وإن طالب المالك الأصيل بها فعليه أن يأتي بأشخاص "صنف" لينزلوا عند من امتلكها، وبعدأخذ ورد وتدخل من هؤلاء الأشخاص ينتهي المجلس إما بإعادة الحمامات لصاحبها أو باستبدالها وتعويضه بحمامات أخرى.



حديقة (بارك السعدون) في بغداد في الخمسينات

الإنتقال الى حي بارك السعدون

لابد لنا من توصيف هذا البارك الذي يقع وسط حي السعدون، نسبة إلى عبد المحسن السعدون رئيس وزراء العراق عام ١٩٢٢، والذي اتحرر عام ١٩٢٩ وتخلidia له تم نصب تمثال له في شارع السعدون والذي سمي الحي بإسمه، وتمثل هذه الحديقة في الصورة جزءً منه، وليس كل حدائقه. أنشأت حدائق بارك السعدون في عهد أرشد العمري (١٨٨٨-١٩٧٨) الذي كان أمين بغداد فترة (١٢ تشرين الثاني / ١٩٣٦ - ٤ حزيران / ١٩٤٤) وكانت له دار سكن أنيقة في نفس الحي، تطل على هذه الحدائق، وهي لا تبعد عن دارنا أكثر من مئتين متر.

تم إنشاء هذه الحدائق على أرض مساحتها أكثر من مائة ألف متر مربع، تنقسم إلى ثلاثة حدائق، تتوسط الحديقتين الشمالية والجنوبية، حديقة وسطى على شكل دائرة، تتموضع في وسطها بركة ماء، ويتوسط هذه البركة قاعدة دائيرة الشكل مرتفعة بُنيت من الإسمنت، كانت فرقة موسيقى القِرب للشرطة العراقية، تستخدمنها لتعزف عليها الأناشيد والألحان الجميلة في الإحتفالات والمناسبات الرسمية، تحيط بها مروج خضراء وأشجار باسقة ومتنوعة الأشكال، ويزور هذه الحديقة طريقان يفصلانها عن

الحدائقتين الشمالية والجنوبية، ويربطانها بشارع النضال (الطريق العام) من الجهة الغربية ، وبالحي السكني من الجهة الشرقية.

الحديقة الجنوبية تنتشر بين حدائقها الطرق المعبدة لممارسة رياضة المشي، وعلى إمتداد جانبي هذه الطرقات العديدة توجد مصاطب خشبية يستخدمها رواد الحديقة من الشبان وصديقاتهم للجلوس عليها وإقتناص فرصة راحة بعد فترة طواف وتجوال في أرجاء الحديقة مشيا على الأقدام. وفي ركن يقع خارج الحدود الجنوبية لهذه الحديقة يوجد بيت جميل أخضر اللون أنشأته أمانة بغداد دارا للضيافة سمي (القصر الأخضر) على غرار (القصر الأبيض) قصر الضيافة الملكي الذي مر ذكره لكنه أصغر حجما وأقل مساحة، ربما خصص للضيوف من الشخصيات الأخرى التي تزور العراق، وقد خصص هذان القصران للضيافة لعدم توفر فنادق بمستوى يمكن إستضافة هذه الشخصيات بها. بقي القصر الأبيض قائما إلى الآن، أما القصر الأخضر فقد إحتلته بعض العائلات بعد عام ٢٠٠٣ وأصبح من (العشوائيات) وقسموه إلى عدة بيوت إتخاذوها سكنا لهم.

أما الحديقة الشمالية التي تبين الصورة قسما منها يقع جزئها الجنوبي على الجانب القريب من الحديقة الوسطى، ويقع فيه مبني صغير دائري الشكل جميل تعلو شرفته يحيط بها سياج مشغول من الحديد والخشب بتصميم رائع وجميل، تطل على بركة الحديقة الوسطى ولا تبعد عنها كثيرا، كان يجلس فيها الوصي على العرش عبد الإله والملك فيصل الثاني وشخصيات مسؤولة في الدولة أثناء المناسبات الإحتفالية، وفي الطرف الآخر من هذه الحديقة (السيكتينج) يوجد مكان للتزلج وهو عبارة عن ساحة كبيرة معبدة. مساء، ومرتفعة عن الأرض أعدت خصيصا للتزلج عليها بواسطة الباتيناج/ سكيت، ويستخدمها أيضا سائقو الدراجات الهوائية لإظهار براعتهم بحركات بهلوانية، ويقع في الشمال منها وخارج أسوارها مدرسة نموذجية بناها الإنكليز تحولت في عهد عبدالكريم قاسم إلى مديرية الأمن العامة، التي وسعتها حكومة إنقلاب تموز ١٩٦٨ حتى إمتدت حدودها وشملت كل هذه الحدائق وعزلتها

عن باقي أجزاء الحي الذي يقع حولها وتركت - فقط- طريقين يوصلان الحي بشارع النضال، وقد قطعت أشجارها أو ماتت بسبب الجفاف، وأمست هذه الحدائق أرضاً جرداء ومستنقعات آسنة.

يحيط بجميع حدود وأطراف الحدائق الثلاثة سياجات من الطابوق بإرتفاع لا يتجاوز المتر تعلوه أسوار حديدية مشكلة بجمالية تمنع الناظر إليها، وله أربعة أبواب كبيرة للدخول، ويحيط بالسياج جميع أطرافه طريق للسيارات ، وتنشر داخل هذا السور أنواع عديدة من الأشجار الباسقة وارفة الظل كأشجار الكالبتوس وأشجار النخيل، وتضفي أشجار الأَسْنَ وشتلات الورود الأخاذة المتنوعة مسحة من الجمال الفتان البهيج ، وتمتد في أرجائه السواقي وتتوزع على كل مساحات الحدائق الثلاثة، لينساب الماء فيها رقراقاً يسقي نباتاتها وأشجارها وينعشها، ويطلق نسمات باردة تلطف الأجواء المحيطة أيام الصيف القائمة، وتتوزع أيضاً على مساحاتها أعمدة الإنارة، حتى أمست مكاناً يرتاده الطلاب للمطالعة فترة الإمتحانات العامة خصوصاً طلاب سكنة (العاصمة) خلف السدة بسبب أنهم يسكنون بيوتاً طينية مكونة من غرفة واحدة، وبسبب كثرة عدد أفراد العائلة الواحدة التي تعيش فيها، إضافة إلى عدم تزفر الوسائل والأجواء المناسبة للقراءة وعدم توفر الإنارة ليلاً في بيوتهم فيأتون للقراءة تحت أضواء مصابيحها، ولإنها قريبة من مكان سكناهم.

بعد عقود من الزمن تحولت هذه الحدائق إلى أرض جرداً خالية كالحنة تنتشر فيها برُك الماء الآسنة وأصبحت مكبًا للزباله والأوساخ بعد أن كانت توصف بالحدائق الغناء، والمبهجة والرئة الطبيعية التي يتنفس منها أهل بغداد من الأحياء الأخرى عندما كانوا يرتادوها فترة الأعياد أو في العطل للترفيه عن أنفسهم ولقضاء أوقات ممتعة، وهم يصحبون معهم الألات الموسيقية ويقومون بالغناء واللعب، ويجد الأطفال فضاءً رحباً جميلاً يلعبون فيه ويستمتعون بأجوائه.

بعد تسفير اليهود القاطنين في حيناً البتاوين، مطلع الخمسينيات، إنقلنا إلى محلة بارك السعدون، وهي تنحصر بين شارع النضال والسدة الشرقية، وتمتد من جنوب ساحة الطيران، وكنيسة الأرمن ومدارس الشرطة (حالياً وزاري الصناعة والتربية والتعليم) إلى بيوت الانكليز (العلوية)، ومن سكان الجزء الشمالي المجاور للقصر

الأبيض، علي السليمان أمير الدليم وابنه حاتم وابن أخيه قحطان، وعيسي طه وابنه خالد، وشقيقه طارق، ونصرت الفارسي وابنه نصير، وأل المتولي: أيمن ومنذر وأحمد، ويعقوب المنصور الحسين وولده منصور وعلي، وشقيقه إبراهيم منصور الحسين وأولاده خليل واسماعيل وفاضل، وفائق الخطيب وولده مؤيد وصباح، وماجد رشيد، وكاكا عثمان، وهايكلز كاسكانيان وأولاده غازي ومانوئيل وهاكوب، وصهرهم أوهانسيان الخياط، ومؤيد الطباطبائي، وكانت تربطنا بكل هؤلاء صداقة حب ومودة، وفي الوقت نفسه انتقل إليها من ساكني حي البتاوين كل من: حمادي الخاصكي، جاسم محمد، كاطع اللامي، كاظم الساعاتي، وأمسوا جيرانا لنا، إضافة إلى عمي عيدان موسى، وجوفي الصكر، وابراهيم الشرهان، وعليوي الصدعة، ورشيد العامري، وعلى عبد حبس، وهنداس، وكاظم فرهود، ومجيد "عدوشة"، وعبد الحسين الجنابي والد جبار وخمير، وهاشم الجنابي وولده صباح هاشم الجنابي والصديق العزيز شبيب الجنابي (أبو سعد)، ومطشر الوادي وولديه جميل وهاشم، وكريم الوادي وولديه هاشم وزرار، ودحّام كاظم، وقد كانت لنا علاقات طيبة مع كل الذين ذكرتهم باعتبارنا أولاد حي واحد، وهذا ينطبق على علاقتنا الطيبة بالآخرين الذين بقوا يقطنون حي البتاوين القديم، مثل خليل البحرياني وعباس المهيدي وعبد الحسين الجسم.

كانت فخرية الخبازة وأولادها يشكلون حياً لوحدهم، لماهم عليه من صخب شقاوة وإثارة للمشاكل، فيمثلون رأس الرمح القتالي في الحي، و كانوا يتضرع إلى الله أن لا يقع أحداً في مشكلة معهم، وإن قيّض لهم أن يثيروا مشكلة مع أحد، فالويل والثبور له، لا يدرى من أين تأتيه الحجارة صاعقات متراشقات متهاويات عليه من فخرية وبناتها، معززة بسكاتين و"قامات" أولادها الشباب، بيد أنهم، رغم الشقاوة والتمرد، كانوا على كرم كبير وطيبة متناهية، وعندما يكون المرء معهم ودوداً لين العريكة يلاقي منهم الكثير من الحب والعطف والدعم، ناهيك عن حرصهم على أبناء الحي والدفاع عنهم جميعاً دون تفريق، لِمَا يكون الخطر آتياً من غرباء خارجه، فقد كانوا يستميتون بالدفاع عن حيهم، كما هي حال أبناء الأحياء البغدادية الأخرى.

إن الغرض من الاستطراد والتوضيح في الشرح والتوصيف، سابقاً ولاحقاً، لهذا الحي البغدادي، ولساكنيه، هو إعطاء القارئ صورة واضحة بينة عن طبيعة الحياة فيه، وشكل بيته، وطرقاته، وتنوع أهله، و التعايش المسلم المشترك بين أبنائه، ومتانة

أواصر المحبة التي تربط بينهم، والألفة التي تنتشر بين قاطنيه، رغم التنوع والاختلاف الديني والمذهبي والقومي، أما عن العلاقات السائدة آنذاك مع اليهود، فقد كانت تربط آباءنا بيهود حيناً علاقات صداقة وزيارات متبادلة، وود كبير فيما بينهم، ولم ينتبهم أبداً غير شعور المواطن العاقية من خلال التعامل المتبادل، وكان في هذا الحي الكثير من البيوت اليهودية كبيوت: يوسف شاموئيل ونسيم حسقيل وخضوري ميرلاوي صالح ساسون وشاشا وسليم منشي وكرجي داود، وداود ساسون زبيدة، المقاول الذي لم يترك العراق، وأصبح شريكاً يعمل باسم يعقوب المنصور، والأخير أصبح من كبار المقاولين العراقيين خلال الخمسينيات والستينيات، وهو المقاول الذي بنى مدينة الثورة الأولى، إضافة إلى العديد من مشاريع الطرق، وقد اعتقل داود بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨م، ومات في المعقل، وثمة كثيرون غيرهم، غابوا عن ذاكرتي، كانوا يسكنون أحلى البيوت وأغللها ثمناً في هذا الحي.

و هنالك أم سامي، زوجة يوسف شمطوب ، كأنها شاخصة حاضرة أمامي الآن، بشعرها الذي غزاه الشيب ولامست خصلات منه كتفيها، وفستانها البسيط ذي الألوان الزاهية وربطة شعرها التي تدفعها إلى مؤخرة رأسها قليلاً لتظهر بقiable، وأساور الذهب الكثيرة التي تزين كلاً مucchimها، وأقراطها الجميلة، وكلمة "ابدالك" أي "فديتك" بلهجتها اليهودية المحببة، حيث تسمعن إياها كلما كانت تطلب منها أن نطفئ النور في بيتها، إبتداءً من غروب يوم الجمعة، لكي تشعل الشموع التي يسمونها أضواء السبت، ولم أكن أدرك يومها لم لا تطفئه بنفسها أو بواسطة أحد من أهل بيتها؟ وبعد إلحاح بالسؤال عن السبب، علمت أن يوم السبت له قدسيته عند اليهود، وكلمة سبت معناها الراحة، ويحرّم الدين اليهودي العمل فيه، فهو يوم راحة لممارسة طقوس العبادة اليهودية، لذلك فإن اليهودي لا يطفئ النور بنفسه بل يطلب من الآخرين من المسلمين أو غيرهم أن ينوبوا عنه بذلك، وهذا مفهومه من أهلهنا، في حينه، جواباً على تساؤلاتي. وفي واحدة من تلك الأيام السبتية دخل إلى بيت أم سامي قريبنا جليل هوير -المعروف بفكاهته- و كان الباب الخارجي مشرعاً بينما أم سامي تجلس على "تحفة" في باحة البيت الوسطى تضع أمامها "طشت" غسيل الملابس وهي تدنن و تخرج أصواتاً من مؤخرتها بين الفينة والأخرى وكلما انبث

صوت من مؤخرتها قالت "وبا" وكأنها تلوم نفسها وتدعي عليها - كلمة "وبا" بلهجتهم تعني الدعاء بالوباء أو الوجع أو الموت وفي البغدادية يقابها قول المرأة "انزول عليك" - بينما جليل واقف من خلفها وبعد أن شعرت به التفت اليه قائلة: منذ متى وانت واقف خلفي يا جليل، قال لها من أول "وبا" يا أم سامي.



بيت قديم لليهود في البتاوين

كان بيتنا بسيطاً متواضعاً يرتكب وسط أسوار بستان النخل، يتكون من دور واحد ذي غرفتين، سقوفه خشبية، تتوسطه فسحة كبيرة، تسمح فيه أربع نخلات تتوزع على مساحة أرضه، إحداها نخلة "بربن"، تعطي رطباً أحمر يسود كله عندما يكتمل نضجه، كنت أحبه لمذاقه الحلو المركز، ينتصب على أحد أركان الفسحة تنور لخبزنا، وفي الركن الآخر زريبة لأبقار أبي كان يبيع حليبها إلى أهل الحي الميسوريين، يفصل سياج البستان بين بيتنا وبين مقاهي زناد وفاضل وحجي مجید، من الناحية الخلفية، وتقع واجهاتها ومداخلها على شارع السعدون، ومن الجهة الأمامية يفصل طريق بيننا وبين البيوت التي تقع على جبهة نهر دجلة، كبيوت خليل البحرياني وعباس المهيدي وعبدالحسين الجاسم.

كان بيت يوسف شمطوب (وكتيته "أبو سامي") يریض على شارع أبي نؤاس معانقا نهر دجلة بشرفاته المطلة عليه، لتكتحل عيونها به كل صباح، يودعها جمال غروب الشمس، تمنح جلاسها متعة النظر إلى روعة النهر وجمال انكسارات الضوء عليه، كان منظره خلابا ورائعا يشدك إليه، تحس بعظمة وروعة حينا، وكأنني به وطن صغير، يتسرب شعاعه إلى نخاع عظامي، فـيـمنـحـني نـشـوةـ عـارـمـةـ لاـ مـثـيلـ لـهـاـ،ـ لاـ أـدـريـ هـلـ لـأـنـهـاـ مـرـبـ الصـباـ؟ـ أـمـ هـيـ روـعـةـ المـكـانـ وـسـحـرـهـ؟ـ أـمـ هـوـ حـبـ دـفـينـ وـعـشـقـ شـفـيفـ لـذـلـكـ الزـمانـ وـنـاسـهـ وـبـسـاطـتـهـ؟ـ

تشاهد أمامك من الشرفة شاطئ دجلة و تشم رائحة تربتها ممزوجة برائحة السمك، واللوباء والخيار اللذين كان يزرعهما أخي كاظم على رمل شاطئه أيام الصيف، ومجاميع السباحين العائمة فوق مياه النهر المنحدرة من الأعظمية باتجاه الكرادة، وقد ثبت البعض منهم على ظهره "كرب النخيل" أو يعوم على "تيوبات الإطارات" المليئة بالهواء بمثابة "طوق نجاًة"، وتسبح الجوقة مع التيار المنحدر في النهر وهم يتبادلون أهزووجة يرددونها سوية، إذ ينادي معلم السباحة بأعلى صوته: أولاد بلبول؟، فيرد عليه تلاميذه: بلي، وكلهم يرددون هذه الاهزووجة: "أولاد بلبول....بللي / ماشفتوا عصفور.... بلي / ينقر بالطاسه.... بلي / حليب وياسه.... بلي" ، إلى آخرها، منسوية لاسم صفاني بلبول وهو معلم سباحة يهودي، وكانت ينطلقون من "شريعة" سيد سلطان علي منحدرين إلى الكرادة، وكانت لهم "جراديغ" - بشكل أكواخ من القصب - مبنية على شاطئ الضفة الشرقية لنهر دجلة بين الأعظمية والكرادة الشرقية، تكون عادة في فصل الصيف.

كان بيت شمطوب مكونا من طابقين و سرداد، مبنيا على الطريقة البغدادية، فهو شرقي يتوسطه فناء مفتوح "حوش"، أرضه مرصوفة بالأجر "الطاپوق الفرشي"، يمكنك أن ترى السماء من فتحته العليا، تحيط به غرف عديدة، وثمة سلم يقودك إلى طابقه العلوي الذي يشبه تصميمه نظيره الأرضي، يتقدمه رواق طويل، وتحيط به غرف كثيرة تطل أبوابها على الحوش السفلي يؤدي منه سلم آخر إلى "السرداد"، القبو، الذي كانوا يستخدمونه مكانا للنوم ظهر أيام الصيف القائمة بعد أن يضعوا طبقة من العاقول أو الشوك الأخضرالمثبت على أغصان سعف النخيل "الجريدة" على الشبابيك

التي تكاد تلامس سقفه مطلة على جبهة النهر، و كانوا يرشونها بالماء كلما يبست أو نشفت كي تعطيلهم هواء باردا منعشأ.



بيت بغدادي قديمبني بالطابوق "المنجور" وتظهر فيه "الدنك" الأعمدة والسقوف الداخلية، بطراز فني جميل شكله "الأسطة" أو "الخلفة" البغدادي.

كانت مداخل هذا البيت والأعمدة "الدنك" التي ترفعه من الداخل غاية في الجمال وروعة في العمارة والزخرفة على الأجر مضفيه رونقا وبهاء على بنائه، وهنا أتذكر تماماً "اسطه المنجور"، أو المعمار أو البناء أو الخلفة وما يطلق عليه الآن "اسطه جف قيم"، حيث كان يبني مثل هذا النمط من البناء، ينحت ويزخرف الأجر ويشكله بفأسه ذات النصل الحاد في مقدمتها الواسعة قليلاً والتي تشبه المطرقة في مؤخرتها، ثم يقتلع الأجزاء التي لا ترroc له من جسد الطابوقة المكعبية الشكل ليكون منها شكلان هندسياً جميلاً، يستخدمه في بناء أعمدة المداخل "الدنك" والأقواس والفتحات فوق

الأبواب الرئيسية "الرازونة" ويعطيها أشكالاً هندسية جميلة، وتراه يفترش الأرض ويترفع عليها وقد اعتمد "جراوية بغدادية"، وهي عبارة عن "شماغ" طواه بطريقة دائيرية على رأسه بعد أن وضع وثبت تحته طاقية بيضاء "عرقجين"، وهو مزهو بعمله، مستمتع به، يعامل "طابوقاته" بكل محبة وحنان ليخرج منها لوحة زخرفية جميلة بعد أن يجمعها ويشكلها.

السقوف الداخلية عادة كانت تغلف بالخشب الأحمر المزخرف والزجاج الملون، والدرازين التي تؤطر السلالم، هي الأخرى من الخشب الجاوي أو الصاج المدهون المشع حمرة والممتد معها صعوداً محاذياً للرواق العلوي، ليشكل حاجزاً يمنع سقوط الأفراد، كذلك الشبابيك الخشبية التي تزيينها ألواح زجاج بألوان متنوعة جذابة كأنها ارتدت حلقة قشيبة، أما الأرضيات فهي من البلاط "الكاشي الموزائيك" تزيينها نقوشات وزخرفات ورسومات متنوعة، تعطيها الألوان الجذابة إشراقاً وجملاً منقطعي النظير.

وثمة "الديوان"، ذلك الركن المبهر الذي يرتفع قليلاً عن مستوى أرضية الحوش، تحيط به ثلاثة جدران مزخرفة، تخرج منها رفوف من الطابوق جميلة الشكل، يوضع عليها بعض أعمال الزينة أو "التنكة" الجرة في الصيف، ويطل على الساحة الوسطية من الجهة المفتوحة، يمكنك أن ترتقيه عبر سلم بسيط مكون من درجتين أو ثلاث، فرشت فيه "كرويتات" أو "قنفات" غطيت بسجاد إيراني كاشاني طغى فيه اللون الأحمر على نظيره الأزرق، وضعت عليه وسائل وأرائك جميلة من الصوف المزركش، حتى أني كنت أختلق الأعذار و الحجج لأم سامي عندما كانت تناديني لإطفاء أنوار بيتها كي أبقى أطول فترة ممكنة فيه، لأشتمع برؤية هذه الجمالية في البناء ورفاهية الآثار والفرش، وكان أصحاب البيت يستخدمون هذا الديوان لشرب الشاي في "الضحوية" أو "العصرونية". وكانت الغرف كلها مفروشة بأسرّة جميلة عليها أغطية نظيفة زاهية ووسائل غاية في الاتقان ومن نفس نوع القماش وقد طرّزت عليها رسومات وورود، وكنت أقارنها بوسائل بيتنا، التي كانت من قماش ذي لون واحد، ملئت وحشيت قطناً أو صوفاً، ألوانها باهتة، يعكس التي لديهم، فقد حشوها بريش الطيور ناهيك عن

ألوانها الزاهية، وأثاث بيتنا التي لا يعتد بها، فقد كانت غرفة الجلوس فيه واسعة عربية الطراز يمتد على طول أرضها و لصق جدرانها سجاد مستطيل الشكل عليه وسائل صوفية يتکئ الجالس عليها، ويتوسطها منقل و دلال قهوة أبي و هاونه ومحمدًا.

كان أبو سامي "يوسف شمطوب" تاجر شاي في سوق الشورجة يمتلك سيارة شوفروليت "كشف" سقفها من القماش "تنته" كما يطلق عليها، لونها رمادي براق وكراسيها من الجلد و مقودها من العاج الأبيض، و هنا أذكر أن عرضا سحريا قد أقيم يوماً و جيء بساحر أو بهلوان، خصص له مكان مقابل سينما النصر في الحي وقد استلقى على ظهره مفترشا الأرض واضعا لوح خشب على جسده لتمر فوقه سيارة أبي سامي العتيدة، فكنت مندهشا لقوة هذا الرجل أو لسحره عندما قام منتصبا بعد ذلك، لهذا انطبعت هذه الحادثة في ذاكرتنا أنا و أقراني عبدالله ياسر ابن عمتي فجر و عباس عبد الحسين ابن عمتي نجية الساكنين معنا، وابن جارنا فوزي كاطع اللامي، الذي كانت أمه تلبسه قرطا ذهبيا يتدلّى من شحمة اذنه وقد أطالت شعر رأسه معتقدة أن عين الحسد سوف لا تصيبه وهو يبدو للناظر بمظهر الفتاة، وكان المشهد هذا يسحب ذاكرتي نحو حدى آخر، حيث كنا نخرج نحن صبية الحي يوم خسوف القمر وبأيدينا علب من الصفيح و الصوانى نقرعها لتعطي أصواتا فيما نردد "ياحوته يا منحوسة، هدي قمنا العالى، و ان كان ما تهدينه لدقلك بصينية"، إلى آخر هذه الترنيمة، وقد أخبرنا أهالينا إن لم نطلق مثل هذه الأصوات و نزعق عاليا فستنقلب الدنيا وتقوم القيامة أي تكون الآخرة قد حلّت.

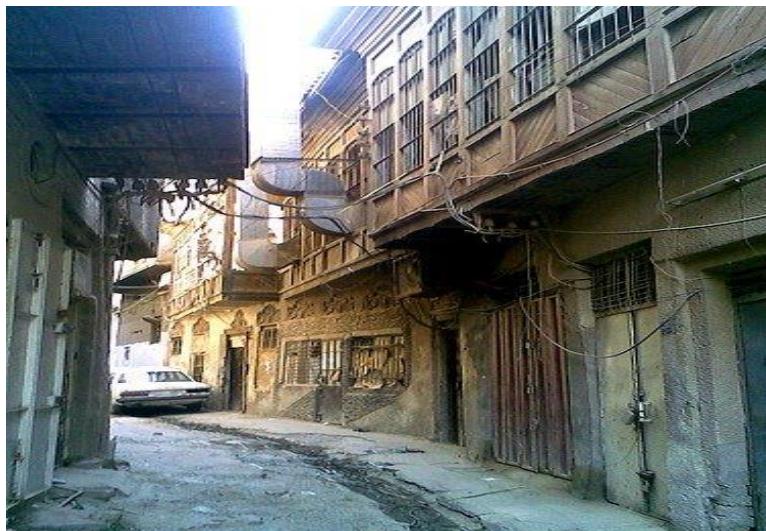
كان يوم السبت عطلة اليهود، ولم يكن وقتئذ من وسائل لهو غير المقاھي والسينمات والبارات، وكان كبار السن منهم وحتى شبابهم يرتادون مقهي زناد وال حاج مجید، اللتين تقعان في الحي، منذ العصر حتى المساء، يحتسون الشاي ويدخنون الأركيلة، مستمعين لأغان عراقية تتعالى من جهاز الكرامافون، أو "القوان" كما كانا نسميه، كما كانوا يطلبون سماع أغنية لأم كلثوم، تتردد فيها عبارة "شدة

وتزول ياعين"، وها أنا الآن أتذكّرهم بلباسهم التقليدي "الصاية" أو "الزيتون" الأبيض بالخطوط السوداء، معتمرين الطرابيش الحمر "الفينة"، أو بلباس أوربي مع "سدارة" على الرأس يطلق عليها الفيصلية، وشبابهم قد مشط شعره وصفّفه بطريقة جميلة بعد أن ثبته بالكريم الذي يعطيه لمعاناً كنا نندّهش له.

لقد كان تعدادهم بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م في العراق يتجاوز المائة والثلاثين ألفاً، و كانوا شركاء فاعلين في الدولة العراقية التي تأسست في آب ١٩٢١م، حيث تم استئجار حسقيل ساسون للمالية في الحكومة المؤقتة واستمر بذلك بعد التأسيس، كما تبوا يهود آخرون مراكز في الدولة الفتية، و كان لهم دور ملموس في الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية، إذ مارسوا التجارة والهندسة والفن والسياسة، و قدموا خدمات كبيرة وكثيرة للعراق، و كانت هذه فترة تميزت بتمتعهم بالحرية الدينية، حيث بناء كنيسهم في مدن بغداد والبصرة والناصرية و مزاراتهم كالكفل فيحلة والعزيز في العمارة، و ممارستهم طقوس عبادتهم، فكانت تلك الفترة بمثابة العصر الذهبي الذي قدموا فيه أفض خبراتهم وكفاءاتهم في خدمة البلد.

في عام ١٩٩٤م بينما أنا جالس في معرضي، على شارع الجمهورية في الجزء المجاور لمحلّة الفناهرة التي يقطنها أغلبية يهودية منذ العشرينيات حتى الخمسينيات، إذا بشاب، ذي عشرين عاماً، يدخل عليّ يحمل بضاعة يروج لبيعها، وبعد مساومة طويلة على سعرها، لم يتأنّف خلالها - ولا تصايق أو تبرم - بل كان سلساً يمتلك قدرة الاقناع، أقسم لي بالنبي موسى بأن ربحه فيها قليل، وصدقته بعد ما علمت أنه يهودي واسميه عامر موسى، لكن الذي أثار استغرابي صغر سنه وهو لم ينزل مقیماً في بغداد يسكن حي الفناهرة القديم العريق، الذي كان في الأربعينيات حياً يهودياً، وقد ظل يتردد علينا كثيراً يعرض بضائعه المتنوعة التي كانت تتراوح بين المشروبات الكحولية، من الأنواع الجيدة الفاخرة التي يحصل عليها من الأسواق المركزية، وبين الملبوسات والمأكولات والحلويات، دون أن يرد للزبون طلباً، فعادت بي الذكرى إلى الأيام

الخواли لليهود، حيث كانوا مسيطرين على الشورجة وأسواق الجملة وتجارة السيارات، وبارعين في التجارة الخارجية، حتى أن أكثر الدلالين "القومسيونجية" كانوا منهم، وتيقنت أنهم يمتلكون من الذكاء والفطنة والشطارة ما يجعلهم يتتفوقون على أقرانهم من العراقيين الآخرين.



أحد أزقة حي الفنارة

حين كنا طلابا صغارا، في طريقنا إلى مدرستنا ، نمر من أمام باب جانبي للكنيس، أو "التوراة" بحسب ما نطلق عليه، يطل على شارع فرعى يقع فيه مبنى الكنيس، مؤدى إلى الشارع الرئيسي حيث البوابة الرئيسية للمبنى، في الجانب الشرقي لحي البتاوين، الذي يمتد شمالاً من منطقة الأورفلية، جهة "حديقة الملك غازي"، ليصل جنوباً إلى الشارع الرابط ما بين ساحة الفردوس وشارع النضال، وتقع على الشارع الرئيسي الممتد وسط الحي مدرسة البتاوين الابتدائية، يقابلها على الطرف الآخر دكان الحاج عبد الأمير العطار الشهير (الذي كان بمثابة صيدلية للأدوية الشعبية)، وتنشر فيه محال الخضرة الممتدة على طوله، وكنت أقطعه في طريقي إلى مدرستي تلك، فأشاهد الأطفال يرشقون الحجارة نحو داخل الكنيس من مدخله الجانبي، ولم أكن أدرك سبب هذا التصرف المتمس بـالعدوانية، لكنني كنت رغم صغر سنيأشمئز منه وأجده

اعتداء سافرا على أناس مسالمين، لم يكن ردتهم يتعدى غلق باب كنيسهم بوجه المهاجمين، وهم الذين يشاطروننا العيش في الحي بسلام و دعوة، هؤلاء الذين تحدروا من سلالات سكنت العراق منذ السبيين الآشوري عام ٦٩٧ق.م والبابلي عام ٥٨٦ق.م لليهود.



معبد اليهود (الكنيسة) في البتاوين (مهجورة حالياً) وتظهر البوابة البيضاء الجانبية التي كان الاولاد يرمون الحجارة منها الى داخل المعبد.

لقد أدركت بعد نصح ووعي أن الاعلام الرسمي العراقي، آنذاك، هو الذي كان يدفع مسلمي بلدنا بهذا الاتجاه، يساعدونه في ذلك الشعور الديني المتطرف لدى الكثيرين منهم، إذ أنهم لم يضعوا في اعتبارهم عراقية اليهود ووطنيتهم، ودورهم البارز في بناء العراق المعاصر، وإسهامهم المتميز الفاعل في اقتصاده، حيث يعدّ أبرزهم حسقيل ساسون أول وزير مالية في أولى حكوماته بعد الاستقلال، وقد أسس النظام المالي الحديث للدولة العراقية الفتية لدرجة تثبيته بيع نفطها بجنيه الذهب - لا بالجنيه الورقي - رغم محاولات البريطانيين لإثنائه عن هذا الإجراء، إضافة إلى "ابراهيم وشفيق عدس، وكلاع شركة فورد، لاوي وكلاء جنرال موتورز، وكان أكفاء مدرسي اللغات الأجنبية، صالح شمیل للفرنسيّة، وحسقيل افندي للإنكليزية، وكان أكبر

التجار المستوردين للمواد الصحية من اليهود سالم شمعون هو الذي أدخل (الكizer) السخان والبانيو إلى حمامات البيت البغدادي، وأكبر المخازن لبيع الأقمشة على اختلاف أنواعها كان مخزن شاشا في خان الصفافير، وبيت حّاك هم الذين استوردوا ماكنات (سنجر) وكرامافونات (صوت سيده) واسطوانات بيضافون إلى العراق، بيت سودائي هم الذين أسسوا المعمل الذي ينتج الطابوق الرمادي اللون المعروف باسمهم، بيت بلبول اشتهروا بدلالية وبيع الأراضي، وسليم بلبول هو الذي تولى بيع أراضي الوزيرية لحساب الخزينة الملكية الخاصة، بيت دنكور احتكروا تجارة الورق والمقوى وسائر صنوف القرطاسية، وأكثر من نصف أعضاء غرفة تجارة بغداد كانوا من اليهود".^(٦٥)

ناهيك عن مساهماتهم الفكرية والأدبية والفنية، حيث برع منهم فيها من يشار لهم بالبنان، خصوصاً أحمد سوسة، الذي كان اسمه نسيم قبل إسلامه، وهو مهندس ري، أشرف على أكبر مشاريع الري في العراق، فضلاً عن كونه كاتباً ومؤرخاً، له مؤلفات عديدة منها: نظام الامتيازات في الدولة العثمانية ١٩٣٣م، في طريقي إلى الإسلام ١٩٣٦م، تاريخ حضارة وادي الرافدين ١٩٤٤م، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ١٩٤٨م، تطور الريف بالعراق، دليل ري العراق، سدة الهندية (هذه الكتب باللغة الانكليزية ١٩٥٤م)، مفصل العرب واليهود في التاريخ، حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، فيضانات بغداد في التاريخ، ١٩٦٣م، ومن كتبه الهامة تاريخ يهود العراق العربي، واليهود في التاريخ، وبرز منهم في مطلع القرن التاسع عشر الصائغ المعروف يشوع جنكنة، كما هو الحال مع الكثير منهم من الصناعيين وملوك الأراضي الزراعية واصحاب الحرف والمهن الحرة، الذين ينتشرون وسط وجنوب العراق، وغرب العراق وتحديداً في مدينة عانة كان لهم وجود واضح ومؤثر.

أما الفنانين فكان منهم الأخوين داود صالح الكويتي، وسليمة مراد الملقبة بـ "سليمة باشا"، والتي كانت ترفع علماً على مقدمة سيارتها، وأخرين برزوا في هذه المساهمات، وغيرها، كانوا يرفضون مغادرة الوطن، والانسلاخ منه والابتعاد عنه، إلا أن

(٦٥) بغداد كما اعرفها -يهود العراق -امين المميز -١٩٨٤

الحكومة العراقية قامت بتسفير أغلبهم على عجل وبالإكراه، بعد إسقاط الجنسية عنهم، متواطئة في ذلك مع الحكومة البريطانية والصهيونية العالمية.

كان أبو سامي يوسف شمطوب يمتلك عقارا بالقرب من الكنيس في البتاوين وكان قد عرض على أبيه أن يسجله باسمه في دائرة الطابو قائلاً: احسن ما يروح للحكومة " بيد أن أبي رفض هذا العرض لسببين، أولهما أن هذا في ديننا محرم شرعا باعتباره مالا مغتصبا لأن مالكيه كانوا مكرهين ومحبرين على تركه أو بيعه، حيث أجبرهتهم الحكومة على مغادرة العراق بعدهما اسقطت عنهم الجنسية العراقية، وثانيهما أن أبي سامي هو جار وصديق وبيننا عشرة طولية، لكنه عاد ثانية ليقول: " يا أخي ادفع قيمة العقار حليبا لأنك اشتريته وبهذا لا تخالف الشرع خصوصاً أنني أرغب أن تأخذه أنت برضائي ولست مكرها على ذلك، إلا أن أبي أصر على موقفه قائلاً: مهما دفعت لك فيه فانك في داخلك مكره على تركه غير راغب في بيعه فدع الحكومة تأخذه لتحمل وزر خطيئتها.

وفي مطلع الخمسينيات فرغ حي البتاوين من ساكنيه اليهود، فترك أبي بيته في هذا الحي، الذي ولدت فيه وفتحت عيني عليه وعشت طفولتي بين ربوعه، لينتقل بنا إلى حي بارك السعدون، الذي يعتبر امتداداً للحي ذاك، حيث اشتري أرضاً عمر لنا بيته عليها، ورغم بعد المسافة الزمنية التي تفصلني عن حيناً القديم "البتاوين" لم يزل الحنين والشوق يأخذاني إليه لأزوره بين الفينة والأخرى وأ sisير في طرقاته وأكحل عيني بروءية بقية من بيته التي تحمل عبق تلك الأيام، رغم تهاؤه في جدرانها وتداعي أبوابها وتهشم شبابيكها، وتغير الكثير من معالم شارعنا وما يحيط به، فأقف حائراً واجماً مذهولاً وخيبة أمل تسربلني، ونظرة حزن تؤلمني، وأن أنا أتطلع إليها، أمام بيت "شمطوب" الذي تحول إلى مشرب لكنه مازال يحتفظ بجماليته المعمارية لم تمسه يد التخريب فتعود بي الذكرى إلى الطفولة ولعبها البريء، والحرارة وناسها الطيبين، وجمال وبهاء تلك الأيام الهائلة، لتنهمر دموعي دون أن تستأذنني، وعيني شاخصتان صوب ذلك البيت تشيع بنظراتهما بقايا أبوابه وشبابيكه القديمة.

ما يحز في النفس أن الحي فترة الحرب العراقية الإيرانية في الثمانينيات قد تحول إلى سكن للعمال العزّاب من المصريين والسودانيين، وانتشرت في شوارعه محل

الديكور وأدواته، وبضع عمارات سخيفة سقيمة، كأنها توابيت موتى صفت فوق بعضها!، ولم يعد المار فيه يشم عبير القداح المنبعث من أشجار البرتقال والرارنج، وعقب "طلع" النخيل في موسم الربيع، ورائحة "السعادة" المنبعثة من شاطئ دجلة، وكأنني بها زائرة شفيفة لبيت أبي سامي المطل على الشاطئ ترمقه بنظرة عتاب، تجر خلفها أذيال الخيبة والحزن، وتخلج من القاء التحية على ما تبقى من بيوت الحي، وهي التي تحمل معها أريج نسيمات دجلة الخير وشواطئه التي غطتها شجيرات اللوبياء الخضراء ونباتات خيار "المي" ورائحة درنات جذور نبتة "السعادة" وأشجار الزور أو "الظرفة" كما كنا نسميتها، وهواء الشط المحمل بأريج رائحتها التي تحفي الميت أو "ترد الروح" كما كان يقولها أهلنا، ترافقها حسرة حرّى، وزفة آه على ذلك الزمن الجميل، الذي لن يعود.

الفصل الرابع

العنف السياسي ضد حزب القيادة المركزية

إن جميع الأنظمة التي جاءت إلى السلطة نتيجة انقلابات في مراحل العهد الجمهوري التي تلت ثورة تموز ١٩٥٨م، كانت تعطي الأولوية لتحقيق مصالحها بعد حماية نفسها مستخدمة كل الوسائل القمعية الدموية لثبت سلطتها، مع الإشارة إلى أن كل تحقيقاتها مع القوى المعارضة لها كانت تدار بسلطة قمعية سياسية لا بمهنية قضائية.

لابد هنا من العودة إلى الفترة التي تلت انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م، والممتدة حتى عام ١٩٦٨، حيث كانت حبل بصراعات داخلية، لم تقتصر على الحزب الشيوعي العراقي وحده بل انتقلت إلى الأحزاب الأخرى، ومنها "البعث" حين انقسم إلى جناحين، كل منهما يحمل اسم "حزب البعث العربي الاشتراكي"، هما الجناح اليساري الذي اعتقلت قيادته بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨م، في قصر النهاية، والجناح اليميني الذي اعتقل هذه القيادة مخيراً إليها ما بين الاعتزاز السياسي والانضمام القسري له بزعامة "البكر - صدام". وكانت هذه الصراعات الداخلية قد طالت الحركة القومية عموماً، قبل ذلك حيث حصلت انقسامات في صفوفها، فكان الحزب الاشتراكي العربي المنشق عن حزب الاستقلال عام ١٩٦١م، وكان من زعمائه عبد الرزاق شبيب وأحمد الحبوبي وتوفيق المؤمن، وحزب مؤتمر الوحدويين الاشتراكيين (إياد سعيد ثابت)، وحركة الاشتراكيين الديمقراطيين (فؤاد الركابي)، والرابطة القومية (هشام الشاوي)، وحركة القوميين العرب، التي انقسمت ثانية إلى الحركة الاشتراكية العربية بقيادة عبدالإله النصراوي ومؤتمر القوميين الاشتراكيين، وحزب الكادحين العرب، وحزب العمال الثوريين، وحزب الوحدة الاشتراكي، والعصبة القومية، والمؤتمرون القومي، وحركة الوحدويين الاشتراكيين. حتى أن بعضها ذهب إلى تبني الفكر

الماركسي، ورفع شعار الكفاح المسلح، كالحركة الاشتراكية العربية، التي كان يقودها عبد الإله النصراوي، والتي تعاونت بنشاطها خارج البلد وفي كردستان العراق مع حزب القيادة المركزية خلال فترة قيادة الرفيق إبراهيم علاوي له.

كذلك ثمة وقائع أدت إلى انشقاق حزب القيادة المركزية عن الحزب الشيوعي العراقي، كان في مقدمتها السياسات التي مارسها هذا الأخير، بعد النكسة الكبرى عام ١٩٦٣م، منذ انتهاجه خط آب ١٩٦٤م اليميني، الذي بارك قرارات التأميم التي أصدرتها حكومة طاهر يحيى ومنظّرها خير الدين حسين في عهد عبدالسلام عارف، حيث الدعوة للتعاون مع الاتحاد الاشتراكي، و فكرة دمج التنظيمين، و توحيد نشاطيهما، فتم خض اجتماع اللجنة المركزية عن إقرارها بنظرية التطور اللارأسمالي، وقد ورد في بيانه "إن الثورة المصرية انتقلت إلى مرحلة جديدة... هي مرحلة التحولات الاجتماعية الهامة، التي نقلت الجمهورية العربية المتحدة إلى طريق التطور اللارأسمالي وباتجاه الاشتراكية" متابعاً "تمارس انجازات الثورتين المصرية والجزائرية نفوذاً متزايداً كطموح لنضال كل الشعوب العربية والافريقية، وهي قد وضعت جمهوريتين شقيقتين في طليعة العالم العربي" ثم معترفاً "اتخذنا نحن الشيوعيين العراقيين، في الماضي مواقف انعزالية تجاه حاملي شعار الوحدة العربية، وكانت المعادلة التي طرحناها بعد تموز خاطئة... كان علينا أن لا نرفع أصواتنا بدعاوة مناقضة مع الدعوة إلى الوحدة... إذا كان علينا أن نعترف بإمكانية تطور العراق على أساس الخط اللارأسمالي، فإن علينا حتماً أن لا ندخل حزيناً في طريق الاستيلاء على السلطة، و سنبقى في الطليعة، ولكن هناك قوى أخرى تتبّنى أهدافنا تدريجياً، وهذا يتضح جلياً من خلال مقررات الاجتماع الموسع في ٩-١٠ تشرين أول ١٩٦٥م، وجلسة ١٩ تشرين الثاني ١٩٦٥م للجنة تنظيم الخارج لدراسة مقررات الاجتماع الموسع".^(٦٦)

إن مسألة (الطريق اللارأسمالي) شكلت القاعدة لخط آب، و موقف قيادة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي كان متناقضاً مع المزاج الأساسي لجملة كادره

(٦٦) هنا بطاطو - العراق - الكتاب الثالث - ص ٣٥٢، ٣٥٨، ٣٦٨.

المتبقي الذي كان يتجه يساراً بشكل متزايد، وإن الخلافات والتناقضات و"الشللية" كانت قائمة بعد عام ١٩٦٣، داخل هذه القيادة، حيث اختلف وجهات النظر و"الضبابية" في رؤية سياسة الحزب المستقبلية، على كيفية القيام بالثورة واستسلام السلطة، فضلاً عن الصراع والتجاذب القائمين بين أعضاء قيادته، واستقطاب الأفكار ومراوحتها بين اليمين واليسار، فانقسمت إلى فريقين كان بينهما فريق وسيط توفيقي مثله الرفيق عزيز محمد سكريتير الحزب، في محاولة منه لتوحيدها والحفاظ عليه من التصدع، وقد ضاع بينهما، بسبب افتقاده للدور الريادي الريادي، الذي يجب أن يبرز في مثل تلك الظروف لجسم الموقف، لفترة استمرت على مدى أربع سنوات، فبدلاً من بلورته الآراء المتصارعة والخروج منها باستنتاج موحد يرسم سياسة الحزب ويقنع أعضاء قيادته وكوادره وقواعده بصواب التوجه، وهنا تتبين السمات القيادية الخلاقية، تحول إلى مهدئ للخواطر وموافق بين الأطراف المختلفة مبقياً على الاختلاف والصراع بينها، بعدما بدا مستتراً خامداً، ليعيش الحزب وقيادته حالة "مرضية سريرية"، رافقها تشوش عند الكثير من الكوادر المتقدمة للحزب، ما أدى إلى انشقاقة في ١٧ أيلول ١٩٦٧م.

هكذا تولدت قناعة لدى معظم رفاق الحزب الشيوعي العراقي بأنه لم يعد حزباً ثورياً وأن السياسة التي ينتهجها تمثل الفكر اليميني الذيلي، وليست لديه النية الجادة بالشروع في تغيير النظام القائم، والتصدي الحازم للقوى المعادية، وهذا ما كانت تدعوه له أكتيرية جماهيره وكوادره، حتى أن بعض الذين لم يلتحقوا بالقيادة المركزية (ف.م)، وبقوا مع اللجنة المركزية (ل.م)، كانوا يحملون نفس القناعة، منتقدين ومخطئين، لكنهم رأوا أن الانشقاق ليس حلاً، كونه يضر بتماسك الحزب ولا يحافظ على وحدته، التي كانوا يعتبرونها مقدسة لا يمكن المساس بها بأي حال، وربما كان أحد أسباب رؤيتهم هذه هاجس الخوف لديهم من الانشقاقات السابقة التي قامت بها كتلنا "راية الشغيلة" و"وحدة الشيوعيين"، والتي طالت جسده في الأربعينيات والخمسينيات، ومع ذلك جاء رفض قيادة منطقة بغداد لتوجهه (ل.م) بغالبية

تنظيماتها العمالية والطلابية والنسائية، إضافة إلى قطاعات واسعة جداً من التنظيمات المدنية والعسكرية للحزب، في كافة أنحاء العراق، ناهيك عن تعاطف أغلب رفاقه في السجون، أي أن أكثرية الشيوعيين قد انضمت له (ق.م)، وفي هذا الصدد يقول حنا بطاو: "كانت قتالية اللجنة المركزية من نوع القتال على الورق وحسب، إذ أنها لم تتخذ، في الواقع، أي مبادرة على الإطلاق ضد الحكومة، وبشغلها الآن موقع اليسار لم تكن اللجنة المركزية تهدف إلا إلى امتصاص الضغوط الهائلة الصادرة عن القاعدة والمطالبة بتكتيك أكثر نضالية، كما أن اللجنة سعت، من ناحية أخرى، إلى تجنب انشقاق خطير كان سيقه مصلتا على رقبة الحزب".^(٦٧)

إن ما حصل للشيوعيين إثر انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، مما لم يحصل بحقهم منذ عام ١٩٤٨، حيث ممارسة العنف الوحشي ضدهم وعمليات الاعتقال التي طالت عشرة آلاف منهم وتعذيب رفاق لهم حتى الموت والتصفيات الجسدية المباشرة الشاملة لآخرين في حزبهم ناهيك عن تنفيذ حكم الإعدام بالرفيقين سلام عادل وجمال الحيدري، ولد هاجس التطير من شعار "التطرف اليساري المغامر"، فخيّم على ذهنية قيادة الحزب، التي تشكّلت بعد الانقلاب، رافقته روح التردد والمهادنة، والافتقار للوضوح في اتخاذ القرار الحاسم بالظرف المناسب، ما دفع المعارضين لهذا "الهاجس" إلى التطرف في استخدام وسيلة العنف للتعامل مع الآخر، والاعتقاد بأن العمل المسلح هو الحل الأنسب لخلاص الشعب العراقي من الاستعمار، معززاً بالغليان الثوري الذي كان يعم العالم في تلك الفترة، مع الإشارة إلى أن أكثر المتأثرين بموجة الغضب التاريخية كانوا الكوادر الخارجية من المعتقلات بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، وهم من الناجين الذين صمدوا بوجه أبشع أنواع التعذيب، لحدّ أن شاهدوا مقتل رفاقهم أمام أعينهم، مما خلق عندهم استياء واسعاً ضد قيادة الحزب التي كان أغلب أعضائها خارج العراق خلال تلك الفترة الصعبة.

(٦٧) حنا بطاو - الكتاب الثالث - مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت - لبنان - ص ٣٨٣

في أحد اشرافات اللجنة المركزية على "لجنة محلية العاصمة و الثورة للحزب الشيوعي العراقي"، قبل ما يقارب شهرين من انقلاب شباط ١٩٦٣م، زار لجنتنا الرفيق الياس حنا كوهاري مشفا - أحد أبطال اضراب عمال كاورباغي في كركوك، قتل في الانقلاب بإدخال قضيب حديدي في فمه بعد أيام من التعذيب - وطرح موضوعا غاية في الأهمية، يوضح "أزمة القيادة" التي كان يمر بها الحزب حيث قال "لم يبلغ حزب هذا الشأن من القوة والقدرة وسعة التنظيم، ومن الحضور الجماهيري الواسع، والتنظيم المنتشر إلى بعد قرية على خارطة العراق، التي إن لم يكن لنا فيها رفيق حزبي يكون لنا فيها صديق للحزب، إن حزبا يصل هذه المنزلة والقدرة، إما أن يستلم السلطة أو يتعرض لضربة كبيرة موجعة"، وفعلا تحققت الضربة الكبيرة الموجعة.

إن قول الرفيق كوهاري هذا هو خير دليل على أن الحزب كان يمر بأزمة تحتاج حلا، وأن قيادته تعيش "صراعا داخليا"، وتقف عاجزة عن ايجاد البداول، وفي الحقيقة كانت تدرك أنها تعاني واقع "أزمة قيادة لا أزمة حزب"، حيث الاعتراف بأن حزبا يمتل هذا التنظيم المدني المنتشر على جغرافية العراق، والتأييد الجماهيري الواسع الذي يحظى به، وهذه الأعداد الكبيرة من الضباط والمراتب والجنود في القوات المسلحة، ويمتلك هذه القدرة التنظيمية الفائقة، وهو عارف ومستشعر بأبعاد هذا الخطر الكبير الداهم الذي ينتظره، لكنه يقف حائرا مرتبا غير قادر على التصدي وحسم الأمر أمام هذا الوضع، وكانت المفاجأة والصدمة صبيحة انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م، حينما أصدرت القيادة بيانا تدعو فيه الجماهير إلى افشال المؤامرة وإسقاط الانقلاب تحت شعار "الجماهير تسقط المؤامرة"، دون أن تسأل نفسها كيف للجماهير أن تسقط الانقلاب وتفشله وهي غير مهيئة فكريا ولا مستعدة أو معيبة تنظيميا أو مؤهلة كفاحيا ولا تملك أبسط الاليات كي تقف بوجهه وتسقطه، فقد كان لدى منظمة الكرخ بندقية واحدة، كانت مع الرفيق فوزي عباس، ولدينا في محلية العاصمة و الثورة مسدس واحد، ثم يتضح أن الرصافة كلها لا تمتلك قطعة سلاح، وإن وجدت لم تصل إلى يد أي رفيق، ناهيك عن الظروف التي مر بها رفاق الحزب قبل الانقلاب، من أعمال عنف

واعتداءات متكررة من جانب تنظيمات الانقلابيين، وحملات اعتقال كانت تقوم بها أجهزة الأمن التابعة لحكومة عبدالكريم قاسم، وزجها بالمئات من الشيوخين وأصدقائهم في السجون.

إن المثل الذي طرحته عزيز الحاج في تقييمه لانقلاب ٨ شباط والتداعيات التي خلفها، جاء تعبيراً دقيقاً عن أزمة الحزب وصفه بـ "أنه كمن يمسك بندقية مصوبة نحو العدو لإطلاق الرصاص الأولى ويد الرامي تقبض عليها واصبعه على زنادها وهو ينتظر لأكثر من أربع سنين، ولما حانت ساعة الصفر وضغط الرامي على زنادها وجدها صدئة عاطلة لا تعمل"، ومن هنا جاء الارتباك والتشتت وعدم المقدرة والثبات في مواجهة الانقلاب، فقد وقف الحزب حائراً، وجمahirه باتت مشتتة عزلاء من السلاح، نزلت إلى الشوارع هائمة فيها، لا قيادة ميدانية تقودها وليس من أحد يوجهها، ضائعة ما بين حزبها وبين قاسم الذي رفض إعطاءها السلاح بالرغم من مطالبتها به أمام مبنى وزارة الدفاع، حائرة لا تعرف كيف تواجه الانقلابيين مع كل زخمها العارم وهي تقف أمام عناصر مسلحة مدربة منظمة و محددة الأهداف.

إن ممارسة أي عنف سياسي فكريًا وعمليًا بسبب الاختلاف في الرأي، أمست سلوكًا لمعظم قيادات الأحزاب والحركات، مع أن العنف السياسي في جوهره يتناقض مع ثقافة التسامح والتفاهم وقبول الآخر ومفهوم السلم المجتمعي وتضامن أفراده، وإن عدنا إلى كل الخمسينيات وبداية الستينيات، لوجدنا أن جميع القوى السياسية على اختلاف أفكارها ومشاربها وتوجهاتها قد مارست هذا السلوك القمعي بشكل أو بآخر، سواء في العهد الملكي الأخير أو في العهد الجمهوري الأول، حيث برزت هذه الممارسة في الصراع القائم بين السلطة الحاكمة والاتجاهات المعاشرة، بأساليب وحشية عنيفة. وحين نعود إلى أواخر الستينيات، ثمة حركات اليسار في منطقتنا والعالَم، حيث كانت تميل إلى "العنف الشوري" في ممارساتها النضالية تجاه الحكومات الدكتاتورية.

ولغرض المرور على تجربة عشتها مع الحزب الشيوعي العراقي، حتى الانقسام الذي حصل فيه، سأبين بعض السلوكيات التي كانت تتسم بطابع العنف في التعامل مع الآخر، عبر منظار موضوعي منصف باتت عدسته أكثر تجلياً بعد رحلة قاربت نصف قرن، مرت خلالها أحداث وحصلت فيها تطورات، محلياً وعالمياً، ساعدت على وضوح نظرتنا وفهمنا لتلك التجربة المرحلية. وعندما نمارس تقييمها أو نقداً لها، يجب أن نتناولها على وفق ظرفها و زمنها، وليس من خلال الطرف والزمن الراهنين، لنقف متريدين عند الأفعال التي مورست حينها، كي لا تكون في موقف متجن غير منصف، وأن يكون التقييم والنقد إيجابيين للارتفاع بمفاهيمنا ومداركنا.

لقد كان اليسار الشبابي العالمي منتصف السبعينيات، كله تقريباً في حالة غليان وتمرد على القيم السائدة وجمود المجتمع وأنظمة التعليم والإدارة والمحظورات الدينية، وإصلاحية قيادات الأحزاب الشيوعية، و一波 انقسامات داخل عدد من نقاباتها، وبالرغم من وجود حركات شبابية ماركسية أو تروتسكية أو غيرها، إلا أن غالبية القوى الناشطة ذات الحراك اندفعت للأسباب ذاتها، ومن هنا كان البحث عن الجديد، حيث الأحداث البارزة، كثورة الطلبة الفرنسيين في أيار ١٩٦٨م، وتحركات الطلبة الصينيين، وما حصل للشيوعية في سوريا ومصر وللأحزاب والحركات القومية العربية كالانقسامات داخل حزببعث وحركة القوميين العرب، فسادت قناعة تمحورت بأن القيادات الحازمة هي وحدها المؤهلة لقيادة الجماهير نحو النصر الحاسم على الرجعية والاستعمار.

وفي مثل هذه الظروف، ابان تلك الفترة، ظهرت مراجعات فكرية وسياسية كثيرة على الساحتين العربية والعالمية، وأصبح الانتفاض على السائد، فيما وأفكاراً وأنظمة، هو التيار الغالب، وكانت لمسيرة جيفارا الثورية بريقها وألقها الخاصين بين الشباب التائر، بحيث هيمنت فكرة أن ليس ضرورياً انتظار جميع العوامل والشروط الموضوعية والذاتية للثورة - كما نصت النظرية الماركسية الليينية لإسقاط الأنظمة الرأسمالية - لشن الكفاح المسلح، بل البدء به حيثما كانت ظروفه جاهزة في هذا

الموقع أو ذاك، فكان العمل الثوري هو المقياس الأوحد في نظر أكثر الشيوعيين وجماهيرهم ممن طال شعورهم بالإحباط من عواقب الأخطاء وما ضاع جراءها من فرص وإمكانيات مهدورة، نجمت عن خلل في التكوين المعرفي والثقافي للقيادات، مما سبب في مأزق وأخطاء كارثية.

وبالتناول مع المجازر الدموية البشعة عام ١٩٦٣ وحملة القمع والمطاردة التي شملت الآلاف من المثقفين اليساريين وانعكاساتها، زادت فاعلية بداية ظهور حركات تمرد، وبروز مفاهيم وآراء تدعوا إلى تجديد الحركة الشيوعية في العراق، حتى أصبح أمرا لا مفر منه، ونتيجة حتمية، أدت إلى انشقاقات فكرية وتنظيمية طالت جسد الحزب الشيوعي العراقي... منها: **القيادة المركزية** التي انطلقت في ١٧ أيلول ١٩٦٧م /، "فريق الكادر" الذي كان يقوده إبراهيم علاوي (نجم محمود) في أواخر عام ١٩٦٦م / ومجاميع صغيرة كمجموعة "الكافح المسلح" بقيادة أمين الخيون "أبو جماهير" (الرفيق صادق) الذي كان جزءا من فريق الكادر واختلف معهم قبل انطلاق القيادة المركزية، ورفاق من داخل الحزب الشيوعي غير مقتنيين بسياسته، متقددين إليها، يحملون أفكار التغيير والتجديد ويدعون لها، معتقدين أنهم قادرون تحقيقها داخل الحزب، ليس خارجه، وأن الخروج عليه إضعاف له.

في حديثه عن فريق الكادر، الذي كان أحد قيادييه، ومن ثم انضممه لقيادة المركزية، وباعتباره عاش التجربتين، فكان قياديا ناشطا فيهما، يذكر **الرفيق فاروق مصطفى رسول** ما يأتي: "بين عامي ١٩٦٦ - ١٩٦٧م إنشقت مجموعة من الرفاق الأعضاء عن الحزب الشيوعي العراقي وشكلت حركة تنظيمية تحت اسم فريق الكادر بقيادة (نجم محمود) إبراهيم علاوي، وقبل الخوض بتفاصيل النشاطات لابد من العودة، إلى تسلیط الضوء على حركة فريق الكادر (نجم محمود) التي كانت تضم عددا من الرفاق منهم: إبراهيم علاوي، خالد أحمد زكي، فاروق مصطفى، فؤاد الامير، ماجد علاوي، زهير علاوي، صباح كوركيس، نوري كمال، إبراهيم اسماعيل، وأخرين، قبل التحاقها بالقيادة المركزية، وقد انفصلت حركة فريق الكادر عن الحزب الشيوعي

العربي لوجود ملاحظات عديدة لدى اعضاء رفاقها على النهج السياسي اليميني الذيلي للحزب وتبعيته للاتحاد السوفياتي، وقمع الرفاق الذين يحملون آراء لا تتفق مع الخط السياسي للحزب وتمسك قيادته واحتفاظها بالقيادة لعقود من الزمن، وقد أصدرت الحركة بياناً أدانت به هذه السياسة وخطّتها، وبعد انطلاق القيادة المركزية قرر فريق الكادر إجراء مفاوضات معها لغرض توحيد التنظيمين وانضمام تنظيم الكادر إلى القيادة المركزية، رغم أن حركة الكادر كان لديها ملاحظات على بعض الرفاق في القيادة المركزية وتحديداً الرفيقان حسين جواد الكمر وبيتير يوسف لتبنيهما خط آب اليميني عام ١٩٦٤م، عندما كانا ضمن كوادر الحزب الشيوعي آنذاك، قبل أن ينضمما إلى القيادة المركزية، إلا أن هذه الملاحظات لم تؤثر على عقد اتفاق بين الطرفين والتحاق فريق الكادر بالقيادة المركزية، وبعد اعتقال عزيز الحاج وأعضاء القيادة المركزية، وقيادة جهازها الصدامي والكادر المتقدم، وانهيار عزيز الحاج وظهوره على شاشة التلفزيون، واعترافاته التي كشفت التنظيمات الحزبية، كان عدد من أعضاء القيادة ومرشحها الذين قيّض لهم أن يفلتوا من قبضة السلطات الأمنية، وبقوا بعيدين عن أعين أجهزة أمن ومخابرات وتنظيمات حزب البعث، قام هذا الفريق المتبقي من القادة والكادر المتقدم في القيادة المركزية وعلى رأسهم الرفيق إبراهيم علاوي بلم شمل التنظيم والانتقال إلى كردستان، وعقد كونفرانس حضره ثمانية عشر رفيقاً تم فيه انتخاب قيادة جديدة تألفت من الرفاق إبراهيم علاوي، مصلح مصطفى، خضر سلمان (أبو جعفر)، ماجد ولهير علاوي وآخرين، اُنتخب فيه الرفيق إبراهيم علاوي سكرتيراً لقيادة المركزية بإجماع الحاضرين، لتميزه الفكري ولمؤهلاته القيادية وثباته وطول تجربته النضالية".

"إنقلت القيادة الجديدة إلى كردستان مركز انطلاق الحركة، وبدأت عملها وفي الوقت نفسه تواصلت مع منظمات الفرات الأوسط والجنوب لتمارس نشاطاً متميزاً - كنت في حينها مسؤول منظمة السليمانية ومتفرغاً للعمل الحزبي - وقد ثبتت قاعدتنا العسكرية في كردستان، وترسخ تنظيمنا الحزبي بتلك الفترة من نضالنا

المسلح، وكنا نحصل على السلاح من جمهورية اليمن الجنوبية الديمقراطية عبر منظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ومن الحزب الديمقراطي الكردستاني وما كان يقدمه لنا من تعاون ودعم ومساعدة، وكانت علاقاتنا جيدة بحركات المقاومة الفلسطينية".

"لقد تعزز وضعنا التنظيمي والقتالي وبتنا نمتلك الامكانيات التالية: قواعد عديدة في كردستان/ إعادة تنظيمات بغداد/ إعادة تنظيمات الفرات الأوسط. إلا أن اتفاقية الجزائر في إدار ١٩٧٥م، التي عقدت بين شاه إيران والحكومة العراقية، قد أضرت بالحركة الوطنية الكردية المسلحة وبتنظيماتنا المسلحة في كردستان، إضافة إلى محاولات سلطات البعث للقضاء علينا عبر دس السموم لقتل رفاقنا ووضع الألغام لغرض إضعاف حركتنا والتأثير على معنويات رفاقنا المقاتلين، مما أضعف حركتنا بشكل كبير، رغم أنها بقينا نقاوم مع عدد من قادة البيشمركة الذين رفضوا إيقاف القتال وقد بذلنا أقصى الجهود إلا أن تداعيات النكسة كانت كبيرة جداً وفوق إمكانياتنا". (٦٨)

ويذكر الرفيق مصطفى جاورش، أحد قياديي الجهاز الصدامي المركزي للقيادة المركزية، خلال استذكاره لنشاطه فيها بعد تشكيلها الجديد في كردستان، ما يأتي: "بعد اعتقال صالح العسكري ولطيف مراد، وتنقله واختفائيه في بيوت عديدة استلمت رسالة ورددت من كردستان من الرفيق مصلح مصطفى (عضو القيادة المركزية)، بعد اعتقال عزيز الحاج وأعضاء القيادة الباقيين طلب منها الانسحاب من بغداد والتوجه إلى كردستان، وفعلاً سافرت إلى أربيل، واتصلت هناك بالرفيق فاضل من قلعة أربيل، وزرت مقر القيادة المركزية في كلاله، بعدها عدت إلى مقر حزب القيادة المركزية في السليمانية وكان الرفاق إبراهيم علاوي، مصلح مصطفى وفاروق مصطفى على رأس العمل هناك ومارسنا نشاطنا وعملنا بالحركة المسلحة للقيادة المركزية، بعد فترة ومن خلال المعلومات المؤكدة التي حصلت عليها القيادة

(٦٨) مقابلة شخصية مع الرفيق فاروق مصطفى رسول في السليمانية - آب ٢٠١٥.

المركزية تبين أن الرفيق مصلح مصطفى كان يعمل مع حزب البارتي، دون علم القيادة المركزية، وبعد التأكد من ذلك اتخاذ قرار بإقصائه وفصله من حزب القيادة المركزية بعد أن وجهت له التهمة بالعمل مع حزب آخر وهو لم يزل عضواً في حزبه وفي قيادته، وطلب الرفيقان إبراهيم علاوي وفاروق مصطفى مني اعتقال مصلح مصطفى وهو مسؤولي السابق، قمت أنا والرفيق كمال شاكر وبشكل هادئ بتجریده من سلاحه وتسلیم السلاح للرفيق "أبو ليلي" إبراهيم علاوي، وبعد إقصائه وطرده من حزب القيادة المركزية، التحق بحزب البارتي، دون اتخاذ إجراء باعتقاله أو محاكمةه (لأسباب عديدة)، بعدها عاد إلى بغداد وعينته سلطة البُعث مدیراً للثقافة الجماهيرية في الحكم الذاتي، وقامت سلطات البُعث بمحاولات عديدة وبطرق شتى للنيل من تنظيم القيادة المركزية، منها أنها بعثت في عام ١٩٧٠ طروداً ملغمةً إلى مقر القيادة المركزية، وعند فتحها انفجرت وراح فيها ضحايا وجرحى، وأيضاً تم إرسال السموم بطرق عدّة لقتل رفاقنا..." وكانت لنا علاقات جيدة بمنظمات الكفاح المسلح الفلسطينية كالجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وكنت في مرات أرافق الرفيق إبراهيم علاوي أو الرفيق فاروق مصطفى إلى سوريا في مهام تتعلق بنشاط القيادة المركزية، لغرض الاتصال بالمنظمات اليسارية خارج العراق للحصول على الدعم المادي والاعلامي".^(٦٩)

إن ما حصل كان "ولادة طبيعية"، رغم بعض الأخطاء التي وقعت فيها القيادة المركزية، حكمها ذلك الظرف من ممارسات قيادة الحزب الشيوعي، وقد ساده انعدام الأجواء الديمقراطية داخله وعزوف قيادته عن سماع آراء الكثير من كوادره وبعض قادته، وتصنيفهم بأنهم من حملة "الفكر اليساري المتطرف"، حيث التهمة الفضفاضة التي استخدمت سلاحاً ضدهم. لذلك فإن تجربة حركة حزب القيادة المركزية، كصفحة من التاريخ السياسي المعاصر، تستحق منا، نحن الذين كنا في قلبها، أن نراجعها بموضوعية ذات نظرة منصفة لها، لكن بلا تحييز،أخذين بنظر الاعتبار ظروف مرحلتها،

(٦٩) مقابلة شخصية مع الرفيق مصطفى جاورش في السليمانية-آب ٢٠١٥.

التي تحرر منها وتجاوزتها. أي أن انتماي السابق للحركة هذه لن يجعلني منحازاً لها، أو لسوها، ولا يمكنه أن يحرف بوصلي عن مسارها الصحيح في التقييم الموضوعي لنهج القيادة المركزية الذي كنا نعتبره صائباً آنذاك عندما نظر إليه من خلال ذلك الظرف الزمني الذي كان يحكمها ونحن في خضمّه. بمعنى آخر: ألاّ حكم الآن على نهجها بالخطأً بعد مرور ما يقارب نصف قرن لتجربتها منطلقين من ظرف زمني مختلف حصل فيه تطور مجتمعي وترابط معرفي، فضلاً عن تحولات كبيرة في العالم، منها انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك المعسكر الاشتراكي، إلى آخر ما طرأ على كرتنا الأرضية.

إن الانشقاق الذي حصل للحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٦٧م، رغم أنه ألحق ضرراً كبيراً في كيانه وأضعف الحركة الشيوعية في العراق عموماً، كان "إجراء حتمياً" أمام الطريق المسدود في إحداث التغيير المطلوب من داخل الحزب، نتجت عنه "صدمة قوية" له ربما كان من دونها سيبقى سائراً مستمراً بنهجه السابق، باقياً عليه بلا جدوى، بسبب غياب الديمقراطية عنه، ومحاربة الأفكار التي تعارض اليمينية السائدّة لدى قيادته آنذاك، واتهام المعارضين لها بالتطّرف اليساري والمصابين "بمرض الطفولة اليساري"، إلى آخر قائمة هذه الاتهامات، التي تصب في خانة العنف الفكري، وقد رافقته إجراءات عديدة بتنحية بعضهم أو ابعادهم عن قيادة المنظمات الحزبية الفاعلة ومعاقبتهم بإذراهم إلى منظمات وهيئات حزبية أدنى، أو نقلهم إلى منظمات أخرى غير فاعلة، لمجرد أن يحضروا اجتماعاتها ويكونوا فيها أرقاماً مضافة غير فاعلة، والغرض من ذلك تجميد نشاطهم، وكل هذا كان يجري بعلم ومعرفة ودرأة وتأييد القيادة.

من أجل أن يكون حزب ما حزباً سليماً ومعافى، بعيداً عن أمراض الانحراف والانشقاق ودكتاتورية الفرد وتسلط القيادة، لا بد أن يقتدي بالأسلوب الديمقراطي نهجاً وممارسة لتكون هناك بيئة طبيعية حاضنة ذات جو صحي يسمح بتداول الآراء وقبول الآخر المختلف، والاستماع له والاستئناس به، ضمن آليات الديمقراطية، دون أساليب

القمع والاقصاء، شرط أن تكون ثمة معارضة إيجابية هدفها التقويم والتصوير والتعديل، بلا سلبية نابعة عن نرجسية غايتها المماحكة لأغراض شخصية أو الحصول على مراكز حزبية، ليتم من خلال ذلك تغيير المسار الخاطئ أو الحفاظ على المسار القائم في سياسة الحزب إن كانت صائبة، كي لا يترك مجال أمام العناصر الحزبية للتفكير بالعمل من خارجه أو بالانشقاق عليه وتشكيل حزب آخر، بعد أن يكون قد بحث أصواتهم وضاقت بهم السبل وأسقط بيدهم وأصبحوا أمام جدار لا يمكنهم اخترقه ومن ثم يصبحون عاجزين عن اجراء التغيير الذي ينشدونه. إذ أن كوادر العناصر المعاشرة في الحزب الشيوعي عموماً، كانت تشعر بخيبة أمل في اجراء التصحيح المطلوب على نهجه وسياساته من داخله، لأنها تعاني التشتت والارتباك من ضغوط القواعد الحزبية التي هي على تماس مباشر مع الجماهير، وكانت هذه المعاشرة تتركز في الكوادر المتقدمة التي يأتي سياقها التنظيمي مراتبها بعد اللجنة المركزية ومكتبهما السياسي، ومن هنا برزت الحاجة بحكم هذا الظرف الموضوعي الضاغط، وغياب الديمقراطية التي هي سلوك وممارسة - بحجة العمل السري - لأن تبحث كوادر متقدمة، بوعي، عن رفيق قيادي جريء، تنسجم أفكاره مع رؤيتها وتوجهها، وذى سمعة طيبة و"مشروعية تاريخية"، وله القدرة على التصدي لتلتف حوله فيقودها، وقد وجدت هذه الكوادر المتقدمة ضالتها في شخص الرفيق عزيز الحاج، فهو عضو المكتب السياسي ومسؤول التنظيم المركزي والمشرف على تنظيمات لجنة منطقة بغداد، ولنطابق هدف كلا الطرفين والقناعة المشتركة بينهما في أن تغيير سياسة الحزب من داخله بات مستعصياً، لا بل مستحيلاً، قامت بمفاتحته وطرحت عليه فكرتها، ولو وجود قناعة مسبقة لديه، تمت عملية التلاقي، فأنجبت ولديها حزب القيادة المركزية. كان ذلك آبان عهد الرئيس عبد الرحمن عارف، الذي بدأ في النصف الثاني من الستينيات، وهو لم يكن دموياً أو عنصرياً أو طائفياً، بل كانت فيه حريات لا بأس بها، سيما حرية التعبير في الصحف والمجلات، كما تدنت خلاله الاجراءات البوليسية القمعية، مقارنة بعهد أخيه عبد السلام عارف، لأنه ورث حكومة يرأسها رجل مدني معتدل هو عبد الرحمن الباز، الذي قام بطرح

"قانون أساسي مقبل يؤكد فيه الاعتراف بالقومية الكردية، واعتبار اللغة الكردية لغة رسمية في المناطق الكردية، وتعيين موظفين أكراد في المحافظات، وإعادة اعمار المنطقة الكردية، وحرية الأكراد في تشكيل أحزابهم، وإصدار صحفهم، وتمثيلهم نسبياً في الحكومة والإدارات العامة في برلمان منتخب بحرية".^(٧٠)

آنذاك كانت الثورة الكردية المسلحة مشكلة، في حال حلها كان من الممكن أن يؤدي ذلك إلى مقدمة لوضع ديمقراطي جديد، لكننا رغم هذا النهج ذي الانفراجات بقينا ندعوا لـإسقاط الحكم، مصرّين على طريق الكفاح المسلح، فضيعنا فرصة مواتية لأن نتعامل معه بروح موضوعية، بعيداً عن العواطف الثورية الجياشة، وأن نبني قدرات حزبنا الذاتية الضعيفة ونمتّنّ بها بهدوء، دون بيانات ضاجة بقوة السلاح، أربعت حكم عارف والقوى المعادية لنا وحفرتها للعمل العاجل على إسقاطه. وهذا يعني، بخصوص حزب القيادة المركزية، قلة الحكمة... وضعف الاستشراف، أو عدم وضوح الرؤية، بالإضافة لافتقار القدرة على التشخيص الصائب والسليم لطبيعة النظام الحاكم، تعزّزه النزعة الثورية المتّاجحة، رغم نقص الإمكانيات لنزعّة كهذه، وإهمال ممارسة تكتيكي المرونة السياسية الممكّنة، حيث عمر الحزب دون سبعة عشر شهراً لم "يكتمل نموه" ولا تعضدت قدراته، وثمة الاعتقاد الواهن بضعف المؤسسة الرسمية، مع هواجس الريبة والشك والتحسّس تجاهها، والاستصغار المتعمد للجوانب الإيجابية في حكومتها المدنيّة، والنأي عن الوعي بمخطّطات الاستعمار العالمي في التصدي للحزب من أجل فت عضد حركته وتقويضها وانهائّها، وأخيراً، ليس آخرّاً، ثمة الجهل في معرفة انتماءات قادة الجيش العراقي، وجدورهم، وطموحاتهم في تدبّر انقلاب عسكري كوسيلة شبه وحيدة لـتغيير نظام الحكم.

لقد قصر نظرنا عن التشخيص التام للظروف الموضوعية المحيطة بنا، حيث المرونة المطلوبة للتعامل معها، فركّزنا على الكفاح المسلح، بعدما اعتمدناه وأبرزناه وضخمناه في نشاطاتنا وعبر إعلامنا، متّبعين إياه أسلوباً واحداً لإنهاك النظام القائم من أجل

(٧٠) توجد نسخة منه في احدى مجلدات تاريخ الوزارات العراقية ١٩٥٨ - ١٩٦٨

إسقاطه، لكن ليس بيدنا، بل بيد قوة عسكرية أخرى، قادرة عليه ومتمكنة منه، تمثلت في انقلابي تموز ١٩٦٨م، وهذا يشابه ما حصل مع حكم عبدالكريم قاسم، مع الفارق في اسلوب النضال، عندما رفع الشيوعيون وتيرة حراکهم، مشددين من نشاطاتهم وفعالياتهم الجماهيرية ورافعين زخم تظاهراتهم الاحتجاجية، تحت شعار "كافح - تضامن - كفاح"، لتطبيق سياسة الكفاح في محاربة الجانب السلبي لذلك الحكم، والتضامن معه في خطواته الإيجابية، غافلين عن أنهم يعملون على إضعافه ويعاونون المتربيسين به، وبعدما نضجت "التفاحة" وألت للسقوط، ولم يكن الحزب قادرًا على التقاطها، تلقفتها يد البعثيين، التي كانت مستعدة ومتاهلة تماماً، بالتعاون مع القوى الأجنبية.

وكما ذكرنا سابقاً، كان لمنطقة بغداد للحزب الشيوعي العراقي الدور الأساسي في عملية انشطار حزب القيادة المركزية عنه، إذ كانت أكبر منظماته، تقود مباشرة تنظيمات الطلبة والعمال والنساء، حيث ثمة حسين الكمر "وليد"، الرفيق فيه منذ أواخر الأربعينيات والسبعين السابق في سجن بعقوبة عام ١٩٥٤م والذي لم ينصف استناداً لسيرته النضالية الطويلة، وكان مثقفاً ذا قدرات فكرية وامكانيات فنية، وعلاقات واسعة جداً، ليس بين رفاق الحزب وأصدقائهم فقط، بل بالعديد من ممثلي الأطراف الوطنية المعارضة، فكان مساعدهما في صياغة وبلورة العديد من الأفكار والبرامج المقدمة لحزب القيادة المركزية، كما كان دوره مميزاً وبارزاً وفاعلاً ونشيطاً في ضم التنظيمات المحلية وارتباطها بالحزب، أي كان "داينمو الانقسام". فعندما كنا نعمل سوية، وكان مسؤولاً (الخط الخاص) قبل أن يشكل (الجهاز الصدامي) بصيغته الأخيرة، كنت أراه رفيقاً نشيطاً دؤوباً للحركة لا يكل ولا يتعب من العمل، بل حتى في أيام الصيف القائمة، لا يتوقف عن التنقل رغم حرارة الجو، وتحضرني طرفة في تلك الأيام، حين كان يحاول أن يخفي شخصه عن أنظار الأجهزة الأمنية فيعطي صلعته بباروكة شعر، وعندما يكون في زحمة عمله أحياناً تنزل الباروكة حتى تقاد

تلمس حاجبيه دون أن يشعر بها، لدرجة أنها تلفت النظر إليه، و كنت أنبهه إليها، فيضحك، ويعيدها لوضعها الطبيعي.

في اجتماع كوادر القيادة المركزية، ٢ كانون الثاني ١٩٦٨م، دار نقاش بين عزيز الحاج "رمزي" وحسين الكمر "وليد"، ذو توتر حاد شديد، تطرق فيه الأول إلى عدة مواقف تتعلق بالثاني، منها أن لا يرشح نفسه للقيادة بسب اتهامات وجهت له من أعضاء (فريق الكادر)، حيث انتقدوا دوره في خط آب ١٩٦٤م اليميني، ومحاربته للرفاق المعارضين وإسهامه في معاقبتهم، وعدم التزامه بصيانة رفاق آخرين، مما عرضهم للخطر بسبب امتناعه عن استخدام سيارته، وتلاؤه بالمهام المكلف بها، وقد أقر (الكمرا) بما يتعلق بخط آب ومساهمته فيه، كالرفاقي الآخرين، إلا أنه وقف ضده عام ١٩٦٥م، لكنه لم يكن طرفا في معاقبة الرفاق المعارضين لهذا الخط، وأن سبب تلاؤه في مهامه كان لكترة المهام المنوطة به، ثم انتقد (الحاج) مشككا في قدرته على قيادة الحزب قائلاً "إن الرفيق رمزي لا يصلح أن يكون مسؤولاً للقيادة بسبب ضيق افق صدره"، وحاطبه مباشرة "أنت يا رفيقي لا تصلح أن تكون سكرتيرا وقائدا ميدانيا للحزب، إنما قدرتك هي التنظير فقط"، والعبارة الأخيرة لم تذكر في المحضر، الذي كان (الحاج) هو من كتبه ولخصه وأعده للطبع، لأنها كانت قاسية غير متسمة بالروح الرفاقيّة من لدن (الكمرا)، ساد بعدها جو من التوتر الحاد تناوب فيه كل طرف كيل التهم للطرف الآخر، وإظهار مثالبه ونواقه، مما عرّض الطرفين إلى انتقاد أكثرية الرفاق المجتمعين، فطلبوا منها اعتذار لبعضهما، وبعد هذا الاجتماع بدا أن ما حصل بينهما فيه قد أخذ بعدها شخصيا فصار كل واحد منهما يتحسس من الآخر إلى أن ترك (الكمرا) العمل مع القيادة.

إن تشخيص حسين الكمر كان صائبا، عندما أشار لضعف كفاءة وقدرة عزيز الحاج القيادية الميدانية، وهذا التشخيص جاء بحكم علاقتهما الطويلة - التي ابتدأت منذ عام ١٩٥٤م في سجن بعقوبة القديم وتواصلت في جريدة اتحاد الشعب عام ١٩٥٩م ومن ثم في منتصف الستينيات، ولم يقف آنذاك أحد من المجتمعين ليطلب منه

تفسيرًا لذلك، بسبب المهاارات الكلامية الحادة التي وقعت بينهما وطفت عليه. أى أن المركز الذي تبأه عزيز الحاج كسكرتير عام للحزب، حيث المهام الصعبة التي ألقيت على عاتقه، كان مؤشرًا على أنه قد لبس ثوباً أكبر من قياسه، ويبدو أنه كان خائفاً من جسامته مسؤولية تفوق قدراته. وقد أقر هو بذلك في كتابه (بين النهرين- تجربتي في القيادة المركزية) حيث ذكر: "في تلك الأيام كان بين الأكثرين قرباً من هذه المعايير هو عزيز الحاج وزكي خيري، وكان المفترض أن يقوداً معاً عملية عزل القيادة. وقد كان لكل واحد منا نحن الاثنين صفات ومؤهلات تكمل ما لدى الآخر. غير أن انزلاق زكي بعيداً عن مواقفه الثورية لعامي ١٩٦٥-١٩٦٦م وانحيازه لأسباب عديدة (منها شخصية بحثة) إلى الآخرين، قد جعل المسئولية تقع علىّ وحدي، وقد وقع هذا فعلاً في ١٧ أيلول ١٩٦٧م، وكانتأشعر مع نفسي بأن الكثيرين ينقضوني لتبوء مركز خطير كالسكرتير العام لحزب القيادة المركزية.... وفي تلك الظروف المحددة، لم يكن غيري قادرًا على لف الكادر الشيوعي المتقدم أو القواعد الحزبية دون أن تعني تلك الحقيقة أنني كنت أهلاً لتلك المسئولية الاستثنائية".^(٧١)

كما يذكر ضمن محضر اجتماع كوادر القيادة المركزية في ٢ كانون الثاني ١٩٦٨م، بخصوص انتخابه سكرتيراً عاماً للحزب، ما يأتي: "أرأى غير أهل لهذه المسئولية لو كان وضع الحزب طبيعياً، فهو تحتاج إلى جملة مسائل غير متوفرة بي كطول الأناء، ونبذ الفردية".^(٧٢)

كانت النسبة الأكبر من المنظمات الطلابية والعمالية والنسائية قد التحقت بالقيادة المركزية، وبلغت نسبة الرفاق المنضويين تحتها أعلى منها لدى اللجنة المركزية، وقد عزز هذا الموقف وجود قناعة مشتركة كان يحملها رفاق و كوادر في كردستان و الفرات الأوسط و الجنوب يضاف لهم أغلبية الرفاق و الكثير من الكوادر

(٧١) عزيز الحاج - حدث بين النهرين. تجربتي في القيادة المركزية - محضر اجتماع كوادر القيادة المركزية ص ١٥٥.

(٧٢) المصدر السابق ص ١٥٩.

المتقدمة الذين كانوا يرثون في السجون آنذاك، و لقد لعب أعضاء من قيادة منظمة بغداد هاما و متميزا في إقناع التنظيمات بهذه الخطوة يساعدهم على ذلك عامل الاستياء الواسع الذي كان منتشرًا بين رفاق و جماهير الحزب جراء السياسة التي كان ينتهجها، والقناعة المتوفرة لديهم بعدم جديته في العمل على تغيير الأوضاع، إضافةً للظرف الموضوعي المتمثل في انتشار الأفكار الثورية على مستوى العالم، و الحركة الجيغارية، و تطلع الحركات الثائرة لها، و فشل الأنظمة العربية واندحارها أمام الكيان الصهيوني في حرب تموز ١٩٦٧م، وقد وجد هؤلاء كلهم ما يريدونه في شخص عزيز الحاج عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي والمشرف على لجنة تنظيمات بغداد عام ١٩٦٦م، وصاحب التجربة النضالية الطويلة، والحزبي المخضرم، والسجين في العهد الملكي، والمعارض لخط أب ١٩٦٤م، بما كان يطرحه من فكر مناهض للنهج اليميني للحزب، ليلبى بذلك، مدغدغاً مشاعرهم، رغبات الحزبيين الناقمين على الأوضاع و المطالبين بتغييرها.

لقد لازمت هذا العمل بضع ممارسات خاطئة اتسمت بطبع العنف في الأفعال وردودها، كحجز القيادة المركزية للرفiqين بهاء الدين نوري و ذكي خيري في اليوم الأول للانشقاق، والتعرض للرفiqين سلام الناصري و باقر ابراهيم الموسوي في الطريق العام، رغم تحطئة هذا الاسلوب في اجتماع كوادر القيادة المركزية في ٢ كانون الثاني ١٩٦٨م، " ومحاولة بهاء الدين نوري من اللجنة المركزية دفع جماعة للتعرض والاعتداء على عزيز الحاج في بيته".

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداده إلى تدني التخاطب السياسي بين كلا الطرفين، واتّباع اسلوب التسقيط بين من كانوا بالأمس رفاق حزب واحد وطريق نضالي مشترك، مبتعدين عن لغة الحوار والتفاهم، متناسين أنهم كانوا جميعاً في ذات القارب، وأنه سيغرق بهم معاً جراء هذه الممارسات الخاطئة. فلقد كان كل طرف منهم يدعي امتلاك الحقيقة ويصر عليها، وأنه من يحمل الفكر الماركسي اللييني الصائب في تفسير الدور التأريخي لقيادة الطبقة العاملة، وينعت الآخر

بالطرف اليساري أو التحرير اليميني، وبالانتهازية، رغم أن كليهما كان متمسكاً بشعار "إن الحزب الشيوعي هو وحده من يمثل طبقة العمال وال فلاحين والمثقفين".

كنا في حركة القيادة المركزية مؤمنين بأن الكفاح المسلح عقيدة مقدسة تقع في صميم العقيدة марكسية الليينية، من خلال أفكار لينين عن "أهمية العمل المسلح" و وجوب إقامة دكتاتورية البروليتاريا، و مقوله ماركس "العنف قابلة التاريخ" ، إلا أن ما يميز هذه الحركة ثمة التجديد والإرادة و التصميم على تنفيذ ما كانت تخطط له في ظروف كان العمل الثوري فيها هو المقياس الأوحد فينظر أكثر الشيوعيين و جماهيرهم، بعدهما طال شعورهم بالإحباط من عواقب الأخطاء التي ارتكبها الحزب الشيوعي، وما ضاع جراءها من فرص هدرتها قيادات الحزب الشيوعي.

"لكن مفهوم العمل النضالي لدى القيادة المركزية لم يكن مقتصرًا على الكفاح المسلح وحده (رغم تركيزها عليه) بل كانت تقرنه في الأهوار والأرياف بالعمل السلمي في المدن، كالنشاطات الجماهيرية الطلابية والعمالية التي قامت بها آنذاك - مع النشاط العسكري في كردستان والعمل السري داخل القوات المسلحة، نضالاً موحداً يقوده حزب ثوري متين. فـ"لقد وافق الاجتماع على الخطة التي طرحناها، ومبئوها الأساسي أن الوضع السياسي لن يتغير جذرياً إلا بالعنف المسلح، وبالتالي يجب اعتماد أساليب الكفاح المسلح بكلفة أشكاله، ومن ذلك عمليات الأنصار في الأهوار إلى جانب العمل الجماهيري السلمي من اضرابات ومظاهرات ومشاركة في الانتخابات المهنية، وكانت لنا نشاطات بين الطلبة والعمال وال فلاحين، وعلاقات وطنية وسياسية، أما الحركات في الأهوار فكانت مجرد جزء من الاستراتيجية المعتمدة". (٧٣)

وكان فكر القيادة المركزية يلتقي في موضوع أساسي منه مع أفكار جيفارا، التي تقول: ليس ضرورياً انتظار جميع العوامل والشروط الموضوعية والذاتية لشن الكفاح

(٧٣) المصدر السابق - ص ١١٦.

المسلح، وإنما البدء به حيثما كانت ظروفه جاهزة في هذا الموقع أو ذاك، وأن العمليات المسلحة الناجحة والمترابطة تسهم في إضاج الظروف المطلوبة للثورة.

إن الحركات الثورية اليسارية في العالم ربما أصابتها الغفلة ولم تدرك أن أية تجربة كفاحية جديدة قد نجحت في تغيير نظام حكم معين في أي مكان (كما حصل في كوبا) ستكون فخاً لمن يريد تقليلها بذاتها، لأن الحكومات الدكتاتورية وقوى الاستعمار العالمي التي لها مصلحة مشتركة في القضاء عليها، تمتلك قدرات وامكانيات هائلة، لا يمكن مقارنتها بما تمتلكه منها حركات كهذه، كما أنها تكون قد درست كل العوامل والظروف المحيطة بها، وطبيعة المنطقة التي تقوم على أرضها الثورة، وأحوال الناس الذين يعيشون عليها، وأخذ الدروس وال عبر منها، ومن ثم تشخيص نقاط الضعف ومكامن القوة فيها، ووضع الخطط والحلول المناسبة لإفشالها، ليتم الإجهاز عليها وهي لم تزل في مهدها.

هذا ما لمسناه في الثورات التي قادها جيفارا بعدما ترك كوبا ناقلاً معه تجربتها الثورية المسلحة ، ليحاول تطبيقها في أماكن أخرى، ابتدأها من الكونغو كينشاسا في أفريقيا عام ١٩٦٥م وانتهت فاشلة قبيل نهاية عام ١٩٦٦م، فانتقل إلى بوليفيا في أمريكا اللاتينية ليؤسس بتاريخ ١٩٦٦/١١/٧م جيش حرب عصابات مع بعض رفقاء الكوبيين بقوة بلغ عددها نحو خمسين شخصا تحت اسم "جيش التحرير الوطني البوليفي"، في منطقة (بنانكاهاوازو) وهي غابات جافة جبلية نائية و معزولة، لم يتعاون أهلها معهم واعتبروهم غرباء عنهم، فتم القضاء عليهم بتاريخ ١٩٦٧/١٠/٧م.

لقد اتسعت وانتشرت الأفكار الثورية لحركات الكفاح المسلح التي قامت في أمريكا اللاتينية، لتشمل مناطق أخرى من العالم، ومن ضمنها منطقتنا التي تأثرت بها، بالإضافة إلى تأثير التداعيات التي حصلت فيها بسبب نكسة حرب ٦ حزيران ١٩٦٧م، وهزيمة الانظمة العربية وجيوشها الناظمية، في مواجهة الاحتلال الصهيوني. في خضم هذا الواقع المتفاعل الذي اتسم بالروح النضالية الثورية المتصاعدة، قامت

ثورة مسلحة، في "أزكي" بجبال اقليم ظفار بسلطنة عمان، قادتها الجبهة الشعبية لتحرير ظفار، هذه الجبهة التي انتهت طريق الكفاح الشعبي المسلح، وعملت على طرد الاستعمار الانكليزي، الذي كان هو الحاكم الفعلي لسلطنة عمان، وبلدان الخليج الاخرى، فقد تلقت الجبهة الدعم الكبير من جمهورية اليمن الديمقراطية، على الصعيدين العسكري والإعلامي، وساعدتها في اقامة "معسكر الثورة" منطقة "حوف" داخل الارض اليمينة ، وعلى حدود ظفار، وضم المعسكر قرابة ٥٠ شاباً و ١٨ فتاة من العمانيين والبحرينيين والكويتيين، وانتقلوا الى عمان وبدأت الجبهة ثورتها المسلحة بعد أن ثبتت "بئرها الثورية" على الأرض العمانية. وفي تشرين الثاني عام ١٩٦٨م، في منطقة "حررين" عقدت الجبهة مؤتمرها الثاني وأعلنت فيه تبنيها للفكر الماركسي، واتخذ المؤتمر قراراً بعدم اقتصار الثورة على ظفار، بل وجوب امتدادها الى دول الخليج العربي الأخرى، وقررت الجبهة تغيير اسمها من الجبهة الشعبية لتحرير ظفار الى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل. وفي الوقت الذي كان فيه العمل المسلح قائماً على الأرض ، قام الثوار بفتح مدارس لمكافحة الأمية والتثقيف، وأنشأوا المزارع النموذجية للفلاحين، وعلموهم شؤون الزراعة، وإقاموا السدود البدائية التي تحمي محاصيل الفلاحين من الفيضانات، ووفرت الرعاية الصحية للمواطنين في ظفار، وفي هذا الشأن يذكر أحمد الدايin في مقال له في جريدة "العالم اليوم" بعنوان (مع الثوار في ظفار): " زرت ظفار عام ١٩٧١م كمراسل صحفي، حينها كان الثوار يسيطرؤن على جزء كبير من جبال ظفار، وشاهدت المدرسة التي أنشأها الثوار، وكان عدد طلابها (٤٠٠) طالب، تديرها المدرسة البحرينية ليلي فخروا أو (الرفيقة هدى) كما كانوا يطلقون عليها، كما كانت هناك مزرعة نموذجية أنشأها الطبيب البيطري البحريني عبدالنبي العكري". وفي نهاية عام ١٩٦٩م، عاد قياديون من "مدرسة أعداء الامبرالية" في بكين ودخلوا ظفار مع ١٥ مجموعة من المسلحين والمؤهلين عسكرياً لينظموا الى فصائل الثوار، وقاموا بشن هجمات منظمة على قوات السلطان، وفي ٢٣ تشرين الثاني عام ١٩٦٩م تمكّن الثوار من دخول المدينة الساحلية (رخيوت) وتم اعدام واليها حامد بن سعيد، بعد محاكمة

عسكرية، وذلك بعد ادانته بخيانة الوطن والعمالة لبريطانيا، وتمكن الجبهة من التوغل داخل ظفار، وقامت بشن هجمات بالأسلحة الالية ومدافع الهاون - وتتابعت (حرب العصابات) من الجبال على نحو الكر والفر - على قوات جيش السلطان التي بدأت تواجه موقفا صعبا جدا، بسبب تنامي قدرات الثوار ورجحان كفتهم، واستمرت الثورة عدة سنوات، وبات خطرها سيهدد لا سلطنة عمان وحسب بل سيتعداها الى بقية بلدان منطقة الخليج، عندها قام السلطان بالاستعانة بقوات بريطانية وإيرانية وأردنية للقضاء عليها. وكانت هناك عوامل أخرى ساهمت أيضا في انهائها، منها:

- الجهل والتخلف والخرافة المنتشرة في الريف الظفاري. يقول أحد الثوار "اننا نقاتل على جبهتين... الأولى والأسهل هي جبهة العنف الثوري والنضال المسلح، أما الجبهة الثانية وهي الأصعب... فهي حيث نقاتل الأمية والجهل والترابع".
- الاسلوب الذي اتباه الثوار بتثقيف الفلاحين الظفاريين ومحاولة رفع الوعي لديهم، فقد كان الثوار يعتمدون في تثقيف الناس بموجب الفكر الأديولوجي الذي يحملونه والبعيد عن مستوى ادراكمهم وواقعهم الاجتماعي، معتمدين في ذلك على مصادر لديهم منها:
١- (كتاب الجبهة) وهو كتاب تعبوي بلغة بسيطة كتبه عبدالعزيز القاضي (أبو عدنان) أحد قادة الجبهة، يحتوي على عدد من المقالات التثقيفية لشرح الفكر الماركسي.
٢- الكتاب الأحمر لما وتسى تونغ، وهو مادة التثقيف السياسي الرئيسية في ظفار.

- الانشقاقات والخلافات التي حصلت بين فصائل الثورة المتعددة (جبهة تحرير ظفار، الجبهة الشعبية لتحرير الخليج المحتل، الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج، الجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير الخليج العربي المحتل). وفي ١٢ حزيران ١٩٧٠م قامت الأخيرة -التي أسسها في بغداد العماني محمد بن طالب البوسعيدي - أحد أفراد الاسرة الحاكمة، توفي في سجن كوت الجلالى، مسقط، عمان - المدعومة من النظام العراقي، بنقل فصيلتها الى شمال عمان، لشن حرب العصابات من هناك، مما ساعد في أضعاف الثورة.

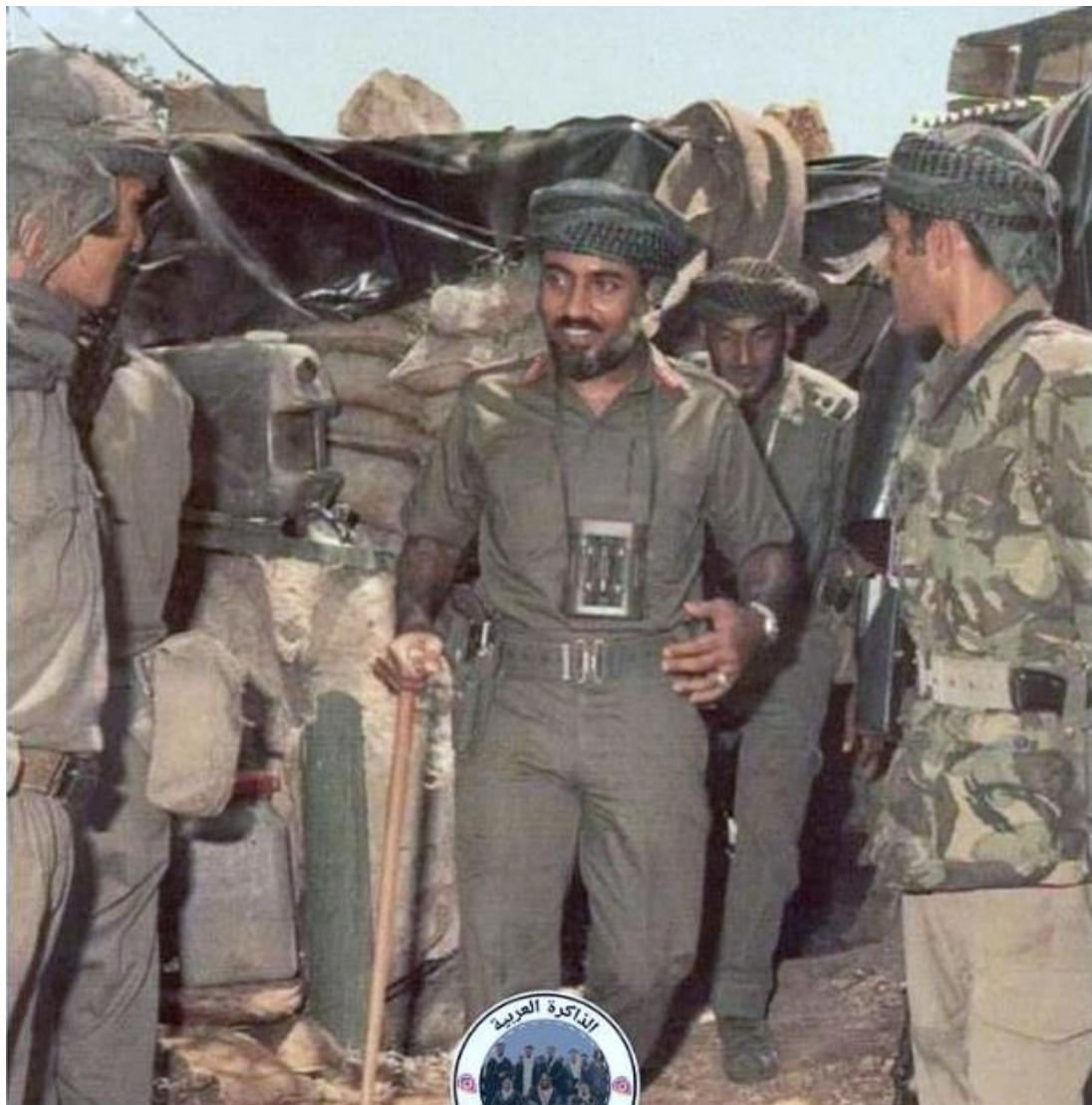
- الاتفاق الذي تم في 11 آذار ١٩٧٦م، بين سلطنة عمان وجمهورية اليمن الديمقراطية، برعاية سعودية، على إنهاء الخلافات فيما بينهما، وليس من شك أن التوصل إلى تلك الاتفاقية، كان يعني إنهاء جمهورية اليمن دعمها للثوار، وقد ترتب على ذلك انهيار واضح في موقف الجبهة وأدى إلى استسلام العديد من قياداتها.

- يضاف إلى ذلك حنكة السلطان قابوس في دعوته الكوادر المؤهلة من الثوار للمشاركة واحتواهم في إدارة الدولة وعدم اللجوء إلى سياسة الانتقام.

وهكذا لم يمض عام ١٩٧٦م حتى تمت التصفية النهائية للثورة في ظفار. أنه دليل آخر على تكرار الخطأ، وتطبيق الاستنساخ الحرفي للتجربة، دون الأخذ بنظر الاعتبار ظروف المنطقة وأحوال أهلها، وتناسب القوى المحيطة بها.

المصادر: -رياض نجيب الرئيس، ظفار، قضية الصراع السياسي والعسكري في الخليج العربي ١٩٧٠-١٩٧٦، لندن. / -جمال ذكرييا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. / محمد سعيد العمري.

.....النهاية في البداية.....



السلطان قابوس في السبعينيات خلال حرب ظفار

إنتفاضة الأهوار

لقد أعدنا نحن استنساخ تجربة الكفاح المسلح وحرب العصابات لنطبقه في بلدنا، حيث بدأنا بحركة مسلحة قوامها عدد محدود من الثوار، يقودهم الثائر خالد أحمد زكي (ظافر) الغريب عن المنطقة التي اخترناها وهي الأهوار، جنوب العراق، بدراسة منقوصة عن أحوال أهلها الفلاحين، وظروفهم، والعمل على توطيد العلاقة بهم، فضلاً عن طبيعتها الجغرافية التي هي عبارة عن جزر مائية معزولة يسهل على العدو محاصرتها ومهاجمتها والقضاء على من فيها، بسهولة، وهذا ما حصل فعلاً.

تكونت المجموعة من إثني عشر رفيقاً:

١- خالد أحمد زكي (جبار) قائد المجموعة / ٢- عقيل حبش (أبو فلاح) ٣- حسين ياسين (أبو علي). ٤- كاظم منعثر (سودي). ٥- محسن حواس (شلش). ٦- عبد الجبار علي جبر (هادي). ٧- عبد الأمير عبد الواحد يونس الركابي (فتة). ٨- عبد الله شهواز زنكنه. ٩- محمد حسين الساعدي. ١٠- حمود (صالح). ١١- عبود خلاطي. ١٢- علي حسين أبي يحيى.

تحركت المجموعة المكلفة بمهاجمة مخفر الشرطة وإتخاذ سبيل النهر الذي يؤدي إلى المخفر، وعند الوصول إلى مبني المخفر تمت مهاجمته والسيطرة على أفراده وإغتنام الأسلحة التي بحوزته وقد إكتمل السلاح بيد المجموعة وتحركت للهدف الثاني وهو الريبيئة بأمر من الرفيق خالد أحمد زكي قائد العملية وتم السيطرة عليها ونزع أسلحة أفرادها بعد حجزهم في غرفة، وعادت المجموعة إلى الهاور وتوغلت به ليلاً للابتعاد عن منطقة الخطر باتجاه هور الحمّار عبر الممر النهري وقد ظلت المجموعة الطريق إلى القاعدة بسبب حصول زوبعة قوية إضطرتهم للتتوغل في الهاور والمبيت تلك الليلة في هور عوينه الذي لا يبعد كثيراً عن هور الغموكة الذي انطلقت منه العملية وبينما هم في وسط النهر الفاصل بين هور الغموكة وهور الحمّار في منطقة (أبو علايج) تحديداً هاجمتهم قوة من الشرطة الآلية وحصلت معركة قصيرة تم

الإنسحاب بعدها بإتجاه اليابسة في هور الغموكة والاختباء في نهر جاف واكتشفوا أن الشرطة قد طوقت المكان، وبعد إنصراف بعض الرفاق وبعض الفلاحين الذين كانوا متواجدين معهم في تلك المنطقة ، وهم في موقعهم المحاصرين فيه قام أحد الفلاحين بإرشاد إحدى فرق الشرطة إلى مكان الرفاق المتبقين من المجموعة وبعد أن تجمعت مجتمعات أخرى من الشرطة ومع أفراد من أتباع إقطاعي تلك المنطقة، قاموا بفرض طوق على موقع المجموعة وحين كثرت أعداد الشرطة وأحكم طوق الحصار عليهم وتعززت قوتهم بزوارق بخارية وبطائرات هوليكوبتر طلبوا منهم - خلال مكبات الصوت - الإستسلام من دون قيد أو شرط وأصبح من المستحيل على الثائرين الإنسحاب وعند ذاك نشب المعركة بين الطرفين، وقاوم الثوار إلى آخر طلقة منهم، وأبدوا مقاومة كبيرة وشجاعة رائعة وبسالة منقطعة النظير ، فإلى جانب القوة ذات الأعداد الكبيرة والمدججة بالأسلحة المتنوعة والسلاح المتوسط وقد عززوا بقوات من الجيش وبطائرة هوليكوبتر أسقطها الثوار وقتل قائدتها النقيب الطيار بعد إسقاط طائرته وقتل أربعة شرطة وأصيب خمسة منهم بجروح، لم تتمكن الشرطة من إقتحام الموضع إلا بعد أن نفذت ذخيرة الرفاق، بيد أن الشرطة لم تتوقف عن إطلاق النار، وقد أستشهد كل من خالد أحمد زكي (جبار) / محسن حواس (شلش) / منعثر سوادي (كاظم) أما الجرحى فكانوا: - عبد الجبار علي جبر (هادي) / عبد الأمير عبدالواحد يونس الركابي (لفتا) / محمد حسين الساعدي (جمعة)

يذكر الرفيق عقيل حبش وهو أحد المساهمين في هذه الإنتفاضة المسلحة: "استمر العمل بالهور حوالي ثلاثة أشهر على شكل مجتمع ، مجموعة توفر الطحين والرز، وأخرى تصيد السمك والطيور وتجمع بيوضها دون استخدام السلاح، والتدريب على استخدام السلاح، وكانت الحياة صعبة خصوصا للرفاق من أبناء المدينة ، لم تكن لهم علاقة بجماهير هذه المنطقة، ونظرا لشحة السلاح المتوفّر لدينا لذلك كانت واحدة من أهدافنا الملحة هي الحصول على السلاح، وبعد إبلاغنا بقرار الحزب للبدء بالعمل توجهنا من قاعدتنا في الهرور ومع حلول المساء تحركنا بإتجاه الهدف حيث بدأنا

بالمشاحيف ثم سيرا على الأقدام في اليابسة، وعندما أصبحنا أمام بناية مخفر الشرطة هاجمنا وقد غنمنا ٣٠ بندقية مع عتادها وحملناها في المشاحيف وعدنا بها إلى الدهور ونحن نبتعد عن المخفر هبت عاصفة شديدة فأعادت تقدم المشاحيف وأفشلت خط سيرها ، إذ أصبحت المشاحيف الثلاثة تمشي سوية مما إضطرنا للوقوف والإنتظار ومع بزوج النهار لم نستطع السير، وفي الليلة التالية إستمر الوضع على ما كان عليه إذ لم يستطع الرفيق حسين ياسين وأدلةنا الاهتداء للعلامات التي سبق وأن وضعناها في الطريق للاهتداء بها عند الإنسحاب، وفي الليلة التالية تمت معرفة العلامات فسرنا بالإتجاه الصحيح لكننا فوجئنا أننا أصبحنا في عنق الزجاجة وهناك حركة التفاف حولنا من قبل الشرطة حيث تم إطلاق الرصاص علينا، فأوعز حسين ياسين بالردد على النيران وهذا ما فعلناه إلا أننا فقدنا السيطرة على المشاحيف فتركناها ونزلنا إلى الضفة الثانية المقابلة للضفة التي يحتشد الشرطة فيها، وأستمر إطلاق النار بيننا. طلب حسين ياسين وخالد أحمد زكي من عبد الأمير الركابي الذهاب إلى المشاحيف المتروكة وجلب بعض قطع السلاح لكن الركابي رفض الذهاب وتنفيذ الأمر وعندما أوعز الرفيقان إلى عقيل حبش بتنفيذ المهمة على أن يترك بندقيته ليحمل أكبر عدد من قطع السلاح". يضيف حبش: "أنني اتجهت يساراً قريباً من ضفة النهر وأثناء سيري انهال على الرصاص فعدت مسرعاً بإتجاه رفاقي لكنني لم أجدهم، ويبدو أنهم اعتقلاً أعتقدوا أنني اعتقلت فبدأوا بالرمي ضد الشرطة مما اضطرني إلى اللجوء لأحد البيوت القروية لمحاولة الإختفاء فيه ولم يحالفني الحظ في ذلك لأن الشرطة اتجهت نحوه مما إضطرني لمغادرة البيت " (٧٤)

(٧٤) عقيل حبش-نشيد الموت-شهادة حية من لهيب المعركة - دار وراقيون-٢٠١٨.

الجرحى:

١-عبد الجبار علي جبر (هادي)

٢-عبد الأمير عبد الواحد يونس الركابي (الفترة)

٣-محمد حسين الساعدي (جمعة)

المعتقلون:

١-عبد الله شهواز زنكنة (أبو سعيد).

٢-عبد الجبار علي جبر "بترت يده في المعركة".

٣ -عقيل حبش.

٤-حسين محمد حسن "جندي هارب شارك بانتفاضة حسن سريع".

٥-علي حسين أبويجي.

٦-فاض عباس.

قتل العدو:

-نقيب طيار بعد إسقاط طائرته وقتل أربعة شرطة وأصيب خمسة منهم بجروح.

الرسائل التي أرسلها الشاعر مظفر النواب للرفيق عقيل حبس في : ١٩٦٨/٣/٢٥

تمثل هذه الرسائل، نقاوة الثائر والشاعر مظفر النواب "أبو عادل" وتجسد فيها أحلام الثوار ومجابهة وحشية القمع، واحتلال الثورة وسعيرها الذي ظل يلهب حنایا، وإن كان بعيد عنها حيناً وفي أواها أحياناً، ويربط أصراً الفعل بين قلبه وجданه، ويثير فيه عنفوان الثوار، ويحزن في أعماقه شموخ جيفارا "الأرجنتيني" الذي اشتراكاً في الثورة الكوبية في جبال سييرا مايسترا حتى انتصارها، ليصبح بعدها ثائراً أممياً، وينتقل إلى أدغال كونغو - لومومبا، ومنها إلى أرض كان لهيبها أحمرًا قانياً يغطي أرض فاليجراندي بجبال بوليفيا، ويمتد هذا الإرث ليعيش في وجدان مظفر وينقله إلى هور العمودية، يحمل في قلبه أملاً - يبغي تحقيقه - بانتصار ثورة العدل الإجتماعي، أو ينتهي نهاية شجاعة يتبااهي بها، تتجذر عميقاً في قاع الهرور وتتشعب وتتوزع بين قصبه وتساقط علو أجذاعه، واذهار أوراقه الخضراء، التي يتعالى منها صوت الثورة من جديد ، ولتستمر المسيرة التي سيكملها الآخرون من بعده. فقد كانت امتداداً لدوره الفاعل في حفر نفق سجن الحلة والهروب منه أو كما يسميهما "الرزمة" في رسالته، ورغبتة العارمة التي لم يتتسنى له تحقيقها في إشتراكه بإنفاضة الأهوار. وكانت أمنيته: "أن يعمل جهده ليتحقق في أرض الميعاد.....حينما سيدأ ذلك الإنفجار، وسيرى الثوريون الحقيقيون وجوههم الصارمة والإنسانية... في مرايا ذلك اللهب... وستأخذ الأحلام طريقها في المادة".

في هذه الرسائل التي إختطها مظفر بقلمه، نرى التقييم الصادق واضح عليها، والشفافية ظاهرة منبلجة من بين سطورها، ويشعر من حروفها، الوفاء، ويمور ويفيض قلبه محبة لرفاق الدرب، فما أوفاك يا أبا عادل من صديق، وما أصدقك من رفيق، وما أجلّك من ثائر وشاعر.

نص الرسالة الأولى:

في الليل المحاصر الريتيب ياما حكيت لك.... وياما فهمت حزنك كما فهمت صمتي... وقد كان يستنزف عرقك العمل المرهق الدئوب. حملت لك الماء بأخوة عميقه.

ومنذ الأيام الأولى اكتشفت فيك روح العمل وأحببها، وفي السر صنتك في قلبي بين الناس وفرحت دائمًا وأسائل أفرح إنك صديقي.

هل أوقفت فيك كل ذلك الذي يشكل جزءاً غالياً من حياتي وحياة القضية التي تضيء جوانب عيوني في أشد ساعات الليل؟! الساعات التي عشناها تعيش عالمها الصرف وتتصرف بي أحياناً.... ولعلك تذكر أقصى أمنياتي كانت أكثر الأهوار وحشية وبعداً عن المدينة الملوثةوها أنت هناك، أحسدك لأنك هناك في العالم الذي بلل لساني بالأغاني الأداء، عند الناس الذين تتقطر الأحزان في قلوبهم كل ليلة، وتولد الثورة في الظلمات التي تخبيهم منذآلاف السنين، أنت في النقطة التي يصح أن تسمى البدء، جاء في العهد القديم ((في البدء كانت الكلمة وكان وجه الله يرف على الغمر)), أنت هناك يا صديقي، وأنا يطفح في دمي حنين كآلاف النباتات السائبة على وجه الدهور، يا أنت في مياه الميعاد، الموت في مياه الميعاد، هو بدء الخليقة، كان الإنسان بين الناس الذين يحبهم وفي الأرض التي يحبها ويعتقد أنها هي ((المكان)) مسألة لا يمكن تسميتها الموت بأي حال.

أخي.....صديقي

مازال صدى الكلمة المحفورة على الخشب الضائع يثير دثاراً في صدرني ، ومحبة تتأجج في أশواق أتمنى أن تراها، وكتبت لك أكثر من رسالة وجاء منك أكثر من صمت، ومللت الصمت، إبني أتعلم الآن السير في الأرض الصعبة وفي أشد الظلمات وبالضوء الخبيء في القلب فقط وهناك في الأرض التي تغيب فيها الشمس في سنابل الحنطة وتظل مشرقـة طوال الليل في عيون أطفال الفلاحين، هنا قالوا مـر سجين في هذا المكان وكان متعباً ويهاجم اليمين بلهجة حارة واضحة ويتحدث بسرعة ويفرح

حين يكتشف إن البيت الذي يبيت فيه مع الحزب ضد دجل المحرفين فيدخل
علبتين من السكائر وقالوا: وله شارب خفيف أصهب، وعينان شديدة الذكاء.

هتفت في صدري !! إنه أنت أنت ذلك الذي عبر الجزيرة وقلت لهم : أعرفك...
وكتمت إسمك مع الأسماء التي في السر، هنا التقى بك عبر الناس سمعت صوتك
في آحاديthem وهنا في هذه الأرض التي تجمع الأحبة التقى برجل آخر يحبه قلبي
منذ زمن بعيد وخططنا وحلمنا وسمعت صوت الرصاص رغم الصمت الذي يفوح في
الليل، وقلنا نفاجئك وكان شيئاً (هناك) لم يفهم بعد ولا أتوقع - كالعادة - أن تفهم
الأشياء الحقيقة بسهولة وبدون ألم، والحمد لله أن أكون معكم، أنتم رجال البداية، إن
البدء يقرر ارتباط الرجل الحقيقي ويجعلك تمتلك لحظة التاريخ، التاريخ الصامت
العظيم.

في (الرزمة) ابتدأنا سوية منذ لحظتها الأولى منذ خطوطها الشفوية الأولى إن ذلك
جعلنا نمتلك العملية ونطوعها كلما التوت، لأننا نملك بدايتها الواقعية نملك تأريخها
إنها ملكنا نحن الذين كنا نعيشها لحظة لحظة أكثر مما هي ملك أي إنسان آخر لقد
كانت القيادة واقعية جداً حينما كتبت في نشرياتها إن رجالاً مناضلين صنعوا ذلك
وإنها ساهمت بـ (أننا مع كل عمل ثوري) والآن كل الذي صنعواه وعلى بساطته ملك
للشعب شعبنا العظيم، أقول لك ما زلت ألح أن نبدأ سوية أيضاً وليس غريباً أن نلتقي
نحن الأربعه الذين أخلصنا لتلك العملية، ليس هذا غريباً مطلقاً أبداً ذلك لأن هناك
شيء يريده أن يبدأ بشكل حقيقي ... والشيء الحقيقي يختار الناس
ال حقيقيين.... مadam هذا الحقيقي يريد أن يبدأ.... فسنلتقي حتماً، ولكن علينا أن
ندخل في التاريخ ونعمل في لقائنا ولكن (القramطة) يا صديقي يريدون لي أن أكون
في محل آخر.... سألتهم بعمق وبوعي وسائل النظيفة أن أكون معكم....
إن خمسة أشخاص بإمكانهم أن يوقفوا الشرارة الأولى على أن يكونوا هم تلك
الشارارة.... التي ستضيع بعد ذلك في اللهب العظيم الذي تكسر نفسها لإيقاظه...
تلك النواة هي الواجب الأول باعتقادي... الواجب الأساسي وكل ما عدا ذلك ليس
إلا مسألة ثانوية في الظرف الراهن وليس هناك نضالاً غير مهم في عملية الثورة
ولكن بدون إدراك لأهميته والبدء به. تخبو كل الجوانب الأخرى... بدون اللهب

الأساسي الأول سوف لا ترى النضالات الأخرى طريقها بشكل صحيح في هذا الليل
المظلم.... المسألة الآن هي زخة الرصاص الأولى.... الانتصار الأول سأعمل جهدي أن
التحق في أرض الميعاد....

أخي الحبيب في الليلة الأخيرة وقبل أن نخرج من الأرض. حكى لك تجربة...
تجارب.... حكايات.... لعلك لاتزال تتذكرها.... بل لعل التجربة أكدتها لك... أو
الغتها... في الحالين يهمني أن أطلب إليك ألا تنساها... وفي تلك الأيام الأول التي
التقينا فيها قبل أكثر من سنة.... ساورت قلبي أغنية (حسن الشموس)

لون توگف دول يسحّها شعب الهرور چي ضيمه چبير وگله شايل سل
أطئن هورها وكلساع أگول ثثور.....

أگولن مايصح گبرك ولا حطو عليه ناطور

أگولن عله ساعة ويلهج الشاجور....

واليوم في قلبي أغاني أكثر هديراً... ولكن لا أعرف أن أغنيها... لقوة ذلك الدوى
اللاهب فيها... إنها تكاد أن تتفجر وأنت تدرى أن الإنفجار أحد أرفع أشكال الغناء...
إن قلبي يتفجر بالأغانى هذه الليالي. حيث تقترب لحظة الإنفجار الأولى... حينما
سيبدأ ذلك الإنفجار سيرى الثوريون الحقيقيون وجوههم الصارمة والإنسانية... في
مرايا ذلك اللهب... وستأخذ الأحلام طريقها في المادة...

الساعة تقارب الواحدة بعد منتصف الليل وأبو خليل يدور في الإزار الأحمر الذي
أمامه ولعله يحس في قلبه رفيق علم الثورة ووجوه الفلاحين وكما وجه القصب ووجه
جيفارا وهو يمد نهرًا ببلاده.

سيحكى أنني لابد أن أجيء
أقبلك أخي وصديقي... وإلى اللقاء
أخوك دائمًا

نص الرسالة الثانية:

أيها الحبيب

مُرْ لوني... مُرْ طبعي... مُرْ طعمي... مرتان عيناي حتى أراك ثانية وحتى ذاك اليوم
توقظني الوحشة والنار التي في حزامي وفي قلبي ألومك كثيراً لأشياء وأشياء وفي قلبي
أحكي معك كثيراً عن أشياء وأشياء. وفي قلبي أقبلك وأنت ترفض كثيراً وكثيراً عن
أشياء وأشياء. !!!

لقد كنت حقيقياً في كل ما حدث، والناس شعبنا يتحدث عنكم في كل مكان وأريد
أن أقبلك كما بالأمس من عينيك. للتحدي الذي فيهما. للتحدي الذي نتحدث عنه
للحماهير... بفرح، كان كل خبر جمرة تطفأ في عيني، قالوا أسرت، وقالوا كسرت،
وقالوا.... قالوا مت يا أخي ياحبيبي. وحفر النمل قلبي ولكنني ما بكيت.

كانت الدموع ترفض، كنت أحس أنك ما زلت تنبض ومع هذا صرخت في الليل كما
يصيّب الذئب طلق في عينيه.

أما عن العزيز أبي هادي، فقد دحض كل ما قاله الثراثرون الغباء بالأمس، وثبت
مفهوماً جديداً، عنه وعنك وعن الآخرين يتحدث الفلاحون حول النار في الليل،
وتتحدث أخبار المدن، ولم يكن موقفكما غريباً على بالذات، كنت أعرف هذا فيكما
منذ زمن بعيد، وتحدثت عنه للآخرين منذ أكثر من نصف سنة أيها الحبيب، يا أخي،
أذكرك دائماً، وأتيت من مكان بعيد - كما تدري - لا تكون قريباً من مكانك، وأكتب
هذه الرسالة. في ليلة واحدة سرت تسعة ساعات على الأقدام، ولكنني رغم الإجهاد
كنت خفيف الخطى وأسير بفرح وأشم الريح التي تأتي من هناك، وأنذكر كيف كنت
أضع (الريحة) على شاربيك صباح المواجهة.

سوف لا أنتظر رسالة منك، لأنني مضطر أن أغادر هذه المنطقة بسرعة أو أ تعرض لخطر
أكيد.

أيها العزيز العمل ينمو بسرعة وأنا أكثر تفاؤلاً من السابق، وسوف لن يطول الليل. مع الرسالة (ديناران) لا أملك أكثر منهما حالياً، ربما تقييدكما. لقد كنت أريد أن أتي إليك بملابس الريف، في المواجهة ولكن الحذر والعمل منعاني ومهمما يكن... فأنت في عيوني دائماً.

سلام وقبلة، وشوق للعزيز أبي هادي أخي الحبيب وأنذرك دائمًا
أخوك

((سوف تعرفي من المحبة والخط)) (٧٥)



مظفر النواب في سجن الحلة المركزي شتاء ١٩٦٦

(٧٥) المصدر السابق - ص ١٣٧.

يتناول مظفر النواب في ملحمة الشعيبة الطويلة "حِّجام البريس" ثوار انتفاضة هور الغموكة، بشخص "حِّجام" وفيها مكابرة عظيمة قل مثيلها، ودللات وصور بلغة عن هذه الإنفاضة، ودور الثوار، والإعتزاز المتناهي بالوطن، والأمل الأكيد في انتصار الشعب على جلاديه ومغتصبي حقوقه المشروعة، وتبقى ذكرى ثوار الإنفاضة مطبوعة في ذاكرة النواب، ومرسومة في حدقتي عينيه لا تفارقه، رغم شوقي العارم أن يكون أحد المساهمين فيها كما ظهر في رسالته -السابقة- إلى الرفيق عقيل حبش:

حِّجام البريس

أواكح ...

چَّني . إيد تفوج ...

ومَّكتَّبَهُ أصابعها ...

أشوغ ويه الشمس ... ليفوگ اعاتب گاع مدفون بنباعيها ...

مكتوب ابْلاؤيهها ...

اتحفر بِّيه مساحيها ...

وأشمس روحي بالسنبل ...

يجي بروحة شمس ...

يسَّگي السفن والناس يسَّگيها ...

ابوس ايد اللي يسكي الناس ...

ويحمل تمر، وسلاح، ورصاص ...

بشاريعها ...

أبوس إيد اليشيل البرنو الزبنيه ...

بطرگ ثوبه ... وأباعيها ...

أفه يا گاعنه ؛ الوکھه !! ...

حلاة الليل ، وأهل الليل ...

والنار ... بمرابعها ...

أفه يا گاعنه ...

السحگتها ...

وانسحگت عليها ...

جيوش يابو جيوش ...

وما بدلت ... طباعيها ...

وأفه يا گاع ...

ينبت بیچ للواوي عنب ...

يا طيبه ...

ويعرس عليچ الذيب !!!

هنا يتعاظم صبر " حچام " وعتزازه الرائع، وفخره الباهر، بالوطن رغم كل ما حصل أو يحصل له، ويُقسم على الاستمرار في نضاله والموت السعيد على أرضه:

أمد صبري اعله صبرچ وأحفر سراديب ...

لو صرتني ... زبل من زود المزبلين ...

لو داروا عليج سيان طينتهم ...

يحلوه سنين ...

أگولن گاعي واعرفها ...

أگولن گاعي ...

يتتنفّس بريتي ترابها ...

وحبها ... وبصلها ... والشمس ... والطين ...

باعوني عليهها ...

وخرّصت عيني بدمعها ...

وماني بايعها ...

وحّگ الشطر الأحمر ...

والليالي الغبره ...

يگويـه ... أـمـوـتـنـ وـاـنـتـ حـدـرـ العـيـنـ

تونسيـنـ ...

أـفـهـ يـاـ رـجـالـ طـيـبـيـنـ ...

تنـسـونـ المـراـجـلـ !!!

وـالـمـراـجـلـ بـيـكـمـ اـتـسـمـتـ مـراـجـلـ ...

كلفه يمودين ...

أڭل للروح تنسىهم ؟؟ ...

تدنج راسها وتسكت ...

حليب البيها ، مانعها ...

كل روح ومراضعها ...

كل إيد وأصابعها ...

كل روح وجرحها ،

الجرح ما ينلام ...

يا معودين أهلنه ...

يلحقكم يالنشامه ... حزام ...

يا معودين أهلنه ...

الگاع ضيجه من عگبكم ...

ما تسع حچام ...

تنام العين، چي تعبانه مني ...

ومن نفسها تنام ...

ولك ردوا ...

حنيني ايگعد الميit ...

وحشتي اتطلع بليل الشته ...

شمس الربيع ... أيام ...

عين الما ت Shawf أحبابها الحلوين ...

ما هي عين ...

ولا هي تشوف .

ولا هي بعنه ...

ولا هي تنام ...

سالفتنه:

عن فلاح من كل الفلاح ...

إخته اسمها «سعیده» ...

من هور «الغمونگه» ...

وبعد سنه اتعرس ...

والمفاز طوگت بالليل أخوها ...

وچانوا الحوشیه والشرطه (١٠٠) ...

والحرّه ما خافت ...

عمرها ١٧ سنبله ...

صاحب :

يا چبیر الھور ... يا ابن الشلب ...

يا حچام ...

رد الھور :

إسمع يا چبیر الشلب ... يا حچام ...

يا حچام ... يا حچام ...

يا ح... چ... ا ... م ...

طارت غاگه مكسورة چنج بالزور ...

يا حچام ... يا حچام ...

فررت گبله البرنو ...

لگطھا ابساع :

يلوخدج شريفه ...

وبیت الضیم بزمراها ...

وخطن العینین سچة غیظ

فوگ المای ...

دوب الصوت ما ينسمع .

واتکوفر غضی حچام :

منهو الجای ... ویه المای ... ویه الشرچی ...

يا حِچام ؟؟ ...

يمكن عِدو يا حِچام ...

يمكن شرطه وتلَعْب النفس ...

والشرطة لا هي چلاب ...

ولا هي زلام ...

يمكن خاين مايعرف المچامن ...

يعرف العربيد ...

وين ينام ...

ريحة خاين بعرگ الحزب ...

مدفون ،

من اسنين ...

ريحة خاين معودين !! ...

والتأف ... وشبيگ گلبه ...

وزحف حدر الگصب والطين ...

مامش للرصاص أخبار ، مشتاكين ...

يمكن عِدو يا حِچام ...

يمكن واوي من واویة الحِکام ...

يا حِچَام ... إِسْمَعْ گَصْبَه گَصْبَه ...

وْبَالَكَ تَعُوْفَ الْكَصْبَ ...

لِيل "الْغَمْوَگَه" حِزَام ...

صَاحِ النُّوبَ، صَاحِ الْهُورَ، كُلِ الْهُورَ، صَاحِ وِيَاهَ ...

يَا هُورَ "الْغَمْوَگَه" وَكَام ...

- يَا حِچَام ... يَا حِچَام ... يَا حِچَام ...

وَالْتَافُ اَعْلَهُ گَلْبَهَ ...

وَشَاؤِرَهُ بِحَسَّهِ الْخَشْنَ :

يَا گَلْبَيِ رَضْ ظَهَرِي ...

الْوَحِيدُ الْعَارِچُ بِطُولِه ...

اِيْتَحِدُهُ ، وَمَا يَعْرِفُ وَلَا يَنْضَامُ ...

تَكَلْطُ مَنِّي يَا گَلْبَي ...

وَنَبَگَ حِچَام ...

وَالْحَاجِبُ نَسْرُ فَارِشُ جَنَاحِينَه ...

بُوكَاحِهِ يَطِير ...

- مَنْهُو اَهْنَاكَ؟؟...-

كَبَرْتُ عَيْنِهِ ... كَبَرْتُ ،

لمّت الهرور ... الكَصْب ...

الطيور والعَكِيد ... والخنزير ...

واستاحدش وحشة البير ...

قصتنه بعدهي بأول القصة ...

وراها گرون وشياطين ...

يا وحشة الوحده يظل عدل ...

والطينته من الطين ...

يا طينة بلدنه ... يا أصل كل طين ...

وبيهها نعيش ... وبيهها نموت ...

وبيهها يخُّصر من عيونه البريين ...

واليندفن بأرض أهله : عدل ... حي ...

يسمع الحنطه ... ويحس عروگها بصدره ...

ونشيش الماي ...

والميت بگاع الغير ... وحده يموت ...

وحده ، لا دمع ، لا ناس ، لا تابوت ...

وحده يموت ...

غريب ويندفن مثل العرج ، بسکوت ...

ورد الصوت:

يا ابن أمي حسافه تموت ...

كترت عينه، نار الله الوسيعه ...

ولممت الثوار والعشاق ...

قصتنه اعله حِچام الحِذر بالهور ويمشي الراگ ...

صاحت إخته:

لا ياخوي ... لا يازين ...

لا تمشيش راگ الراگ ... يا ابن الحرّه،

ما يستوحش التفّاگ ... يا ابن الحرّه،

هنا يستدرك النواب ليقول لنا أن أرض العراق ولاّدة تنجيب أفيذاً هم للأعمى عين،
وللميت روح، وهم الدواء للحزن، وللمفارقين وصل ولم شمل، هو عراق "مراجل"
التأثيرين:

لابد ما تفرخ الكاع ... هذا عراگ، هذا عرَّاكنا الموصوف للعميان... وللميتين...

وإدوه لكل حزن وفراگ ...

يا ابن الحرّه

خط عينك ولا تُغفل

غُقل گبلاك حزب وانباگ ...

جس ازناها الواگف ...

وطّاها اعله گلبه ...

برهدنه ، وبسكوت ...

- يا ابن الحرّه

هذا عرَّاگ ...

حط خُدّه اعله خد البرنو الزرگه ...

البنادق والزلم عشاگ ...

هذا عرَّاگ ...

وفز غرنوگ ...

وعيطة بالليل البرانو ...

حده حادي النوگ ...

- لا ترميش... آنه اختك ... انه بنت امك

بعد روحني يبس ثوبتي عليه من البرد والخوف

والشمات عشر حلوك

- ولچ سعده ...

يسعده اشجابچ لموتي ؟؟...؟

وشبكها ... وعاتبها ...

وريح التفگ اعله صدره ...

ولنّه صاح الموت ... بگريتوف ...

ريحة زفره ، ريحة شرطه ، يا حچام ... دگ الشوف ...

- لا يرتاع گلبيچ ...

آنه عد عيناج ...

يا اخت الحزب والثوار ... والطيبين ...

ساعه والتفسگ والليل والحوبات متغاوين ...

- يا حِچام أخذ حوبتنه يا حمرین ...

ساعه ...

والمراجل إلها ساعه ...

وزخت بصدره ...

لگيظه من التفگ ... ويلاه ...

يا ويلاه ... يا ابن أمي ... عداك الموت ...

يا واگف وکح طرگ الجلد والطين ...

شگولن للتفگ لو ناشدن عنّك ...

شگلهن ؟؟ شعتذر ؟؟

- سعده ...

وغمض عينه اعله صبر سنين ...

إحلقيلي بزمرهن ...

عگبي - جدام العدو - تشيلين راسچ بييه وتحلفين ...

- إنت تموت !!

يا ابن أمي: تظل عيونك مفاتحات ...

حتى لو خذاك الموت ...

ينتفض "حِچام" ابن الھور وتعاظم في روحه الإرادة والعز، وثقته الراسخة بشعبه وحزبه، يوم الصعب، ويغلي في داخله مرجل الإنفاضة والثورة، وهو يخاطب أخيه:

خرها ...

وگام گومة حزب للكلفات ...

يحسه اللي يگلک عن شعبته يموت ...

ساعه ...

وتضحك الرايات ...

كل خيمه وراها اثبات ...

كل شيلة علم لابد وراها رجال ...

كل ميّت مثل حچام يشيل جبال ...

وقصتنه :

بعد هي بأول القصة ...

وگ حچام ...

ومات الصبح ...

والتمّت عليه الشرطة ... والحوشيه ...

” سعيده ”

خذوها اميّسره ...

لسجن «الرفاعي» ...

وخيمت ليلة حزن ...

سنطين ...

أكليج :

چني أسمع ليل ...

يا أم عشره ...

وزمر زرگه ...

ويعود "حِقام" يبشر لعودة الحزب بثوبه الجديد، بعد غياب طال أمه، ويهلل
(للكبير) ليقف الثائرون في بابه "رَدُّ الْجَبِيرِ النَّوْكَفِ ابْابَه" ليعيده للشورة بريتها
ولمعانها:

يَصِحُّ رَدُّوا !! ...

وَأَكْحَلَ عَيْنَ الْمَجْذِبِينَ ...

وَاتْنُومَسَ ...

وَأَفْرَگَ رُوحِي بِالْمَلَگَه ...

يَصِحُّ رَدُّوا !! ...

وَأَزَامَطَ بِيَهُمْ

وَشَرْطَةُ الزَّرْگَه ... ؟

يَصِحُّ رَدُّ الْجَبِيرِ النَّوْكَفِ ابْابَه ...

چثير الھله يا يابه ...

چثير الھله ...

من غبتو ، التفگ ملهاش خطابه ...

وَأَكْلَمُ رُوحِي عَنْهَا اللَّيل ...

وَاخْتَنَگَتْ عَگَبَکَمْ بِيَهَا عَطَابَه ...

مضغبره ...

وَأَچُولُ من الْچُول ...

وَگَامَتْ بِيَهَا

وحشة ليل وترابه ...

بیریس :

روحى معیوبه عَگب موتک ...

وأگولن : عیب أخت بريس ...

جرحنه ... يواکح صوابه ...

جرحنه من وَگع " شعلان " ...

ما يوگف عليه ارماد ...

جرحنه چبیر ... ما لمته ديرة ناس ...

ولا نامت عليه الكاع ...

يُخْضِرُ الأَمْلَ فِي عَيْنِي " حَچَامٌ " رَغْمَ مَعَانَاتِهِ الْكَبِيرَةِ وَالطَّوِيلَةِ، وَرُوحِهِ الْمُثْخَنَةِ
بِالجَرَاحِ، وَيَبْقَى شَاخِصاً يَرْنُو إِلَى النَّصْرِ:

: بريس :

روحى خلصانه ثلثرباع ... وما چلت ...

وأمل بيهها بُكْثُر ما خضر البردي

وتظل الكاع ...

أمل بيهها ...

وأواکح بيهها جوع ضباع ...

جرح البينه ، لو بالله ... كفر ...

واحنه بعنه وساع ...

يا مفرع ، يا راس الهيبة ،

لا تهتم ... وراك سباع ...

ها ... خوتي :

اعله دم بريس ...

عله الكلفات ... يا شطبين ...

يتغاوه الزمان مغاوه بيكم

وانتو زعلانيين ...

لو عاطن ...

أگولن : هله ... هله ...

صدگت ... يا فلان ...

وبگد المعتب ، يا عزيز الروح ...

أهليلك ... وأکولن : جيت ...

لو خرخشة گصبة ليل ...

أفزن ، يا چبير البيت ...

وأگولن :

إي وحگ الله اصدقت ...

مثل الزرع ردّيت ...

وأهللي بكثـر ما هـلـيت ...

يا معافه ...

إجه الفجر اللي ما يخلص ...

ويظل المـاي بيـه ايـمد ...

ونـشوـفك ...

تجـينـه ويـه الحـصاد ...

اتـشـوفـ أـهـلـنـه ...

إشعّمروا من المحبة بيوت ...
ويَكُولُوك إِحْنَه نموت !!! ...
وابنك واَگف محرّم على الدّنيه ،
چبير التوت ...
ويَكُولُوك احنَه نموت !!!
هَاي بيوتنه ،
وذولاك أهلنَه ...
والچواير گطه ...
ودخان المعامل واصل إِتالي الشلب ...
والشلب ...
ناهبله گصيبة من الشّمس ...
گبل الصبح بسکوت ...
ويَكُولُوك إِحْنَه نموت !!!
هَاي الدّنيه ، ما يبنيها غير أهلك ...
وميتته أرد أَگلَك :
من تشيله الناس ...
يدير العين للديره ...
ابمحبه ...
وهُوَه بالتابوت ...
ويَكُولُوك ، العفنين، إِحْنَه نموت !!!!!!

لقد كان ما ذهب إليه حزب القيادة المركزية في رفع سقف الخطاب الثوري، لا يقف على أرضية واقعية، أي غاب عنه الإدراك الكامل لقدراته الفعلية، مسيرة الاندفاع العاطفي لبعض الكوادر والقواعد والجماهير، التي كانت تريد تغيير النظام القائم بعمل مسلح عاجل سريع، وهي لم تكن على دراية بضعف امكانيات الحزب على الأرض، ولا المقومات التي يبني عليها هذا التغيير، رافق ذلك تردد قيادته و ضعفها وعدم قدرتها على حسم الأمور و فق قناعاتها لفرض النهج الموضوعي الواقعي بهذا الخصوص، إضافة إلى التقييم المنقوص لتناسب القوى و صراعها على الساحة السياسية، وغياب الموقف الرصين المتأنل بعيد عن التطرف في رسم سياسة جديدة بديلة، و تجاهل الأصياغ "بعض الأصوات" التي كانت تدعو لعدم الاندفاع تحت سطوة العاطفة و المبالغة بالامكانيات و تهويل القدرات، دون التقييم الموضوعي المدرك لها و الواقع بها، وأبرز أصحاب هذه الدعوة هو الرفيق حميد الصافي "عضو مكتب القيادة مركزية".

كان ذلك يتضح من خلال البيانات الثورية التي تصدرها قيادتنا مفعمة بمبالغة في تصوير امكانياتنا و قدراتنا، التي كنت أدرك ضعفها بحكم موععي في قيادة الجهاز الصدامي المركزي، لهذا عارضت الایحاء، لقواعدنا و جماهيرنا، أننا قاب قوسين أو أدنى من انتزاع السلطة، مع علمنا المسبق بتواضعنا قبلة هذا الانتزاع، بحيث ن nisi عامل مساعد لقوى أخرى أكثر تأهيلًا لإسقاط حكم عبد الرحمن عارف بكفاحنا المسلح ذي البيانات الحماسية، التي تلقي الذعر و الخوف و الرعب في أوساط سياسية عديدة، داخلية و إقليمية و دولية، ما يحدو بها لأن تسرع في إسقاط الحكم العارفي.

وهذا ما تحقق لاحقاً، عاجلاً غير آجل، حيث في الوقت الذي لم نكن على دراية بتحركاتهم، مفتقرين لتقييم قدراتهم و مستخفين بها كونهم الطرف الأضعف في حزب البُعث، ظهر انقلابيو ١٧ تموز ١٩٦٨، فكانت كارثة تصفيتنا التي يتحملها الحزب كله: قيادته المركزية و سكرتيرها العام وكادرها المتقدم.

لقد تأسست دورة جديدة من العنف في ممارسة التعذيب والتنكيل والقتل وقمع الحريات وانتهاك السلم المجتمعي والعيش المشترك وضع الآخر المختلف في خانة الاعداء، فكان ثمن الانقلاب باهظا تحملته كل القوى اليسارية والوطنية المخلصة، و من ضمنها حزب القيادة المركزية والحزب الشيوعي العراقي، لأكثر من ثلاثين عاما غابت فيها كل الأحزاب باستثناء حزب السلطة، الذي تحول إلى حاكم فردي دكتاتوري متسلط، لتنتهي مرحلته باحتلال أجنبي، أسس لبناء نظام عرقي طائفي محاصصي، دخل في دوامة العنف والعنف المضاد، يقابلها شعب خاسر افتقد الأمان والحرية، يحدوه الأمل في الخلاص من هذه الدوامة، وتحقيق الحرية، وبناء الإنسان، لكن أمله هذا بات بصيص ضئيل عند آخر النفق المظلم الذي يسير فيه وطننا.

إن العنف السياسي الذي كنا نمارسه في القيادة المركزية، تحت مسمى مشروع ومقبول هو "العنف الثوري"، لم يقتصر على مؤسسات الدولة، بل انسحب على بعض الأفراد الذين نريد التخلص منهم، وهذا نتاج تراكم لثقافة العنف التي ترسّبت في عقلنا الباطني، والتي قد تنفلت من عقالها متى ما تهيأت لها الظروف المناسبة وبالأخص عندما نمنحها الشرعية، بأي عذر كان، بعدما توفر لدينا القناعة بأنها تخدم قضيتنا. لذلك فإن الكتابة عن أحداث مضى عليها أكثر من خمسين عاما، شهدت صراعات مختلفة في العراق وتغيرات دراماتيكية في العالم، وتبدل فيها أمور كثيرة، وتغيرت خلالها أفكار ورؤى، ونضجت بها قناعات جديدة، ينبغي أن تكون كتابة ذات موضوعية وشفافية، في وقت أصبح بمقدورنا كأفراد توثيق تلك الأحداث، بعد أن أمسى عالمنا بمثابة قرية صغيرة متاحة لأفرادها - عبر التقدم المعلوماتي بشورة الاتصالات - حرية التواصل والنشر بسرعة فائقة، وبمنأى عن الظروف الضاغطة لإملاءات السلطات، أيًا كانت، لأنعدام قدرتها على قمع هذه الحرية، وقد انعتقت من طوق الانتماء الحزبي الأيديولوجي الضاغط، باتجاه الانصياع له، في محاولة لصنع ذاكرة سليمة لمجتمعنا.

من هنا نطرح هذا التساؤل: هل اتعظت القوى السياسية،اليوم، من تجارب العنف والقمع والاقصاء، وممارسة اسلوب التامر والانتقام، ومعاقبة الآخر المختلف، بعد مرور هذه الحقبة المعاصرة المكتنزة بتنوع الأحداث؟ تدلل التجربة المعاشرة الحالية، كما تبدو لي، أن القوى السياسية لم تتعظ، بدليل أنها لاتزال تراوح في مكانها، إن لم تكن قد تراجعت إلى الوراء، فهي لم تدرس حركة التأريخ المتغيرة، ولا حاولت أن تفهم أو تدرك الصراعات الدائرة من خلال هذه الحركة، ولم تبلغ مرحلة القدرة على الانتقال إلى الضفة الأخرى التي تتسم بالتسامح وقبول الآخر المختلف تحت خيمة الهوية الوطنية، التي تلغي الهوية العنصرية العرقية والطائفية المذهبية، بعد أن تقيّم تجربتها وتقف على أخطائها.

الفصل الخامس

١- انقلاب ٨ شباط الاسود الدموي وما بعده

كنت في الثالثة والعشرين من عمري ابان هذا الانقلاب، عضوا في اللجنة المحلية للحزب الشيوعي العراقي لـ"تنظيمات صرائف العاصمة خلف السدة الشرقية و مدينة الثورة"، وفي صبيحة يومذاك، عند سماعنا نباء من الإذاعة العراقية، خرجنا جموعا متوجهين إلى منطقة "باب المعظم" حيث وزارة الدفاع، مقر الرعيم عبد الكريم قاسم، فإذا بحشود متوافة متجمعة أمام البوابة الرئيسية للوزارة، كانت جماهيريتها على أشدّها، هياجاً و غلياناً و غضباً، بصيحات تتعالى "يا زعيم نريد سلاح"، وبينما نحن على هذه الحال من الحماسة والاندفاع، إذا بنا نشاهد سيارته "الشوفوليت ستيشن" بلونها العسكري وهي تحاول اختراق الجموع المحتشدة المتجمهرة، تشق طريقها بصعوبة بالغة بينهم، و كان جالساً في مقعدها الخلفي، منتصباً متوتراً ممسكاً بيديه مسند المقعد الإمامي والغضب والعزم باديان على وجهه، وتصفيق الجماهير الثائرة يعلو ويرتفع، تطالبه بالسلاح، و هو من داخل السيارة يردد "ما كوشي"، وبعد لأي اجتازت البوابة الرئيسية للوزارة حتى وصلت مبنها الداخلي والغاضبون يشيعونها بهتافاتهم، بيد أنهم بقوا مرابطين خارج المبني، لم يقتسموه، لكنهم أيضاً لا يريدون أن يغادروه، ترفع أصواتهم مطالبة بالسلاح، وبعد مضي وقت تقدمت دبابة تحمل على ظهرها صورة الرعيم، توجهت صوب البوابة الرئيسية محاولة اختراقها للوصول إلى مبني الوزارة، وبينما هي في طريقها إليه وجهت فوهة مدفعها نحوه، كأنها تريد مهاجمته، وفي الحال اكتشف المحتشدون أن رفعها الصورة كان للتمويل والخدعة، فهجموا على الدبابة و اعتلوا ظهرها، وفتحوا برجها، وهنا خرج منها عسكريان، أحدهما ضابط، تم قتلهم في الحال.

كانت الجموع ثائرة هائجة، مائجة، هائمة منفلترة لا تدرى ماذا تعمل، عزلاء لا قيادة تقودها، ولا تمتلك سلاحاً أو حتى أبسط مقومات ومستلزمات المقاومة، وبعد انتظار

طويل دون جدوى، والشمس تتعالى والوقت يمضي، إنفضّت من محيط الوزارة وتفرق تباعاً بعدها أصحابها الجزع واليأس، ولم يكن هناك من أمل يرجى، بعدها سرت وبعض المتظاهرين متوجّهين إلى محلّة "عقد الاكراد" في باب الشيخ، -بعد أن علمنا بوجود مقاومة وتجمع جماهيري هناك -فاللتقيت بالرفيقين على الورد وباسم مشتاق عضوي لجنة منطقة بغداد، وبسؤالهما "ما العمل؟" أجاباً أن قرار قيادة حزبنا الآن هو النزول إلى الشوارع تحت شعار "نزول الجماهير إلى الشارع يسقط المؤامرة"، وأن بياناً صدر س يتم توزيعه. جاء في البيان:

"إلى السلاح لسحق المؤامرة الاستعمارية الرجعية!
أيها المواطنين! يا جماهير شعبنا المجاهد العظيم! أيها العمال وال فلاحون والمتّلقون وسائل القوى الوطنية الديمقراتية!، قامت زمرة تافهة من الضباط الرجعيين المتآمرين بمحاولة بائسة للسيطرة على الحكم تمهدًا لإرجاع بلادنا إلى قبضة الاستعمار والرجعية..... ثم يدعو البيان الجماهير قائلاً: "إلى السلاح للدفاع عن استقلالنا الوطني، وعن مكاسب شعبنا! إلى تشكيل لجان الدفاع عن الاستقلال الوطني في كل معسكر، وفي كل محلّة ومؤسسة وفي كل قرية! إلى الأمام، إلى تطهير الجيوب الرجعية، وسحق أية محاولة استعمارية في أية ثكنة وفي أية بقعة من بقاع البلاد".

وينتهي البيان بالآتي:

"إننا نطالب الحكومة بالسلاح. فإلى الأمام إلى الشوارع! إلى سحق المؤامرة والمتآمرين".

وعندما رفض قاسم تزويد الجماهير بالسلاح. أصدر الحزب الشيوعي البيان الثاني وقد جاء فيه..... "أننا ندعو الجماهير لمهاجمة الجيوب الرجعية وسحقها دون رحمة وعدم الانتظار. إن استقلالنا الوطني أمام خطر مؤكد.... إن مكتسبات الثورة أمام خطر مؤكد.... استولوا على السلاح من مراكز الشرطة ومن أي مكان

يوجد فيه... إلى السلاح ! إلى الهجوم من كل أنحاء بغداد والعراق لسحق
جيوب عملاء الاستعمار".

وقال على كل رفيق أن يلتحق بتنظيم منطقته ويلقي بالمقاومة هناك، للتصدي للمؤامرة، وهذا جواب لم أقتتن به، فهو مؤشر ودلالة على أن الحزب لم يكن قد وضع خطة مسبقة، ولم يكن متاهياً لمواجهة مثل هذا الحدث، أو يعد له العدة في حال وقوعه، أنت أعزل لا تمتلك غير السكين والعصا وعذوك مدجج بالسلاح، وقد خطط لحركته الانقلابية جيداً وباغتك وفاجأك وشن حركتك وقواك وقد استغل الجمعة يوم عطلة، والتنظيمات العسكرية للحزب كان معظمها في إجازة، والمدينة نائمة وقد أفاقت على سماع البيان الأول للانقلابيين، أما قائد البلد فكان نائماً في بيته بعيد عن مقر قيادته، كل هذا يطرح عليك سؤالاً: "ما الحل؟"، لكن لم يكن أمامي غير الانصياع لقرار الحزب، بعدما تركنا ملقياً مسؤولة المبادرة علينا نحن، فتوجهت إلى تنظيمي في منطقة صرائف العاصمة.

صرائف العاصمة

كانت هذه المنطقة واسعة، تنتشر أكواخها من الوزيرية (أقصى حي صليخ حالياً) إلى الرستمية - معسكر الرشيد (الهنيدي)، وفيها أحياe "الميزرة" و"التسريرحة"، تفصلها السدة الشرقية (سدة ناظم باشا) عن أحياe الوزيرية والكرادة الشرقية، وهي سدة ترابية بارتفاع ٧-٦ أمتار تم بناؤها على يد الوالي العثماني حسين ناظم باشا عام ١٩١٠م، إثر الخوف على بغداد من الفيضانات بعد الفيضان الأخير عام ١٨٣١م، وقد غرفت فيه المدينة من شمالها إلى جنوبها، وحصلت فيضانات أخرى بعد بناء السدة في الأعوام ١٩٤٢، ١٩٤٦، ١٩٥٠م، وفيضان عام ١٩٥٤م كان آخرها، فكان سكان خلف السدة على امتداد حدودها يضطرون للرحيل للمناطق المحمية بالسد، يمكنون فيها عدة شهور بانتظار أن ينحسر ماء الفيضان عن أراضيهم وينشف أديمها كي يعودوا مجدداً لبناء أكواخهم "صرائفهم". وكانوا من فقراء الفلاحين الذين هاجروا إليها من خارج العاصمة،

منذ مطلع العشرينيات فالثلاثينيات، بسبب تحول ملكية الأرض الأميرية المشاعة التي يسكنونها إلى ملكية خاصة باسم شيخ العشيرة بموجب قانون تسوية حقوق الأراضي سنة ١٩٣٢ حسب توصيات تقرير البريطاني داوسن، مما ولد نظاماً شبه اقطاعي في الريف، وكان من مسبباته انتشار الفقر المدقع وطغيان الظلم الطبقي اللذين عانت منها مناطقهم في أرياف الجنوب والفرات الأوسط، فتركوها ساكنين في أحياء "الصرائف" هنا.

وكانت مظاهر العوز والبؤس والحرمان والفقر تخيم على هذه الأحياء، التي تشكل أحزمة تحيط بمدينة بغداد، وكان أبناؤها يمثلون البنية الأساسية للطبقة العاملة في المدينة، حيث أعمال الصناعة والبناء والحراسة والخدمات، وكلّها تحت أمر العالم الآخر، المجاور لعاليهم، ذاك الذي تنتشر فيه القصور الضخمة والبيوت الكبيرة ذات الحدايق الواسعة في أحياء الوزيرية والسعدون والعلوية، التي توفر على حدائق عامة بين قصورها وبيوتها، كحدائق بارك السعدون الغناء، التي يرتادها أهالي بغداد في المناسبات، فكان هذان العالمان عالمين متناقضين!

كانت "صرائف العاصمة" عبارة عن قرية ريفية تنتشر أكوافها بشكل عشوائي، وبكتافة سكانية عالية، جدرانها من الطين وسقوفها من جذوع الأشجار، تغطيها حصيرة من القصب "بارية"، تحسبها زرائب ماشية، تفتقر لأبسط مستلزمات الحياة، فلا توجد شبكة كهرباء، لهذا يستخدم ساكنوها الفانوس أو "اللالة" أو "اللمبة" للإضاءة، ويستخدمون "المطّال" وقودا وهو الفضلات الجافة للدوااب، ولا يوجد ماء صالح للشرب، فترى نساءهم يجتنزن السدة الترابية المرتفعة إلى الضفة الأخرى لشراءه من البيوت المجاورة، فينقلنه بواسطة "المشربة" أو "المصخنة" وهي حاوية نحاسية أو "البالدي" أي "البرميل" وهو وعاء معدني، بعد أن يعبرن خلال رحلتهن نهر شطّيّط عبر قناطر من الجذوع. ثم أنها أحياء لا طرقات معبدة فيها، بل ثمة أزقة ضيقة تسمح لمرور البشر والدوااب بالكاد، رغم كونها منطقة سكنية كبيرة، يمتد على طول حدودها، بموازاة السدة الترابية، نهر "شطّيّط"، وهو تصغير لكلمة "شط"، كأنه حاجز

مائي بين عالمين، يستخدمه أصحاب الجواميس، وهم "المعدان"، لسقيها ولتأخذ قيلولة في مياهه -أو كما يقولون "تقيل"- فتلطف خلالها من حرارة أجسامها سيماء أيام الصيف القائمة. وكان "شطيط"، أو "النزيزة"، شبيها بالساقية، إلا أنه أوسع منها، مياهه آسنة، موحلة زرقاء اللون، تنبعث منها رائحة كريهة بسببها المياه الثقيلة للأحياء المجاورة إضافة لمخلفات مجاري مستشفى "المجيدية" في باب المعظم، وكان مصبه يبدأ من الوزيرية شمالاً متخذاً مساره إلى الرستمية جنوباً حتى يلتقي بنهر دجلة.

يصف حنا بطاطو هذه المنطقة: "في عام ١٩٥٦ كان حوالي ١٦,٤١٣ صريفة موزعة على تسع مناطق في بغداد الكبرى وتضم ٩٢,١٧٣ فرداً أي بمعدل ٥,٦ شخصاً في كل صريفة التي هي عبارة عن غرفة واحدة. كانت الأرض التي تتوارد فيها هذه الصرفات عبارة عن مكب نفايات تستخدمة بلدية بغداد والأهالي لرمي الأزبال والفضلات البشرية والحيوانية فيه، كما تلقي مجاري المياه السطحية محتوياتها في هذه الأرض، حيث تمر هذه المياه الملوثة بين هذه الصرفات. وبصورة عامة لا يمكن لسكان العمارة هؤلاء أن ينصبوا صرائفهم في مكان آخر لكان عليهم دفع إيجار عن هذا المكان وهو الأمر الذي لا يقدرون عليه. ويصف (الدكتور كريجلي كلية بغداد الطبية - ١٩٥٢) الصريفة بقوله: "إنها كوخ من غرفة واحدة مسقّف بالحصران والطين، ذو تهوية سيئة، وبالغ الإزدحام، ولا يوفر أي خصوصية، وغالباً ما يضم أيضاً حيواناتهم إضافة لأفراد الأسرة وليس هناك ترتيبات صحية في الصريفة أو في المنطقة، لذا فإن السكان يتغوطون عشوائياً في كل مكان، وليس هناك أيضاً مصدراً لمياه الشرب الصالحة، فكان عليهم جلب المياه من خارج منطقتهم وتخزنها في وعاء يسمى "الحب"، وأثاثهم العادي هو صندوق خشب وقليل من أواني الطبخ وسرير واحد تتكدس عليه كل فرش الأسرة التي ينام أفرادها على الأرض، وكل لقمة يأكلها هؤلاء الناس ملوثة، ويبلغ معدل وفيات الأطفال ٣٤١ من كل ١٠٠ حالة حمل. ومن الواضح

أن ظروف العيش هذه لا تشكل خطراً على صحة سكان الصرائف وحدهم بل على صحة كل سكان بغداد." (٧٦)

يروي السيد عبد الكريم الأزري أحد وزراء العهد الملكي: "بأنه زار سكان الأكواخ المهاجرين إلى بغداد وسألهم لماذا هاجرتم لكي تعيشوا وسط هذه المستنقعات والمياه الآسنة؟ فردوا عليه: ان وضعنا هذا على سوئه أفضل من وضعنا الذي كنا فيه هناك ... إننا نجد هنا على الأقل-مهما كان وضيعا-نؤمن به رغيف العيش فلا نموت، ونكتسي به أنفسنا فلا نمشي عراة، هل تتصور إنا كنا نترك (ديرتنا) لو لا الضيق الذي كنا نعاني منه أشد المعاناة؟! وما يثير الإشمئizar أن لجنة حكومية من كبار الموظفين تألفت لدراسة أمر هؤلاء المهاجرين وضعت تقريرا مليئا بالحقد على هؤلاء البؤساء وكأنهن أجانب هاجروا إلى بغداد من بلد أجنبي... لا لذنب اقترفوه سوى أنهم غيروا ديمografية العاصمة وأنهم يضايقون -حسب رأي اللجنة- سكانها الأصليين ومع أنهم سدوا حاجة بغداد الماسة للأيدي العاملة فقد طالبوا واضعوا التقرير لأن تسهل الدولة لهم سبل البقاء في بغداد - بإعطائهم أرض سكنية أو بناء دور لهم - وأن تسعى جاهدة لحملهم على الرجوع من حيث أتوا". (٧٧)

أما الكاتب محمد غازي الأخرس، فتحدث في كتابه (المكاريد) عن سكان مناطق صرائف العاصمة، الذين نزحوا إليها من جنوب العراق، وحياة البؤس والشقاء والعوز التي كانوا يعيشونها، ومكافحة الجوع وحالة الظلم التي يواجهونها، وسماتهم "المكاريد"، وهذه مقتطفات مما كتبه عنهم:

"المكاريد عموما ذرو أشكال متشابهة فهم ملحان، مصخمين وملطمين، ملامحهم حزينة حتى لکأنها خُطّت بقلم من الفحم، يسيرون "الراك الراك"، منكسرى الظهور، مطرقين برؤوسهم إلى الأرض لا إلى السماء....". ان للمكاريد ملامح متشابهة، أبرزها

(٧٦) هنا بطاطو -الشيخ والفالح في العراق ١٩٥٨-١٩١٧ -دار سطور للنشر - ٢٠١٨ -ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٧٧) عبد الكريم الأزري - تاريخ في ذكريات العراق ١٩٣٠-١٩٥٨ ج ١- بيروت ١٩٨٢ -ص ٤٩٩ . ٥٠٠

برأيي هو تواضع أحلامهم، فأقصى ما يحلم بعظمهم بتحقيقه هو التحصل على "رويتب" مضمون من الحكومة يكفي لسد الرمق، لا، بل ان احالم بعضهم الآخر تبدو صغيرة لدرجة تشعرك بالإحباط والخيبة، فأنت تتوقع أن يخامر أحدهم حلم شراء ملبوس جديد أو تذوق أكلة معينة دون أن تستغرب". ويستطرد الآخرس في سرديته ليصل إلى ذروة الإبداع في وصفهم: "هم وقود الحياة و "جيمة" التنور، وهذا الأخير ينتج للأغنياء خبزاً وكعكاً وي Shawi سمكاً وجاجاً....". وللمكاريد فضلاً عن شكوكهم الدفينة، يقين بارز انهم خلقوا للأحزان مثلما خلقت الخرفان للذبح، وإذا كانوا وقود تنور الحياة الذي يحمّص الخبر للأغنياء، فهم، أيضاً، حطب جهنم الثورات طوال التاريخ."^(٧٨).

توجهت إلى هذه المنطقة حيث كنت عضواً لجنتها المحلية، التي كان من أعضائها الرفيقان زكية خليفة الزيدي (مسؤولة خط النساء فيها) ومؤيد الطباطبائي (توفي إثر جلطة دماغية)، والتقييت هناك بالرفاقي عبد جاسم الساعدي، مؤيد الخطيب، ملا رihan، أعضاء اللجنة وصباح حسين الخصاف، وأخرين، فاجتمعنا في بيته الرفيق الساعدي لمناقشة العمل والتهيئة لمقاومة الانقلابيين، وبعد دراسة متعلقة هادئة للظرف الموضوعي المستجد، وتقييمنا لقدراتنا وامكانياتنا، والذهول الذي أصابنا وأصاب تنظيماتنا الحزبية وجماهيرنا من هول المفاجأة، أدركنا وتأكدنا أن مقاومتنا للانقلاب ستكون انتشارية وفاشلة، وغير مجدية، حيث أن منظمتنا لا تملك غير مسدس واحد نوع "وبلي" فيه ست اطلاقات فقط.

فقد كان الحزب طوال سني حكم عبدالكريم قاسم يمتلك القدرة العالية على تنظيم التظاهرات وحشد الجماهير وتعبئتها وتحريكها وفق الشعارات التي يطرحها، مركزاً

(٧٧) المكاريد - حكايات من سرادب المجتمع العراقي - محمد غازي الآخرس - دار سطور للنشر-بغداد-

.٥٠ - ٤٧ - ٢٠١٨ .

على شعار التظاهر اسلوباً وحيداً للنضال، مهملاً الأساليب الأخرى، حتى لم تكن لديه تعبئة مرسومة ومعدة في تهيئة وتوفير الامكانيات الازمة لمواجهة أي محاولة انقلابية لإسقاط الحكم القائم وتقويض جمهورية الرابع عشر من تموز ١٩٥٨م، لذلك فوجئ بانقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م، فوجد نفسه متخططاً مسلولاً ضعيفاً، غير قادر على مواجهة الانقلابيين، لا يمتلك خطة محتاطة للحفاظ على سلامته تنظيماته وكوادره وقياداته في هذه الظروف المستجدة، مما سهل الطريق أمامهم لاعتقال الآلاف من أعضائه ومؤيديه بسهولة متناهية، وكان واضحاً أن المتآمرين استغلوا التظاهرات الجماهيرية الواسعة التي كان يحشد لها للاحتجاج على الجوانب والمواقف السلبية لسياسة قاسم، وكانوا يعملون على تشجيعها، وتأجيجها، ليستفيدوا من زخمها في إرباك وإضعاف حكمه خلال الأيام التي سبقت انقلابهم، فساعدتهم كثيراً في التحجيل بإسقاطه.

ولقد أعطى عزيز الحاج وصفاً واضحاً للمأذق الذي كان يعيشة الحزب، من خلال التقييم الذي أعده وقدمه له، عن الأسباب التي أدت به إلى تلك النتيجة إثر انقلاب البعثيين، يصف في جزء منه حاليه يومذاك - كما ذكرت سابقاً -، فيقول : "إن الحزب كان كمن يحتفظ ببنديقية ليوم المعركة الفاصلة واضعاً اصبعه على زنادها، ولما حان موعد استخدامها، وضغط على الزناد، وجد أن البنديقية لا تعمل فقد علاها الصدأ"، واستبعدت أيضاً ما قاله لنا الرفيق الياس حنا كوهاري قبل شهرين من الانقلاب، - في اشراف له على لجنتنا المحلية - عن الأزمة الضبابية الحائرة التي كانت تعيشها قيادة الحزب، في سياق تقييمه للأوضاع آنذاك، وهو "إن حزباً يمتلك هذا القدر من الكادر والرفاق والامكانيات التعبوية، ومن سعة التنظيم المنتشر في أرجاء العراق، والذي غطى حتى القرى النائية فيه، والتي إن لم يكن لنا فيها رفيق حزبي يكون لنا فيها صديق للحزب، أضف لذلك الالتفاف والتأييد الجماهيري الكبيرين اللذين كان يتمتع بهما، إن مثل هذا الحزب، إما أن يستلم السلطة، أو توجه له ضربة موجعة"؛ فكانت الأخيرة دليلاً على ما حصل لتكشف لنا عن تلك الأزمة التي كانت تعيشها

قيادة الحزب، وفي هذا السياق قدم كل من الرفيقين زكي خيري وعزيز الحاج تقييمًا مشتركاً أشاراً فيه إلى تجربة الحزب للمرحلة التي شملت الفترة ما قبل ٨ شباط ١٩٦٣ وما بعدها، والمآل الذي وصل إليه في سياساته ونهجه متضمناً أيضًا انتقاداً لخط آب اليميني.^(٧٩)

في التاسع من شباط، وهو اليوم الثاني للانقلاب، بينما كنا في بيت الرفيق عبد جاسم الساعدي، داهمنا أعداد غفيرة من الحرس القومي، يقودهم بعثيون قاطنوون في بيوت "العقاري"، التي تقع خلف جمعية المهندسين في بارك السعدون والقريبة من "التسرية" في منطقة صرائف العاصمة ، كان منهم سعد الحياني وجلال شاكر التكريتي (زميلان لنا في مدرسة النظامية المتوسطة)، وصباح المدنى وصلاح عمر العلي، وأخرون، وكانوا متوجسين خيفةً منا معتقدين ربما أننا نملك سلاحاً لمقاومتهم، حيث اعتقلونا واقتادونا إلى مديرية الأمن العامة في بارك السعدون أنا و الساعدي وفليح حسين (الأخ الأكبر لرفيقنا صباح حسين)، وحالما ولجنا المديرية، أجبرنا عناصرها على الوقوف بموازاة الحائط، وبدؤوا يطلقون الرصاص من بنادقهم فوق رؤوسنا لإرهابنا، وقد تزامن مع ذلك وجود شاب اعتقلوه من مكان آخر، لم يتجاوز العشرين من العمر، اسمه ميخا، ليقف بالصف جنبنا، وقام بعضهم بضربنا بالعصي على أماكن مختلفة من أجسامنا إلا أنهم ركزوا على ضرب هذا الشاب بوحشية متناهية، حتى سالت دماءه، وكانوا يتطلبون منه أن يشتم "فهد" يوسف سلمان، مؤسس الحزب الشيوعي العراقي، إلا أنه كان يرفض ذلك بشدة، فيسمعونه أرذل أنواع الشتائم الرخيصة، ليلتفتوا نحونا ويسرعوا بحملة ضارية من أساليب الإرهاب والعنف والاعتداء الجسدي، وينهالوا علينا ضرباً بالعصي واللكلمات والركل بالأرجل، بحقد لا مثيل له، وكان فليح حسين يشتمهم، ويلتفت إلي قائلاً "من يكون هؤلاء حتى أخضع لهم، ما هم إلا صعاليك وحشرات ولن أطأطئ رأسِي لهم"، فكان

(٧٩) كان هناك تقييمان الأول قدمه الرفيقان زكي خيري وعزيز الحاج بعنوان "محاولة في تقييم سياسات حزيناً الثاني قدمه الرفيقان عامر عبد الله وبهاء الدين نوري بعنوان "مساهمة في تقييم سياسات حزيناً" ردًا على التقرير الأول.

شجاعاً وعلى درجة عالية من العنفوان والفروسيّة، ولم يكن يقبل الاستكانة والرُّضوخ والاستسلام لهم، وعندما لحد الخبر، ويبدو أنها سمة كان يتسم بها، رغم أنه كان شخصاً مستقلّاً، ليس لديه أي ارتباط بالحزب، إنما كان من المؤيدين له.

وبعد هذه الحملة من الضرب والتهديد والوعيد، والتي استمرت أكثر من ساعة، نقلوّنا إلى معسّر الرشيد، وحشّرّونا حشراً في غرفة لا تتعدي مساحتها اثنتي عشر متراً، كان فيها ضيّاط شيوخيون ووطنيون محسوبون على عبد الكريّم قاسم، يتراوح عددهم ما بين ٥٠ - ٦٠ شخصاً، وهناك ما يقارب ألف سجين كانوا يرزحون في سجن رقم (١)، ثم نقلوّنا إلى قاعة كانت مستودعاً كبيراً للذخيرة تابع لسرية الهندسة العسكريّة في المعسّر، يقع بمحاذاة نهر دجلة، وكان عدد المعتقلين فيها يقدر بالمئات، أذكر منهم حسن النّهير، وهو رجل كبير في السن، يرتدي لباساً عربياً، ضئيل الجسم، قوي الشكيمة، عالي المعنوية، علاوة على أنه والد الرّفاق الشيوخيين: شامل، فلاح، نصير، معين، ظافر، هاني وحياة، لكنه لم يكن شيوخياً بل كان محسوباً على الحزب الوطني الديمقراطي. وكان أيضاً معنا ظافر نوري المحامي، وجمال عبد القادر، زميلي في المتوسطة النّظاميّة، ولاعب كرة القدم في المنتخب الوطني آنذاك، وكان مصاباً بطلق ناري في خاصرته اليمنى، فقد كان يقود مقاومين في الكاظمية، قاموا بمبادرة منه بهجوم على مركز شرطة النّجدة، فاستولوا على الأسلحة الموجودة فيه، بعدها حدثت معركة بينهم وبين حرس قومي، أصيب خلالها، وبعدما نفذ عتاده تم اعتقاله واقتيد إلى هنا، وكان يصف لنا كيف كان يعذّبونه وهم يولّجون أصابع أيديهم داخل جرح أصابته ليوقعوا فيه مزيداً من الالم. وما زلت أتذكرة بشعره الأحمر القاني وابتسماته الجميلة التي لا تفارق محيّاه في أحلك الظروف، حيث ذكريات الدراسة وسفرتنا الكشفية المدرسية عام ١٩٥٩م إلى شقلّاوة. كذلك كان معنا في القاعة ذاتها رفيقنا فوزي عباس العامل، الملقب "فوزي الأحمر"، وهو رفيق متفرغ للعمل الحزبي، كان قدّيماً من "شقّاوات" الكرخ (محلّة الدوريين) المعروفيّن، وقد كسبه الحزب لصفوفه مطلع الخمسينيات، فتثقّف على يده، ليصبح كادراً عماليّاً متميّزاً. كان مشرفاً لفترة

على منظمة منطقة العاصمة خلف السدة، بعد أن أشرف عليها -قبله- الرفيقين حقي قاسم وخوشابا اسماعيل. وفي ٨ شباط ١٩٦٣ كان يقود مقاومة في منطقة الكريمات، لكنه اعتقل في اليوم التالي بعد نفاد عتاده، فاقتادوه إلى مبنى الإذاعة، في الصالحية، وكانوا يجلسونه على "سخان كهربائي" أمسى من أثره لا يستطيع الجلوس على مؤخرته بسبب الحرارة التي لحقت به، فيجلس القرصاء وينام على بطنه أو على جنبه أو يكون واقفا، وقد روى لي مشاهدته للزعيم عبدالكريم قاسم، والعقيد فاضل عباس المهداوي رئيس محكمة الشعب، والعقيد طه الشيخ أحمد مدير الحركات العسكرية، والملازم الأول خليل كنعان، يقتادهم ويحيط بهم مسلحون عبر الممر المؤدي إلى ستوديو الإذاعة، من شباك الغرفة المحتجز هو فيها والذي يطل على الممر، وقد كانوا حاسري الرؤوس وزنعوا عنهم ربهم، وكان قاسم يسير منتسباً تعلو وجهه ابتسامة شفيفة، أما المهداوي فكانوا ينهالون عليه ضرباً ويسمعونه كلاماً بذئناً ويكليلون له عبارات الإهانة، وقد تسربلت هامته ووجهه بالدم، وكانوا يدفعونه بعنف وقوسراً بالغين، بينما انبرى قبالته أحد الجنود وقد انتفخت أوداجه حقداً وكراهة ليوجه له طعنة بسلاحه الأبيض يغرزها بظهره، وهو صامت لا ينيس ببنت شفة.

كانت مساحة هذه القاعة حوالي ألف متر مربع، تعلو جدرانها شبابيك مفتوحة من جهة نهر دجلة، ومع أن الوقت كان شتاءً، حيث قربها من النهر يزيد بها برودة قارصة، كنا نفترش أرضاً الاسمنتية دون فراش أو غطاء، تلتتصق أجسامنا الواحد بالآخر طلباً للدفء. وقد وضعوا في مقدمتها علب صفيحة لغرض التبول لاستخدامها خلال الفترة التي تلي الفرصة الوحيدة التي يخرجوننا فيها لاستخدام الحمامات الخارجية، كما كانوا يسمونها، والسامع للوهلة الأولى ربما يعتقد أنها حمامات كالحمامات العامة، التي نراها أو نستعملها، لا... بل أن كل واحد منها عبارة عن صفائح من الزنك، مما تستعمل عادة في بناء وتغليف المخازن، شيدت على أرض خالية، وفضلت على شكل غرفة صغيرة دون سقف، ذات جهة واحدة، أطرافها السفلي مفتوحة، حفروا في أسفلها حفرة على شكل رباعي الأضلاع، وضع على جانبها صقان من الطابوق كي يستطيع من

يستعملها الجلوس عليه وهو بوضع القرفصاء، وكانوا يمنحوننا وقتا محددا مسماً به لا يتجاوز خمس دقائق لكثرة عدد المعتقلين المنتظرين دورهم، وإن تأخرنا قليلاً يبدأ الحراس بطرق الصفائح ببنادقهم، ويعلون أصواتهم المقترنة بحزمة من الشتائم والكلام البذيء، يطالبونك بإخلائهما ومغادرتها، وأنت ربما لم تكن قد انتهيت بعد من إفراغ ما بامعاتك، ويصبح لزاماً عليك أن تقطع عملية التغوط، وتطوي جناحيك عائداً إلى قاعتك، تلتحق ركلاً بأرجلهم.

أما قصة مراحيس "التنك" داخل القاعة، فهي مضحكة مبكية، حيث أن الجو الشتوي والنوم اللازمي الذي لا مفر منه على أرض القاعة الكونكريتية دون فراش أو غطاء، تسبب في إصابة الكثير بمرض "الدذانيري" الذي يسبب اسهالاً حاداً لا يستطيع المصاب به من السيطرة على نفسه فتراه يudo مسرعاً إلى مرحاض "التنك" أمام أنظار الجميع، يلحقه اثنان يحملان بطانية يرفعانها قبالته ليشكل ستاراً عازلاً بينه وبين الآخرين تحجب رؤيتهم له، كي يتمكن من قضاء حاجته، حتى أن بعضهم لا يستطيع التحكم بأمعائه، أو السيطرة عليها، فيضطر عندها لأن يتخلص منها بأن يفرغها في سرواله! كل هذا كان ترافقه "طقوس" الإهانة والضرب والاعتداء، وإطلاق العبارات النابية، طيلة اليوم، وكلما أطل أحد مسؤولي السجن، أو مسؤول زائر من خارجه، يلقي علينا موعظة يتعالى صراخه فيها مستخدماً سيلان الشتائم واللعانات يطلقها من إثناء الذي ينضح بما فيه، حيث نضوحات الظلم والقسر والعنف والانتقام، التي شربتها نفسه، فتغلغلت في أدق جزيئاتها، كأنها أصبحت جزءاً من تركيبته الجينية.

بعد فترة لم تمتد طويلاً، نقلنا إلى الموقف العام الملائق للسجن المركزي في الباب المعظم، التابع لمديرية السجون العامة، وقد اكتشفنا الفرق والاختلاف الكبيرين بين هذا السجن وذاك الذي كنا نشغله في معسكر الرشيد، من حيث توفر قاعات النوم، والأفرشة، والحمامات الأصولية، وطريقة النوم ووجبات الأكل المنتظمة، لكن لا تستغرب... فهو لم يكن تابعاً للانقلابيين إدارياً، إنما هو تابع لمديرية السجون هذه وقوانينها. لاحقاً زارتني لجنة تحقيقية، بسبب امتلاء السجون بعشرات الآلاف من المعتقلين وانطلاق حملة إعلامية عالمية واسعة منددة بما يرتكب من جرائم قتل

وتعذيب فيها، ومطالبة بإطلاق سراحهم، مما دفعهم لتشكيل لجان في جميع السجون كي تتحقق مع المعتقلين وتطلق سراح من لم يكن حزبيا، وكانت هذه اللجان تحقق معهم حسب المعلومات المتوفرة لديها أو التي حصلت عليها من كشف التنظيمات ومن بعض المعترفين أو المتعاونين معها للاستدلال بها على العناصر الحزبية. وفي مطلع كل زيارة من هذه اللجنة التحقيقية للسجن يستهلها أعضاؤها بحملة من الصفعات واللكلمات والبصاق على الوجوه، بعد أن يجعلونا طوابير يمر من أمامها ويتفحصها بعض العناصر الحزبية المنهارة، وبعد انتهاءها يأخذوننا إلى غرفة التحقيق ويستعملون معنا ما تيسر لهم من وسائل التعذيب لغرض إجبارنا على الاعتراف والتأكد من أنها لم نكن أعضاء في الحزب الشيوعي، ونظراً لشدة التعذيب وعدم قدرتهم على الصمود أمامه، كان البعض يعترف ويقر بأنه شيوعي ليخلص نفسه ولو مؤقتاً من هذا العذاب، بينما هو لم يكن حزبياً أصلاً. فذات مرة حضر إلى الموقف العام لتشخيص العناصر الحزبية كل من الرفيقين عاصم القاضي وباسم مشتاق، عضوي لجنة منطقة بغداد، وكان الثاني قد التقى به هو والرفيق على الورد في اليوم الأول للانقلاب، في مجلة "عقد الأكراد"، وعند مروره من أمامهما لم يظهرها أو يبديها معرفتهما بي، رغم أنهما كانا يعرفانني جيداً ويعرفان موقعي الحزبي في المنظمة التي أعمل فيها والمرتبطة بلجنتهما مباشرة. من هنا يبدو أن اعترافاتهما كانت جزئية أمام لجنة التحقيق جراء ما مورس معهما من إرهاب وتعذيب شديدين. وبعد انتهاء هذا العرض يلجم المحققون إلى ممارسة وسائل التعذيب التي سبق أن مارسوها معنا لانتزاع الاعترافات، فكان الاصرار على إفادتي بأنني لست حزبياً، إضافة إلى عدم وجود أي دليل مادي ضدي بحوزتهم، وكان هو المنفذ للافلات من قبضتهم. فقد كانت اللجان التحقيقية تصنف المعتقلين على أساس المجال التنظيمي الذي يعملون ضمنه، إن كان محلياً أم طالبياً أم عماليّاً، أو في المنظمات المهنية التي ترتبط بالحزب، كاتحاد الطلبة، أو الشبيبة الديمقراطيّة، أو رابطة المرأة العراقيّة، وكان التركيز يجري على كشف تنظيمات حزبية، وذلك من خلال الأسماء التي وردت وانكشفت في الاعترافات التي حصلوا عليها، ويتم تبويبها وتصنيفها على هذا الأساس ليتوسعوا في كشف ما تبقى من التنظيمات، فتتوفر لديهم أسماء لأعضاء كل خط من هذه التنظيمات الحزبية... وقد كان اسمى مدوناً في سجلات المعتقل كوني طالباً

في الثانوية الشرقية، أي أني محسوب على الخط الطلابي، وفي الحقيقة كان ارتباطي الحزبي بالتنظيم المحلي وليس الطلابي، ونظراً لعدم توفر الأدلة لديهم، أطلق سراحه بكفالة قدرها خمسمائة دينار.

حينذاك غادرت العاصمة بغداد إلى مدينة الكوت، لاكون بعيداً عن أنظار السلطات والتحق للعمل بمشروع في أطراف المدينة تابع لشركة مقاولات الطرق التي يمتلكها قريبي رحيم خلف اللامي، وهو من دفع كفالة خروجي من السجن، ثم حاولت الاتصال بالحزب هناك، عن طريق أحد الرفاق الفلاحين، إلا أنه اعتقل بعد شهر من اتصالي به، ولما سمعت نباء اعتقاله، لم يكن امامي من خيار غير الانتقال إلى مدينة أخرى، هي الإسكندرية في محافظة بابل، حيث للشركة ذاتها مشروع آخر فيها، وعلمت لاحقاً أن الرفيق الفلاح قد أستشهد، وبقيت متخفيًا في هذه المدينة حتى سقوط سلطة الباعثيين على يد عبد السلام عارف، في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣م، أي بعد تسعه أشهر على انقلابهم، فعدت إلى بغداد لأتصل بالحزب وأواصل العمل الحزبي.

هنا قمنا بالتحرك ناشطين لتجمیع التنظیم، وقد لعب الرفیق العامل صالح زغیر "أبو رسول" دوراً هاماً في تجمیع الخطوط العمالیة والتنظیمات المحلیة المنقطعة والمتفرکة، في مناطق عملنا السابقة، وبذل جهوداً كبيرة ومضنية من أجل لم شملها وربطها بالحزب، وكان شعلة متقدة من الحماس والنشاط والاقدام، وكنت أراه يوصل الليل بالنهار، لا يكل عن الحركة متنقلًا بين المناطق بطاقیته الشتویة (الکلیته) التي لا تفارق رأسه حتى في أيام الصیف القائمة، وفعلاً تمت لملامة أجزاء واسعة -مبشرة- من التنظیم. لكن المؤسف والمؤلم أن يهمل هذا الرفیق الطیب البسيط الذي لا يمتلك صفات بعض الرفاق الآخرين ممن يتقنون المداهنة ويمتلكون اللباقة وبيع الكلام وارتقاء سلم الدرجات والمراتب الحزبیة على أكتاف آخرين من أمثاله، فهو لم يعط الاهتمام اللازم اللائق بجهوده الكبيرة التي بذلها... فبعد قرار الحزب بعودة رفاقنا المتواجدین في البلدان الاشتراكیة والتحقهم به، وجدوا لجاناً منتظمة جاهزة، فتدافعوا بالاكتاف لیستلموا قياداتها دون عناء، بينما تم تنسيبه إلى لجنة تابعة، بعد أن كان عضو لجنة متفرعة، ليوضع في الصنوف الخلفية، بدعوى قلة كفاءته وتدني

مستواه الثقافي وضعف امكاناته وقدراته القيادية، فجّير عمله مكسيماً لآخرين، ارتفوا إلى مراكز متقدمة، في الوقت الذي كان أولى بالحزب أن يحتضنه رعاية وعناء، لما يمتلكه من أخلاق ونشاط، ويدعمه فكريًا وثقافيًا، ويتطور قدراته، ليصبح كادراً قائداً، بين رفقاء، يستطيع أن يلعب دوراً مميزاً في مسيرة الحركة الشيوعية ، لأن "يعاقبه" وبخوض مستواه الحزبي.

وها هو الآن، إذ بلغ مرحلة الشيخوخة، يعيش حالة من الفقر المدقع، قعيد فراش المرض، بحاجة للرعاية والعناية التي لم يتلقاها من حزبه -سوى زيارات متفاوتة له كان يقوم بها صديقه ورفيقه جواد الوسمي -ورغم ذلك لم يعتب عليه! إنها قساوة، لا تبعد كثيراً عن ثقافة "العنف" الكامنة في نفوسنا، حيث هذا المثال الذي نورده هنا لنبين السلوكية التي كانت سائدة بين كوادر الحزب المتقدمة، في تلك الفترة من تاريخه، والنزعة التي كانت تتسم بالفوقانية والتغيير من شأن الرفاق الذين يمتلكون حداً أدنى من الثقافة، ولا يجيدون اللباقة المطلوبة، بدلاً من أن يبذل الجهد لثقيفهم وتأهيلهم وإعدادهم ليكونوا عناصر قيادية لها شأن في المسيرة النضالية.

في الفترة اللاحقة ب تشرين الثاني ١٩٧٣م، مطلع عام ١٩٦٤م، طلب الحزب من الرفاق الذين كانوا يتلقون الدراسات الحزبية في البلدان الاشتراكية، أن يعودوا إلى العراق، ليتحققوا بتنظيماته، فالتحق بها في بغداد كل من الرفاق: كاظم حبيب، وصباح الدرة، ومحي عطا، من ألمانيا الديمقراطية، ولاحقاً الرفيق محمد الخضري، من الفرات الأوسط، مشكّلين لجنة لقيادة العمل، وسلمت التنظيمات التي تم تجميعها وتنظيمها، حيث قادها الأول، طارحاً موضوعة الاعداد لتشكيل خطّي "هاشم العسكري و"حسين" المدني المسلح، وكلفت بالأشراف على الخط الثاني فطرحت مهمة تصفيية مالك سيف حينها، بعدما تم الحصول على معلومات كاملة عنه. لكن سرعان ما تبدد هذا التوجه وتحولت هذه اللجنة إلى "لجنة للمثقفين" بقرار من اللجنة المركزية للحزب بلغنا به الرفيق كاظم حبيب، الذي كان يقود هذه اللجنة التي تؤمنني أنا ورفاقي حامد أيوب وصباح الدرة وطارق رحيم، حيث اتضح لاحقاً أن العملية برمتها كان هدفها العمل على تخدير الرفاق ومحاولة اقناعهم بجدية توجه الحزب لاستلام السلطة ولامتصاص الغضب المتراكם لدى أعضائه وجماهيره، بسبب

سياسته السابقة، وعدم الثقة بجديته في انتهاج الخط الثوري، لتغيير الوضع القائم، وما خلفه انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م، والنكبة التي تعرض لها. فضلاً عن افتقار الحزب لأية خطة تواجه هذا الانقلاب غير التنبيهات والتحذيرات الموجهة إلى الزعيم عبد الكريم قاسم، من خلال بياناته، رغم وجود معلومات لديه عن تحركات الانقلابيين، ومحاولاتهم تقويض الحكم، وقد وصلت للزعيم قاسم، الذي لم يعرها الاهتمام اللازم، حيث قام بإناطتها لأجهزته الأمنية التي لا يحمل "معظمها" الولاء له، ولهذا التحقنا أنا والرفيقان حامد أيوب وطارق رحيم بالقيادة المركزية، بينما بقي الرفاق كاظم حبيب وصباح الدرة ومحمد الخضري مع اللجنة المركزية.



قصر الرحاب "قصر النهاية" ويبعد في الصورة الملك فيصل الثاني وخاله ولي العهد الأمير عبد الإله بن علي، ومن خلفهما تظهر صورة القصر

٢- قصر النهاية ١٩٦٣

جغرافية وتاريخ القصر:

يقع (قصر النهاية) غربي محافظة بغداد، مقابل منطقة الحارثية ضمن حي المنصور ما بين معرض بغداد الدولي وبنية الدفاع المدني حالياً، على نهر الخر، حيث كانت المنطقة عبارة عن مساحات فارغة، بل أنها آخر حدود بغداد آنذاك، وهي الآن آخر حدود منطقة الكرخ، وليس هناك بالقرب منه إلا قصر يسمى (الزهور) وقصر آخر يعود إلى عبد الجبار محمود زوج الأميرة راجحة بنت الملك فيصل الأول يسمى قصر الأميرات في منطقة المنصور.

على هذه المساحة من الأرض أقيم عام ١٩٣٧ قصر ملكي حمل اسم (قصر الرحاب) بني على نفقة العائلة المالكة، حيث تم إنجازه تحت إشراف الوصي على العرش الأمير عبد الإله، وجاءت تسمية هذا القصر نسبة إلى قرية اسمها (الرحاب) كانت مقر سكن العائلة الهاشمية في (الحجاز). وصمم هذا القصر وأشرف على بنائه مهندس معماري مصرى، ويكون من عدة غرف لا تتجاوز في مجموعها سبع غرف، وهي غرفة استراحة وغرفة طعام وغرفة مكتبة مع غرفة صغير في الممر وغرفتين للضيوف. ثم بني طابق ثان له اشتمل على غرفة استراحة وغرفة للنوم وغرفتين للضيوف، لكن القصر تغير اسمه بعد إعلان الحكم الجمهوري في ١٤ تموز ١٩٥٨ وصار يعرف ب (قصر النهاية) لأنه شهد نهاية الحكم الملكي الذي قتل فيه الملك فيصل الثاني وخاله الأمير عبد الإله (ولي العهد) وجده نفيسه وبعض الأميرات، وبقي القصر مهجورا طوال حكم الزعيم عبد الكريم قاسم.

وجرى تحويل قصر النهاية إلى سجن رهيب للتعذيب بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ وسيطرة حزببعث، فكان مركزا لممارسة أبشع الجرائم، وجرت فيه تحقيقات واغتيالات طالت العناصر الوطنية من الشيوعيين ومن مؤيدي الزعيم عبد الكريم قاسم، ونان المعتقل سمعة رهيبة كمسلخ بشري للمعارضين اليساريين خلال التسعة

شهرور التي هي عمر حكم البعثيين الأول للعراق (شباط - تشرين الثاني ١٩٦٣)، وقد عاد البعثيون اليه بعد انقلابهم في ١٧ تموز ١٩٦٨ بقيادة أحمد حسن البكر وصدام حسين، ليستخدموه مرة أخرى معتقلاً وسجناً رهيباً ومركزاً للتحقيق والتعذيب والإرهاب، مستغلين بذلك ما تحمله ذاكرة هذا المكان المترع بالدم والصراخ والأنين بفعل نظام قام على الدم والقتل والتعذيب، وبيث الرعب والهلع والخوف في قلوب الداخلين اليه، حتى أنه يُخيّل إلى المار بجانب أسواره الخارجية أن عيوناً ترصده وأيدٍ طويلة تتمدّ خارج أسواره لتلقي القبض على كل مارٍ وعاشرٍ، واحساس عفوي بالرعب يزداد كلما تم استذكار تاريخ ما جرى في هذا المكان.

منذ اليوم الأول لانقلاب شباط الدموي، ولكثرة المعتقلين الذين بلغواآلافاً، تم استخدام مبانٍ مدنية عديدة ومتفرقة في بغداد، كمعتقلات وسجون ومراكز للتحقيق، كان في مقدمتها كل من:

- قصر الرحاب في المنصور، مجاور معرض بغداد الدولي، والذي أطلق عليه قصر النهاية، وعرف بذلك لأنّه شهد نهاية الحكم الملكي.
- مقر محكمة الشعب الملحق لوزارة الدفاع في الباب المعمظم.
- النادي الأولمبي في الأعظمية.
- سينما الفردوس في شارع الكفاح.
- ملعب الإدارية المحلية.
- إضافة للسجون النظامية، كالسجن المركزي والموقف العام في الباب المعمظم، وسجن خلف السدة، وسرية الخيالة، وسجن رقم واحد في معسكر الرشيد، والمركز العام قرب القشلة، ومقرات الحرس القومي، ومراكز الشرطة المنتشرة في عموم بغداد، كذلك السجون في المحافظات كسجون الحلة وبعقوبة والعمارة، وسجن نقرة السلمان الصحاوي في بادية السماوة، وكل مراكز الشرطة فيها.

كانت الهيئة التحقيقية في قصر النهاية، مدحت ابراهيم جمعة وحازم جواد، ومحسن الشيخ راضي، والطيار أيوب وهبي وهاشم قدوري، وأحمد أبو الجبن، وصباح المدنى، ومنعم قدوس وبهاء شبيب وأخرين، وفي محكمة الشعب منهم عمار علوش، ناظم كزار، خالد طبرة، أيوب وهبي، عبدالكريم الشيخلي، سعدون شاكر، وأخرين، وكانت تمارس تعذيب المعتقلين مستخدمة كل وسائل العنف الجسدية والنفسية لانتزاع اعترافاتهم وخصوصاً أدلة هم بمعلومات عن التنظيمات التي يرتبطون بها، ومعاقبتهم إما لانتسابهم للحزب الشيوعي العراقي أو مواليتهم لعبدالكريم قاسم. وكان الحرس القومي وحزب البعث وكل الأجهزة الأمنية التابعة له قد شنوا حملة شرسة مركزة واسعة لاعتقال أكبر عدد ممكن من الشيوعيين، وفي مقدمتهم قيادة الحزب الشيوعي وكوادره الأساسيون، فتم اعتقال السكرتير العام للحزب الرفيق حسين الرضي "سلام عادل" ومعظم أعضاء لجنته المركزية وللجنة منطقة بغداد، والمئات من كوادره المتقدمة، والآلاف من الأعضاء المرشحين وأصدقائهم، وأصبحت الشيوعية تهمة تلصق بكل معارض لهم، حيث اعتبروها العدو المستهدف الأول، والخطر الأكبر الذي يواجه انقلابهم، وعليه يجب الخلاص منها وتصفيتها، وما "البيان رقم ١٣" المشؤوم، الذي أصدروه يوم انقلابهم، والذي كان يدعوا صراحة وعلانية إلى إبادة الشيوعيين، إلا دليل واضح لنواياهم، وهدفاً مركزياً كانت تخطط له دوائرهم الاستعمارية الخارجية. فبموجب بيانهم هذا تم القتل على هوية "تهمة الشيوعية" وزج بالآلاف في السجون والمعتقلات النظامية، فضلاً عن الاستعانة بأبنية الأندية الرياضية والمدارس ودور السينما لاحتواء الأعداد الغفيرة من المتهمين الذين مات الكثير منهم تحت التعذيب الوحشي أو بفعل التصفية الجسدية.

بيان رقم ١٣

"نظرا لقيام الشيوعيين عملاء وشركاء عبد الكريم قاسم في تعاونه بمحاولات يائسة لإحداث البلبلة بين صفوف الشعب وعدم الانصياع للأوامر والتعليمات الرسمية. وعليه تقرر تخويل القطعات العسكرية وقوات الشرطة والحرس القومي بإبادة كل من يتصدى للإخلال بالأمن. وإننا ندعو جميع أبناء الشعب المخلصين بالتعاون مع السلطة الوطنية بالإرشاد عن هؤلاء المجرمين والقضاء عليهم".

العقيد رشيد مصلح التكريتي الحاكم العسكري العام

ينفي الاستاذ شامل عبد القادر في كتابه (الاغتيال بالدبابة)، ص ١٧١، وهو يروي أسرار يومي ٨ و ٩ شباط، أن يكون العقيد التكريتي مسؤولاً عن اصدار هذا البيان، فيقول "تردد أن رشيد مصلح الحاكم العسكري العام هو الذي ذيل البيان باسمه و توقيعه وبعد سيطرة البعثيين على الحكم عام ١٩٦٨م ألقوا مسؤولية البيان على عاتقه تقرباً من الشيوعيين "ويضيف" لم يكن رشيد مصلح موقعاً على البيان ولم يصدر عن دائنته بل أصدره المجلس الوطني لقيادة الثورة وتوجد نسخة منه في إحدى مجلدات تاريخ الوزارات العراقية (١٩٥٨ - ١٩٦٨م) لعبد الرزاق الحسني".

وفي الآونة الأخيرة تم الكشف عن محرره: طالب حسين شبيب وزير خارجية حكومة الانقلاب، حسب ما ذكره حازم جواد وزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية في الحكومة ذاتها، حيث يشير إلى أن شبيب "شارك بجميع القرارات التي اتخذت في دار الإذاعة في الصالحة وكان سريع المبادرة، لكنه ارتكب خطأ واحداً ولم يستمع إلى نصيحتي وظل نادماً عليه لسنين طويلة قادمة وهو تحرير البيان رقم ١٣".^(٨٠)

(٨٠) من أوراق حازم جواد، جريدة القدس العربي والدولي في ٢٣ شباط ٢٠٠٦.

إذن... بموجب بيان كهذا، مشؤوم منذ رقمه!، تم تحويل "قصر الرحاب" إلى معتقل ذي مركز تحقيق، ويقع هذا القصر بحي المنصور في جانب الكرخ من بغداد، جهة الغربية قبالة شارع الأميرات، وجهة الشرقية يحدها "نهر الخر"، حي "الحارثية" الآن، وربما يتصور القارئ أنه قصر ملكي تعلوه الأبهة ومظاهر الفخامة والرفاهية والبذخ ويشبه قصور الأباطرة والملوك الآخرين في العالم، لكنه بواقع الحال ليس سوى بيت عادي متواضع، لا يختلف عن البيوت البغدادية كثيراً إلا بسعة بنائه وكبر مساحة الأرض المحيطة به، يتكون من طبقتين ومجموع غرفه لا تتجاوز عشر غرف. وحين صار مقراً للتحقيق، كان يشرف على بعض تحقيقاته أعضاء من القيادة القطرية لحزب البعث وبعض قادة الحرس القومي، وكانت هذه التحقيقات تتم فيه بواسطة استخدام جميع طرق التعذيب لانتزاع الاعترافات من المعتقلين بالقوة، وكثيراً ما كانت تنتهي بالموت، وهناك أمثلة كثيرة ثبتت الممارسات التي كان يتبعها المحققون ضد معتقلي هذا الـ"قصر"، حيث "النهاية"، خصوصاً هذا المثال:

بعد اعتقال السكرتير العام للحزب الشيوعي العراقي الرفيق حسين الرضي "سلام عادل"، حققوا معه دون الحصول منه على معلومة واحدة، فمارسو بحقه أبشع أساليب العنف والتعذيب والقصوة المفرطة، حدّ أن هشموا عظامه بالمطرقة، وأثخنوا جسمه بالجراح ليرشوا الملح عليها، إمعاناً وإيغالاً في إيلامه، وسملوا عينيه، في محاولة لإجباره على الاعتراف، حتى فارقت روحه الحياة.

لاحقاً... قام الرفيق جمال الحيدري عضو المكتب السياسي، الذي كان مازال طليقاً، بإصدار العدد الأول من الجريدة المركزية "طريق الشعب" نهاية حزيران ١٩٦٣م، فكتب افتتاحيتها على شكل بيان جاء فيه "من أجل إنقاذ الوطن، من أجل الديمقراطية والأرض والخبز والعمل، من أجل الرخاء والطمأنينة، من أجل الاستقلال والسلام، من أجل حق الشعب الكردي في الحكم الذاتي، من أجل تحقيق أهداف ثورة ١٤ تموز، وإقامة جمهورية ديمقراطية تمثل إرادة الشعب الحرة، ندعوكم جميعاً لتشديد النضال، ناضلوا بكل الوسائل والأساليب، نظموا أنفسكم، بادروا إلى العمل، شكلوا لجان

الجبهة الديمقراطية لإنقاذ الوطن، نظموا بحرارة ويقظة ما يمكن من أشكال المقاومة الجماعية والفردية، من أبسطها إلى أعلىها، رضوا صوفوكم ساندوا نضال الشعب الكردي. أيها الجنود ورجال الشرطة الشرفاء لأطلق النار على شعبكم، لا تكونوا آلة تقتل بيد الجلادين، لا تخضعوا لضغط وأوامر الضباط الفاشست وحرسهم القومي، عرقوا وأحبطوا خطط المتأمرين، قاوموها، التحقوا بصفوف الشعب المناضل".

لقد ختم هذا البيان بعبارات تمجيد حارة لسلام عادل وقاده الحزب الشيوعي الذين قضوا دفاعاً عن أفكارهم ومبادئهم، وحين صدر العدد الثاني من "طريق الشعب" كان يحمل تمجيداً للرفيق جمال الحيدري ورفاقه الآخرين بعد موتهم تحت التعذيب الوحشي وال بشع والقاسي والعنيف الذي مارسه ضدهم انقلابيو شباط دون أن يفرون بأسرار حزبهم. ففي ٧ تموز ١٩٦٣م، تم اعتقاله ومعه رفيقه عبد الجبار وهبي "أبوسعيد" ومحمد صالح العبلي، في أحد بيوت كمب سارة، إثر اعتراف من هاشم حميد، فعذّب الحيدري وقطعت واحدة من يديه وعلق بيده الأخرى السليمة إلى السقف، فيما "أبوسعيد" قد نشرت إحدى رجليه من تحت ركبتيها بالمنشار، أما العبلي فمورست معه شتى أساليب التعذيب، ولما أعيتهم الحيلة وعجزوا عن انتزاع اعتراف منه، اقتاده كل من خالد طبرة وسعدون شاكر إلى مكان ناء خارج المعقل، وحفر له قبراً أنزلوه فيه وطلبا منه إما الاعتراف أو الموت، ولما رفض أن يعترف، أطلقوا عليه النار. أي أن هؤلاء الرفاق الثلاثة ماتوا تحت وطأة التعذيب، حيث صمدوا ولم يعترفوا، وأعلن عن اعدامهم في ١٩ تموز ١٩٦٣م، وقد اتبعت طرق شبيهة لـ (إما الاعتراف أو الموت) مع: الضابط مهدي حميد، والمحامي حمزة سلمان الجبوري" عضو اللجنة المركزية للحزب"، وعدنان البراك، وجورج تلو، والياس حنا كوهاري الذي قتل بإدخال قضيب حديد في فمه.

ذكر لي الرفيق هاشم ذنون الأطرجي المعтик في قصر النهاية : "أنه في ليلة ٢٠/٢/١٩٦٣ تم اعتقاله من قبل الحرس القومي وكان يرأسهم نجاد الصافي ونقلت مساء ٢٤/٢/١٩٦٣ إلى معقل قصر النهاية مع مجموعة من المعتقلين وانزلوني إلى

السرداب أسفل القصر وكان معه الرفيق ابراهيم محمد اسماعيل الحريري والرفيق عدنان حمدي وآخرين وبعد عدة أيام نقلوني إلى الطابق العلوي للتحقيق معه ثم نقلوني بعدها إلى قاعة متوسطة في القصر كان فيها من الموقوفين الشيوعيين (عبدال قادر اسماعيل عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، والدكتور حسين الوردي، وعلي حسين، وزهير الأنباري وآخرين من الرفاق الموقوفين)، وكان يشرف على التحقيق في معتقل قصر النهاية التابع للحرس القومي كل من مدحت ابراهيم جمعة وحازم جواد، ومحسن الشيخ راضي، والطيار أيوب وهبي وهاشم قدوري، وأحمد أبو الجبن ، وصباح المدنى، ومنعم قدوس وآخرين من الحرس القومي، وأخبرني -آنذاك- الرفيق ابراهيم الحريري: أن الرفيق سلام عادل سكرتير الحزب الشيوعي كان يرقد إلى جانبه حتى يوم ٢٤/٢/١٩٦٣. وكانت علامات الإعياء والإرهاق والإنهاك ظاهرة عليه إثر التعذيب الوحشي القاسي والشديد الذي مورس على جسده.

إنتفاضة ٣ تموز ١٩٦٣

قامت إنتفاضة "٣ تموز / ١٩٦٣" أو ما أطلق عليها "حركة حسن سريع" أو "حركة معسكر الرشيد"، هذه الإنتفاضة التي نفذها مجموعة من الثائرين الشجعان من جنود وضباط صف ومدنيين بقيادة حسن سريع ورفاقه.

أورد هنا نص التقرير الذي رفعه الرفيق هاشم الألوسي (الذي أستشهد تحت التعذيب في سجن قصر النهاية عام ١٩٦٩ عندما كان عضواً من منطقة بغداد وأحد الكوادر القيادية المتقدمة في حزب القيادة المركزية) إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي حول هذه الحركة، يشرح فيه التفاصيل الكاملة لهذه الحركة تنظيماً وتنفيذياً، وأسباب قيامها، وفشلها، ومدى إرتباطها بالحزب، لكن رغم الفشل الذي إعتبرها إلا أنها حققت نتائج إيجابية خلقت دفعاً وزخماً ثورياً، وأعادت الثقة إلى نفوس الآلاف، وكانت عاملاً في تمزق الطغمة الحاكمة مما أدى إلى سقوطها، أدرج هذا التقرير هنا

لسبعين : الأول - ليطلع القارئ على تفاصيل كاملة لهذه الإنفاضة العظيمة، والتي ربما ذكر أو كتب عنها شُدَّرات متفرقة بينتها و صورتها كأنها حركة قام بها أفراد يتمتعون بروح الجرأة والبسالة والشجاعة وأنها مغامرة مندفعه غير مدروسة قام بها ونفذها بضعة جنود وضباط صف من أجل تغيير نظام فاشي قمعي، ولم تأخذ حقها كحركة تم التخطيط والإعداد لها بالشكل الذي يصفه الرفيق هاشم الألوسي بهذا التقرير .

والسبب الثاني - لم يتطرق أحد من الذين كتبوا عنها، أو يذكر، أو يشير، إلى أن الرفيق هاشم الألوسي كان أحد أعضاء اللجنة القائدة للحركة وأحد المساهمين والفاعلين الأساسيين فيها، والذي لم تتمكن السلطات الأمنية من إعتقاله آنذاك، وكان ذلك أحد الأسباب التي أدت إلى تصفيته وإنهاء حياته على يد نفس العصابة عندما اعتقل في قصر النهاية عام ١٩٧٩ .

نص التقرير الذي رفعه الرفيق هاشم الألوسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي حول حركة ٣ تموز (١٩٦٣) (٨١)

نبذة تاريخية

بعد أن صُقِّيت جميع الهيئات القيادية في بغداد، إتجه الكادر الحزبي إلى ضمان الصيانة أولاً.... والإتصال بالرفاقيين الذين نعرفهم لجمعهم وصيانتهم والحفاظ على الصلات معهم، وفي نفس الوقت كانت المحاولات للاتصال بالحزب مستمرة رغم الخطورة الكبيرة في تلك المحاولات نتيجة الكمائن والإشعاعات الكبيرة ولابد أن قسماً منكم يتذكر تلك الظروف.

نتيجة المحاولات العديدة إتصلنا بإحدى المنظمات وكنا في أول الأمر نعتقد أنها الحزب، وبعد ذلك إطلعنا بشكل مفصل على تلك المنظمة حيث تبين أنها تكونت من عدة رفاق منهم من هو عضو محلية أو عضو تابعة وحتى خلية ولم يكن هناك عزل بين التنظيمات العسكرية والمدنية ولا تسلسل هيئات أو تحديد مسؤولية فالجميع بالمعركة أشبه بفوضى، كان عملهم الرئيسي حشد الأنصار والمؤيدين والإتصال بالمقطعين للتحضير للثورة دون التفكير بأن الثورة لا يمكن قيادتها إلا بجهاز قوي تنظيمياً، هذا الإنفصال الكبير ونتيجة للمد الثوري الذي تحقق كرد فعل للإرهاب في البداية وللحرب الهمستيرية التي شنها البعث على الشعب الكردي والتي كان يذهب ضحيتها الجنود والكادحون، أقول بسبب ذلك إستطاعت هذه الهيئة أن تُكوّن صلات كبيرة على عموم قطاعات بغداد، العمال، الثورة، الكاظمية، الكرخ، وكذلك خارج بغداد، الفرات، في المعسكرات، وكربلاء والكوت وأخيراً في البصرة، حتى إستطاعت أن تقود وتكون صلات مع آلاف الثوريين الذين أخذوا يمارسون الضغط على الهيئة

(٨١) د. علي كريم سعيد -البيروية المسلحـة - ص. ٣٠٩.

القائدة للإستعجال بالثورة بصور شتى ولأسباب أخرى (سوف أناقشها فيما بعد) إنفجرت الإنفاضة.

أن الذين قادوا الإنفاضة سياسيا وعملوا بتفاني لحشد قواها أغلبهم شيوعيون في هيئات حزبية قبل مؤامرة شباط، إلا أنهم كانوا جميرا ينتقدون سياسة الحزب السابقة ويحملون الحزب مسؤولية البلبلة، أما قواعد الإنفاضة وجنودها فأغلبهم شيوعيون أو مؤيدون للحزب، إلا أن هناك نسبة كبيرة من المؤيدين والمشتركين لم تكن لهم علاقة سابقة في الحزب، أما من الناحية الطبقية فأغلبهم كادحون، حيث كان الثقل الرئيسي يعتمد على سكان الصرائف والتي عُقدت فيها أغلب الاجتماعات وتهيئة أكثر الوسائل.

إرتباط الإنفاضة بالحزب

لقد حاولنا مرارا عديدة الإستطلاع والإتصال بالحزب، ولو إننا كنا في شك من وجود قيادة له غيرنا، وكنا نراقب البيانات التي كانت تخرج مخطوطة باليد، ونرسل عن طريقها رسائل نطلب الإتصال معهم ولكننا كنا نشرط الإتصال باحد الرفاق الذين نعرفهم، حيث كنا نعرف بصورة جيدة الرفاق الذين وقعوا في قبضة العدو. ان جميع هذه المحاولات باءت بالفشل إلا أنها كنا نحس أن هناك جهة أخرى تعمل بإسم الشيوعيين ولكننا لا نعرف هويتها، وفي أحد الأيام جاءنا أحد أعضاء الهيئة القيادية ليقول: أنه إتصل بأحد الرفاق وهو إتصل بهيئة قيادية ويضمن أن أحدهم هو الشهيد أبو سعيد، وُكُلِّفت أنا بكتابية رسالة لهم توضح لهم عزمنا على القيام بالإنفاضة، ونطلب منهم إرسال أحد الرفاق، الذين نعرفه، وكتبت لهم مركزي الحزبي ومكان عملي (الحزبي) السابق ولكنهم لم يحاولوا الإتصال بنا بل كتبوا رسالة يطلبون منها فيها الإلتراك بالتنظيم والكف عن التنفيذ، ويتعبرون عملنا خروج عن المباديء ونافي للضبط وهم القيادة الشرعية، رغم أننا لم نقم بعمل سابق يشير إلى كوننا نحن المركز،

بل وجود ما يخالف ذلك، حيث وصلتنا رسالة من البصرة باسم الرفيق فاضل يطلب الإتصال، ولقد أجبت بأن لم يعد للجنة المركزية وجود، أو على الأقل ليس لنا إتصال، بل نحن رفاق من هيئات متعددة قمنا بتهيئة الوسائل وسوف نقوم بعمل قريب، وهذا يدل على أننا لم نطلق على أنفسنا اسم "لجنة مركزية" أو ما شابه. أن الوضع الذي كان سائداً حيث الكائن تعلم بصور عديدة وحتى قيل أنهم طبعوا جريدة باسم الحزب وزعوها، والظروف الذاتية التي كنا نمر بها والتي سوف أشير إليها، قد منعتنا من الإنتظار والقيام بالتنفيذ، هناك من قال أن قيادة الإنفاضة معادية للحزب، أو "منشقين"، وتنوي محاكمة بعض الرفاق، أنني أقولها للتاريخ بأن البيانات وحتى تشكيل الحكومة الأولى والذي أذيعت أسمائهم كانت أغلبها من الرفاق المعروفين البارزين، حيث كان الإتفاق قد تم على دعوة اللجنة المركزية في أول لحظة الإنصار وإسلام الإذاعة، لتسسلم زمام الأمور وقيادة الثورة.... على أي حال أن الإنفاضة بكل مافيها هي ملك الحزب وجاء من تاريخ نضاله ومأثره من مأثره.

أسباب قيام الإنفاضة

لقد تطرق سابقاً إلى سرعة تعبئة وحشد الأنصار كانت عظيمة وتستحق التقدير، حيث عبئ أكثر من ألف مقاتل من أجل الثورة حتى شملت عموم المعسكرات في بغداد، وتعداً ذلك إلى الفرات وحتى أن الانضمام إلى التنظيم كان بالجملة حتى بلغت في بعض الأحيان خمسون شخصاً ولكن لم تكن هناك خطة لتنظيمهم حتى يمكن قيادتهم وزجهم بالمعركة بصورة جيدة وصحيحة ولم يكن هناك تنظيم بالمعنى الصحيح لا على الشكل السابق ولا (على شكل) يتلاءم مع الظروف الجديدة بل أشبه بالفوضى، فالصلات غير منتظمة وأخذت طابع السعة، والصيانة غير متوفرة قطعاً... ولم تكن هناك سمات دمج التنظيم العسكري والمدني، وقد حاولت عندما انضمت إلى اللجنة القائدة أن أعيد الصلات على أساس تنظيمي، إلا أنني فشلت بسبب الضغط الذي كان يعياني منه أفراد اللجنة من القواعد الداعية إلى السرعة وكذلك الغير

مؤمنة بأهمية التنظيم، ولكنني على أي حال إستطعت أن أعزل إلى حد ما التنظيم العسكري عن المدني وكذلك التنظيم العسكري إلى معسكرات وتكوين قيادات لتلك المعسكرات، رغم أن الصلات القديمة ظلت خطراً يهدد المنظمة بإستمرار، وفي الوقت الذي جاءتنا فيه الرسالة التي أشرت إليها (سابقاً) جاءنا خبر (مفادة) أن عريفين من العناصر القيادية قد ألقى القبض عليهما، وهما يعرفان أعداداً كثيرة من كل المعسكرات نتيجة للصلات والنشاطات التي أشرت إليها، وإن إعتراف هذين الرفيقين يؤدي إلى تصفية هذه القوة الكبيرة دون أي عمل إيجابي وإن إمكانية صمودهم أو إحتمال ذلك كانت ضعيفة في تلك الفترة، ولذلك فنحن كنا على طريقين: إما أن تصفي هذه القوى حيث لا يمكن إخفاء هذه الأعداد الكبيرة، وإما القيام بالإنتفاضة التي كنا نقدر لها النجاح للأسباب التالية:

١- قواتنا كبيرة وإن حركناها (ستكون) لسحق العدو المعزول.

٢- حتى وإن فشلت، وهذا كان إحتمال ضعيف، فإنها طعنة كبيرة لمؤخرة العدو، حيث كنا نعتقد أن الجبهة الرئيسية هي كردستان، وهذا طبعاً خطأ تحليلنا السابق، لأن عملنا من أجل الثورة رئيسي وليس لضرب مؤخرة العدو وان ضرب مؤخرة العدو لا يعني المجازفة بكل القوى، بل يكون على أساس فصائل صغيرة للتذريب أو الضرب.

٣- الإنتفاضة سُلْطِهم الجماهير روح البطولة والكافح وتعيد إلى نفوسهم الأمل والثقة لا اليأس والخيبة فيما لو صُفي التنظيم قبل أن نقوم بالإنتفاضة.

هذه هي الأسباب التي دفعت إلى الإقدام على العمل وربما لا يراها البعض مبررات كافية، ولكن الأجواء التي كانت سائدة آنذاك تختلف تماماً، وما توضح من حقائق تبلورت (الآن) كانت غامضة (حينذاك)

الخطة:

قبل التطرق الى الخطة وتفاصيلها، لابد من الإشارة الى بعض الأسباب التي فرضت على الحركة إستخدام التحرك الجزئي بدلاً من التحرك الشامل واستخدام معسكر الرشيد بدلاً من المعسكرات الأخرى، مع العلم بأن الحركة كانت تمتلك قوى في معسكرات أخرى، وخاصة في أبي غريب، أكثر من الرشيد وحتى أن تلك القوات أكثر كفاءة في المعركة من الناحية الفنية، رغم أن زخماً جماهيرياً وإنعطافاً كبيراً قد تولد على الحركة إلا أن هذا الزخم كان يحمل بذور الخوف الذي تولد نتيجة عنف الإرهاب، والأساليب البربرية التي استخدمت ضد المعارضين إن هذه البذور كانت هي العامل (الرئيسي) في رفض قيادات كتائب هامة من المبادرة ، وكانت تطالب بأن تبادر كتائب أخرى ، أو تشرط إذاعة بيان من الإذاعة، ولكنهم يرفضون التحرك والسيطرة على الإذاعة، رغم أنهم الوسائل لذلك، مثلاً: كانت الحركة تملك عدداً من الدبابات في أبو غريب، وعدداً من الفنيين من مواقف نفس الكتائب تساندها كتيبة ٢٤ المدفعية الخفيفة، وللتان نملك فيهما قوى ساحقة من الفنيين ، ومع ذلك لم تستطع التحرك الشامل.

وقد أختير معسكر الرشيد للأسباب (التالية):

أولاً - وجود قائد وحدة جريء مستعد للقيام بالتنفيذ في أي لحظة وهو (حسن سريع).
ثانياً - هذه الوحدات تملك عدداً من السلاح والعتاد لا بأس به وقد عزز من قبل الحركة.

ثالثاً - وجود عدد كبير من القادة العسكريين والفنين والطيارين في سجن رقم واحد، وقد بلغ عددهم حوالي ٩٠٠ والذي ثبت أن التقدير حولهم كان خاطئاً.

رابعاً - وجود مطار الرشيد الذي حسب له حساب في الخطة كقوة ضاربة وكجهاز إشارة للاتصال بالوحدات في اللحظة المناسبة وعند التنفيذ.

الخطة تنقسم الى قسمين: عامة وتشمل تحرك المعسكرات، وأخرى جزئية تشمل تحرك الوحدات في كل معسكر، وعلى نطاق المعسكرات كانت القوى ضعيفة في الوشاش ما عدى دبابتين يقود كل واحدة منهما عريف، وكذلك فوج التدريب، ولذلك حددت للقوى في هذا المعسكر مهمة عرقلة المعسكر عن الحركة. وقد خصص لهم عدد من المدنيين ليدخلوا المعسكر بملابس عسكرية، وبصورة تفصيلية حددت مهمة الدبابتين للتحرك وقطع جسرى الجمهورية والأحرار، وحددت مهمة معسكر الرشيد بالسيطرة على بغداد وضرب مراكز الحرس القومى، وحددت مهمة معسكر المحاويل بالمساندة والسيطرة على الفرات حيث كانت به (مدفعية قوس) مدفعة بعيدة المدى.

الخطة الجزئية

في معسكر الرشيد شخصنا ثلات نقاط مهمة: كتيبة الدبابات، الطيران، سجن رقم واحد. وكنا نملك سرية للحراسة وفيها ١٥٠ بندقية سمينوف وأكثر من ٣٠٠ جندي وقد زودت الوحدة بالعتاد بالإضافة الى العتاد الذي كان (موجودا) هناك، ونتيجة للإحصائية كان أفراد هذه الوحدة جميعهم يعطفون على الحركة، ولذلك فقد إتفقت على تقسيم هذه القوى الى ثلات وحدات ، كل "وحدة" خمسون جنديا يباغتون النقاط الثلاث ويتعاونون مع القوى الموجودة في نفس هذه الوحدات ، حيث كان في سرية حراسة السجن ، وفي سرية حراسة المطار، قوى أيضا، وهناك قوة أخرى مكونة من ثلات مدرعات واحدة منها برمانية گلفت بالتوجه الى مرسلات الحرية للسيطرة عليها وإذاعة البيان من هناك، مع العلم إنه كان هناك مهندس بالإذاعة وبعض الأفراد، هذه هي الحركة الأولى.

أما الحركة الثانية، فهي تحريك كتيبة الدبابات الأولى الى بغداد، وإرسال الطيارين الى المطار للتحليق، حيث كانت طيارات الخفر مجهزة بالعتاد بصورة دورية، بسبب الحرب في كردستان. هذه هي الحركة الثانية مع تسليم القيادة العسكرية الى القادة

الكفوئين في سجن رقم واحد لقيادة المعركة، وتسليم القيادة السياسية الى الجنة المركزية، التي كان مقرراً دعوتها عند نجاح الخطوات الأولى، هذا فيما يخص الحركة وهو الجزء الرئيسي من الخطة.

أما الجزء الثاني فهو الصلات (والذي يسمى في الجيش المخابرة) فقد أعطي لكل قائد وحدة إسم رمزي، ونتيجة للمعلومات التي توفرت لدينا (وجدنا) أن جهاز الإتصال في المطار يمكن تحويله إلى جهاز صلة، حيث (يمكن) تحويل موجته حسب موجة إذاعة بغداد، ولذلك كلف كل قائد كتيبة بحمل جهاز راديو ترانزستر كي يستلم التوجيهات الأولى، وإعلان البدء بالحركة.

أما الجزء الثالث من الخطة فقد كتب البيان وإتفق على جملة بيانات أخرى، وأتفق على بعض الأشخاص لقيادة الفرق، وأخيراً أسماء الوزارة، وبصورة مبدئية حافظنا على ذكر أسماء من القوى الوطنية في تلك الفترة لأنها أيضاً تعادي الحكم وتسعى لإسقاطه وقد أذيعت هذه البيانات جميعاً من الإذاعة في المحكمة، ما عدا بيان الوزارة المقترحة بسبب ذكر بعض الشخصيات الوطنية وغير الشيوعية.

نواقص الخطة:

١-الإعتماد على الشخصيات الموجودة في سجن رقم واحد، بينما أغلبهم كان يعاني من اليأس والخيبة، وهذا ثبت عند المعركة حيث أقسم بعضهم بعد ذلك على أنهم كانوا يستطيعون كسر السجن إلا أنهم لا يعلمون من القائم بالحركة، وهذا العذر مردود حيث أنها حرصنا على إخبارهم قبل فترة بأننا ننوي القيام بالحركة في موعد محدد.

٢-عندما لبس بعض المراتب ملابس الضباط كان يجب تكليفهم بمهمات في غير وحداتهم، لأن معرفة مراتب "بهوية" القائد قبل حمل النجمات كان سبباً في إضعاف قيادتهم.

٣- إهمال كتيبة هامة وهي كتيبة الهندسة التي كانت عائقاً ومقاوماً للحركة حيث إستولى عليها العدو في البداية.

٤- خلو القيادة من عنصر ضابط، ولم نستطيع تذليل هذا النقص رغم وجود صلات مع بعض الضباط، ولكنهم رفضوا المهمة.

٥- عدم تدريس الخطة لأعضاء إحتياط يكلفون بمهمة القيادة عند جبن المسؤول أو قتلـه، كعامل في عدم تبديل الخطة.

٦- (كان) يجب تكليف قادة الوحدات المقاتلة بواجباتهم المحددة في المعركة.

التنفيذ

الحركة الأولى لم تنفذ بصورة صحيحة، حيث ركزت القوى على الباب ولم تنطلق القوى المكلفة بمهام تتعلق بالحركة الأولى مثلاً: كلف أحد مسؤولي الوحدات والذي كان مكلفاً بالسيطرة على الإذاعة والمطار بالسيطرة على السجن، وهذا توجه إلى هدفه متأخراً، حتى بعد أن كثر إطلاق النار وتحذر العدو وتحصن، ولذلك لم يستطع السيطرة على السجن وفتحه، وأجبن القائد المكلف بالسيطرة على سرية حراسة السجن حتى أنه لم يتعاون مع الذين جاءوا متأخرین وسيطروا على مقر السرية، ولم ترسل قوى إلى كتيبة الدبابات الأولى إلا بعد دخول المعسکر والاستفسار عن ذلك والإلحاح على إرسال قوى يستطيع لتأخر وصول الكتيبة، ولكن عندما ذهب الشهيد كاظم لم يجد أحداً قد تأخر، ولكنه لم يعمل بجد على تحريكها لعدم وجود الفنيين الكافيين، واكتفى بإعتقال قائدها وبضعة ضباط وجلبهم إلى القيادة وفي الطريق تصدت لهم كتيبة الهندسة المحسنة وإعتقلتهم.

- تمت السيطرة على مطار الرشيد، ولكن ما الفائدة من ذلك ولم تكن هناك قوة فنية أي طيارين.

- لم تتحرك القطعات الأخرى في باقي المعسكرات لعدم وصول الإشارة إليهم، وعدم تبليغهم بقيام الحركة فعلاً، ولم تتحرك قوانا في معسكر الوشاش للعرقلة، بسبب جبنهم أو عدم تبليغهم، حيث لو تعرقلت قوى العدو فترة أطول لكان من الممكن إتمام السيطرة على المعسكر وتحريكه.

- هوجمت الإنفاضة من قبل كتيبة الدبابات الرابعة المزودة بالذخيرة والمعدة لضرب أي حركة، وكانت المقاومة ضعيفة لعدم السيطرة على المعسكر.

أسباب الفشل

أ-الأسباب التنظيمية:

١-ضعف القيادة العليا: فهي لم تقدر عملاً كبيراً من هذا النوع وهي أيضاً خليط من أعضاء لجنة محلية ولجنة تابعة وحتى أعضاء خلية، ولذلك لم تستطع الصمود أمام ضغط القاعدة.

٢-عدم وجود إرتباط مع قيادة الحزب وهذه بلا شك نقطة هامة، فلو كانت هناك صلة لتوحدت القوى وازدادت ولضمننا قيادة أكثر كفاءة ولتحقققت وسائل أكثر فنية.

٣-الروابط التنظيمية: لم تكن هناك حدود تنظيمية بل كانت مجاميع ثورية من شيوعيين وغير شيوعيين ولم تكن هناك صلات موحدة وهيأشبه بالفوضى.

٤-ضعف الضبط الحزبي وهذا أدى إلى تكوين صلات متتشعبة وخروقات عديدة، وحتى إلى تبديل الخطة دون علم اللجنة المسئولة، وكذلك لم يجر التقيد الصارم بالتوجيهات.

٥-عدم وجود روابط كافية بين المكلفين بإسناد قوات الجيش (من المدنيين) وبين قيادات الوحدات العسكرية، وهذا أدى إلى ضعف المعنوية وفقدان الجرأة، نتيجة

التخلف بالتربيـة العسكرية مما ولد صعوبة كبيرة في زج هذه القوى في المعركة في الوقت اللازم.

ب - الأسباب العسكرية:

١-ضعف قيادة المعسكـرات: لم تكن هناك فترة كافية لإختيار قادة للمعسكر يتحلـون بالشجاعة والضبط، بل أن هذه القيادات خلقتها طبيعة الصلات والعمل، وهذا أدى إلى ضعـف هذه الـقيادات، فمنـهم من جبن في المـعركة..... وظهر منهم قـادة لا يقدرون أهمـية الضـبط الحـزبي ويعملـون بهـواهـم.... وهـناك أمـثلـة عـديـدة (أـخـرى) وبـالمـقـابل بـرـز مـقـاتـلـون شـجـاعـان قـادـوا (المـعرـكة) ولـكـن بـعـد فـواتـ الأـوان.

٢-عدم تنفيـذ الخـطة بالـتـحرـك الأول: حيث رـكـزـتـ القـوى جـمـيـعـهـا عـلـىـ الـبـابـ وـتـرـكـتـ المـراـكـزـ الإـسـتـرـاتـيـجـيـةـ المـهـمـةـ رـغـمـ درـاسـةـ الخـطـةـ أـكـثـرـ منـ مـرـتـينـ، وـتـبـيـانـ أـهـمـيـةـ الـبـابـ عـنـدـماـ تكونـ الـحـرـكـةـ فـيـ مـوـقـعـ دـفـاعـ، أـمـاـ عـنـدـ رـسـمـ الـهـجـومـ فـيـجـبـ أـنـ تـتـكـرـسـ الـجـهـودـ لـتـحـرـيـكـ الـقـطـعـاتـ، وـالـتـيـ تـكـمـنـ فـيـ الدـبـابـاتـ وـالـطـيـرانـ وـلـسـدـ نـقـصـ الـقـيـادـةـ مـنـ السـجـنـ، وـرـغـمـ إـلـتـصالـ بـالـشـهـيدـ حـسـنـ لـيـلـةـ التـنـفـيـذـ السـاعـةـ الـعاـشـرـةـ وـتـدـارـسـ الـخـطـةـ، لـكـنـهـ بـدـلـ الـخـطـةـ وـأـعـطـيـ الـمـهـامـ الرـئـيـسـيـةـ وـهـيـ الدـبـابـاتـ وـالـسـجـنـ إـلـىـ قـوـىـ أـخـرىـ ثـانـوـيـةـ.

٣-الاعتماد على التـحرـكـ الجـزـئـيـ بـدـلـ الشـامـلـ: فـلـوـ اـسـتـطـاعـتـ الـحـرـكـةـ تـحـرـيـكـ كـلـ قـواـهـاـ لـتـغـيرـ النـتـيـجـةـ.

٤-عدم إـشـراكـ المـدـنـيـينـ بـالـإـشـرافـ عـلـىـ الـمـعـسـكـراتـ وـعـلـىـ نـطـاقـ الـوـحدـاتـ، وـالـإـكـتـفاءـ بـإـعـطـائـهـمـ مـهـمـاتـ تـتـعـلـقـ بـالـمـخـافـرـ وـمـرـاكـزـ الـحـرـاسـةـ.

٥-ضعف خـبـرةـ الـجـنـودـ الـقـائـمـينـ بـالـحـرـكـةـ الـأـولـىـ بـالـمـسـائـلـ الـفـنـيـةـ، إـذـ لـمـ يـسـتـطـعـ بـعـضـ الـجـنـودـ حـتـىـ اـسـتـخـدـامـ رـشاـشـ ضـخمـ، أـوـ اـسـتـخـدـامـ نـوـعـ مـنـ الـفـرـمانـاتـ.

استنتاجات:

- ١-المبادرة، لقد أثبتت المعارك أن المبادرة هامة في إضعاف وتشتيت العدو، حيث لا يعرف من أين يأتيه الخطر ولا مقداره، إلا بعد أن يجرّد من الإمكانيات، وحيث يستفاد من لحظة التردد التي تصيب الفرد في اللحظة الأولى، وهو لم يحدد موقفه بعد، وهناك أمثلة عديدة.... إستطاعت فرقه مكونة من بضعة أنفار السيطرة على سرية وكسر المشب، دون أن يحمل أي منهم طلقة واحدة، واستطاع بضعة أنفار من الحرس البعي السيطرة على معسكر الرشيد ومنعوا الألوف من الجنود بالدخول الى المعسكر في ٨ شباط...) وأمثلة أخرى يضيق المجال لذكرها.
- ٢- التحرك الشامل أكثر ضمانة: إن التحرك الجزئي يكون أكثر عرضة لمخاطر عديدة تؤدي الى فشل الحركة الأولى، وفشل الحركة ككل، وربما تلاقي الحركة الجزئية مقاومة في البداية فلا تستطيع إتمام حركتها، أو ربما يجبرن أحد القادة المكلفين، أو إن الحركة الأولى قد كشفت للعدو، وهناك احتمالات كثيرة تظهر في المعركة لا يمكن حسابها جميعا في المقدمة، أما التحرك الشامل فهو يضمن تحرك واسع، وضربة قوية في كل الجهات بحيث يفقد العدو صوابه، وتنهي تردد بعض القطعات التي تعطف على الحركة، وترفع معنوياتها، ولقد إستفاد انقلابيو شباط من ذلك حيث أصبح تكتيك إنقلاب تموز لا يصلح الآن بعد تطورات الأحداث واكتساب رجال الحكومة الخبرة.
- ٣-الإذاعة: إن الإذاعة تحوز أهمية قصوى، فهي عامل رسمي هام تشنل الأوساط الغير ملتزمة، وربما كسبهم الى المعركة، وهي أيضاً عامل هام في تحقيق التحرك الشامل، ولو كانت الإنفاضة قد سيطرت على الإذاعة في البداية لضمن تحرك شامل، ولكن النصر محققاً تقربياً، وفي حالة عدم القدرة على ضمانها فإن إسكاتها شيء هام.
- ٤-الضبط: الضبط في الجهاز الصدامي ضروري جداً وهام، لأن الدقائق في المعركة ذات مفعول كبير، والتنفيذ الدقيق من عوامل النصر الهامة، وليس المقصود بذلك التنفيذ الأعمى.

٥- المدنيين في المعركة: إن المدنيين عنصر هام في المعركة، حيث أن وجودهم يكسر السلبية التي قد تتولد عند الجنود بسبب تربية الجنديّة، وقد شرِح ذلك بأمثلة عديدة.

٦- السلاح: السلاح ضروري في الحركة الأولى وذو أهمية خاصة، ولكنه بعد ذلك يصبح في متناول الثورة، وخاصة إذا حسب لأمر التأكيد من إمكانها بصورة دقيقة، ولكن المهم أيضًا هو خبرة الجهاز الصدامي والجيش التأثير بالسلاح وأنواعه، وهذا لا يعني المبالغة في ذلك فإن المبادرة والتسلل المحكم يساعد على تحقيق المهمة، ويضعف من كثرة السلاح، وهناك أمثلة: فقد استطاع الشهيد كاظم السيطرة على كتيبة دبابات وإعتقال قادتها وهو لا يملك من السلاح إلا قليله، على أية حال الحساب لأي طارئ شيء مهم.

٧- الشجاعة وضبط النفس: إن أهم ما يجب أن يتحلى به المهاجم هو الشجاعة والجرأة والإقدام، وعند اختيار العناصر يجب أن يُركز على هذه الناحية، ويجب التأكيد من هذه الصفة بالعمل والتجارب، ومن سيرة تاريخ الرفيق التأثير ... وإن ضبط النفس والهدوء يساعدان على تحديد عمل صائب، وعلى التفكير قبل إتخاذ القرار.

٨- ضمان شل قوة العدو وخاصة قوته الضاربة الرئيسية والتي يجب تشخيصها في بداية كل خطوة، وإن الدبابات تلعب دوراً حاسماً، وإن قوة العدو تتمرکز كما أعتقد في القصر الجمهوري.

٩- الطيران: رغم أنه ليس حاسما في المعركة، ولكنه ضمانة كبيرة لعرقلة تحرك القطعات الموجودة في كردستان مثلاً أو في الفرات.

١٠- القوى العددية التي يجب أن يضمها الجهاز الصدامي مهمة، فالآفراط القليلون رغم حملهم السلاح لا يكسب المعركة طابع الشعبية والشمول، حتى وإن كان الجميع غير مسلحين.

النتائج

إن الفشل العسكري الذي كان نتيجة الإنفاضة، لا يعني إنها فشلت سياسياً، فهي قد حققت نتائج طيبة، حيث أنها حققت دفعاً جديداً وزخماً ثورياً، وأعادت الثقة إلى نفوس الآلاف بعد أن كان اليأس مسيطرًا على نفوسهم، وبعد أن فكر المتفائلون بأن الحركة لن تنهض قبل عشر سنوات على الأقل.

وهي بالتالي كانت عاملأً في تمزق العصابة والذي أدى إلى سقوطهم فيما بعد، وهي حققت وعيًا ثورياً كبيراً في العراق. فلأول مرة ينطلق الكادحون والعمال لبناء دولتهم بأنفسهم، ويحددون بصورة ثورية أن وقتهم قد حان، وهي بالتالي قد لقنت الفاشست درساً بأن ليس هناك قوة على الأرض قادرة على تصفية الشيوعيين، طالما هناك عمال وكادحين، وأخيراً كانت فعلاً عملاً لضرب الجيش من الخلف مسانداً للثورة في كردستان". إنتهى البيان.

لقد تم إعدام الجنود الذين كانوا مشاركين فيها، إضافة لإعدام شيوعيين عسكريين لم يشاركو بها، كانوا معتقلين في معسكر الرشيد قبل الإنفاضة، تم كل ذلك عبر محاكمات صورية سريعة، فقد تم إعدام حسن سريع مع ٣٠ من رفاقه في ١/٧/١٩٦٣، رميا بالرصاص. ومن أبرز أسماء المشاركين في حركة الثالث من تموز والذين أعدموا بعد فشل الحركة:

***النائب عريف حسن سريع:** ولد الشهيد في أوائل الأربعينيات من عائلة فلاحية في ريف السماوة وتحديداً من (عشيرة حجام) المعروفة بوطنيتها. إنطلقت العائلة إلى شناثة (عين تمر) التابعة إلى محافظة كربلاء. وفي شناثة ترعرع حسن في بيئة فلاحية وأكمل دراسته الابتدائية، وبسبب من عدم امكانية العائلة من سد نفقات الدراسة اختار الطريق الأسهل وهو العسكرية، فالتحق بمدرسة قطع المعادن في معسكر الرشيد وأصبح ضابط صف برتبة نائب عريف وعيّن معلماً في نفس المدرسة، وسكن في حي الشاكيرية الشعبية في الكرخ. كان حسن الموجه الرئيسي للإنفاضة والعنصر

الأساسي والمؤثر والفاعل في التحضير والتنفيذ للانتفاضة. فقد هيأ مكاناً في وحدته ليلة التنفيذ خبأً به مجموعة من المنفذين، وقام باعتقال ضابط الخفر، كما قام بكسر مشجب السلاح وزع السلاح على المجموعة التي تحركت لتنفيذ المهمة بعد أن أطلق إطلاقه من بندقيته هي الإشارة لبدء الانتفاضة. أما في المحكمة الصورية التي أشرنا لها وجواباً على سؤال رئيسها: هل تريد ان تُصبح رئيساً للجمهورية؟

- اجاب حسن سريع: (ما أردت ان أُصبح رئيساً للجمهورية او ضابطاً كبيراً في الجيش! انما اردت اسقاط حكومتكم...). ثم هتف باسم الحزب والشعب لحظة تنفيذ حكم الإعدام به.

***هاشم الألوسي**: عضو محلية بغداد للحزب الشيوعي العراقي وعضو منطقة بغداد في حزب القيادة المركزية بعد الإنشقاق، وعضو لجنة قيادة إنتفاضة ٣ تموز وأحد القادة الأساسيين والفاعلين فيها، مات تحت التعذيب في قصر النهاية عام ١٩٧٩ وقد أمعنوا في تعذيبه عندما عرفوا أنه من قادة هذه الانتفاضة.

***رأس العرفة كاظم بندر**: من عائلة فلاحية هاجرت عائلته إلى بغداد وسكنت خلف السدة الشرقية. تطوع في الجيش وهو في سن مبكرة. كان ضمن المنظمة الحزبية التي لم تكشفها أجهزة السلطة الأمنية، شارك في التحضير للانتفاضة وحمل رتبة ضابط في التنفيذ... أُعدم يوم ٣١ / ٧ / ١٩٦٣ رميًا بالرصاص وواجه الموت ببسالة وشجاعة.

*. **العريف كاظم فوزي**: من عائلة فلاحية، كان معتقلًا في مقر اللواء الخامس عشر مع مجموعة من الجنود، وكان مبلغًا بموعد الانتفاضة. ولدى سماعه الإشارة وهي صوت الإطلاق، بادر، مع رفاته إلى كسر باب المعتقل وأخرج من معه من المعتقلين وقادهم إلى مشجب السلاح فكسروه وزعوا السلاح على المنتفضين واحتلوا مقر اللواء كاملاً والتحقوا برفاقهم. أُعدم يوم ٣١ / ٧ / ١٩٦٣ رميًا بالرصاص ضمن المجموعة الأولى التي أُعدمت.

*. النائب عريف صباح ايليا: من سكان مدينة الموصل، جندي متقطوع، ساهم في احتلال بعض الوحدات في المعسكر واعتقال بعض قادة إنقلاب ٨ شباط المتواجدين في المعسكر آنذاك. أُعدم في ٣١ / ٧ / ١٩٦٣ رميا بالرصاص.

*. العريف مهمتهم مجيد الزهيري: من ناحية المسرح -العمارة. ومن عائلة حرفية، تطوع في الجيش في اواسط الخمسينات كمهني في القوة الجوية، شارك في التحضير للانفاضة بشكل فاعل، كما ساهم في احتلال مقر القوة الجوية في المعسكر بانتظار وصول الطيارين -المتوقع حضورهم -بعد تحريرهم من السجن العسكري رقم واحد. استشهد تحت التعذيب في اليوم الاول للانفاضة في يوم ٣ / ٧ / ١٩٦٣.

*- العريف كاظم زراك: من مدينة الحلة كانت مهمته حراسة الباب الشمالي للمعسكر، أُعدم رميا بالرصاص في يوم ٣١ / ٧ / ١٩٦٣ .

*. العريف جليل خربوب: من مدينة الحلة، كانت مهمته مسؤولية الباب الشمالي للمعسكر مع كاظم زراك. أُعدم رميا بالرصاص يوم ٣١ / ٧ / ١٩٦٣ .

*. موازن عبد الساده: جندي مقطوع، كان عمره ١٦ سنة ويعتبر الأصغر عمراً من بين المساهمين في الانفاضة. أنهى المدرسة الابتدائية والتحق بمدرسة قطع المعادن في معسكر الرشيد. كان شاباً جريئاً، وهو من اعتقل وزير الداخلية حازم جواد. وبعد فشل الانفاضة شخصه حازم جواد. فقد رفعت المحكمة عمره من ١٦ سنة إلى ١٨ سنة وأُعدم رميا بالرصاص يوم ٣١ / ٧ / ١٩٦٣ .

*- عربي محمد ذهب: من محافظة ميسان (لواء العمارة سابقاً)، من سكناه هي خلف السدة الشرقية في بغداد، كان ضابطاً صف في الجيش برتبة عريف، فصل من الخدمة في حكم عبد الكريم قاسم لانتتمائه للحزب الشيوعي العراقي. كان يشتغل عملاً في أحد المخابز لتدبير معيشة عائلته. كان له دور كبير في التحضير للانفاضة وتنفيذها، إذ كان أحد رفاق الهيئة الحزبية في باب الشيخ. حمل رتبة ضابط وقد مجموعه من الجنود وهاجم السجن العسكري رقم واحد لتحرير المعتقلين فيه لكنهم

فشلوا في اقتحامه وكسر أبوابه لإخراج المعتقلين منه. أُعدم يوم ٣١/٧/١٩٦٣ شنقاً حتى الموت وعلقت جثته خلف السدة الشرقية.

* - **علي محمد ذهب**: شقيق عريبي محمد ذهب، من سكناه حي خلف السدة الشرقية - بغداد - وعمل في سلك الشرطة وفصل من الخدمة في زمن عبد الكريم قاسم لانتيمائه للحزب الشيوعي العراقي. ومن المساهمين النشطين في الانتفاضة، وهو أيضاً من رفاق نفس الخلية الحزبية المذكورة. أُعدم يوم ٣١/٧/١٩٦٣ وعلقت جثته خلف السدة الشرقية بالقرب من جثة أخيه عريبي.

* - **حافظ لفته**: ولد في ريف العمارة، من عشائر آل أزيرج المعروفة بطنيتها ونضالها وانتفاضتها ضد الاقطاعيين عام ١٩٥٢. رحلت العائلة إلى بغداد وسكنوا حي خلف السدة الشرقية. عمل حافظ خياطاً في باب الشيخ قرب السدة نفسها. كان حافظ من النشطين في التحضير للانتفاضة وتنفيذها، إذ كان ضمن التنظيم المدني المرتبط بحركة الإنفاضة. كان دكانه الصغير مقراً للقاءات والتهيئة والتحضير للإنفاضة. أُعدم حافظ يوم ٣١/٧/١٩٦٣ شنقاً وعلقت جثته في باب الشيخ - منطقة الخندق - قرب دكانه الصغير لرعب المواطنين.

* . **محمود الجايжи**: كان صاحب مقهى، ويسكن خلف السدة الشرقية في بغداد، التحق مؤخراً في تنظيم الإنفاضة، أُعدم يوم ٣١/٧/١٩٦٣ شنقاً حتى الموت وعلق جثمانه في منطقة سكناه.

* . **النائب ضابط ماجد عبد الله الزهيري**: من مواليد المجر الكبير - العمارة من عائلة حرفية وهو من تنظيمات الإنفاضة في البصرة حيث كانت وحدته العسكرية هناك. استشهد يوم ٢٦/٦/١٩٦٣ خنقاً في حوض ماء كان يستخدم للتعذيب، ولم يعترف على رفاقه.

* . **النائب ضابط أحمد خضر**: من مواليد مدينة اربيل - القلعة، تطوع في الجيش بعد إكماله الدراسة الابتدائية، مهني «إسكافي» في وحدة الكرنتينة، التحق في

تنظيمات الانتفاضة، تحمل أشنع ألوان التعذيب كي يعترف انه من المتنفضين ومن تنظيمات الحزب الشيوعي، أو الحزب الديمقراطي الكردستاني. أعدم رميا بالرصاص يوم ١١/١١/١٩٦٣ مع عشرة من رفاقه، في ميدان وحدة المخابرة في معسكر الرشيد.

* - **النائب عريف طه حسين طه الجبوري**: من مدينة المقدادية، متطوع في الجيش، أعدم رميا بالرصاص في ٢/١٠/١٩٦٣ في ميدان وحدة المخابرة، مع اربعة من رفاقه.

* . **النائب عريف عبد الواحد راشد الزهيري**: من مواليد ناحية المشرح -العمارة، من عائلة حرفية. تطوع في الجيش كمهني "براد" في مدرسة الصنائع العسكرية، وبعد تخرجه عين في معسكر التاجي. التحق في الانتفاضة. أعدم رميا بالرصاص في ٢/١٠/١٩٦٣ في ميدان الرماية في وحدة مدرسة المخابرة مع اربعة من رفاقه.

* . **الجندي الأول فالح محسن**: من مواليد ريف المشرح -العمارة، وحدته في معسكر التاجي، كان أحد أفراد الحراسة ليلة التنفيذ. أعدم رميا بالرصاص مع رفاقه يوم ٢/١٠/١٩٦٣ في ميدان الرماية في وحدة المخابرة ايضا.

* . **الجندي المكلف زين الدين سيد أمين**: من مدينة السليمانية. كان عامل بناء، استشهد تحت التعذيب في السجن العسكري رقم واحد، المجموعة الثانية، على يد المجرم علي خليفة حيث قام بضرره على رأسه بشكل متواصل الى أن لقي حتفه، وكتب الطبيب في تقريره بان سبب الموت هو نزيف بالدماغ.

* . **النائب عريف صبار**: من مدينة الناصرية، كان يعمل في مقر الكتبة المدرعة الثالثة في معسكر الرشيد. وقد تم احتلالها في الانتفاضة، أعدم رميا بالرصاص يوم ٣١/٧/١٩٦٣ مع رفاقه في الوجبة الاولى.

* . **الجندي الأول نزار حبيب الاعرجي**: من مدينة النجف، من عائلة دينية معروفة تم إعدامه مع رفيقه محمد عليوي خليفه يوم ٤/٢٥/١٩٦٥. فترة الحكم العارفي.

* . محمد عليوي خليفة: من مدينة الكوت، يسكن منطقة الخندق / الشيخ عمر. كان عاملًا في شركة أصباغ اهلية، وكان عضوًا في المنظمة الحزبية المرتبطة باللجنة القيادية التي كان يقودها محمد حبيب، التي كانت تعد للانفاضة. أُعدم يوم ٢٥/٤/١٩٦٥.

* . ابراهيم محمد علي: عامل، من سكان مدينة الموصل، كان رفيقاً في أحد اللجان العمالية في بغداد ومرتبطاً بتنظيم حركة الإنفاضة. استشهد تحت التعذيب في مقر الحرس القومي في النادي الأولمبي الذي كان يشرف عليه الملائم الطيار أيوب وهبي.

* . طالب ناجي ابو الدكة: جندي متتطوع من مدينة النجف، كان من المساهمين في الإنفاضة مع رفيقه نزار حبيب الاعرجي. أُعدم رمياً بالرصاص في ساحة أم الطبول، عام ١٩٦٤.

* . محمد ابو المراجيح: جندي متتطوع من سكان مدينة النجف، نفذ فيه حكم الاعدام رمياً بالرصاص في ساحة أم الطبول مع رفيقه طالب ناجي عام ١٩٦٤.

* . سعدون.... عامل كهرباء من بغداد في ليلة الإنفاضة كان في معسكر الرشيد وفي المكان الذي هيأ له الشهيد حسن سريع. حمل رتبة ملازم واقتصر سرية الهندسة لكنه وأثناء الاقتحام أصيب بجروح بالغة في بطنه. وفي الساعات الأولى من بعد فشل الإنفاضة قام عسكريون وأعضاء من الحرس القومي من المتواجدین في المعسكر بتعذيبه وضربه بشدة وبقسوة على جراحه يطلبون منه الاعتراف على رفاته الثوار، بيد أنه فارق الحياة بين أيديهم ولم يحصلوا منه شيئاً.

وتمت تصفيه العديد من الضباط المعتقلين في سجن رقم واحد داخل معسكر الرشيد، ممن لم تكن لهم علاقة بها، حيث يذكر د. علي كريم سعيد في كتابه (البيرة المسلحة - حركة حسن سريع)، عما جرى لهؤلاء الضباط وضباط الصف والجنود، ما يأتي: "كان مركز طه الشكرجي في معسكر الرشيد في مقر اللواء ١٩ (لواء عبدالكريم قاسم) مركزاً للتعذيب والقتل، فقد استشهد فيه عدد كبير من الضباط

الأحرار، كالزعيم داود الجنابي، والزعيم الركن حسين الهرمي، والمقدم ابراهيم الموسوي، والعميد عبدالمجيد جليل (مدير الأمن العام) في عهد عبدالكريم قاسم، والعقيد حسين خضر الدوري (عضو محكمة الشعب) والأخير قلعت أذناه بكمامة، انتقاما منه لتوقيعه قرار الحكم بإعدام نظام الطبقجي، ورفعت الحاج سري، كما مات تحت التعذيب في المركز ذاته النقيب عمر فاروق جلال أحد حمایات عبدالكريم قاسم، وتم اعدام (٣٤) ضابطا من نفس المعسرك، اقتيدوا إلى منطقة في أطراف أبو غريب، رميا بالرصاص ودفنوا هناك، وكان من بينهم المقدم فاضل البياتي، والرئيس الطيار منعم حسن، والرئيس الأول جلال أحمد فهمي، والنقيب عباس الدجيلي، والرئيس هشام اسماعيل صفوت، والنقيب حسون الزهيري، ومن المدنيين قتل ابراهيم الحكاك عضو قيادة منطقة الفرات الأوسط، ولطيف الحاج أخ عزيز الحاج، وصاحب ميرزا، وصبيح سباхи، وأخرون، وكان النادي الأولمي وهو معتقل ومركز للتحقيق تحت سيطرة الحرس القومي، حيث كان يقوم أفراد منه بممارسة التحقيق والتعذيب، كان أبرزهم وحشية ودموية ضابط طيار يدعى الملائم أيوب وهبي، قام بسحب أقسام رشاشته من دون تردد وقتلهم جميعاً بدم بارد، بعد أن عرف أسماء الضباط، وهم الرائد حافظ علوان أحد مرافقي عبدالكريم قاسم، والملائم الطيار طارق محمد صالح ابن اخت عبدالكريم قاسم، والملائم نوري ناصر أحد مرافقي عبدالكريم قاسم، والملائم الطيار كريم صقر، والرئيس غازي شاكر الجبوري، ولم يفلت منهم غير حافظ علوان، وغازي الجبوري الذي اكتشف سائق سيارة الاسعاف التي نقلته أنه لم يزل على قيد الحياة".^(٨٢)

لقد (كان النادي الأولمي وهو معتقل ومركز للتحقيق تحت سيطرة الحرس القومي، حيث كان يقوم أفراد منه بممارسة التحقيق والتعذيب، كان أبرزهم وحشية ودموية ضابط طيار يدعى الملائم أيوب وهبي) مع أنه آنذاك أحد أعضاء هيئة التحقيق في قصر النهاية! أي أن تعطشه للدم والقتل دفعه لئلا يكتفي بهذا المعتقل الرهيب، وأن

(٨٢) العراق -البيرة العسكرية - د. علي كريم سعيد - ص ٦٢.

يمارس هذا التعطش في معتقدات أخرى، يتنقل بينها ليشبع غريزته ورغبته في التمتع ببرؤية أسلاء ضحاياه! وليس ذلك بغرير عليه، وعلى أمثاله، إذ أن انقلابي شباط، عموماً، لم يوفروا أية وسيلة تخدم نهجهم الفاشي في قتل الشيوعيين. ففي الأيام الأولى لانقلابهم أعادوا نشر فتوى آية الله السيد "عبد المحسن الحكيم"، المرجع الديني الإسلامي الشيعي، التي كانت قد صدرت بتاريخ ١٥/٢/١٩٥٩م، في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم، والتي أجملت إدانته للحزب الشيوعي العراقي بينما كان نظيره الأسبق "السيد أبو الحسن الموسوي"، حين طلبت منه الإدانة، قد رفض إدانة هذا الحزب عامي ١٩٤٧ - ١٩٤٨م مؤكداً أنه حزب وطني.

فتوى السيد عبد المحسن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

"لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والإلحاد، أعانكم الله وجميع المسلمين عن ذلك وزادكم إيماناً وتسلیماً، والسلام عليکم ورحمة الله وبرکاته.

١٧ شعبان ١٣٧٩ هـ المصادف ١٥ شباط ١٩٥٩ م^(٨٣)

"الشيوعيون مرتدون وحكم المرتد هو القتل، وإن تاب الشيوعيون نوعان الأول من آمن بها وحمد بها ولا يرجع عنها، فحكمه كما جاء أعلاه والنوع الثاني من اعتبرها تقدمية ومساعدة المحتاجين، وهؤلاء يحتجزون ويفهمون ويعلمون الصح من الخطأ. فإن تابوا يطلق سراحهم وإن أصرّوا عليه فحكمهم كما جاء أعلاه".^(٨٤)

كذلك يذكر السيد علي المؤمن في كتابه (سنوات الجمر) عن فتوى السيد عبد المحسن الحكيم وموقف القوى الإسلامية من الشيوعيين ومن عبد الكريم قاسم في تلك الفترة ويقول: في شباط / فبراير ١٩٦٠ أفتى السيد الحكيم: " لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد - أو ترويج للكفر والإلحاد - أعادكم الله وجميع المسلمين عن ذلك وزادكم إيماناً وتسلیماً". بينما أيد غالبية المراجع الشيعية الأخرى هذه الفتوى، إمتنع السيد حسين الحمامي عن تأييدها.

ويذكر أيضاً أن "الحزب الإسلامي الذي تأسس في ٢ شباط / فبراير ١٩٦٠، كان الدكتور نعمان السامرائي رئيساً له معتبراً السيد الحكيم راعياً له أصدر بياناً في ٥ تموز / أيار

(٨٣) دراسة للسيد محمد باقر الحسيني، بعنوان: علاقة المرجعية الدينية بثورة تموز - القسم الثاني - بتاريخ ٢٨ / ٥ / ٢٠٠٧.

(٨٤) المصدر السابق.

١٩٦٠ شجب فيه ممارسات الحزب الشيوعي، كما قدم عريضة إلى قاسم إنتقد فيها حكومته لـإغفالها تعاليم الدين الحنيف، ولتبنيها تعاليم الشيوعية الإلحادية".^(٨٥)

هكذا قام الانقلابيون بإعادة نشر هذه الفتوى، لترويجها، رغم صدور فتاوى مشابهة، كالتي للمفتي نجم الدين الواقع والشيخ قاسم القيسي، لم يعيروا الاهتمام بها ولا أثاروا الانتباه لها. ذلك لأنهم اعتبروا فتوى "الحكيم" شأنًا هاماً وعاملاً مؤثراً، فاستغلوها، مسخّرّينها غطاء شرعياً، لارتكاب أبشع المجازر ضد مناوئيهم تحت ذريعة "الانتماء للحزب الشيوعي كفر وإلحاد". وقد رافق إعادة نشر الفتوى هذه، التي قتلوا بها آلاف البشر، إصدارهم "البيان رقم ١٣"، المسؤول، الذي دعا العراقيين إلى قتل الشيوعيين وإبادتهم.

(٨٥) سنوات الجمر - مسيرة الحركة الإسلامية ١٩٥٧-١٩٨٦ - علي المؤمن مركز دراسات الشرق العربي - ص. ٦٦.

الأضوا والاسلامية

مكتبة دينية تشرف على نشر وترجمة ملخص

مكتبة دينية تشرف على نشر وترجمة ملخص

صاحب الامتياز كاظم الحلي

بسم الله الرحمن الرحيم
نه جادكم من الله نور وكتاب نبيه
يهدى به اهل من ابيه رضوانه سبل السلام
وتحريم من العادات الى التور باذنه وبرأته
الى سراط مستقيم

قرآن كريم

المددان : الثاني والثامن ذي القعدة ١٣٨٣
السنة : الرابعة ١٩٦٤ م / ٥ / ١ الجريدة العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الامام الحكيم يطالب المسؤوليه بتطبيق احكام الاسلام

في يوم الخميس المصادف ١٥ / ١٢٨٣ / ١٩٦٤ . زار الفريق
طاهر بجي رئيس الوزراء كل من وزير الصحة ، وزير العمل والشؤون الاجتماعية ،
وزير الاصلاح الزراعي ، وزير الصناعة ، وزير الواصلات ، وزير الاسكان ،
ونغيرم سفارة الامام الحكيم في داره في السكرفة ، وبدان جلوسا قال لهم
الامام الحكيم :

١ - لقد سبقتنا ان قلنا لبعض الحاكمين الذين انتقم الله منهم : ان الشعب
الراقي شعب سلم متدين لا يرضي بغير الاسلام شريعة ، وظاما ، وكل تشريع بخلاف
الاسلام لا يمثل رأي الامة ، وبوجب ثورتها ، وابتمادها عن الحكومة فاللازم على
الحكومة - وهي تزيد على ما يبدوا من بعض نصرافاتها ان تتحقق الاستقرار ، والمدروه ،
ومنلا عقبة عقبة الامة في سر الانفشه .

يدرك السيد محسن الحكيم في مقابلته لرئيس الوزراء طاهر يحيى: "لقد سبقتنا ان
قلنا لبعض الحاكمين الذين انتقم الله منهم " - يعني عبد الكريم قاسم - وكأنني به
ينعت مجازا انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م وقتل عبد الكريم قاسم بـ "الانتقام الإلهي"
بسبب "تشريعاته المخالفة للإسلام" كتشريع قانوني الاصلاح الزراعي والاحوال
الشخصية وقانون رقم ٨٠. وفي رسالته الى شاه إيران "يفتخرون بالدعاء إلى الله تعالى

طلب التوفيق والتأييد للذات الامبراطورية المباركة في تقوية الدين الإسلامي ونشر مذهب التشيع الحق في ظل عناياتولي العصر".

كان الامريكان وشاه ايران محمد رضا بهلوی يناصبان العداء للنظام الجمهوري الفتی الذي تأسس بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨م، وكانا يتآمران عليه ويعملان من أجل اسقاطه، فقد قام الشاه بدعم عملية انتقال المرجعية الشيعية من قم الى النجف وذلك بنقلها الى السيد محسن الحکیم الطباطبائی مستغلًا وفاة المرجع الاعلى للطائفة الشيعية في قم السيد حسين البروجردي الطباطبائی كخطوة يتمكن من خلالها دفع الحکیم في مواجهة ومحاربة عبدالکریم قاسم واضعافه والعمل على ازاحتھ - وكانت المواقف المناهضة التي مارسها السيد الحکیم ضد التشريعات القانونية الهامة التي قام بها عبدالکریم قاسم ومبركته انقلاب شباط خیر دلیل على ذلك - ومن ناحیة أخرى يبعد الشاه عنه خطر المرجعية في قم ويلجم رجال الدين المعارضین له في ایران ويحد من نشاطهم.

أعيد في أدناه ما كتبه ووثقه الحوزوي السيد میثاق العسر حول هذا الموضوع على موقعه بالفيسبوك: <https://www.facebook.com/jamkirann>

#برقیة الشّاه الإیرانی الحاسمة!!

#الوثيقة أدناه نص البرقیة التي بعثها الشّاه الإیرانی محمد رضا البهلوی إلى المرحوم السيد محسن الحکیم، في يوم وفاة المرجع الأعلى للطائفة الشیعیة المرحوم السيد حسين البروجردي، وقد كانت هذه البرقیة هي العامل الحاسم في نقل المرجعیة العليا من قم إلى النجف، وتبیتها للمرحوم محسن الحکیم، #وأکرر مفردة تثبیت لکی أقول: لا شک في أن المرحوم محسن الحکیم كان فقیهًا معروفاً وله نتاج واضح وجلي، وكان مرجعاً له مقبولیة حوزویة وجمهیریة في بعض المناطق، ولكن لو لا هذه البرقیة والاعتراف من قبل الامبراطوریة الشاهنشاهیة الشیعیة به لما صار مرجعاً أعلى للطائفة، ولذهبت المرجعیة العليا إلى من تعترف بهذه الامبراطوریة به، ومن هنا

سبّبت هذه البرقية وإجابة الحكيم لها نظرة سلبية جدًّا عن المرحوم الحكيم في وسط حوزة قم آنذاك؛ باعتبار إنّها تعرف نوايا الشّاه ومراميه الخبيثة كما كشفنا عن ذلك مؤثّقاً في مقالات سابقة.

وكيف ما كان فقد جاء في هذه البرقية التي ثُنثُر لأول مرّة من صحيفة اطلاعات في عددها الصّادر في تاريخ: "٢٩ مارس ١٩٦١م" ما يلي :

«سماحة حجّة الإسلام آية الله السيد محسن الطّباطبائي الحكيم دامت برّكاته، التّنّجف: لقد ألمنا كثيراً خبر رحيل سماحة آية الله العظمى الحاج السيد حسين الطّباطبائي البروجردي، وبهذه المناسبة نعزّي معاليكم والحوّزة، ونسأل القادر تعالى أن يقوّي شوكة الإسلام وعظمته المتزايدة، الشّاه». .

إجابة المرحوم الحكيم على برقية الشّاه الحاسمة!

بعد أن أُبرق الشّاه الإيراني محمد رضا البهلوi تعزية برحيل المرجع الأعلى إلى المرحوم محسن الحكيم، وقد كان هذا الأمر بمثابة اعتراف الامبراطورية الشّيعية الشاهنشاهية بكونه المرجع الأعلى المعترف به رسميًّا بعد البروجردي، أجاب المرحوم محسن الحكيم عن هذه البرقية بعد سبعة أيام من ذلك، وإليك النصّ المترجم لهذا الجواب الذي يُنشر لأول مرّة من هذه الصحيفة وبشكل واضح مقتطفاً:

المقام الرّفيع لحضرت الشاهنشاه المعظم طهران: لقد كانت برقية الذّات الملكيّة بال المصيبة التي فُجع بها العالم الإسلامي برحيل آية الله البروجردي باعثة على اطمئنان خواطرنا، كما كان اهتمامكم وعنايتكم الملكيّة بسماحتهم في أيام مرضه باعثًا لشكرنا وشكر عموم المجتمع الحوزوي أيضًا، وإن مساعي الشاهنشاه المعظم في تقدير المقام الشّامخ لعلماء الدين يوجب فخر المجتمع، والذّي يفتخر بالدعاء إلى الله تعالى بطلب التوفيق والتأييد للذّات الامبراطورية المباركة في تقوية الدين الإسلامي ونشر مذهب التشيع الحقّ في ظلّ عنايات ولّي العصر "عجل الله تعالى فرجه وجعل أرواحنا فداء": محسن الطّباطبائي الحكيم».

اطلاعات پنجشنبه یستم شوال المکرم ۱۳۸۰ - ششم آوریل ۱۹۷۱

پاسخ آیت‌الله حکیم بحضور شاهنشاه

همانطور که خوانندگان گرامی استحضار دارند شاهنشاه پس از آنکه از مصیبت فقدان پیشوای بزرگ شیعیان تلگرام تسلیتی به نجف اشرف بحضرت آیت‌الله سید محسن طباطبائی حکیم ارسال فرمودند که متن آن قبل انتشار یافت. پاسخ حضرت آیت‌الله حکیم بحضور شاهنشاه باین شرح است:

حضور اعلیحضرت همایون شاهنشاه معظم تهران

تلگراف تسلیت ذات ملوکانه در مصیبت وارده به عالم اسلام در گذشت آیت‌الله بروجردی قدس سرہ موجب تسلیت خاطر گردید اهتمام و توجهات ملوکانه در ایام کسالت آن مرحوم موجب تشکر اینجانب و عموم جامعه روحانیت بوده علاقمندی شاهنشاه معظم در تجلیل مقام شامخ روحانیت موجب افتخار جامعه که افتخاراً از حضرت الوهیت موافقیت و تأییدات ذات مبارک همایونی در تقویت دین مقدس اسلام و نشر مذهب حقه تشیع در توجهات ولی عصر عجل الله تعالی فرجه و جعل ارواحنا فداء از درگاه خداوند متعال مستلت میدارم.

محسن الطباطبائی حکیم

تذمّر المرحوم الخميني من نقل المرجعية!!

بعد أن حسم الشّاه محمد رضا البهلوi أمر المرجعية العليا وصرّح علنًا باعترافه بمرجعية المرحوم محسن الحكيم؛ حيث أُبرق تعزية رحيل البروجردي إلى الأخير مما يعني الاعتراف بخلافته رسميًا وإغلاق باب النّقاش والجدل حول هذا الموضوع فقد تولّدت إثر ذلك ردود أفعال سلبية جدًا تجاه المرحوم الحكيم في حوزة قم؛ إذ فهم ذلك على إنّه تنسيق وتعاون بين المبرق والمبرق له، كما وثّقنا ذلك في منشورات سابقة، وتحدّث عنه كُلّ من كتب عن تلك المرحلة بوضوح.

وكيف ما كان وبعد هذه الحادثة بعام تقريباً، أي في الثاني عشر من آيار "1962م" خطب المرحوم الخميني من على منبر المسجد الأعظم في مدينة قم الإيرانية على

جمع من طلّاب الحوزة العلميّة آنذاك، وكان حديثه يدور حول المأسى التي تعرضت لها حوزة قم بعد رحيل البروجردي وانتقال المرجعية المدبر بليل من قبل الشّاه محمد رضا البهلوi إلى النّجف، وأفاد في شرحه لهذا المخطّط القديم على حوزة قم قائلاً :

#وسأوضح لكم أنّ هذا الأمر ليس وليد الأشهر الأخيرة، وإنّما هو ممتد الجذور يعود إلى سنوات طويلة خلت، إن لم نقل: إنه يعود إلى نصف وأربعين سنة مضت، فهو في الأقل يعود إلى عشرين سنة خلت؛ حيث كانوا يخططون لتدمير قم؛ ففي حياة المرحوم السيد البروجردي كانت خططهم أيضاً القضاء عليه وعلى قم، فهم يرون أنّ قم تضرّ بصالحهم؛ فقم معقل الحقّ، وجندو إبليس يرون أنّ جنود الحقّ يقفون حائلاً دون تحقيق مآربهم، ففي حياته -يعني البروجردي- وصفوه بتعابير لا تتمكن من ذكرها من على هذا المنبر حالياً، فالخطّة موجودة منذ ذلك الوقت، والأجانب كانوا يخططون للقضاء على قم؛ كي نفعل ما يحلو لنا دون أن يواجهنا أحد، أو يتكلّم، أو ينبعس ببنت شفة، أو يجادل أو يعترض.

#واذا سلمنا بأن خطتهم -والكلام لازال للمرحوم الخميني - تعود إلى نصف وأربعين سنة خلت، فسنفهم طبيعة مساعيهم، غاية ما في الأمر أنّهم كانوا يرون القيام بأيّ عمل في حياة السيد البروجردي سيفسد الأمور، لذا بادروا فور انتقاله إلى جوار رحمة ربّه إلى تدمير هذا المركز الديني بذرية إجلالهم لمركز ديني آخر وهو النّجف الأشرف، لأنّهم كانوا يكتنون حتّاً لذلك المركز، فهم لا يكتنون أدنى إحساس بالحب لأيّ مركز من المراكز الدينية، لم يكن الأمر حتّاً بالنّجف، وإنّما بغضّاً لقم؛ فقم مزعجة لهم، وهي قريبة منهم تدرك المفاسد سريعاً، وتُفتّضح فيها أعمالهم بسرعة أيضاً، كانوا يبغضون قم، إلا أنّهم لم يتمكّنوا من التصرّح بالقول: لا لقم، وإنّما كانوا يقولون: نعم للنجف، نعم لمشهد، لم يكن في قم ما يلفت الإنّتباه [ويشير بذلك إلى كلمة الشّاه المعروفة: "لا أرى في قم شخصاً بمستوى المرجعية"], إلا أنّهم بعد ذلك أدركونا أنّ ثمة أشياء كثيرة تلفت النظر في قم، بل تفقّأ العين، وتلجم الفم وتصكّ الأسماع.... أدركونا

أنّ قم ليست كما توهموا، فوضعوا منذ ذلك الوقت خطّة لتدمير العلماء، ثم تدمير الإسلام، ثم تحقيق مصالح الكيان الصهيوني وعملائه». [صحيفة الإمام: ج١، ص٢٠٨].

آنذاك... نحن ثلاثة من الشباب المتحمس المتلهف لاستيعاب المعرفة، المندفع المستعد للتضحية، وتقديم النفس، أو مجموعة تتنافس على القراءة، تنشط وتباري بالعمل الحزبي، تكونت من: صباح حسين "صاروخ"، عبد جاسم الساعدي، جمعة اللامي، خضير عباس اللامي، حسين عيّال، وكان يعمل معنا ضمن التنظيم كل من: مؤيد الطباطبائي، مؤيد الخطيب، جبار جلاب، ملا ريحان، منصور يعقوب، ورفيقنا جاسم محمد القرishi (الربيعي) مسؤول خلية الوجوه الكبيرة والشاعر الشعبي الذي عمل في جريدة "اتحاد الشعب" فترة الستينيات، وقد تم اعتقاله وإيداعه في سجن نقرة السلمان برفقة شمران الياسري، وكنا جمیعاً نعمل ضمن محلية منطقة "صرائف العاصمة"، التي كانت أجهزة الأمن تلاقي صعوبة بالغة في الوصول إلى نهاياتها البعيدة أو قد لا تدركها أحياناً، قبل قيام الزعيم عبد الكريم قاسم ببناء مدينة جديدة لسكن أحياءها الفقيرة سميت بـ"الثورة"، وكان لي رفاق كثر من هذه المدينة، عملنا سوية لسنوات، كوننا ذوي مشتركات نضالية، فتقاسمنا ذكريات فذة، بحلوها ومرها، سأتناولها هنا لأصور حالات عنف مورست ضدّهم، حيث معاناتهم من الاعتقال والظلم والتعسف والتشريد، وغيرها، لا لجرم اقترفوه، أبداً، بل كل ذنبهم أنّهم حملوا آراء تحالف "الآخر"، المستبد برأيه، سواء كان حاكماً أم حزباً أم أمثالهما.

***صباح حسين (صباح صاروخ):** لم تزل صورته شاخصةً أماميًّاً لما كنا طلاباً في المتوسطة النظامية، وعندما كانت تحل علينا حصة "العلوم" حيث يطلب منه الاستاذ ماجد عبد اللطيف أن يقف قبالة السبورة ليشرح أحد المواضيع، بعدما اكتشف ألمعيته، فينهض متقدّماً عن "النظرية النسبية" لـ"ألبرت آنشتين"، أو عن الصواريخ ومخترعها الأول الألماني "فارنر فون براون"، ولوّلـهـ الـوـاسـعـ بـهـ صـنـعـ صـارـوـخـاـ لاـ يـزيدـ اـرـفـاعـهـ عـنـ ٨٠ـ سـمـ، وـضـعـ فـيـ نـهـاـيـتـهـ السـفـلـيـ غـرـفـةـ الـاحـتـرـاقـ، وـاسـتـخـدـمـ عـجـيـنـةـ

الكليسيرين كوقود، أوصلها بصاعق كهربائي، وعند إجراء تجربته، خلف السدة الشرقية، إرتفع الصاروخ في الجو أمتارا ثم انفجر، رافقت انفجاره تلك اللحظة حادثة إحراق محطة وقود "الكيلاني"، في ٣١ تموز ١٩٥٨، وهي قريبة من ساحة الطيران، فتجمع الناس حولنا محاولين الامساك به مرددين "هذا الخائن كضيئاه"، أي "ألقينا القبض عليه"، وقامت الشرطة التي حضرت المكان على الفور باقتياده إلى مركز شرطة السعدون، وبعد إيصال الخبر إلى جهات عليا في الحكومة، تم إطلاق سراحه، وإثر ذلك أمر بإحضاره لمكتب المحامي العسكري العام "أحمد صالح العبدلي" طالبا منه جلب معلومات كاملة عن الموضوع، فأعد المخطوطات المتعلقة بالصاروخ هذا، وبعدما قابل "العبدلي" عارضاً إياها عليه، بعثه للقسم المختص في وزارة الدفاع، ثم كرمه بمنحة خمسة دنانير، وعرض عليه الالتحاق بالجيش ضمن وحدة مختصة كنائب ضابط، فقبل بالعرض، لرغبتة في تحقيق اهتمامه بهذا الشأن من ناحية أولى ولتحسين أوضاعه المعيشية السيئة من ناحية أخرى، لكن لم يُفتح أمامه المجال لتحقيق حلمه في تطوير صاروخه، فكانت خيبة أمل له، طويت معها صفحة الحلم الذي كان يراوده. وعلى أثرها لقب بـ "صباح صاروخ".

***جمعة اللامي:** كان نائب ضابط في الجيش عند الستينيات، وحكم عليه بالسجن لانتمائه للحزب الشيوعي متنقلًا بين سجن نقرة السلمان والحلة خلالها، وقد هاجر مكرهاً مغترباً عن وطنه الذي يعشقه، منتصف السبعينيات، حيث الإمارات، ومنها انتقل إلى سوريا فقبرص، ثم عاد إليها، مستقراً، ليعمل محرراً في صحيفتها "الخليج" وـ "الاتحاد"، معاً، وما زال مقیماً فيها، حتى الآن، يعاني من مرض الفشل الكلوي، الذي لم يمنعه عن الكتابة، وهي اليوم عطاوه الأول، فظل قاصاً وروائياً مميزاً.

***عبد جاسم الساعدي:** مكافح تم اعتقاله معي "شباط ١٩٦٣م" في معسكر الرشيد، لأنّه كان مناضلاً شيوعياً منذ مطلع شبابه، ثم عاملًا نقابياً جريئاً، نشط في الدفاع عن

حقوق الطبقة العاملة التي ينتمي لها، خصوصاً عند إضراب عمال الزيوت الشهير عام ١٩٦٨، حيث كان قائداً بارزاً له بدليل أنه اعتقل خلاله إثر مواجهة ما بين "الأمنيين" والمضربين، الذين قتل أحدهم وجرح بعضهم بعد تطويقهم في المعمل، فنان الكثير من التعذيب، لاحقاً سيكمل دراسته الجامعية بنيله شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من مصر، فيترك العراق أواخر السبعينيات مهاجراً إلى الجزائر والمغرب ليدرس في جامعتهما، ثم إلى بريطانيا ليستقر فيها ناشطاً ضمن المعارضة العراقية ضد حكم صدام حسين حتى سقوطه، في ٩ نيسان ٢٠٠٣م، ليعود إلى بلده مؤسساً لـ"جمعية الثقافة للجميع" وأستاذاً تدرسيّاً في الجامعة المستنصرية، له مؤلفات عديدة في الأدب والسياسة.

***خضير عباس اللامي:** أحد أعضاء "الشلة" بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م، أصبح عام ١٩٥٩م سجينًا سياسياً بحكم لثلاث سنوات، بسبب تهمة مفبركة، في سجن الاصلاحية لصغرنه، حيث أطلق سراحه بعد سنة ونصف، ليحكم ثانية بستين من المجلس العسكري العسكري عام ١٩٦٢، ويرحل إلى سجن العمارة المركزي، وعقب انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م رحل إلى سجن نقرة السلمان، لاحقاً صار مترجمًا بارزاً، ترجم عن اللغة الانكليزية الكثير من عيون الأدب العالمي، وهو الآن يعيش في السويد.

٣- حكم الأخوين عارف

خفت حدة العنف بعد إسقاط حكم البعثيين في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣م، وإزاحتهم عن السلطة، لكن دائرة لم تتوقف، فقد استمرت الأجهزة الأمنية القمعية بالتجاوز على الحقوق الإنسانية للمواطنين، إذ أن المعتقلين لم يطلق سراحهم، ولم يبرحوا سجونهم، وأساليب التحقيق من تعذيب وضرب وإهانات استمرت. كذلك لم يقتصر العنف على السلطات الحاكمة، بل سبق أن انتقل إلى الأحزاب المعارضة، على اختلاف انتماءاتها، فانعدمت الحياة الديمقراطية داخلها، وأمسى الصراع بينها يأخذ نهجاً عنيفاً ثارياً في حل الخلافات الفكرية، دون اللجوء إلى لغة الحوار والتفاهم، ولم تعقد المؤتمرات لانتخاب القيادات بدعوى سرية العمل، وجرى إقصاء قيادات من مراكزها بطريقة انقلابية، وهذا ما حصل مع حزب البعث في منتصف السبعينيات عندما أزيحت مجموعة من أعضاء قيادته القطرية، بعدهما قام صدام حسين وقياديون آخرون معه بحركة إقصائية لهذه المجموعة استخدمت فيها قوة السلاح. ثمة أيضاً بقاء قيادة الحزب الشيوعي على رأسه لفترات امتدت عقوداً، غابت عنها أية ممارسة ديمقراطية، وهنالك أمثلة عديدة لفردية هذه القيادة في اتخاذ القرار، نيابة عن حزبها كله، خصوصاً هذه الأمثلة: عندما حاول ستار خضير أن يثير النقاش حول قرار تقسيم فلسطين، أيام حرب حزيران ١٩٦٧م، خلال اجتماعات اللجنة المركزية، قمعه رئيس الاجتماع زكي خيري، وهدد بالانسحاب معتبراً أن أي نقد لقرار التقسيم "إهانة للأممية"، وجمد عامر عبدالله بقرار فردي منه أجهزة الدعاية والطباعة الحزبية لعدة شهور وجاء ذلك بعد أن أخذت تقارير سياسية تثقيفية أسبوعية وشهرية داخلية تعطي الأحوال السياسية المحلية والعربية العالمية من خلال رصد الإذاعات والصحافة وكانت توزع على الكوادر الحزبية، أخذت هذه التقارير منحى تبرز فيه روح نقدية للسياسات السوفيتية وتوجهاتها وخاصة فيما يخص أطروحة التطور اللادُّرِّاسي من تغطية الأخبار بشكل متقصد مما أدى إلى شكوى من الجهات الأممية السوفيتية من وجود توجهات معادية للأممية حسب تعبيرهم - كما نقله عامر عبد

الله في حينه لتبرير قرار وقف تلك التقارير - فجرت عملية تجميد أجهزة الدعاية لإعادة غربلتها. وللتاريخ كان آرا خاجادور متعاطفاً في تلك الفترة مع هذا النشاط والفعاليات، وكان علاقته قوية مع الشهيد خالد أحمد زكي ويستعين به في كتابة بعض تقاريره التي يرفعها إلى قيادة الحزب قائلاً له "إن قلمك قوي" كما نقل ذلك الشهيد خالد نصاً إلى أحد رفاقه. وكان يتسلّك من التوجهات التصفوية والسياسات المروجة للانصهار في الاتحاد الاشتراكي قائلاً له يبدو أن لا مكان مستقبلي لي في الحزب الذي تحول إلى "حزب دال نقطة" تهكمًا على سيادة استعمال لقب دكتور قبل الأسم لكثير من القيادات في ذلك الوقت. ومن الطرائف التي تخص الرفيق آرا خاجادور ما حدث في الاجتماع الموسع لـ ٢٥ قيادي وكادر في عام ١٩٦٥ تصدّياً لخط آب. فقد هاجم أحد المشتركين آرا خاجادور على علاقاته الجانبيّة بمعارضي خط آب بقوة، فقام آرا وقال: "أَذَا اسْتَمِرَ الرَّفِيقُ يَعْمَجُ فَإِنِّي سَأَعْمَجُ فِي الْكَلَامِ" أي سأفضح ما هو مستور من سلوكه.

وcame بهاء الدين نوري بسلسلة من الخطط التنظيمية التي كانت تعني حل اللجان التي "ترتعج" القادة، وتجميد أخرى وفرض لجان من أعلى حيثما ارتأت القيادة ذلك، وكان الهدف تصفية ساحة الحزب من المعارضين "المشاكسين" قبل عقد أي مؤتمر حزبي، ورفضت اللجنة المركزية إدخال عدد من الكوادر المتقدمة من غير أعضائها في قوام اللجنة التحضيرية للمؤتمر^(٨٦)

كما برم ذلك واضحًا علينا عبر الأساليب التي اتبعت إثر عملية الانشقاق، في أيلول ١٩٦٧م، حيث حصلت أعمال مداهمة ومحاولات اختطاف مارسها الطرفان، أي: (ل.م) - (ق.م)، ولم يدركا خطورة انكشافهما جراءها أمام الأجهزة الأمنية. ولابد من الإشارة هنا إلى أن القيادة المركزية قد مارست عملاً مرفوضاً عندما مارست هذا الأسلوب الفظ مع رفاق لهم لا يليق بالروح الرفاقية التي تعلموها ونشئوا عليها وإن إختلفوا معهم فكريًا.

(٨٦) عزيز الحاج - حدث بين النهرتين - ص ٦٨/٦٩

٤-نفق سجن الحلة

إن الواجب يفرض علىّ أن أوثق وقائع هذه العملية الجريئة التي اتسمت بالسرية والكتمان والشجاعة وحسن التخطيط والتنظيم ودقة التنفيذ، في الوقت الذي رافقتها مرحلة تعاظمت ونشطة وبرزت فيها الحركات الثورية ومنها حزب القيادة المركزية، الذي انشطر عن الحزب الشيوعي العراقي. فلقد عشت تجربتها، شاهدا على أحاديثها، وساهمت بجزء متواضع منها، إذ كنت حينها عضواً عاملاً في قيادة الجهاز الصدامي المركزي لحزب القيادة المركزية ومكلفاً بالتنسيق مع رفاقه في سجن الحلة، أتذكر منهم: مظفر النواب، حسين ياسين، عقيل جبس حافظ رسن، جاسم المطير، وأخرين. كانت عملية الهروب من هذا السجن بمبادرة منهم، طرحوها على قيادة الحزب لإتمام التنسيق اللوجستي معها، علماً أن قسماً من الرفاق السجناء الذين كانوا محسوبين على اللجنة المركزية ساهموا أيضاً فيها، رغم الخلافات المحتدمة على أوجهها بين (ق.م) و (ل.م)، ذكر منهم الرفيقين حسين سلطان وصاحب الحميري، وكانت تربطني علاقة صداقة بهذا الأخير - ابن محلة الكريمات - الذي يتمتع بد茅ة الخلق وسرعة النكتة، حتى أن رفيقينا في القيادة المركزية آنذاك: طالب كادحين (أبو ايمان) وحسين داود التميمي - ابني المحلة ذاتها أيضاً - كانوا يناديانه، عندما نجلس سوية، بأن ينادياه "ليلى مراد" عن (ل.م) أي (اللجنة المركزية) فكان يرد عليهمما "ك.م" كنادية عن (ك.م) أي (الكافح المسلح).

كان المشرفون على العملية ثمانية رفاق، خمسة من (ق.م) وثلاثة من (ل.م)، وقد اتفقوا على أن يخرج ثمانية عشر سجيناً من (ق.م) يقابلهم ستة سجناء من (ل.م)، ويترك للباقين حرية الهروب عبر النفق، فبلغ عدد الهاربين خمسين، وكان طوله بحدود خمسة عشر متراً، أما عرضه وارتفاعه فكانا بحدود متر واحد، وقد ابتدأ حفره من إحدى الغرف المهمّلة، كمخزن مترونك، وكان الحفر متقدناً، وفي غاية السرية والكتمان، حيث تم ليمر النفق من تحت الجدار الخارجي للسجن، وتكون فتحته الأخيرة في كراج للنقل العام، وتمت إثارته بطريقة لا تكتشفها أنظار السجانين، لهذا

أخذ جهداً وقتاً كبارين من حافريه، ناهيك عن التراب الذي كانوا يخرجونه منه، حيث يحشونه داخل وسائل نومهم الفارغة أو يخلطون بعض كمياته مع الأذبال، كما طلبوا من إدارة السجن أن تزودهم بتراب لتغطية السطوح به قبل موسم الشتاء، لتفادي نضوج مياه الأمطار على قاعاتهم، فكانوا يضيفون تراب نفقهم له ويخلطونه به.

بعد إتمام النفق، في السابع من تشرين الأول ١٩٦٧، إنطلقت عملية الهروب التي كان رفاقنا في السجن قد أعلمنا مسبقاً بموعدها المتوقع، وقد سبق لنا أن أبلغناهم بمحدودية قدرتنا اللوجستية على توفير امكانية نقل كل الرفاق الثمانية عشر الهاربين، إنما لعدد محدد منهم، وترك الخيار للباقيين في تدبير أمورهم على مسؤولياتهم الخاصة، حيث تم استلام الرفيقين مظفر النواب وحسين ياسين، وكانا يرتديان ملابس عربية أرسلناها لهم سابقاً بعدما أمننا سكنهما في منطقة بغداد الجديدة، وكان من الموكلين بذلك الرفيق عبد جاسم الساعدي.

في أيلول ١٩٦٨ التقى الرفيق مظفر النواب في شارع أبي نواس، بعد خروجه من معتقل مديرية الأمن العامة، فروي لي محاورة بينه وبين صدام حسين، حيث كان قد أرسل في طلبه قبل أن يطلق سراحه، وهي كالتالي: (قال لي "أنا أشهد يا مظفر أنك شخصية وطنية تستحق التكرييم لا الحبس، وكنا نردد نحن البغثيين قصيتك (البراءة) عندما حصلت ردة تشرين ١٩٦٤، وطلب منا آنذاك تقديم البراءة من حزب البعث، ولتعلم أن اعتقالك لم يكن بأمر أو علم من حزب البعث، ولا نتحمل نحن جريته، إنما تقع مسؤوليته على جهاز الأمن الذي اعتقلك دون علمنا، ولا يخفى عليك أن بعض عناصره هم من بقايا جهاز أمن النظام السابق"، فقلت له "لكن رجال الأمن يقولون إن حزب البعث هو من أمر باعتقال !"، فابتسم قائلاً "قلت لك إنهم بقايا النظام السابق"، ثم قام بإهدائي مسدساً رفضته، ليبادرني بالقول "إذَا ما هو طلبك؟"، فأجبته "لقد عانيت كثيراً من النفي والسجن والمعتقلات وقد اعتلت صحتي جراء ذلك، ولدي رغبة في استراحة خارج العراق للنقاذه والعلاج، وما أطلب فقط هو منحي جواز سفر يسهل مهمتي")، وفعلاً تم منحه الجواز فغادر العراق، بعد ذلك، إلا أنه لم يغادره

"للنقاهة والعلاج"، إنما التحق بصفوف الثوار في إريتريا، ومن ثم عاد إلى عدن، عاصمة اليمن الجنوبي، وفي تلك الفترة ذهب برفقة إبراهيم علاوي سكرتير القيادة المركزية - آنذاك - في زيارة حزبية إلى الصين بناء على دعوة رتبتها لهما قيادة اليمن الديمقراطية أيام قيادة سالم ربيع علي (سالمين) حيث كانت علاقة القيادة المركزية وثيقة جداً به أيام قيادته للحزب الاشتراكي اليمني. وبعدها ذهب إلى لبنان، متقدلاً بين بيروت والجنوب، حيث التحق بفصائل المقاومة الفلسطينية، وبدأ بمهاجمة نظام صدام حسين، خطابة وشura، مما حدا بالنظام للاحتجاج، وأرسل بإثره - إلى ليبيا حيث يقيم - مجموعة من جهاز مخابراته متخصصة بالخطف والإغتيال، في محاولة لإختطافه وتصفيته، وقد داهمت منزل سكنه عندما لم يكن مظفر متواجداً فيه، فقد سبق وأخبره أحد أصدقائه الليبيين أن المخابرات العراقية تقتفي أثره وتطلب رأسه وتصفيتك، بعدها قام مظفر بتغيير سكنه، ومن ثم ترك ليبيا.

الرفيق عقيل حبس ذهب إلى الناصرية مدینته سيراً على الأقدام بعد معاناة ومخاطر كبيرة جابهته أثناء مسيرته إليها من الحلة بسبب عدم معرفته لتلك المناطق وبعد أن وصلها التحق بالحركة الثورية المسلحة في أهوار الناصرية.

أما الرفيق حسين ياسين فقد التحق بتنظيمات الفرات الأوسط ومن ثم لفترة بالرفاق في قاعدة الأهوار التي تشكلت في الجنوب، وبقي عاملاً ضمن قيادات حزب القيادة المركزية، الذي استمر بالعمل بعد اعتقال سكرتيره العام عزيز الحاج وأعضاء قيادته الباقيين، خلال الفترة التي كان يقود الحزب فيها الرفيق إبراهيم علاوي.

يذكر الرفيق عقيل حبس أحد المخططين والمنفذين الأساسيين في حفر النفق : "أن العملية بدأت بمبادرة منه ومن الرفيق حسين ياسين ومن ثم مظفر النواب وطرحوها على مسؤول منظمة الحزب في السجن الرفيق نصيف الحاج ليطرحها على الحزب من خلال الرفيق حسين سلطان صبي عضو اللجنة المركزية للحزب - وكان ذلك قبل الانشقاق - لكنهم لم يستلموا ردًا أو جوابًا من الحزب على رسائلهم، و تكونت لجنة

من: حسين سلطان صبي عضو اللجنة المركزية مستشارا للجنة التخطيط / جاسم المطير مستشارا لمظفر النواب / ومن جواد مستشارا لنصيف الحاجاج / ، والزملاء الإستشاريين ليس لهم علم بأسماء المشاركين بعملية حفر النفق ولا بالكيفية التي يتم الحفر بها ولا بالأدوات ، وليس للسجناء الباقين والبالغ عددهم ٧٠٠-٦٠٠ سجين علم بحفر النفق وذلك من أجل سرية العملية وصيانتها، كانت اللجنة الأولى هي لجنة التخطيط والإشراف والمتابعة والتنسيق إضافة إلى مسؤول التنظيم، نصيف الحاجاج وت تكون من الزملاء: حافظ رسن (أبو سمير) منسق العملية. حسين ياسين (أبو علي) مشرف على العملية. مظفر النواب (أبو عادل) متابع العملية " .

بيد أنهم باشروا بالإعداد والعمل والبدء في عملية الحفر وكان طاقم الحفر أساساً يتكون من الرفيقين : عقيل حبش و فاضل عباس عبد الأمير ، وذلك للصيانة والسرية ولخبرتيهما، وانظم اليهم في مرحلة لاحقة الرفيقين حميد غني جعفر وكمال ملكي كماله، وبعد أن أنجز حميد وكمال بمعية عقيل وفاضل حفر ما يقارب الخمسة أمتار من النفق توقف الرفيقان حميد وكمال بينما استمر عقيل وفاضل بالعمل والحفير، وكان الحفر متقطعا كل ثلاثة أو أربعة أيام الى حين حدوث الإنشقاق في ح. ش. ع. نهاية شهر أيلول / سبتمبر ١٩٦٧، وقد أنظم معظم العاملين في عملية الحفر الى القيادة المركزية بإستثناء حميد غني جعفر الذي بقي مع اللجنة المركزية.

من أجل الإطلاع على التفاصيل الكاملة عن سير هذه العملية يمكن العودة الى كتاب الرفيق عقيل حبش - المنفذ الأول والمواكب لجميع مراحلها الى يوم الهروب - في كتابه الموسوم " الطريق الى الحرية - عقيل عبد الكريم حبش الجنابي - دار الملّاك للفنون والنشر .

وهذه قائمة بأسماء السجناء الهاربين وعددهم كما وردت في كتاب الرفيق عقيل حبس "الطريق الى الحرية":

السجناء الهاربون مع سنوات محكوميتهم فهم كل من:

(١) جاسم محمد المطير / ٢٠ سنه

(٢) حمادي عبد الله / ٢٠ سنه

(٣) حسين علي طراد / ٢٠ سنة

(٤) حافظ رسن / ٥ سنوات

(٥) حسين ياسين / ٣ سنوات

(٦) عبد العزيز الحامد / ٢٠ سنة

(٧) عبد الجبار على الجبر / ٢٠ سنة

(٨) عبد اللطيف حسن / ٢٠ سنة

(٩) عبد الأمير سعيد / ٢٠ سنة

(١٠) عبد الحميد غني / ٢٠ سنة

(١١) عدنان ابراهيم / ٢٠ سنة

(١٢) رياض كريم حبس / ١٠ سنوات ونصف

(١٣) عادل عباس الزبال / ٧ سنوات

(١٤) عبد تام الجبار مال الله / ٢٠ سنة

(١٥) مظفر عبد المجيد النوايب / ٢٠ سنة

(١٦) ريحان عبد الله / ١٥ سنة

(١٧) نبيل حسين / ١٥ سنة

(١٨) غانم داود الموصلي / ٥ سنوات

(١٩) عدنان عبد الله سمعو / ٢٠ سنة

(٢٠) أسعد عبد العاقولي / ٢٠ سنة

(٢١) عقيل كريم / ١٠ سنوات

(٢٢) سعدان فهوبي / ٢٠ سنة

(٢٣) سعد الله ملا محمد / ١٢ سنة

(٢٤) جياد تركي / ٢٠ سنة

(٢٥) كمال مدني / ١١ سنة

(٢٦) محمد حسن حمدي / ١٠ سنوات

(٢٧) صدام حميد / ٢٠ سنة

(٢٨) قحطان عارف / ٢٧ سنة

(٢٩) محمد موسى كاظم / ٥ سنوات

(٣٠) حز علي جاسم خلف / ٢٠ سنة

(٣١) بشير الزرعو / ٢٠ سنة

(٣٢) صلاح حسن شاهين / ٢٠ سنة

(٣٣) هادي صالح / ٣ سنوات

(٣٤) محفوظ يونس / ٢٠ سنة

(٣٥) جاسم حذو / ١٥ سنة

(٣٦) جواد عبد الله / ١٠ سنوات

(٣٧) حسين سلطان / ٩ سنوات

(٣٨) عبد الواحد خلف / ٢٠ سنة

(٣٩) حازم صابر / سنة واحدة

(٤٠) فاضل عباس / ١٧ سنة

لم تكن هي المرة الاولى التي يقوم بها سجناء شيوعيون عراقيين بحفر نفق الى خارج السجن والهرب من خلاله، في كتابه عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي -فصل (مجازر السجون) يذكر عزيز سباхи: "لابد لنا أن نتوقف عند لون آخر من مآثر الشيوعيين في سجونهم في تلك الفترة، ونعني بها محاولات الهروب المتكررة من السجون بأساليب حيرت خصومهم.

١-عملية الهروب من سجن الكوت

" كانت أول محاولة للهروب الجماعي قد تمت في شباط ١٩٥٢ من سجن الكوت، وقد تمت بحفر نفق تحت الأرض من داخل السجن إلى خارجه، وكان على رأس الذين تولوا الحفر آرا خاجادور وحميد عثمان ومهدى حميد وجاسم التاجي وأخرون، وقد خرج الذين تقرر هروبهم عبر النفق إلى خارج السجن لكنهم لم يجدوا الدليل والسيارة التي كان من المنتظر أن تنتظركم في المكان والموعد المحدد وتقليمهم إلى الحدود مع إيران، فراحوا يسirون في براري الكوت حتى وقعوا في أيدي البوليس على نحو ما يروي ذكي خيري في مذكراته، وعزيز الحاج أيضاً، ولم ينجح منهم سوى عزيز الحاج الذي وصل إلى بغداد وحاول أن يلتجأ إلى بيت أحد أصدقائه في الكرادة الشرقية لكن زوجة صاحب البيت إرتعبت وسلمته إلى البوليس، فقد برهنوا بحفر النفق أنهم يحسنون الإقدام والتنفيذ لكنهم يسئون التقدير والتخطيط، فلم يحسبوا الكثير من الأمور المهمة والمحتملة حساباً جيداً، وهكذا فشلت العملية".

٢-عملية الهروب من سجن بعقوبة

وكانت المحاولة الثانية للهروب الجماعي قد تمت من سجن بعقوبة بعد ثلاث سنوات من محاولة الهروب الأولى، وجرت كما الأولى، من خلال نفق تم حفره من غرفة صغيرة كانوا يخزنون فيها موادهم الغذائية، وكانت هذه المرة أشق وأخطر، ففي السجن يزدحم ما يزيد عن المئتين والخمسين سجيناً يدورون في ساحة مبلطة بالكونكريت لا تزيد مساحتها عن الألف متر مربع، والحراس يطلون عليهم من فوق، وتنيرها المصايبع الكهربائية القوية.

لقد كان حفر النفق عملاً هندسياً معقداً، فعدا عن أن النفق كان أطول بكثير هذه المرة (قرابة ٤٠ - ٥٠ متراً)، والأرض إلى مسافة غير قليلة مبلطة بالكونكريت السميك، وكان يتوجب حفره تحت ثلاثة جدران ، وعروق الأشجار الضخمة التي تحيط بالسجن

تمتد في كل الإتجاهات، والمياه الجوفية قريبة جداً من سطح الأرض، وكان على الذين يتولون حفر النفق أن يتخلصوا من تربته بصورة من الصور، وأن لا يبقوا لها أثراً يمكن أن يشك فيه الحراس الذين يتولون عد السجناء يومياً، والأخطر من كل هذا، كان على الذين يحفرون النفق أن يواصلوا عملهم دون أن يعرف السجناء ذاتهم ما يجري خشية أن لا يفتشي أحدهم سر الأمر. ومرة أخرى تفشل خطة للهروب ويلقى القبض على الهاريين في أطراف بعقوبة، لأنهم لم يجدوا الدليل الذي تقرر أن يخصصه الحزب في الموعد والمكان المحددين، ولم يسلم سوى عبد اللطيف الرحيبي الذي كان من أبناء المنطقة والذي أخذ طريقه نحو قريته بهرز، وحين زار قائد الفرقة العسكرية وحاكم تحقيق السجن، وإطلاعاً على النفق لم يستطعوا كتم إعجابهما بالعمل الهندسي الذي حققه السجناء بأدواتهم البدائية." (٨٧)

يدرك الرفيق عبد الجبار وهبي (أبو سعيد) في كتابه (من أعماق السجون في العراق - عبد الجبار وهبي "أبو سعيد"- اعداد وتقديم محمد علي الشيباني- مؤسسة النبراس-العراق-النجف الاشرف -٢٠١٣ - ص ١٣٨). عن كتاب من أعماق السجون في العراق - عبد الجبار وهبي - القاهرة-دار القلم -١٩٥٥). أنه "في صيف عام ١٩٥٢ هرب حميد عثمان وأحد عشر سجيننا سياسياً من سجن الكوت عن طريق نفق حفروه من تحت الأسوار إلى خارج السجن إلا أنهم ألقى عليهم القبض - بعد هروبهم - وأعيدوا إلى السجن، ومن ثم نقلوا مع ٤٠ سجيناً آخر إلى نقرة السلمان، وكان هذا الحادث أول حادث من نوعه في السجون العراقية. وكان لحادثة الهروب، هزة عنيفة في الأوساط الشعبية والحكومية على السواء، وعلى أثر الهروب انشأت الحكومة جناحاً في السجن على النمط الأمريكي، وفي زنزانات هذا الجناح الحديث عرف السجناء السياسيون لوناً جديداً من الاضطهاد والتعذيب".

(٨٧) عزيز سباхи -عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي - ج ٢ ص .٩٩

كذلك أشار الى الحادث هنا بطاوط في كتابه (العراق-الكتاب الثاني-الحزب الشيوعي-مؤسسة الابحاث العربية-ص-٣٥٨). قال: "في صباح ١١ شباط ١٩٥٢ اكتشف حرس سجن الكوت أن الشيوعيين حفروا ممرا طوله ١٣ مترا بعمق مترا ونصف المترا، وان ١٤ منهم هربوا خلال الليل. وعلى العموم، فقد تم اللحاق بسبعة منهم واعتقالهم، ونقلوا في ١٣ شباط الى نقرة السلمان. وبقيت كيفية تمكن السجناء من تأمين الادوات اللازمة للحفر، وأين خبأوا كتل التراب الناتجة عنه، من الامور المحيّرة".

وآخر تلك العمليات كانت عملية حفر نفق في الموقف العام في كانون أول عام ١٩٦٨ أي بعد بضعة أشهر من مجيء البعث الثانية في ١٧ تموز ١٩٦٨. ولتعذر كسر الأرضية الكونكريتية للغرفة التي تقرر بدء حفر النفق منها في القلعة الخامسة لكونها مجاورة للمرأة الخارجية الذي يفصل القلعة عن سياج الموقف العام المطل على باب المعظم، فقد ابتدأ الحفر بجدار الغرفة الذي كان سميكا جداً ومشيدا بالفرش، وبعد عمل فتحة داخل الجدار تتسع لدخول شخص واحد تم الحفر بالجدار نزولاً وذلك بقلع الطابوق الفرشي المشيد منه الجدار إلى ما تحت مستوى الأرضية الكونكريتية ومن ثم النزول إلى عمق حوالي مترين تحت الأرضية، وبعدها الحفر الأفقي باتجاه الشارع العام في باب المعظم عند بدايته باتجاه الأعظمية. وقد اكتمل العمل فيه بعد اختراق جدارين بسمك أكثر من مترا مبنية بالفرش والوصول إلى الشارع العام. وقبل ساعات من الوقت المقرر للهروب ليلاً بالتنسيق مع الحزب في الخارج، وبعد انتهاء مواجهة الموقوفين الدورية مع علوائهم، تم مداهمة الموقف بمفرزة وبحضور وزير الشؤون الاجتماعية في حينه ومسؤولي السجون إثر وشاية من أحد الموقوفين.

وعند فتح التحقيق قررت قيادة التنظيم في الموقف، وكان مسؤولها ماجد علاوي، أن يقوم ثلاثة رفاق بتحمل المسؤولية الكاملة عن حفر النفق أمام الإدارة وأمام لجنة التحقيق، وهم حارث الخوري ونعمان ثابت وحسين مشكور، الذين تحملوها بكل شجاعة وتحدي. ولا يمكن نسيان الدور الكبير للموقف الشيوعي فاضل عباس في

عملية الحفر التي كانت تتم ليلا، والذي كاد أن تقتله صعقاً كهربائية من تمديداً للأسلاك الكهربائية للإضاءة أثناء الحفر. ومن الطريف أن حسن مشكور، الذي كان سمياناً جداً، سُؤل أثناء التحقيق: كيف يمكنك أن تهرب من هذا النفق وأنت بهذا السمن، فأجاب أني أنا "قالبهم" في حفر هذا النفق. وقد تم نقل الموقوفين إثر ذلك إلى سجن بعقوبة، وكانت هتافاتهم تعاليّ بحياة الحزب أثناء تحرك سيارات النقل في شوارع بغداد طالبين إلى الجماهير إيصال خبر إلى الحزب بأن السلطات قامت بنقل الموقوفين إلى جهة مجهولة.

٥-عودة البعثيين ثانية

لم دارت عجلة العنف مجدداً إثر انقلاب البعثيين في ١٧ تموز ١٩٦٨ التسحق الجميع دون رحمة، حيث بعد ثلاثة عشر يوماً، فقط، إنقلبوا على حليفهم ابراهيم الداود وعبد الرزاق النايف، المساهمين الأساسيين في نجاحه، فأبعدوهما بالقوة خارج البلاد، واستمرت العجلة تطحن كل المعارضين لهم، حتى شملت بعثيي الجناح اليساري لحزبهم، بذرية أنه "منشقون"، وزجّت بكل قياداتهم في السجون، فضلاً عن شمولها للحركات الدينية والقومية، فبات القتل أسلوباً متبعاً لمعاقبة المعارضين لهم أو المختلفين معهم. فلقد مارس حزب البعث حكمه، عقب انقلابه هذا، بحملات قمع وتصفية، لم يشهد العراق المعاصر مثيلاً لها، إذدادت حدتها وارتفعت وتيرتها خلال السبعينيات، وخاصة بعد استلام صدام حسين كرسي الرئاسة عام ١٩٧٩م، حين تركّز ذروتها منتصف هذا العام، فطالت قياديي من الحزب نفسه، حيث تم إعدام: غانم عبد الجليل، عدنان الحمداني، محمد محجوب، محمد عايش، محيي عبد الحسين، عبد الخالق السامرائي، بعد تعذيبهم، ثم عدم السماح لعائلاتهم بإقامة مراسيم عزاء لهم، وتجريم أقاربيهم حتى الدرجة الرابعة وإبعادهم عن وظائفهم. كما أضافوا لحملاتهم القمعية والتصفوية هذه حملات "تسفير"، حيث أبعدوا إلى خارج

الوطن مواطنين عراقيين بعد إسقاط الجنسية عنهم بدعوى "التبغية"، منتزعين إياهم من بيوتهم بملابس النوم إلى شاحنات توجهت بهم نحو الحدود الإيرانية.

أما حين تحول "حكم البعث" إلى "نظام صدام"، منذ مطلع الثمانينيات، فهناك أفعال مخالفة لأبسط حقوق الإنسان: بترك يد المتعامل بالدولار الممنوع تداوله محلياً، وقطع إذن المتختلف عن الخدمة العسكرية أو لسان "المتهجم على السيد الرئيس" ولو بنكتة، وإعدام المنسحب من جبهة حرية رميا بالرصاص ثم مطالبة ذويه بشتمها ومنعهم من إقامة مجلس عزاء له.... إلخ! كما أن إزهاق النفوس البريئة قد بلغ ذروته خلال الحربين اللتين أشعلهما صدام حسين ضد إيران والكويت، فخلفت الأولى مليون قتيل، بعدها دامت ثماني سنوات، وخلفت الثانية ربع مليون قتيل، إضافة لمئات الآلاف من المعاقين والأرامل والأيتام، ناهيك عن تدهور حاد في الوضع الاقتصادي وتخلخل باين في النسيج الاجتماعي، وانتشار الأمراض النفسية وشراء الذمم الرخيصة وتفشي الذهنيات الانتهازية.

هنا يبرز سؤال: هل طبق البعثيون على الأرض شعار حزبهم (وحدة - حرية - اشتراكية) عندما مارسوا كل ذلك العنف السياسي خلال الفترتين التي حكم بها حزبهم العراق بعد عامي ١٩٦٨، ١٩٧٣؟

٦- البداية في "النهاية"

كنت قبل شهرين من اعتقالي الثاني، أواخر كانون الأول ١٩٦٨م، أفكر في إيقاف نشاطي ضمن حزب القيادة المركزية، بدأته بحوار مع الرفيق كاظم الصفار عضو (ق.م) ومكتبه السياسي، طرحت فيه مأخذى على نهج الحزب، خصوصا عدم الاتزان بمسألة الصيانة وتعريف رفاق الجهاز الصدامي للخطر بسبب ذلك، والاندفاع الكبير والمبالغة الزائدة بامكاناتنا المتواضعة جدا، والتي أنا على معرفة تامة بها، وتضخيمها وإعطاءها حجما يفوق واقعها، عبر البيانات القيادية ذات الحماس الثوري! أضف لهذه المأخذ كلها، هنا، أن بعض أعضاء قيادة الجهاز الصدامي كانوا يتداولون قرارا باحتجاز الرفيق عزيز الحاج وتنحيته عن السكرتارية العامة للحزب، لكن اعتقالهم حال دون ذلك، فكان قرارا كهذا خرقا تنظيميا واضحا، نجم عن أسباب عديدة... منها: إمتداد تأثير "عدوى" أسلوب وأداء الرفاق في (ق.م) بتعاملهم مع بعض أعضاء وكوادر اللجنة المركزية خلال العملية التي رافقت الانقسام / ضعف في الالتزام والانضباط بمركزية القرار / إفتقار السكرتير العام لحزب القيادة المركزية لعامل الحزم والجسم في معالجة الأمور. لذلك فإن البيانات التي كانت تصدر عن قيادة الحزب تعطيك انطباعا أنه على أبواب استسلام السلطة، مما أثار مخاوف بعثيي جناح (البكر - صدام) جعلتهم يعجلون بانقلابهم في ١٧ تموز ١٩٦٨م، بعدما عقدوا اتفاقا، للقيام به، مع عبد الرزاق النايف معاون مدير الاستخبارات العسكرية، محسوبا على الانكليز، وابراهيم الداود قائد قوات الحرس الجمهوري، محسوبا على الأمريكان، وبعد ٣٠ تموز ١٩٦٨م أبعدوهما بالقوة إلى خارج العراق، ولاحقا قامت المخابرات العراقية باغتيال النايف في لندن أيام الثمانينيات.

لكن في آب ١٩٦٨م، طلب البعثيون لقاء مع قيادتنا المركزية، فأرسلت لتمثيلها الرفيق كاظم الصفار، حيث طرحوا عليه استعدادهم للتحالف معنا بتخصيص مقاعد لنا في حكومتهم، موضحين له أن سلطتهم الحالية ليست كسلطة شباط، التي حدثت فيها أخطاء عديدة، لن تتكرر (فلنقلب هذه الصفحة ونبداً صفحة جديدة)! كان الجواب

الشفوي للقيادة بلسان الصفار محدداً واضحاً: "لا نقبل بمشاركة شكلية بحثة في الحكم، إذ لا معنى للتحالف مع حزب لا يعترف بحق حزبنا بالعمل السياسي العلني ونشره صحفه الخاصة به، وأسباب أخرى في مقدمتها عدم وجود قناعة لدى رفاقنا وجماهيرنا بالتعاون معكم لما ارتكب من قتل وإبادة لرفاقنا وأبناء شعبنا عام ١٩٦٣م". وقد عبر عن هذا الموقف (بيان الحزب الشيوعي-القيادة المركزية في آب ١٩٦٨م)، حيث ورد فيه "... إن مجرد اشتراك قوة تقدمية واحدة، أو حتى عدد من هذه القوى في حكومة يسيطر عليها مجلس قيادة الثورة -أي مجلس كبار الضباط الحاكمين -.... لن يغير شيئاً في طبيعة النظام" مطالباً " بإطلاق سراح المساجين السياسيين وضمان الحرية للأحزاب السياسية والحكم الذاتي للأكراد، وإيجاد حكومة ائتلافية ديمقراطية تقدمية مؤقتة". ومع صواب موقف كهذا، بحق، إلا أن العنف الممارس ضد الشيوعيين استفز القيادة المركزية، فرفعت صوتها في كانون الثاني ١٩٦٩م داعية تنظيماتها علانية إلى البدء بالعمل للإطاحة بنظام البعثيين. وقد كان الإسلام ادراكاً للظرف الراهن، آنذاك، عدم اللقاء بهم والاستجابة لطلبهم، من ناحية أولى، وعدم رفع شعار اسقاط نظامهم الجديد علينا، من ناحية أخرى، للحصول على مساحة أكبر من المرونة والمناورة، اللتين تحولان دون إعطائهم الذريعة لضرب حزبنا (رغم أنهم منذ تسلمهم الحكم كان نهجهم ومخططهم تصفية كل الأحزاب والحركات التي لا تنتمي إليهم). ربما كان الصراع الدائر بين (ق.م) و (ل.م) أحد الأسباب التي ساهمت برفع هذا الشعار، لإبراز تميز موقفنا عن موقف اللجنة المركزية التي لم ترفعه، فكانت النتيجة الحتمية أننا كنا نحن الضحية الأولى التي ابتدأوا بتصفيتها من بين القوى السياسية الأخرى.

كان موقفنا قد انطلق من نظرة يعتريها قصور بفهم الظرف الموضوعي، الذي كنا نمر به، واعتزاد كبير بأنفسنا، وتقدير مبالغ فيه لإمكانياتنا وقدراتنا، حيث انتاب قيادتنا وكوادرها هاجس الشعور الواهم بالقوة، ما انعكس على قواعدها وجماهيرنا من خلال التثقيف والاعلام اللذين سادا تلك المرحلة. فإثر رفضنا التعاون مع البعثيين وإظهار

موقفنا المعادي لهم عبر رسالتنا التي وصلتهم أثناء اللقاء بهم، وبعد فترة وجيزة لم تستمر طويلاً وتحديد نهاية تشرين الثاني ١٩٦٨ أي عقب أربعة أشهر على انقلابهم في تموز ١٩٦٨، إنقضوا علينا بحملة اعتقالات واسعة كبيرة، ويبدو أنهم كانوا قد جمعوا معلومات مسبقة عن تحركاتنا بواسطة جهازهم الاستخباري "حنين" الذي كان موجوداً ناشطاً قبل الانقلاب والذي أصبح جهاز المخابرات لاحقاً. وقد ابتدأت حملتهم هذه باعتقال الرفاق أحمد الحلاق، هاشم الألوسي، صالح رضا العسكري، حاتم سجان، محمد كريم، والثلاثة الآخرون من قيادة "الجهاز الصدامي"، وبعد تعذيب وحشي شديد باشر به نظام كزار (مدير الأمن العام أوآخر الستينيات ومنتصف السبعينيات)، وبعدما فشل في انتزاع أي اعتراف منهم، قام أمام أعينهم بشنق الرفيقين عزيز فعل، ابن المناضل الفلاحي فعل ضمد، وهو من تنظيمات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، وفائق الياس عضو حزب القيادة المركزية بطريقة وحشية، حيث ربطهما بحبل لف حول عنقيهما شد أربعة أشخاص طرفه الآخر بحلقة مروحة السقف، رافعين جسديهما تدريجياً للأعلى إلى أن فارقا الحياة. وقد وصف لي الرفيق حاتم سجان مشهدهما: (لقد أزرق وجهاهما، وجحظت عيونهما، كانا يرفسان بأرجلهما، كالطير المذبح، رغم القيود التي كانت تلفها)! إنها طريقة بدائية ووحشية تزيد من وجع وألم المشنوق، لا تشبه الطريقة التي نعرفها في مشانق السجون التقليدية، حيث يغطى وجه الضحية بكيس أسود ويوضع حبل في عنقه، وعقدته "المشنقة" خلف جمجمة رأسه، ليتم قطع نخاعه الشوكي خلال ثانية، لئلا يشعر بألم، فيما تفتح البوابة التي يقف عليها ليسقط منها متدلياً بثقل جسمه. إذ أن طريقة شنق الرفيقين "فعل" و "الياس"، كانت مختلفة، أشعّرتهما بجرعات كبيرة من الألم، في جو يسوده الانتقام وغابت عنه المشاعر الإنسانية! وفي ذلك الوقت اعتقل عبد الأمير سعيد، وشعبان كريم الذي مات تحت التعذيب، وحصل كل هذا في وقت كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي خلاله تحاور الجلاد من أجل تأسيس "جبهة وطنية تقدمية"!

في تلك الفترة داهم بيتي لاعتقالي هؤلاء:

ناظم كزار "أبو حرب"، شاب نحيف أسمه السحنة، طويل القامة قليلا، تعتلي أرنبيه أنفه نظارات سميكه نطلق عليها (كعب قينينة)، يرتدي معطفا مطريا رمادي اللون، له لمعان صدفي، ويسع من عينيه روح الانتقام والتشفي / **سالم الشكرة** "أبو طه" أو "أبوفرانكو"، نحيل الجسم، متوسط القامة متجمهم الوجه لا يبتسم أبدا، تحسبه أحد ضباط الجستابو النازي، يقطر حقدا ولؤما، ربما كانا قد تأصلا فيه بعد مقتل أخيه فاضل الشكرة خلال حركة الشواف في الموصل عام ١٩٥٩م / **صباح ميرزا**، شاب وسيم، سحنته بيضاء، رياضي فارع القامة كأنك أمام ممثل هوليودي لا يحمل وجهه سمات توحى بالعنف والصلاحية، على وجهه ابتسامة خفيفة دائمة، حتى وإن كان يمارس التعذيب / **ناصر فنجان** "ملازم طارق"، شاب أسمه اللون هادئ، طويل القامة عسكري الحركة، تحس بصرامة ملامحه رغم البسمة التي تعلو وجهه / **عرمش عرمود** "أبو أحلام" ، ضخم الجثة، قوي البنية، مفتول العضل تخاله مصارعا، مكتنز الوجه، أبيض البشرة، يحاول تغطية جمجمته- التي تساقط شعرها - بخصلة شعر يأخذها من جهة سالفيه، له فتحة تفرق ما بين ضرسيه العلويين الأماميين، جاحظ العظمة تحت حاجبيه، لهجته جنوبية / **حسن المطيري** "ملازم فيصل" ، شاب وسيم، نحيف الجسم، متوسط القامة، دقيق الملامح، ذو سحنة حنطية، شعره يميل إلى الأصفرار قليلا، يمشّطه ويفرقه من الجانب الأيسر، عندما يتحدث إليك تحسه إنسانا وديعا، لكنه في التحقيق يتحول إلى وحش كاسر / **فارس الموصلي** "ملازم" ، أسمه السحنة، مستطيل الوجه، على وجنته خال، شعره أسود كث، تراه دائما يرتدي بدلة وربطة عنق، لهجته موصليه / **فاروق** "أيضا ملازم" ، شاب طويل القامة، مليء الجسم، حسن المظهر، شعر رأسه كثيف حالك السوداء، له شنب أسود كث يندلق على نهايتي فمه، مشكلا رقم ثمانية، قليل الكلام، صارم الملامح.... وثمة آخرون لم أتعرف على أسمائهم.

كان بإمكانى الهرب وأنا في البيت، من خلال القفز إلى سطح الجيران والإفلات من قبضتهم، إلا أنى فكرت بأخي الوحيد كاظم الذي يكبرنى، خصوصاً أنه كان قد اعتقل بسببي عام ١٩٦٣م، بعد إطلاق سراحه من السجن، وظهور اعترافات جديدة عقب التحقيق مع معتقلين من التنظيم الذي كنت مرتبطاً به، مما حدا بهم إلى مداهمة بيتنا، ولما لم يجدونى اعتقلوه وأخذوه إلى قصر النهاية، حيث أكد لي هذه المعلومة أيضاً رفيقنا سعدي الحديثي الذي كان موجوداً معه، فقاموا بتعذيبه لمعرفة مكان اختفائي، وقد نال قسطاً وافراً من التعذيب آنذاك ولم يعترف لهم بالمكان، مما جعلني خائفاً عليه إذا اعتقل هذه المرة، فربما سيموت تحت تعذيبه له وهو ليس ذو أي ارتباط بالعمل الحزبي التنظيمي.

تم اعتقالى في كانون الأول ١٩٦٨م، كان الجو شتوياً قارصاً ممعناً في برودته، فتحوا باب سيارتهم - نوع بيجو ٤٠٤ - أجبروني على الجلوس في مقعدها الخلفي، جلساثنان منهم واحد ذات الشمال وأخر ذات اليمين، وقد حشراني بينهما، كان ناظم كزار هو من يجلس خلف مقودها، إنطلقت السيارة، تبعتها سيارات تقل آخرين، بعدها عصباً عينيًّا لما استقررت داخلها، فسارت بنا على الطريق ميممة وجهها إلى جهة مجهولة. وبينما كانت تنهبه نحو المكان الذي يرومون أخذني إليه، طرح على كزار التعاون معهم بكشف التنظيمات التي أعمل معها، وقد ملي عرضاً مفاده: منحي مركزاً وظيفياً مرموقاً في الدولة مع سيارة خاصة وراتباً كبيراً، ووعد بتسهيلات كبيرة أخرى، إن قبلته سأعود إلى البيت لأن شيئاً لم يحصل! لكنني رفضت العرض بادعاء أنني لا أنتمي لأي تنظيم وليس عندي ارتباط بأي حزب، وهنا قالوا "لدينا اعترافات مؤثقة عليك، ونحن لم نأتكم اعتبرناها أو عشوائياً"، وحينها لم أكن أعلم باعتقال رفافي الثلاثة، فاعتبرت ذلك خدعة للإيقاع بي! حين توقفت السيارة اقتادني أحدهم وأنا معصوب العينين، أنزلني سلماً، لامست قدمي درجاته فشعرت أنه يؤدي إلى قبو، وبعدما أنهيت السلم، ولجم زنزانة كانت مياه تعمّر أرضيتها، ثم خرج السجان وأغلق بابها خلفه، حيث رفعت العصابة عن عيني، فإذا أنا لا أرى شيئاً بتاتاً غير ظلام دامس

يحيط بي ويطبق علي. لم أتمكن من الاستلقاء على أرضية الزنزانة بسبب المياه التي تغمرها، كنت أحاول أن أجلس القرفصاء لعلي أقتني لحظات من النعاس، لكن جفوني أبى ولم تطاوعني لترتحي قليلاً وأنعم ولو بفترة قصيرة. لم يتقدني أحد من السجانين في بحر ليلتين قضيتهما هنا، وعبر الجدار الملائق لزنزانتي كنت أسمع لأحد المعتقلين صوتاً يعلو ويصرخ منادياً "سيارتني محركها لم ينزل يدور... إنها على أهبة الاستعداد للحركة والانطلاق، أين أنت يا أحمد حسن البكر... تعال وعجل كي أنقلك بسيارتني وأوصلك للمكان الذي تبغيه ومجاناً، (يلله عيني تعال وأوصلك وين ما تريده)"، فكأنه قد جنّ وقد صوّبه.

وفي اليوم الثالث جاء صباح ميرزا واقتادني إلى الطابق العلوي، بعدما انتزع ربطه عنقي وكبل بها يدي للخلف، حيث أدخلني وسط قاعة واسعة فإذا بشخصين على يميني وشمالي بدأ يصفعناني بكفيهما على خدي بتوقيت مشترك فإن فشلت الصفتان في تحقيق مرادهما بتطابق صوتيهما، تتعالى ضحكتهما وهما يرددان "هاه... لم تنجح الصفة"، ليعدا الكرة مستمرة بالصفع، دون أن يكلّ كفاهما، حتى إذا وحّدا صفتיהם فكان صوتاهما متباينين، عندهما توقفا عن صفعي.

هذه القاعة الواسعة، يتدلّى من سقفها حبل مربوط بحامل مروحتها، وعلى مدى أسبوع يومياً، منذ ساعة متأخرة كل ليلة، كان شخصان يطرحانني أرضاً، ويشدان رجلي بالحبل هذا، ليسهل عليهما انسابه أثناء الشد، ثم يرفعانني للأعلى، فأصبح معلقاً في الهواء متذلياً ورأسي بملامسة الأرض تقريراً، حينها يتناوب على ضربي شخصان آخران بأسلاك كهربائية سميكية "كيبيل"، يستمران على هذا المنوال لفترة طويلة حتى يخدر جسمي بحيث لا أشعر بألم.

في إحدى الليالي، حيث حفلة التعذيب والتحقيق ذات جو ارهابي حتى مطلع الفجر، سقطت أرضاً، بعدما أرخي الحبل المعلق بحلقة المروحة السقفية، فإذا بنظري، متفحصاً ما حولي، يقع على نظام كزار: كان جالساً خلف طاولة كبيرة فرش على

سطحها أوراق جريدة، وضع عليها صحونا مليئة بالكتاب والصمون والريحان، وقد عبقت روائحها في أنفي، أنا الذي لم أذق لثلاثة أيام متتالية سوى الماء، فكان يتناول الطعام مواصلا استجوابي، وهو يرمي بنظرة حادة ماكرة يشع منها خبث وتشفّ، فيما ارتسمت على ثغره كراهية وندالة شديدةتين، توحى للناظر أنه يكره حتى نفسه، إذ كان واجما متوجهما، كأن البسمة خاصمت شفتيه، وهو مختبئ خلف نظارته الطبية السميكة، التي كنت أرى انعكاس صورتي ولمعانها على سطحي عدستيها، وبعدما ابتلع لقمة بشهية رفع صوته "لا تحاول أن تستعرض علينا بطولاتك وتظهر بمظهر الإنسان الصامد كعادتكم أنتم الشيوعيون... لدينا اعتراف عليك، ولدينا معلومات مؤكدة إلى أي تنظيم تنتهي أنت، ونعرف أنك كنت تنوى ترك العمل الحزبي، لكن خبرنا عن تنظيمك وما تعرفه عن التنظيمات الأخرى والتنظيمات القديمة" (يقصد تنظيمات اللجنة المركزية). إستمر الضرب على ظهري لمدة غير طويلة، سبقتها جولات ضرب متكررة على أطرافي، حتى فقدت الإحساس بألم، حيث تخرد جسمي، وما عاد يكترث بالضرب، وكنت أثناء ذلك أحاور نفسي محاولا اقناعها "يبدو أن تحمل الإنسان للضرب يفوق ما تتحمله الدابة"! ولما احتلط عذاب التحقيق برائحة الكتاب، توقف ضربهم ومعه ألمي، كذلك سيل كلماتهم البذيئة، فكانت استراحة لم تستمر كثيرا، بعدها واجهوني برفاقي الثلاثة صالح العسكري وحاتم سجان ومحمد كريم "أعضاء قيادة الجهاز الصدامي"، وسألهم كزار "من هذا وما مرکزه؟"، مشيرا بإصبعه إليّ، فأجابوا دون تردد (إنه "أبو بحر" - كنيتي آنذاك - عضو لجتنا العمالية، وكان قد ترك العمل معنا)! أفادتني هذه الإجابة في التحقيق مخففة عني التعذيب لاحقا، لكنها تلميحا منهم لي بأن اعترافهم اقتصر على ذلك ولم يتعد إلى مراكزهم الحزبية الحقيقة. ثم أعادوهم للمكان الذي جاءوا بهم منه، وبدأ تحقيقهم معى مجددا طالبين مني أن أخبرهم عن معرفتي بتنظيمات أخرى حتى إن كانت من اللجنة المركزية، مع استمرار الضرب قرابة ساعة للحصول على معلومات إضافية ربما أخفيتها عنهم، وبعدهما تعبوا، حيث كلت أياديهم، أنزلوني أرضا. لم يعيدوني لـ"غرفتي"، بل ذهبوا بي إلى "غرفة" يوصل إليها مباشرة سلّم ملتو، كان فيها معتقلون

آخر، فسحوا لي مكاناً كي استلقي فيه، وعندما دار حديث بيني وبينهم قال بعضهم إن هذا سردار، تابع لقصر الرحاب الملكي سابقاً، يوصله نفق سري طويلاً إلى "نهر الخر" الذي لا يبعد كثيراً عنه، إلا أنه قطع إلى زنزانات عديدة بعد أن تحول إلى معتقل قصر النهاية لاحقاً!، كانت مساحة هذه الزنزانة لا تتجاوز عشرين متراً لكنها مكتظة بالموقوفين، حيث ينامون جالسين أو مقرفصين أو واقفين متبدلين ذلك بين ساعة وأخرى، وكان لها باب حديدي أحمر اللون موصد تعلوه فتحة، تخللها قضبان حديدية، مساحتها أقل من ثلاثة سنتمترات، تستنشق الهواء من خلالها، أو يكلموننا عبرها أحياناً، ورغم أن الطقس كان شتوياً بارداً فقد أصيب البعض بالاغماء لشدة الحر داخلها.

كان معنا فيها أشخاص ذوو اتجاهات مختلفة من مدن متعددة، كما تضم أيضاً معتقلي الهيئة الثانية، أي من يطلق عليهم "الجواسيس"، مع بقية المعتقلين الآخرين... و منهم: عبد الهادي البجاري المحامي، صادق جعفر الحاوي، فهد "طالب في كلية الهندسة-جامعة البصرة-السنة الأخيرة، لم اتعرف على اسم أبيه، زكي زيتوا، الأخوان البير وسامي حبيب توماس "الثاني مات تحت التعذيب"، عزرا زلخة، عزرا جوري، أكرم عزرا بحر، فؤاد يعقوب شاشة "علمت منه أن أبوه هو من كان ينادي على البكر"! كذلك كان فيها: صاحب "بلم"، هو وسيلة عيشه الوحيدة، ينقل به عابري شط العرب، لهذا اتهم بتهريب أشخاص إلى إيران يحملون معهم رسائل "تآمرية" / ونادر "حانة"، روادها من مختلف المشارب والأهواء، يقضون في أجواءها ساعات من اللهو والاسترخاء، خارج عالم الرعب والخوف والسياسة، فصادف أن يلتقي داخلها أشخاصاً وجهت لهم تهمة "تجسس" / وطالب "جامعة"، شاب، اسمه جمال الحكيم قيل إنه ابن أحد الأثرياء، متهم بالتجسس، أيضاً، وكان وسيماً أنيقاً، علامات الدلال والرفاهية ظاهرة عليه، لذلك يأخذه حراس أثناء مناوباتهم الليلية، ويعيدونه عند ساعة متاخرة، وهو بحالة يرثى لها، زاعمين أنه شاذ، وذات ليلة غاب تماماً دون أن نعرف مصيره. وبعد يومين من إيداعي في هذه الزنزانة، تكررت آلية استدعائي للتحقيق قرابة

شهرین، بمدد متفاوتة، إذ كانوا يأتون بمعتقلين جدد طالبين مني التعرف عليهم، حيث كل استدعاء تتخلله إهانات وبصقات وترافقه لكمات وركلات.

ما تقدم أخيرا، هنا، فيه صور عن معتقلين كانوا معى، آنذاك، قيل إنهم أعدموا جميعا، داخل "قصر النهاية"، وفي هذا الصدد يذكر الكاتب اليهودي د. خضر سليم البصون، ضمن مقالته (ذكرى إعدام يهود عراقيين في بغداد والبصرة)، ما يأتي: (بدأت حملات الاعتقال في أيلول ١٩٦٨ حيث اعتقل أربعة يهود واختفوا بدون أثر وبدأت الإشاعات تدور أنهم في قصر النهاية. بعد أسبوعين سمعنا أن سبعة عشر يهودياً من البصرة قد تم إلقاء القبض عليهم وجلبهم إلى بغداد بتهمة التجسس لصالح الكيان الصهيوني، عشرة منهم طلاب جامعيون، ووصل العدد بعد أسبوعين لأكثر من ثلاثين شخصاً، صدرت أحكام الإعدام على أربعة عشر منهم وأعدموا شنقا في السجن المركزي في بغداد في ليلة السادس والعشرين من كانون الثاني ١٩٦٩م وعلقت جثث أحد عشر من المتهمين في صباح اليوم التالي السابع والعشرين في ساحة التحرير في بغداد وتلاته في ساحة أم البروم في البصرة، وهذه أسماء الذين أعدموا: عزرا ناجي زلخة ٥١ عاما - تاجر لأدوات بيترية في البصرة، شنق في بغداد ونقلت جثته إلى البصرة لتعلق في ساحة أم البروم / نعيم خضور هلالي ١٩ عاما طالب في البصرة / داود حسقيل دلال ١٦ عاما، طالب من البصرة أجبر على القول إن عمره تسعة عشر عاما، ليتمكن محكمته وإصدار حكم الإعدام / حسقيل صالح حسقيل ١٧ عاما طالب من البصرة أرغم على القول إنه جاوز الثامنة عشرة لكي يتسلى شنقه / صباح حييم ديان ٣٠ عاما، تاجر قطع غيار للسيارات من البصرة / يعقوب كرجي نامردي ٣٨ عاما موظف شركة نقليات من البصرة / فؤاد كبياري ٣٠ عاما موظف في دائرة المكوس في البصرة / داود غالى ٢٣ عاما طالب من البصرة / جمال صبيح الحكيم من أصل يهودي كان والده قد أسلم وقد علقت جثته في ساحة أم البروم في البصرة ورد إسمه سابقا / تشارلس رفائيل حوريش ٤٤ عاما تاجر ووكيل من بغداد / يعقوب "جاك" اطرقجي تاجر أنسجة وملائكة القبض عليه في ٨ تشرين الثاني كمتهم في شبكة التجسس ولقي حتفه في اليوم

نفسه من جراء التعذيب/ نسيم يائير حاخام، محاسب في دائرة ومقاول القى القبض عليه بموجب التهم المسندة له في ٨ أيلول ولقي حتفه بعد أسبوع من جراء التعذيب. سلمت جثته لدفنتها بعد حوالي خمسة أشهر في مقبرة اليهود/ فؤاد يعقوب شاشة تاجر حديد ألقى القبض عليه في ٢١ كانون الأول مع والده وسجن في سرداد في قصر النهاية ثم اختفت آثاره. بعد حوالي ٣ أسابيع نشرت الجريدة الرسمية أنه قد هرب/ شمعون مصلاوي، بياع جرائد في بغداد. اعتقل في حي الأعظمية في كانون الأول ١٩٦٩ واتهم بالتجسس لقى حتفه في نفس الشهر من جراء التعذيب وتم دفنه في مقبرة إسلامية/ داود ساسون زبيدة - مقاول بناء القى القبض عليه في ٢٣ تموز وسجن في قصر النهاية تعرض للتعذيب وأخبرت الحاخامية بعد ثلاثة أيام أن ترسل الدفان ليأخذ جثته/ أكرم عزرا بحر اعتقل في ٢٧ أيلول وقتل في قصر النهاية بعد التعذيب ولم يعثر على جثته/ شوع سوفير مسجل علامات تجارية زج في قصر النهاية ولقي حتفه بعد التعذيب، وظلت زوجته تبحث عنه لأشهر وقيل لها إنه هرب/ عزرا يعقوب جوري اعتقل في كانون الثاني ١٩٧٠ وسجن في قصر النهاية وبعد تعذيب شديد اطلق سراحه في كانون الثاني ١٩٧١م. بعد أسبوع من اطلاق سراحه عثر على جثته بالقرب من مطار بغداد مصابة بعيارات نارية ومقيدة اليدين والرجلين، وبلغ عدد اليهود العراقيين الذين قتلوا على أيدي جلاؤزة البغث خمسين شخصا. بالإضافة إلى ذلك اعتقل العشرات وتعرضوا للتعذيب في قصر النهاية وفي السجون الأخرى ".^(٨٨)

أحدهم ذاك الذي كان صوته الجمهوري يتسرّب منسّاباً إلى من زنزانته أخرى، يتحدث عن الوضع الذي هو فيه، يرتفع قليلاً "هل هناك من أحد سمعني؟ أتوسل إليكم أن تردوا عليّ، وليحدثني من يسمع صوتي". إنه مشدود الوثاق إلى كرسي عالي المسند ثبتوه رأسه إليه، لا يقدر على تحريكه... فيستنجد "بالله عليكم يا أخوان، إنها مطرقة

(٨٨) شاؤول حاخام ساسون -في حريم صدام حسين-من منشورات رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق-١٩٩٩م.

تهشم ججمتي... يناس... والله إنها كتل صخر تساقط على دماغي". لقد سلطوا على قمة رأسه صبور ماء تساقط قطراته على دماغه برتبة مملة، تنقره كأنها مكانة حفر عملاقة تهوي عليه بمطرقتها تحفر فيه أحاديد عميقة يجدها لتكلارها الريث كأنها صخور متتساقطة على رأسه... ويعيد الكرة مستنجدا "هل هناك من يسمعني؟ أنا ابراهيم فيصل الانصاري رئيس أركان الجيش العراقي". كان يعيدها بين الفينة والفينية... وكانت قطرات الماء لا تنتهي متتساقطة على رأسه كأنها الصخور وهو يردد "الماء يحيط بي من كل حدب وصوب... أتوسل إليكم... حدثوني لأنني سأفجر... سأموت، الصمت يعذبني، سيقتلني". ظل الصوت يترادد طارقا مسامعي طوال ليالٍ قضيتها في الزنزانة الأولى. وفي عام ١٩٨٠م، أي بعد عشر سنوات، التقىته في براغ، عاصمة تشيكوسلوفاكيا، فاستعدنا بعض الذكريات.

كان يوما صعبا عندما استدعيت للتحقيق ليلا كالعادة، ثمة صفات متنوعة من الوجوه المحقق القديمة، ووجوه جديدة مثلها، يترافق أصحابها كأنهم فوج عساكر، تتخللهم شلة العتا من محترفي ممارسة التعذيب، وكانوا يصطفون وقوفا كبطانة تغلق جدران قاعة كبيرة، تتوسطها طاولة صغيرة مربعة الشكل معدة للجلوس عليها، وكانت هيئة التحقيق بكامل أعضائها متواجدة إضافة إلى محمد فاضل وعلي رضا باوي، عضوي القيادة القطرية لحزب البعث والمشرفين على الهيئتين التحقيقيتين مع ناظم كزار، حيث ارتبطوا بـثلاثتهم بصدام حسين، مباشرة، كونه الرئيس الفعلي للهيئتين كلتيهما. حضر سالم الشكرة، المكنى "أبوفرانكو"، قادني من القبو مرتقيا بي السلم المؤدي إلى الطابق الأرضي وهو يردد على مسامعي بنبرة تهكمية (لقد ألقينا القبض على قائدكم عزيز الحاج وقد "غرد مثل الببل" دون أن نضربه كفا واحدا -يقصد أنه اعترف مديبا بمعلومات -فلماذا أنتم تحاولون الانكار والصمود وتحملون الضرب والتعذيب ومواجهة الموت?). لم أصدق ما قاله معتقدا أنه يريد إيقاعي للحصول على معلومات جديدة، ولما وصلنا للقاعة الكبيرة وبعدما ولحت بابها، أجلسوني على الطاولة الصغيرة، التي تتموضع وسطها. تكلم ناظم كزار بلهجـة تهكمـية "ها

فياض...أنتم خلية عمالية... ولستم قيادة الجهاز الصدامي؟، فأصابني الذهول، لأن المعلومات التي ذكرها للتو صحيحة، وبينما أنا واجم لهذا الموقف الصعب، أستعرض أفكاراً تداهمني، وإذا بهم يدخلون عزيز الحاج إلى الغرفة، ليفاجئه كزار "أبو سعود...من هذا؟" فأعلن الحاج اسمي ومركري ومجالي، كأنهم أعطوه الجواب مسبقاً، لأنه ليس من السهولة أن يتعرف على للوهلة الأولى وبهذه السرعة، فكانت محاولة مقصودة منهم لإذلاله وإسقاطه من عيون رفاقه.

وكانت القيادة المركزية بعد الأشهر الأولى من تشكيلها واندماج فريق الكادر في تنظيمات القيادة قد ركزت على الجوانب النضالية المسلحة كمصداقية للشعارات التي طرحتها، ومن تلك الإجراءات تشكيل الجهاز الصدامي للمواجهة مع القوى المعادية وتصفية الساقطين المتعاونين مع الأجهزة الأمنية. وفي بداية تشكيله في أوائل عام ١٩٦٨ كان مالك منصور (رائد) عضو القيادة هو المسؤول عن هذا الجهاز وكانت لجنته القيادية تضم حاتم سجان وغسان عبد الحسين وماجد علاوي أحد عناصر فريق الكادر سابقاً. وقد كانت أول عملياتهم المقررة اغتيال حازم محمد الرجب الضابط في المكتب الثاني في الأمن العامة المسؤول عن مطاردة الشيوعيين ومكافحة النشاط الشيوعي. وبعد عملية مراقبة ورصد لخط سير حازم محمد الرجب اليومي ومراقبته في الذهاب والعودة بين محل عمله في الأمن العامة وبين بيته في منطقة المشتل، وقف حاتم سجان على جسر المشتل في قناة الجيش منتظرًا مرور حازم الرجب من بيته متوجهاً إلى مقر عمله في الأمن العامة. وما أن وصلت سيارة الفوكسواagen التي كان يقودها حازم الرجب توجه حاتم سجان بكل جرأة إلى السيارة ورمى قنبلة يدوية من الشباك القريب له إلى داخل سيارة حازم محمد الرجب، ولشدة رميته خرجت من الشباك المفتوح المقابل وسقطت في القناة وانفجرت فيها. وفي تلك الفترة كان الرفيق ماجد علاوي ينسق مع الشهيد خالد أحمد ذكي كي يوصله مع آخرين بسيارته إلى قاعدة العمليات المسلحة في الأهوار مع شحنة من الأسلحة، وقد سبق له أن قام بمهام مماثلة مع الشهيد خالد. وفي تاريخ ٤/٤/١٩٦٨ تم اعتقال

الرفيق ماجد علاوي عضو اللجنة القيادية السابقة للجهاز الصدامي عندما كان ذاهباً إلى بيت أحد الرفاق كي يصطحبه في مهمة كفاحية وقد تفاجأً ماجد بوجود كمين لرجال الأمن في بيت ذلك الرفيق حيث قاموا بإلقاء القبض عليه وإعتقاله. بعد ذلك أعيد تشكيل الجهاز وأوكلت مسؤوليته إلى الشهيد صالح العسكري (براذر) وتكونت لجنته القيادية من الرفاق حاتم سجان ومحمد كريم وفياض موزان.

كانت الهيئة التحقيقية تأتي بنا كـٌ على انفراد لكشف مراكزنا أمام حشد كبير من المحققين ومن البعشيين الذين لا نعرف هوياتهم أو مراكزهم، ممن تبدو فرحتهم عارمة لكشف أقوى تنظيم معاد لهم، ولم يكن يخطر في بالهم أن عزيز الحاج سيدلي بكل هذه المعلومات وبهذه السهولة، وهم الذين كانوا راسمين له صورة الشجاع الصلب الذي سيموت تحت التعذيب، ولن يحصلوا منه على أية معلومة! ذلك لأن ناظم كزار خصوصاً مارس تعذيب الشيوعيين في النادي الأولمبي وقصر النهاية عام ١٩٦٣، فشاهد بأم عينيه موت سلام عادل سكرتير الحزب الشيوعي والعديد من قادته تحت تعذيبه الوحشي دون أن يفرطوا بأسرار حزبهم، بل أبدوا شجاعة فائقة أمام جلادיהם حيث كانوا يشتمونهم ويبصرون بوجوههم، ناهيك عن تجربته الطويلة والسنين التي قضتها في السجون والنضال، وكونه قائداً شيوخياً -ينتهج خطاب ثورياً جريئاً- وضع الموت نصب عينيه، متمثلاً بجيفارا، وثمة حالة البطل الرمز التي انطبع رسمها في عيون رفاقه وجماهيرهم! وهذا هي اعترافاته على رفاقه، في التحقيق، ثم ظهروره على شاشة التلفاز، وهو يدلّي بها ثانية، طارحاً آراء غريبة وتحليلات عجيبة، حيث إجاباته على أسئلة محمد سعيد الصحاف، بأنه سياسي مبتدئ ليس عزيز الحاج الذي نعرفه، كلها أصابت بالخيبة أمّال الكثيرين من رفاقه وأنصاره وجماهير حزبه.

فقد علمنا ونحن في المعتقل أنه منذ الأيام الأولى لاعتقاله قدم عرضاً لصدام حسين يبدي استعداده لإصدار بيان يعترف بوطنيّة الحكم ويطرح إمكانية إنشاء تحالف جبهوي مع البعشيين، شرط أن يسمحوا بعودتهم نشاط حزب القيادة المركزية، وإطلاق

سراح كل معتقليه، مقرأ بأنه هو المسؤول الأول عن نهج الحزب، وهو وحده من يتحمل تبعات الاعمال التي قام بها ورفاقه ولا يتحملها الآخرون، باعتباره السكرتير العام لقيادته المركزية.

ثمة زنزانة كبيرة أخرى كانت تضم خليطاً من المعتقلين، من مختلف الانتتماءات، منهم رفيقنا أحمد علي إبراهيم، الذي كان عاملًا في التنظيم الطلابي، المرتبط بالقيادة المركزية، وعدد من اليهود العراقيين، وعبد العزيز العقيلي وزير الدفاع في عهد عارف، ومدير فندق بغداد، الذي اعتقل للتحقيق معه بحادثة قتل ضابط طيار في إحدى غرف الفندق. آنذاك شرع جلادو قصر النهاية ببناء زنزانات جديدة ترتفع على شكل صفين طويلين متقابلين يفصل بينهما رواق لا يتعدى مترين، وكل زنزانة -لا تتجاوز مساحتها مترين أيضاً - حشروا فيها معتقلًا واحدًا، أو اثنين عند الضرورة والاضطرار، أحياناً، نظراً لقلة زنازينهم وكثرة معتقلتهم، ولعدم اكتمال بناء القاعة الكبيرة، وكان في الزنزانتين المقابلتين لزنزانتي الرفيقان هاشم نادر (أبو هندرين) وشاكر بدر الساعدي. ذات يوم تعلّلت فجأةً أصوات في الرواق بعدها فتح السجان بباب زنزانتي ودفع إليها معتقلًا اسمه عبدالله الكناني، شاب قصير القامة ممتلئ الجسم، مكور الرأس، وجهه يشبه طبق الطعام المستدير، في الثلاثين من عمره، يعمل موظفاً في دائرة التلفونات، روى لي التهمة الموجهة له: (كنت جالساً في مقهى عام في أحد أحياه بغداد الشعبية أشاهد التلفاز، كان عزيز الحاج هو المتحدث عبر شاشته والصمت والوجوم قد خيّم على رواده، إن رميت إبرة على الأرض تسمع صوتها، وقد أصابهم الذهول والحيرة، وعيونهم قد تسمّرت بشاشة التلفاز، ولشدة تأثيري وانفعالي بما كان يرويه عزيز، دون انتباه ووعي مني رفعت صوتي وقلت "إن مات عزيز فهناك ألف عزيز"). أي أن الشعور والحماس هذين هما اللذان كانوا منتشرين بين الناس، الذين لم يكونوا مصدقين أن المتحدث من على شاشة التلفاز هو عزيز الحاج، إنما شخص آخر، للهالة التي رسموها عنه فسادت عليهم!

لم يكن الكناني هذا منتمياً لأية جهة سياسية، بل قال كلمته هذه بعفوية الإنسان الطيب البسيط المتخمس المؤمن بأن حزب القيادة المركزية هو المخلص والمنقذ للشعب من الوضع المتردي الذي يعيشه، فيما اعتبرته الأجهزة الأمنية من المنتدين للحزب. بقي يقاسمني زنزانتي أيامًا، يكثر خلالها من الصلاة، وإذا خرج لل موضوع، عندما يُفتح لنا بابها للذهاب إلى دورة المياه، كان يعود منها وحين يصل باب الزنزانة يقف هنيهة ويهز برأسه ويتسم قليلاً ثم يعود ثانية لها! كررها أكثر من مرة، لذا سأله "لم تبتسم وتومئ برأسك وتعاود الرجوع إلى دورة المياه؟"، فأجابني "حال وصولي بباب الزنزانة ينفلت مني هواء يبطل وضوئي... لذا تراني أعيده مرة أخرى"، وهنا ضحكت في داخلي (كم كان هذا الرجل طيباً وبسيطاً ومخلصاً يحمل بين حناته روحًا عالية الشفافية والوضوح).

وفي إحدى الليالي أصابه إسهال حاد، كان يكابر محاولاً أن يحبسه في أمعائه، رغم تألمه وتأوهه، لكن بعد أن وصل السيل الزبى فوهنت قواه وضعف مقاومته، أمسى لا يستطيع الاصرار على المكابرة، راح ينادي على حارس بأعلى صوته متسللاً إليه وراجياً منه أن يخرجه إلى دورة المياه، لأنّه لا يستطيع تحمل الوجع الكبير الذي ينتابه، فأمامته الحارس بوابل من الكلمات البذيئة النابية، عنْفه آمراً إيه أن يصمت ويخرس، وإن تفوه ثانية فالويل له! لكن عبد الله لم يرضخ لأمره بل استمر بطرق الباب صارخاً مستنجدًا بأعلى صوته، "لكن لا حياة لمن تنادي!" صار يتآلم باكيًا "والله سأموت... سأموت... سأموت... يا إلهي"، فحزنت عليه متآلماً لحاله، ولم يكن لدى غير أن اقترح عليه حلاًً لمشكلته وهو أن يقضي حاجته في الصحن الذي معنا والمعد لأكلنا على أن نغسله عندما يخرجوننا صباحاً للحمامات، وبعد لأي رضخ لاقتراحي وتخلى من هذه المشكلة التي كادت أن تودي بحياته أو تلوث ملابسه في الأقل.

بالعودة لمجريات التحقيق: بعد اعترافات عزيز الحاج بدأ البعثيون تحقيقاً جديداً حين تكشفت أشياء جديدة قبلتهم، حيث ذكر مالك منصور عضو القيادة المركزية، أنّي سلمت أسلحةً إلى خالد أحمد زكي، ويبدو أنّ محاولة إظهار الولاء لهم هي التي

دفعته لإفشاء هذه المعلومة، التي كان الحاج أكثر علماً بها منه ولم يفتشها! على إثرها طلبني ناظم كزار لتحقيق جديد، وكالعادة استخدم فيه وسائله المعروفة في التعذيب لانتزاع الاعترافات، ولم يكفّها عنّي إلا عقب أيام بعدها نلت منها الشيء الكثير. ورغم تأكّد كزار من خلال تحقيقه أنّي لم أحافظ بأي سلاح، إلا أنه ركز على الكشف عن أسلحة ربما كنت أخفّيها، وفي الواقع لم أكن أمتلك سلاحاً، سوى مسدس شخصي نمرة ٨ أودعته عند كمال موظف استعلامات المؤسسة العامة للأدوية التي كنت موظفاً فيها آنذاك، ثم أعيد إلى عقب خروجي من السجن. وقد روى لي هذا الموظف أنه استشار أبيه "هل يسلم المسدس للسلطات الأمنية؟" فأشار عليه بـ "لا" لأنّه أمانة يجب الحفاظ عليها وتسليمها لصاحبها، وفعلاً استلمته من أبيه الذي طلب مقابلتي، فوجده يتسنم بالشجاعة، لم تضعفه عن الالتزام بمبادئه آلّة الموت والإرهاب والقمع الهمجية القاسية، التي كانت تستخدمها الأجهزة الأمنية ضد العراقيين، ولم تؤثّر على معنوياته أو تقلّل من عزيمته، فحافظ على الحصول الجريئة التي كان يتمتع بها.

إثر صدور قرار من المكتب السياسي للقيادة المركزية بأنّ ندعم القواعد المسلحة في الأهوار، والتي شرع في تأسيسها تنظيم "فريق الكادر" عقب انضمامه للقيادة هذه، تم إكمال الاستعدادات ليتحقّق بها الرفاق المقاتلون بعد تهيئه إعدادهم واستكمال تسليمهم وبقية الأمور اللوجستية الأخرى، فصار الرفيق خالد أحمد زكي (ظافر) على رأس هذا العمل ليقود عمليات الكفاح المسلح ضدّ السلطة الحاكمة على غرار (البورة الثورية) لتشي جيفارا في بوليفيا وقبلها لفيديل كاسترو في جبال سييرا الكوبية، حيث معظم الحركات الثائرة آنذاك متّأثرة بأفكارهما المعتمدة أساليب حرب العصابات في النضال الوطني، وقد سلمته بندقية في كيس من الجوت بموعد متفق عليه في الشارع الخلفي المحاذي لحدائق الشعب التي أنشئت عام ١٩٦٠ قرب ساحة الفتح في الكرادة الشرقية. كان الرفيق خالد أحمد زكي قد ترك منصبه في بريطانيا، كسكرتير لمؤسسة الفيلسوف البريطاني وداعية السلام العالمي برتراند رسل، وشدّ الرحال إلى وطنه العراق، فالتحق بصفوف الحزب الشيوعي ثم خرج عنه مع مجموعة

الكادر منضماً لقيادة المركزية، حيث توجه إلى ريف الجنوب متخدًا منه منطلقاً لإسقاط السلطة الظالمه القائمة وإقامة النظام العادل البديل الذي يعمل من أجل الطبقة الاجتماعية الفقيرة المحرومة وتحقيق رغبتها بحياة كريمة. رافقت ذلك، معززة إياه، بيانات حماسية ثورية تصدرها القيادة المركزية، توحى بأننا أمام ثورة هي قاب قوسين أو أدنى من استلام الحكم، ما أثار القلق والخوف عند القوى المعادية للحركة اليسارية، خصوصاً أن أجواء تلك المرحلة كانت تغلي بالأفكار الحماسية الثورية، بعد اليأس الذي أصاب العراقيين جراء عدم جدو الأسلوب النضالي السلمي التي اتبعتها الأحزاب الوطنية، التي ستحدث فيها تحولات كبيرة، فكان انشقاق حزب القيادة المركزية عن الحزب الشيوعي العراقي، وانشطار حزب البعث إلى "يسار" و"يمين"، وانسلاخ الحركة الاشتراكية العربية عن حركة القوميين العرب، وخروج إبراهيم أحمد وجلال الطالباني عن الحزب الديمقراطي الكردستاني، الذي كان يقوده الملا مصطفى البرزاني، ليشكلا لاحقاً حزب الاتحاد الوطني الكردستاني. أي "إن الخطبة الكفاحية التي اعتمدتها القيادة المركزية تحت عنوان (الكفاح المسلح) تختلف عن التجارب المذكورة في أنها تقرن العمل المسلح في الأهوار والريف بالعمل الجماهيري السلمي في المدن، والنشاط المسلح في كردستان، والعمل الحزبي السري داخل القوات المسلحة... فيما كنا نرى أن وجود حزب ثوري متين شرط للشرع بالكفاح المسلح وقيادته وإنجاحه".^(٨٩)

إذن... عندما التحق (جماعة فريق الكادر) بالقيادة المركزية أصبح الرفيق خالد أحمد زكي مرشحاً لها ومسؤولاً عن قيادة حركة الأهوار وتنظيمها على أساس جديدة، لكن يبدو لي أن لا زكي ولا قيادتنا قد أتما دراسة موضوعية ملمة وناضجة لتوافق القوى وللمكان المناسب الذي يجب أن تنطلق منه الحركة! فقد ابتدأ زكي انطلاقته المسلحة من منطقة (هور الغموكة) رغم أنها غير ملائمة استراتيجية، وهذا ما ثبت لاحقاً، بالإضافة لضعف الإمكانيات اللوجستية وشحة الموارد المالية وضعف المساندة

(٨٩) عزيز الحاج - حدث بين النهرین - ص ٤٧.

من المناطق التي تحيط بالأهوار. أي أنه خالف بذلك ما كان يدعوه إليه، هو ذاته، حيث تصريحه "بضرورة دراسة الوضع الجغرافي للعراق ودراسة الظروف المحلية في كل منطقة، وإكمال مقتضيات ومتطلبات انطلاق عمل الكفاح الشعبي المسلح وضرورة الاعتماد على النفس وتقدير مدى مساندة سكان البيئة الحاضنة لمثل هذا النوع من النضال"! ورغم ذلك أقدمت وحدة الكفاح المسلح على عملها وهي لا تمتلك سوى أسلحة ضئيلة جداً فضلاً عن كونها بلا مؤونة احتياطية، مع أنها استطاعت اقتحام ربيبة للشرطة فأسرت جميع أفرادها دون خسائر، ثم اندفعت لاحتلال مركز الشرطة في المنطقة القريبة من ناحية الدواية في قضاء الشطرة متمنكة بنجاح تام من أسر كل أفراده والاستيلاء على أسلحتهم التي قدرت بخمسين قطعة. وقد قام ثوار هذه الوحدة بشرح أهداف حركتهم لهؤلاء الأفراد، فأخبروهم بأن الحركة لا تعادي الشرطيين والجنود من الطبقات الفقيرة، وأن هدفها تحرير البلد من حكم العملاء والرجعيين، وضمان الأرض للفلاحين، وإنفاق موارد العراق الكبيرة لإسعاد الشعب بدلاً من تسخيرها لمحاربة الكرد المطالبين بحقوقهم القومية المشروعة. ثم حاولوا أن ينسحبوا إلى أهوارهم، ومعهم جميع الأسلحة المستولى عليها، لكنهم ضلوا طريق العودة، لكون مناطقهم شبه معزولة عن الأهوار الرئيسية، وبعد يومين من التخبط فيه عادوا للانسحاب من نفس الممر المائي الذي جرت فيه عملياتهم، ف تعرضوا للانكشاف أمام قوة شرطة فتحت عليهم النار، ليりدوا عليها ويقاوموها بعدما ترجلوا من زوارقهم إلى الأرض اليابسة، لكن سرعان ما وصلت قوات كبيرة من الجيش والشرطة، مع عدد كبير من الآليات والدبابات البرمائية فضلاً عن طائرة مروحية، قدرت بأكثر من ألف جندي وشرطـي، مقابلـهم وـهم اثـنا عـشر فقط، وـضـمت سـريـتين من مـغاـوير اللـواء الخامـس عـشر لـلـفرقـة الأولى. لـهـذا كانت المـعرـكة بينـهـما غـير مـتكـافـة، لـكـنـ الثـوارـ أـبـدوـاـ مقـاـوـمةـ نـادـرـةـ: شـرـسـةـ وـشـجـاعـةـ وـبـطـلـةـ وـطـوـلـةـ، حـتـىـ نـفـدـ عـتـادـهـمـ، فـاستـشـهـدـ الرـفـاقـ خـالـدـ أـحـمـدـ زـكـيـ، مـنـعـثـرـ سـوـادـيـ، مـحـسـنـ حـوـّـاسـ، وـعـبـدـ الجـبارـ عـلـىـ الجـبـرـ، الـذـيـ فـقـدـ كـفـاـ لـهـ وـهـوـ يـعـيدـ قـذـفـ رـمـانـةـ يـدـوـيـةـ رـمـيـتـ عـلـيـهـمـ، وـجـرـحـ ثـلـاثـةـ رـفـاقـ، وـأـسـرـ آـخـرـونـ، صـدـرـتـ بـحـقـهـمـ أـحـكـامـ إـعدـامـ لـمـ تـنـفـذـ نـظـراـ لـلـسـخـطـ الشـعـبـيـ

الكبير وتدخل الرأي العام عربياً وعالمياً، فيما خسر "الحكوميون" ستة قتلى وأكثر من عشرين جريحاً إضافة لـإسقاط طائرتهم المروحية.

بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ وسقوط حكم عبد الرحمن عارف، كان مناضلون من القيادة المركزية، سواء مشاركون في هذه الحركة أو غيرها، ما زالوا محتجزين في السجون، وأطلق سراح غالبيتهم العظمى بعد العفو العام عن السجناء والموقوفين الشيوعيين بعد الشهر الأول للإنقلاب. وبعدها بشهرين أو ثلاثة بدأت حملة اعتقالات للكوادر القيادية، وفي مطلع عام ١٩٦٩م، إثر حملة الاعتقالات تم نقل المتبقين من الموقوفين الذين لم يطلق سراحهم ونقلوا إلى سجن بعقوبة على إثر محاولة هروبهم بحفر نفق، نقلوا إلى معتقل قصر النهاية.

لندع إلى الجهاز الصدامي: لم تكن هيكليته وتركيبته هرمتين كما هو الحال مع التنظيم المدني، بل كان خطأها على غرار التنظيم العسكري "خط هاشم" في الحزب الشيوعي العراقي، لأغراض الصيانة، حيث سرية العمل وسلامته، ولكيلا يقع كله بيد العدو إثر كشف قد يقوم به بعض أعضائه، الذين كان عدد المعتقلين منهم في قصر النهاية لا يتجاوز خمسة عشر معتقلًا من العدد الإجمالي لمعتقليه والذي بلغ نحو ثلاثة معتقل.

كان الرفيق صباح حسين خصاف البهادلي "صباح صاروخ" معنا في حزب القيادة المركزية منتسباً للجهاز هذا، فاعتقل في الـ"قصر"! لم ألتقطه أو أشاهده فيه، ولو علمت حينذاك باعتقاله لأمسكت خائفاً قلقاً على حياته لمعرفتي الجيدة بعناده وإصراره وـ"خبله"، لكنني سأعلم لاحقاً بأنه لم يعترف أمام المحققين، تخطرني عملية قام بها الجهاز الصدامي لم يتم التطرق لها، أو يرد ذكرها، وهي عملية نوعية، استهدفت إدارة مديرية الأمن العامة، حصلت هذه العملية في الربع الأول من عام ١٩٦٨م، وهي من العمليات التي شرع الجهاز بتنفيذها، وقد قام بادخال متفجرة إلى مديرية الأمن العامة في بارك السعدون، ووضعها في غرفة مدير أمن "الشعبية

الاولى" المختصة بمتابعة الشيوعيين، وقد تمت العملية بترتيب مع الرفيق جبار عبدالحسين الجنابي الذي كان يمتلك مطعما في شارع النضال قرب مبنى المديرية العامة للأمن في منطقة بارك السعدون، (مطعم البهلو الان)، كان المطعم يلبي ضباط مديرية الامن العامة و منتسبيها بما يطلبوه من وجبات اكل من المطعم، وبعد وصول هذه المعلومة لنا، تم استغلالها والتهيئة لها، وقام الرفيق صباح حسين بصنعها و اعدادها وتهيئتها بحكم خبرته في هذا المجال ، وتم ايصال هذه العبوة المتفجرة بواسطة رفيقين لنا كانوا يعملان في المطعم هما عدنان غضبان (أبو نغم) وغلام عباس العباسي كان عملهما في المطعم ايصال الطلبات الى الزبائن ومنهم موظفو مديرية الامن في السعدون، وبعد أن عرفا مكتب محمد صالح مسؤول المكتب الثاني والذي من أعضائه حازم محمد الرجب الذي رمى . وضع غلام عباس العبوة المتفجرة في غرفة محمد صالح وتحت فراشه، وكان الاتفاق ان يتركا المطعم ويخفيا بعد أن يضعا المتفجرة في غرفة ضابط الامن المذكور غير أنه سمع تكتكة ساعة توقيتها عند تواجده في الغرفة، فسارع بالأمر برميهما في حوض ماء صغير موجود في وسط بناء الأمان العامة وانفجرت فيه. وعلى أثرها اعتقل عمال المطعم للتحقيق معهم، كذلك اعتقل رفيقنا جبار الجنابي باعتباره صاحب المطعم، والمُسؤول عن العاملين الذين من خلالهم تم ايصال ووضع العبوة في مديرية الامن، وقد تحمل ما لا يطاق من التعذيب، الا انه بقي صامدا ولم يبح بأية معلومة، وخرج من السجن بحالة يرثى لها، من الذهول والمعاناة والسكنم واعتلال صحته، ولم يمض عليه وقت طويل حتى وافاه الاجل، بسبب تلك المعاناة، أما غلام عباس فقد تم اعتقاله لاحقا والحكم عليه بالسجن أربعة أعوام.

كنت أعلم أن حزينا قد استأجر بيته في منطقة الأمين، بواسطة رفيقنا عبد جاسم الساعدي، سكنه صباح ووالدته واثنان من رفاقنا الكرد أحدهم مصطفى جاورش الذي أصبح بعد نيسان ٢٠٠٣م قائدا للبيشمركة في المناطق التي يسيطر عليها الاتحاد الوطني في الإقليم بعدما ترك العمل ضمن صفوف حزينا والتحق بحزب الاتحاد

الوطني الكردستاني منتصف السبعينيات ليصير أحد قادته البارزين! وقد وردت معلومات مفادها أن هناك مداهمة للبيت من قوى أمنية، فحاولوا الخروج منه تباعاً، حيث حدث اشتباك مسلح بينهم وبين هذه القوى الأمنية استطاعوا بعده الإفلات من قبضتها.

وصباح حسين هذا، قبل ذلك كله، هو زميل دراستي المتوسطة، ورفيقي في الحزب الشيوعي منذ عام ١٩٥٨م ومن ثم حزب القيادة المركزية وجهازها الصدامي، تربطني به صدقة شفافة جميلة، تعود إلى مطلع الخمسينيات، حيث كنا قريبين لبعضنا، أكثر الأوقات، نلتقي، نتحدث، نسهر، ونطالع الكتب. له أخوان أكبر منه عمراً، الأول هو جاسم: طباخ ماهر "شيف" هادئ الطبع بعيد عن السياسة، ينصحنا بالابتعاد عنها لأنها لا تجلب غير الأذية و"دوخة الراس"، ذو ثلاثة أولاد هم نصيف، مصطفى "دكتوراه إعلام وأستاذ في الجامعة المستنصرية"، صادق، تشاء الصدف أن التقي أو لهم "نصيف" بعد أكثر من أربعين عاماً، فوجدهه مهندساً وباحثاً وكاتباً متميزاً، أما الثاني فهو فليح: له ولدان حسن وعادل، كان عكس أخيه جاسم ، متواتر حاد الطبع ، مزاجي في بعض الأحيان يمتلك محل لكي الملابس، كثيراً ما كنا نلتقي فيه، حيث وقوعه عند الشارع المتقطع مع شارعنا في محلة بارك السعدون بجوار بيت سيد ياسر الغربان، لنجد كأس العرق "المستكي" منتصباً على طاولة لصيقة بطاولة الكي، ليضفي عليه حالة الاحترام والتجليل ويوضعه في المقام الكبير الذي يليق به وعندما نسأله عن سر ذلك، يجيبنا "إنها عشيقتى أنتشي بها عندما تلامس شفاهي ذؤابات كأسها، وإنى أحتسيها لأسباب عديدة منها، أنني أنتشي بها، وتفرح قلبي، وتعطيني طاقة ومواصلة على العمل في المحل، يبعدني عن ما يدور حوالي من شواد وأخطاء وتجاوزات يرتكبها البشر الظالم القاسي، ولتبقى أفكارى التي أحملها والمؤمن بها حرفة طلقة لا قيود تحدها أو جدران تحبسها قد يراها الآخرون غريبة عنهم ولا يتقبلونها". وقد اعتقل معه في ٩ شباط ١٩٦٣م، فأدخلنا سوية إلى مديرية الأمن العامة نقلنا بعدها إلى معتقل معسكر الرشيد، ورغم أنه نال قسطاً وافراً من التعذيب والإهانة، كان صلباً

شجاعا، عنيدا، جريئا، لا يخاف أو يهاب في طرح ما يعتقد وما هو مؤمن به، ويبدو أنها خصلة يشاركه بها أخيه صباح، ثم قيض لي أن التقى ابنه البكر حسن بذات الفترة التي التقى خلالها ابن عمه نصيف جاسم، وهو الآن من رجال الأعمال الناجحين في العراق وأراه يحمل الصفات التي كان يحملها أبوه الراحل فليح.

كنت أمازح صباح حسين تلك الأيام، فأردد على سمعه: يقال عنكم "مخايل" أنتم عشيرة البهادل، ليجيبني مبتسما (ما تقوله صحيح إلا أن "خلي" أنا من نوع آخر ينحو منحى العلم والفكر والتأمل والإبداع وتقديم ما هو مفيد للبشرية، ولا أخالف بعد هذا الإيضاح تهمني وتضعني في خانة "المخايل"). كان زميل دراستي في المتوسطة النظامية مطلع الخمسينيات، من القرن المنصرم، المعنى يتقد ذكاء، ذو ذاكرة حية، يدخل أي امتحان معتمدا على ما يسمعه من محاضرة الاستاذ دون أن يدونها كي يعود لمراجعتها، ورغم ذلك يبقى متتفوقا علينا نحن الذين نهلك أنفسنا بمراجعة دروسنا عند الامتحانات، وكان نهما بالقراءة، يجهد بالحصول على الكتب والمجلات، عازما بحرص على شراء مجلتين لبنانيتين دوريتين هما "العلوم" لفؤاد صروف و"الآداب" لسهيل ادريس، ومجلة المختار" ريدرز دايجرست" يقطع أثمانها من مصروفه اليومي، ولا يدخل باعاراتهما لأصدقائه، فكان منكبا على قراءة كتب ومجلات علمية بنفس الحماسة التي يقرأ فيها كتبها ومجلات أدبية، وكنا نستفيد نحن زملاءه وأصدقاءه من قراءاته، سيما أن الجو الفكري حينذاك إيجابي منفتح على العالم، وأخر النظريات، فهو يقرأ الفكر الماركسي، دارسا متمعنا متأنلا متععمقا فيه، والفكر الوجودي حيث رواده أمثال: جان بول سارتر / البيركامو / كولن ولسون، سابحا أكثر منا في هذه الفضاءات التي اعتبرناها آنذاك أفكارا جريئة خارجة عن المألوف، ومخالفة في بعض جوانبها للنظرية الماركسية التي كنا نتعلمها عبر قراءاتنا الذاتية، وفهمها من خلال الحلقات التثقيفية للحزب.

لم يقيِّض لي أن التقى بعد خروجي من معتقل قصر النهاية، لأنني عقب أيام قلائل معدودات غادرت إلى الكويت، بعيدا عن الوطن مدة عشرين عاما، ما استطعت

خلالها حتى حضور مجلسي عزاء أمي وأبي! علمت مؤخراً أنه راح ضحية دهس في الثمانينيات، ولاغرو في ذلك... فهي إحدى وسائل نظام صدام حسين للتخلص من خصومه، وهي لا تبتعد كثيراً عن الطرق التي غَيّب بها ستار خضير ومحمد الخضري وصباح الدرة، والكثير بمن فيهم بعض قادة حزب البعث.

وبهذا نكون قد خسرنا شخصية ألمعية خارقة الذكاء، كان من الممكن أن يكون لها شأن وأثر في مسيرة العراق، لو أتيح لها أن تعيش في أجواء الحرية والأمان والاستقرار، كي ترك بصمة من بعدها. نعم... لقد خسرناه نحن رفاقه، كما خسره وطنه وخسر آخرين أمثاله، وإذ أطلت السرد عنه فليقين عندي بأنه شخص متميز لم تنصفه الظروف، ولا الحركة اليسارية، ولم تعطه حقه من التعريف، فبات لزاماً علينا أن نذكره ونسهب في تعداد مآثره.

كذلك اعتقل أمين حسين علي الخيون "أبو جماهير" فرج به في معتقل قصر النهاية، وهو رجل نحيف متوسط القامة، يفرق شعر رأسه الجميل ويصفّه باتجاه صدغه، شجاع، جسور وصلب رغم هول التعذيب وسطوته وقسوة السجن وظلمه، وعtoo السجانين وانتهاكاتهم وما يلقونه على مسامعه من كلام، فلم يؤثر كل هذا الجو المسموم على معنوياته فتراه مبتسما دائمًا، يلقي بنكتاته علينا ويظهر استهزاءه بهم. عندما يخرجوننا إلى الباحة الخارجية لنتمشي سوية كان يمازنني قائلاً: "نحن من بني حجر الزاوية في الكفاح المسلح ونحن المؤسسوون، وأنتم من سطا عليه وانتحل اسمه". كانوا يأخذوننا للاستحمام حيث الجو بارد في كانون الثاني وشباط، فكان يغسل بالماء البارد، ونحسده على ذلك لأننا لم نكن قادرين على الصمود تحت برونته. كان من العاملين الناشطين في منظمات الحزب في البصرة عامي ١٩٥٨ - ١٩٥٩، ثم شارك في المقاومة بوجه انقلاب ١٩٦٣ في الكاظمية - بغداد، حيث قام مع رفاقه باحتلال مركز الشرطة هناك، واستولوا على أسلحة قاوموا بها الحرس القومي ودببات الانقلاب. كما كان مؤمناً بأفكار جيفارا، فأسس عندما كان مع فريق الكادر "نواة" لقاعدة في أهوار الجبايش في الناصرية واستمر في تلك القاعدة بعد اختلافه

مع فريق الكادر وتركه إياه وتأسيسه لـ "منظمة الكفاح المسلح"، حيث أنه ابن منطقة الجبايش وعارف بطبعتها الجغرافية، لخوض حرب عصابات فيها باعتبارها مستنقعات مائية، يتخللها القصب تصعب على السلطات الحكومية اقتحامها، أي أنها ملاذ آمن له ولرفاقه يستطيعون الانطلاق منه إلى مدن قريبة تساندهم جماهيرها لإسقاط الحكومة المركزية حسب تخطيطه. وقد اعتقل في شهر آذار ١٩٦٨ في أيام حكم عبد الرحمن عارف أثناء محاولته تنفيذ عملية استيلاء على نقود حكومية لتمويل منظمته، حيث وشى به أحد العناصر الذي كان معه في القاعدة وتركها قبل تنفيذ العملية التي أُلقي القبض فيها على أمين الخيون.

وكان أمين من الموقوفين الذين لم يشملهم العفو العام الذي أعلنه الباعثيون بعد ١٧ - ٣٠ تموز-١٩٦٨، واستمر موقوفاً في الموقف العام مع موقوفين من أعضاء القيادة المركزية كانت علاقته بهم جيدة جداً رغم الاختلاف التنظيمي بينهم. وقد ساعدته منظمة القيادة المركزية في الموقف العام عندما خطط للهروب بمساعدة أحد الموقوفين الأكراد من كوادر الحزب الديمقراطي الكردستاني، الذي كانت له علاقة بحارس كردي من حراس السجن سهل لهم استنساخ مفتاح باب القلعة الخامسة في الموقف. وقد تم تنفيذ عملية الهروب بمساعدة مباشرة وتعطية من مسؤول منظمة الموقف آنذاك ماجد علاوي، وللمفارقة لم يتمكن الموقوف الكردي من الهرب معه لعجزه عن تسلق جدار السجن الذي استطاع أمين الخيون تسلقه بخفة ونزل إلى الشارع في منطقة باب المعظم واختفى وواصل العمل السري ولم يعتقل إلا حوالي شهر آذار عام ١٩٧٩.

وبعد مرور بضعة أعوام على فشل عملية الاستيلاء على النقود واعتقال أمين الخيون ومن ثم هربه واعتقاله ثانيةً، وخروجه من معتقل قصر النهاية، تم اغتياله في ٢٦ حزيران ١٩٧٢م، وأعدمت زوجته بعد ذلك، ليصل الاعدام إلى ابنهما "جمahir" عام ١٩٨٩م وفق قرار من محكمة الثورة برئاسة عواد حمد البندر.

كانت اللجنة التحقيقية في قصر النهاية، عقب انقلاب تموز ١٩٦٨م، ذات هيئتين:

- الأولى يرأسها ويشرف عليها العقيد سامي خليل، مسؤولة عن "الجواسيس والعملاء"، يعاونه فيها حامد الورد التميمي، الذي أعدمه صدام حسين خلال الثمانينيات برتبة لواء في الجيش، ومؤيد العبيدي، وأخرون.

- الثانية يرأسها ويشرف عليها ناظم كزار، مهمتها التحقيق مع السياسيين المعارضين، تضم: صباح ميرزا، الذي أصبح بعدئذ مرافقا لصدام عندما كان نائبا للبكر ثم مرافقه الأقدم فترة رئاسته، وحسن المطيري، وناصر فنجان، وسالم الشكره الذي كان أكثرهم حقدا على الشيوعيين لأنه شقيق "فاضل الشكرة" أحد قادة حركة الشواف في الموصل عام ١٩٥٩ حيث قتل ابنها، وجاسم حميدي، وصباح بدن، وعمرش عرمود، المكنى "أبو أحلام"، والملازمين باسم وفارس، من الموصل، والملازم فاروق، وسعدي العظيم، في السابعة عشرة من عمره -قصير القامة ضعيف البنية على خده الأيسر علامة يطلق عليها "الأخت البغدادية" - من سكنته الأعظمية... بذيء في معاملته للمعتقلين لا يتوانى عن إهانة كبار السن منهم، فضلا عن آخرين، وكانت مهمتهم مداهمة الشيوعيين واعتقالهم إضافة لممارسة أتعى أساليب تعذيبهم.

في بداية الأمر كانت الهيئتان معا داخل قصر النهاية، كذلك زنزانات الاعتقال حيث يجمع فيها ما بين المعتقلين أحيانا، رغم اختلاف انتتماءاتهم والتهم الموجهة لهم، لقلتها وكثرتهم. مثلًا... كانت زنزانة واحدة مساحتها لا تزيد عن عشرين مترا مربعا يحشر فيها ستون معتقلًا، يتفسرون من شباك واحد، أو بالأحرى من فتحة بأبعاد ثلاثة في ٢٠ سنتمترا أعلى الباب، لذا كانت تحصل لنا إغماءات كثيرة من شدة الحر رغم أننا في فصل الشتاء! وبعد ما يزيد على أربعة أشهر فرق بين الهيئتين، فارتبطت أولاهما بجهاز المخابرات وأخراهما بمديرية الأمن العامة، ولكنني محسوبا على السياسيين المعارضين للحكم، أو "المعادين" له، صرت وأمثالى من نصيب الهيئة الثانية التي يرأسها ناظم كزار، صاحب الخبرة العريقة في التحقيق والتعذيب، الجlad

المعروف منذ انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م (من مفارقات القدر أنه مات بنفس الطريقة، التي استخدمها مع خصومه، حيث أعدم بعد ما عذب كثيرا بقسوة)! وقد استهل ممارسته تعذيبنا بوسائل بدائية، بدأت من تعليقنا بحامل مروحة سقفية عبر حبل يسحب باليد، وتطورت هذه الوسيلة لتسخدم عتلة ميكانيكية تدار بعجلة مسننة، ثم بمحرك كهربائي، بعدها أضيفت لها تباعا وسائل متقدمة أخرى، من كمامات ضاغطة للرأس، وألات لتكسير أصابع الأيدي والأرجل، إلى الرعد الكهربائي، وأحواض الأسيد التي يذيبون بها الجثث. وكنا نسمع أن عناصره تعلموا أساليب التحقيق والتعذيب على يد شرطة ألمانيا الديموقراطية عبر دورات تعليمية في معهد التطوير الأمني في منطقة المسبح على ضفة دجلة.

كان يشرف على الهيئةتين اثنان من القياديين هما محمد فاضل (عضو القيادة القطرية لحزب البعث)، الذي أعدم أواخر السبعينيات، وعلى رضا باوي، الذي أصبح فيما بعد صاحب مخبز في إحدى ضواحي بغداد ثم هاجر إلى السويد، لكنهما تحت إشراف صدام حسين شخصيا. الذي زار قصر النهاية مرة وحيدة في أيار ١٩٧٩م، فجمعونا في باحة المعتقل المكشوفة وأجلسونا على الأرض قبل مجئه، دون علمنا بمن هو الزائر، وحين وصل مكاننا، يرافقه صباح ميرزا، خاطبنا متسائلا "هل نجلس معكم على الأرض جلسة شعبية أم برجوازية؟"، وكان أفراد حمايته منهمكين بإحضار كرسي له، حينها، ولم تكن تخرج كلمة "برجوازية" من فمه حتى كان جالسا عليه، وقد وقف جنب كرسيه عزيز الحاج! تحدث علينا عن الوطنية والاستعمار والخندق المشترك الذي يجمعنا للنضال سوية ضد "الامبراليية" وعن العلاقة بالمعسكر الاشتراكي، ثم أقسم لنا "بشرف الحزبي بشرف العقيدة سيطلق سراحكم كلكم بعد أيام قليلة"! كانت مناسبة ٣٠-١٧ تموز قريبة، أطلق بعدها سراح المعتقلين، ولم يبق منهم إلا أعضاء جهازنا الصدامي، بعد تصفية رفيقيهم صالح العسكري وحاتم سجان في المعتقل، وهم كل من (محمد كريم، سلمان محسن، إبراهيم اسماعيل، قاسم مرисن، صاحب عبد

الأمير، عادل فرنسيس، فياض موزان)، كذلك بقي أمين الخيون، حيث قضينا في معتقلنا سنة ونصفا قبل أن يطلق سراحنا.

عادت بي الذكرة لل أيام التي سبقت هذه الزيارة، حيث التحقيق معه باعتباري أحد أعضاء قيادة الجهاز الصدامي المركزي والمسؤول عن تلقي المعلومات وطريقة وصولها إلينا. لقد توفرت لدينا معلومات مفصلة عن نظام كزار وصدام حسين، لأنهما كانوا هدفين لنشاطنا المسلح، لم يعرف مصدرها إلا أنا ورفيقتنا نرجس الصفار، والرفيق عزيز الحاج سكريتير "القيادة المركزية" الذي يبدو أنه لم يذكر شيئا عنها أثناء تحقيقهم معه. وكانت هذه الرفيقة، وهي زوجة رفيقنا الشهيد جمال الحيدري وأخت الرفيقين كاظم وعواد الذي استشهد في انتفاضة ١٩٥٦ وأم الشهيد فاضل، حلقة الوصل بين جهازنا والسكرتير لإيصال معلومات تتم عبر الخط النسائي الذي تقاده، وقد نلت قسطا كبيرا من التعذيب كي أقر بمصدرها.

كنا نحن التنظيم الأول الذي شرعوا في اعتقاله بسبب سياستنا المناهضة للنظام الحاكم والمطالبة بإسقاطه رغم محاولات البكر وصدام لعقد صفقة تفاهم مع حزب القيادة المركزية والاتفاق على المشاركة في الحكم. لم يكن لحزبينا أدنى ثقة بصدق نواياهم رغم ما يطرحونه من أفكار، عبر حملة اعلامية ضخمة، جعلوها شعارات لمحاربة الاستعمار، وإرساء علاقات طيبة مع الاتحاد السوفيتي، وبلدان المعسكر الاشتراكي، والبلدان ذات الأنظمة الوطنية التقديمية، والاعتراف بألمانيا الديمقراطية، ليثبتوا أنهم غيروا من نهجهم وسلوكيهم، وأصبحوا يتبعون سياسة جديدة مختلفة عن سابقتها، التي مارسوها إثر انقلاب شباط ١٩٦٣، مطالبين القوى المعارضة لهم بالتخلي عن رفع شعار إسقاط الحكم. كانت محاولاتهم هذه ضمن أجواء سبقت حملة اعتقالنا، لكن بعدما اعتقلوا كل قياداتنا ومعظم كوادرنا، فأمسينا جميعنا رهن الاعتقال، لم يعودوا بحاجة إليها، حيث ما عاد تنظيمنا يشكل خطرا عليهم، وبعد اعتقال عزيز الحاج وبده التحقيق معه طرح عليهم استعداده لإصدار بيان باسم القيادة المركزية يعترف فيه بوطنية حكمهم ويسقط شعار مطالبتها بإسقاطه، ورغبة

حزبه للدخول معهم في جبهة وطنية شرط أن يطلق سراح كافة المعتقلين من تنظيماته وأن يعاود نشاطه العلني بإعادة جمعها. وفعلاً كتب مسودة البيان وعرضه عليهم، لتم مصادقتهم عليه وإعلانه. يذكر عزيز الحاج -في مذكرةه- أن السبب في عدم إعلان البيان: "أن الأمور كانت سائرة باتجاه إعلان البيان، إلا أنها تغيرت فجأة بعد أن أوصل بيتر يوسف معلومة لهيئة التحقيق بأن عزيز الحاج له علاقات تجسس مع أحد أجهزة المخابرات الأجنبية، ومنذ تلك اللحظة تغيرت معاملتهم لي كلياً وخضعت لتعذيب قاسٍ وسوء معاملة لمعرفة تفاصيل تلك العلاقة المزعومة، ولم يتوقف ذلك إلا بعد أن اقتنعوا ببطلان تلك التهمة". لقد كان العداء واضحاً بين عزيز وبيتر وكانا يتنافسان بالإستخدا لهيئة التحقيق وكان بيتر أكثر اندفاعاً وخدعوا من عزيز، وربما كان كره وعداء بيتر لعزيز أن الأخير هو من وشي به وأدله على مكان إختفائه لأنه الوحيد الذي يعرف مكانه كما يدعى بيتر، وربما كان من أسباب كره بيتر لعزيز أن صدام حسين وقيادة حزب البعث ونظام كزار وهيئة التحقيق كانوا يغيرون إهتماماً كبيراً لعزيز في الوقت الذي أهملوا فيه بيتر مما حدى به أن ينحدر أكثر في خدمتهم. أما ما يذكره عزيز من أنه خضع لتعذيب قاسٍ وسوء معاملة - كما أدعى - فلملاحظ ذلك عليه حيث كنا معاً في معتقل قصر النهاية في تلك الفترة، ولكن وبغض النظر عما أورده عزيز الحاج فلا أعتقد أن ذلك كان هو السبب من وراء رفضهم فكرة البيان، إذ يبدو أنهم لم يقتنعوا أن هناك سبباً أو فائدة ترجى من إعلانه ، خصوصاً بعدما أسقطوا عزيز سياسياً من خلال مقابلة تلفزيونية أجراها محمد الصاحف معه شاهدها العراقيون، وأخرى صحفية لمجلة الصياد اللبنانيية أجراها طلال سلمان معه ومع بعض أعضاء القيادة المركزية، والسبب الآخر المهم هو أن رموز التنظيم وقياداته ولجانه الأساسية الهامة واللجان المتفرعة عنها، جميعها أصبحت في المعتقل، بينما هم مستمرون بحملتهم في مطاردة وإعتقال من بقي من التنظيمات طليقاً خارج المعتقل فلماذا القبول بمغامرة غير محسوبة النتائج؟ لذا كان قرارهم الاستمرار بتصفية تنظيمنا، والعمل قدر الامكان على تجنيد قيادييه وكوادره للتعاون معهم

وبإمرتهم، وهذا ما حصل فعلا، فقد تم إجبار البعض منهم على قبول وظائف في الدولة ليكونوا تحت نظرهم، فيما بعضهم الآخر تعاون وإياهم إراديا!

لقد كان معتقلونا من لجنة القيادة المركزية ومكتبها السياسي: عزيز الحاج، كاظم الصفار، حميد الصافي، أحمد الحلاق، متى هندي، مالك منصور، خضير عباس، ومسؤول التنظيم المركزي بيتر يوسف، وهمام عبد الغني، ومن قيادة الجهاز الصدامي المركزي: صالح العسكري، حاتم سجان، محمد كريم، وفياض موزان، ومسؤول التنظيم العسكري سامي أحمد، فضلا عن معظم قيادات المناطق واللجان الأخرى إلى مستوى لجنة متفرعة، أي أن أكثر رفاق الهيكل القيادي الأساسي للحزب كانوا في المعتقل، ما يعني استمرار البعثيين بتصفية التنظيم جسديا، وأنهم منذ البداية لم يضعوا في تصورهم إقامة تحالف حقيقي استراتيجي معنا. نعم... كان الحوار وقتها دائرا بينهم وبين "اللجنة المركزية" لإنشاء "الجبهة الوطنية والقومية التقدمية"، كما استقر على تسميتها لاحقا، لكن يبدو أن تقديراتها طبيعية حكمهم وقياداته واستشرافها لنهجه الجديد وسياساته كانت قاصرة ولم تكن بعيدة وثاقبة النظر لما كان يخططون له وما عرف عنهم من الانقلاب السريع على الحليف. فأوقعوها في الشرك الذي كانوا قد نصبوه لها، مستغلين خلافها القائم مع حزبنا، وتخليلها عن رفاقها الشيوعيين من تنظيماته، وهم قابعون في السجون، وعدم استنكارها لما كان يمارس تجاههم من اعتقالات وتصفيات جسدية، مكتفية بالشماتة بهم وتوجيه اللوم لهم وانتقادهم ونعتهم بالانتهازية واتهامهم بخيانة الشيوعية، حتى أنها لم تدافع عنهم كمعتقلين سياسيين ولو من باب حقوق الإنسان!

وهذه قائمة بأسماء أعضاء القيادة المركزية، ومهامهم، ومراكزهم وأسمائهم الصريحة والحزبية، التي إنكشفت إثر الإعترافات التي تمت في قصر النهاية عام ١٩٧٩، ويتبين من ذلك كم كان الوضع مأساوياً وصادماً بسبب سعة الإعترافات والكشف الواسع والكبير لقيادات الحزب والذي أدى إلى إعتقال حوالي ٣٣٠ عضواً معظمهم كان من الهيئات القيادية من اللجان المتفرعة واللجان التابعة، التي تم التركيز عليها،

والإكتفاء بإعتقالها، دون أن تمتد الإعتقالات إلى الخلايا لسعتها ولكثرتها أعداد أعضائها، وقد ضمت قائمة الهيئات القيادية كلا من :

- ١-عزيز الحاج علي حيدر (رمزي ثم مراد) السكري.
- ٢-كاظم رضا الصفار (شجاع) المشرف على لجنة منطقة بغداد، عضو المكتب السياسي.
- ٣-حميد خضر الصافي (سعيد) المشرف على لجنة العلاقات ومسؤول جهاز الطباعة، عضو المكتب السياسي.
- ٤-أحمد محمد الحلاق (صدقي) المشرف على الجهاز الصدامي والخط العسكري، عضو المكتب السياسي.
- ٥-متى هندو هندي (خالد) -عضو المكتب السياسي.
- ٦-بيتر يوسف (صدام) -مسؤول لجنة التنظيم المركزية -عضو القيادة.
- ٧-خضير عباس الزبيدي (عادل) -مسؤول العلاقات الوطنية -عضو القيادة.
- ٨-صالح رضا العسكري (برادر) -مسؤول الخط الصدامي -عضو القيادة.
- ٩-مالك منصور شمعون (مطيع) -مسؤول لجنة محافظة نينوى -عضو القيادة.
- ١٠-غازي أنطوان (عامل) -مسؤول لجنة كركوك -عضو القيادة.
- ١١-سامي أحمد عباس (فاضل) -مسؤول الخط العسكري -عضو القيادة.
- ١٢-مصلح مصطفى (سليم) -مسؤول فرع كردستان -عضو القيادة.
- ١٣-خضر سلمان (صادق) -مسؤول لجنة المنطقة الجنوبية -عضو القيادة.
- ١٤-نصر الدين مجید (ساهر) -مرشح القيادة المركزية.
- ١٥-حسين ياسين (عادل) -مسؤول جبهة الكفاح المسلح في الأهوار-مرشح القيادة.
- ١٦-حميد ضامن (ماجد) -مسؤول لجنة ديالى -مرشح القيادة.
- ١٧-ناجي عبود (معاهد) -مسؤول لجنة الكوت -مرشح القيادة.

٢) ضمت القيادة المركزية في هيئاتها القيادية كلاً من :
عزيز الحاج علي حيدر - رمزي ثم مراد - السكري .
كاظم رض الصفار - شجاع - المشرف على لجنة منطقة بغداد - عضو المكتب .
حيد خضر الصافي - سعيد - المشرف على لجنة العلاقات ومسؤول جهاز الطباعة .
احمد محمود الحلاق - صدقى - المشرف على الجهاز الصدامي والخط العسكري - مر .
تي هندو هندي - خالد - عضو المكتب .
بيتر يوسف - صدام - مسؤول لجنة التنظيم المركزية - عضو القيادة .
خضير عباس الزبيدي - عادل - مسؤول العلاقات الوطنية - عضو قيادة .
صالح رضا العسكري - براذر - مسؤول الخط الصدامي - عضو القيادة .
مالك منصور شمعون - مطيع - مسؤول لجنة محافظة نينوى - عضو القيادة .
غازي انطوان - عامل - مسؤول لجنة كركوك - عضو القيادة .
سامي احمد عباس - فاضل - مسؤول الخط العسكري - عضو القيادة .
مصلح مصطفى - سليم - مسؤول فرع كردستان - عضو قيادة .
حضر سليمان - صادق - مسؤول لجنة المنطقة الجنوبية - عضو القيادة .
نصر الدين مجید - ساهر - مرشح القيادة المركزية .
حسين ياسين - عادل - مسؤول جبهة الكفاح المسلح في الاهوار - مرشح ا .
حيد ضامن - ماجد - مسؤول لجنة ديالي - مرشح القيادة .
ناجي عبود - معاهد - مسؤول لجنة الكوت .

لابد لنا من مراجعة متفحصة لمواقف الحزب الشيوعي العراقي والمحطات السياسية التي مر بها بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ حتى ابرام اتفاق ما يسمى بالجبهة الوطنية التقدمية. لقد اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في ٢٩ تموز ١٩٦٨م، وأصدرت عن الاجتماع بياناً حددت فيه موقف الحزب من حكومة الانقلاب واتخاذ الموقف المناسب، وقد قيّم البيان حزب البعث والحكم بأنه حزباً قومياً برجوازياً، حكماً معادياً للاستعمار والاقطاع، ووصفه من جانب آخر مثل " حكماً دكتاتورياً مناوئاً للديمقراطية السياسية، أي حق الشعب في انتخاب حكامه وممثليه على جميع الدرجات بحرية تامة " وطالب البيان بتحقيق الاهداف التالية:

- ١- حل مشكلة الديمقراطية والنظام الديمقراطي وازالة آثار الإرهاب عن الجماهير والاحزاب الوطنية، ومصادرة الحريات وانهاء الفترة الاستثنائية، ونقل البلاد الى الحياة الدستورية الديمقراطية، وإيداع السلطة الى برلمان شعبي منتخب.
- ٢- حل المسألة الكردية حلاً ديمقراطياً والاقرار بحقوق الشعب الكردي في الحكم الذاتي.
- ٣- رعاية مصالح الجماهير المعيشية والاقتصادية.
- ٤- انتزاع حقوق العراق التي اغتصبتها احتكارات النفط الأجنبية.
- ٥- كشف أوكار وشبكات التجسس والقضاء عليها وفضح المستربين على نشاطها وتطهير جهاز الدولة من العناصر المشبوهة والفاشدة.
- ٦- الدعوة الى تعزيز النضال ضد الامبراليية ضد الصهيونية والتعاون مع البلدان الاشتراكية.

وفي ٣٠ تموز ١٩٦٨م، خرج حزب البعث الحاكم ببيان له نشر في جريدة الثورة بالعدد ١٩٤ في ٣٠ تموز ١٩٦٨ ، يحمل جملة أفكار منها: "مكافحة الاستعمار والتمسك بالتضامن العربي، وان الانقلاب جاء ردًا على نكسة الخامس من حزيران ١٩٦٧م، وعزم

الحكومة على حل القضية الكردية سلميا والاستجابة لمطالب الاقراد القومية وطي صفحات الماضي السلبية، ودعوة كافة القوى التقدمية الى أن تسهم مساهمة جدية في حماية الثورة والحفاظ على نهجها التقدمي من خلال المشاركة الفعلية في تحمل أعباء المسؤولية وتأكيد الثورة على تحقيق أوسع مشاركة جماهيرية في دفع الثورة الى الأمام"، وكان هذا اول طعم ابتلعته القوى الوطنية المعارضة.

قامت حكومة البعث بعد ذلك بإجراءات عديدة - كان الغرض منها الاحياء لهذه القوى وايهامها بأنها قد غيرت من نهجها وسياساتها السابقة، وأنها جادة في تبنيها سياسة جديدة مختلفة - منها:

- أجازت رسميا اصدار مجلة الثقافة الجديدة علانية بوصفها مجلة تهتم بنشر ثقافة اليسار الماركسي والفكر الشيوعي وصدر لها العدد الاول بشكله العلني الرسمي في نيسان ١٩٦٩، ومن ثم اجازت صحيفة الحزب الشيوعي "طريق الشعب".

- أصدر مجلس قيادة الثورة قرارا في الخامس من أيلول عام ١٩٦٨م بالإفراج عن المعتقلين كافة وإعادة جميع المفصليين لأسباب سياسية في الشهر ذاته، ولكن لم يقدم اي تنازلات أخرى بقصد الحريات العامة.

- اعتراف الحكومة العراقية الكامل بجمهوريةmania الديمقراطية في ٣٠ نيسان ١٩٦٩، وتوقيع اتفاقية كبريت مع بولندا في الاول من أيار ١٩٦٩م، ومعاهدة التعاون بين العراق والاتحاد السوفيتي في ٢٠ حزيران ١٩٦٩م، وفتح سفارة للعراق في هافانا عاصمة كوبا، وعزز حزب البعث مواقفه وأضفى على حكومته صفة الاشتراكية، والاعتراف بالحكومة الثورية في فيتنام الجنوبية ومساندتها شعبها، دفعا للحوار بين الحزبين.

وقد اتخذ المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي في أيلول ١٩٧٠م سياسة ازاء حكومة البعث على أساس "المعارضة لننهج الحكومة المعادي للديمقراطية وللشيوعية ولاضطهادها لأحزاب المعارضة ايما كانت، ولانتهايتها حقوق الانسان وكرامته ولمظاهر الشوفينية

والتعصب القومي والطائفي" وفي الوقت نفسه أكد المؤتمر على "اننا سنؤيد وندعم أي اجراء تقدمي أو أي موقف ضد الاستعمار والاقطاع والرجعية"، أي (تضامن - كفاح) وهذا الموقف لا يختلف كثيراً عن سياسة الحزب (كفاح - تضامن - كفاح) اذاء حكم عبد الكريم قاسم في سنواته الاخيرة.

لم تقتصر الهجمة الشرسه الواسعة النطاق على اجهاز و تفريق مظاهرة ساحة السبع
في ٢١ آذار ١٩٧٠ م بالقوة، و استشهاد الرفاق وليد الخالدي ، عبيد البدر، و أدور عبد
النور و العشرات من الجرحى بل تعدتها الى الملاحقات الامنية و اعتقال مئات
الشيوعيين في احياء العراق و زجهم في اقبية الامن و معتقل قصر النهاية و ممارسة
الضغوط ضدهم بكل انواعها، و محاولة تحطيم و تفتت و تحجيم الكثير من منظمات
الحزب، بل تعدتها الى اغتيال الكثيرين من الكوادر المتقدمة الناشطة و الفاعلة
و تصفيتهم اما داخل السجون او خارجها، و عملت أجهزتهم الامنية و تنظيماتهم
الحزبية على شرذمة و بعثة القوى الوطنية المعارضة الاخرى كالتيار الناصري،
و (الجناح اليساري) لحزب البعث، و الحزب الوطني الديمقراطي و اعتقال قياداتهم أو
اغتيال البعض الآخر منهم، و منعهم من التعاون مع حزب الشيوعيين ضمن (الجبهة
الوطنية التقدمية المرتبطة)، و قد سلك البعث مناحي مختلفة و عديدة لإضعاف
موقع الحزب و اجباره على عقد الجبهة بشروطه، و قد رافق ذلك ضغوطات مورست
على الحزب الشيوعي من قبل جهات عديدة، منها موقف الاتحاد السوفيatic المشجع
على عقد هذه الجبهة و النابع من فكرة التطور اللا رأسمالي ومن الاسس النظرية التي
وضعها لتحالفات حركات التحرر الوطني في البلدان النامية، والمناشدات التي قدمها
كل من خالد بكداش أمين عام الحزب الشيوعي السوري - الذي كان قد دخل حزبه
بتحالف جبهوي مع حزب البعث السوري - و جورج حاوي أمين عام الحزب
الشيوعي اللبناني المنطلق من فكرة تحول قسم من البرجوازية الصغيرة الى
الماركسية، جميعهم ضغطوا على الحزب الشيوعي العراقي من أجل عقد الجبهة ، مما
شجع الحزب على الانصياع للدعوة المطالبة بعقد جبهة مع البعث.

يبدو ان قيادة حزب البعث الحاكم كانت تمتلك الحرفية في السلوك المناور المخادع والمغافل والقدرة على كيفية تفريق وتفتت القوى والأحزاب الوطنية المعارضة وعزلها عن بعضها لتسفر بها الواحد تلو الآخر مستغلة نقاط الخلاف ومكامن الضعف لدى هذه القوى، ومن ثم القيام بتصفيتها الواحد تلو الآخر، وقد كان حزب القيادة المركزية والاحزاب القومية هم كيش الفداء الاول.

لقد اعتبرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي أن سياستها كانت صائبة لحتمية ذلك الظرف الموضوعي، حيث لم يكن أمامها خيارات أخرى متاحة سوى التعاون مع نظام الحكم الجديد ومراقبة ما يقوم به من خطوات تقدمية إيجابية، ثم دفعه باتجاه تطويرها وتعزيزها، من خلال الممارسة الديمقراطية الجارية. لكنني أرى أن اعتبارها هذا كان قاصرا حينما أحسنت الظن بالبعثيين، كما أحسنته سابقا بالحكم العارفي عام ١٩٦٤م، خصوصا حينما تقدمو بشروطهم لحزبيها مقابل تحالفهم معه، يشم من خلالها تهميش وإلغاء مستقبلين له، طالبين منه التوقيع عليها، وهي: إعترافه بحزبيه كحزب ثوري وحدوي اشتراكي ديمقراطي / وجوب تقديره انقلابهم في تموز ١٩٦٨م كثورة وطنية تقدمية / إقراره بالدور القيادي للبعث سواء في الحكم أو ضمن المنظمات المهنية والجماهيرية / عدم ممارسته أي نشاط داخل الجيش والقوات المسلحة / عمله على قيام تعاون بين الأحزاب الشيوعية في العالم العربي وحزب البعث.

ورغم أن هذه الشروط كانت غير مقبولة من الحزب الشيوعي، إلا أنه استأنف حواره مع البعثيين من جديد، وما لبث أحمد حسن البكر أن أعلن في ١٥ تشرين الثاني ١٩٧١ عن برنامج للعمل الوطني، عارضاً عليه وعلى نظيره الديمقراطي الكردستاني أن يقبلان به لإقامة جبهة وطنية معهما. كان أمل اللجنة المركزية للحزب أن يتتحول هذا العرض إلى اتفاق حقيقي بين هذه الأحزاب الثلاثة على برنامج يحقق طموحات الجميع، لذلك اقترحت على حزب البعث منح مجلس الوزراء صلاحيات أوسع لإدارة شؤون الدولة، التي احتكرها مجلس قيادة الثورة البعشي، وتعديل الدستور المؤقت بما يحقق السير

بهذا الاتجاه، وإطلاق حرية الصحافة، وإصدار صحيفة حزبها بشكل علني، فوعد البعشيون بدراسة مقتراحاتها هذه. لكن الوضع استمر على حاله أكثر من سنة، مع أن ظروف البلد كانت تستدعي التعجيل بتغييره، سيما بعد اشتداد الصراع مع شركات النفط الاحتكارية إثر قرار الحكومة بتأميم شركة نفط العراق في ١ حزيران ١٩٧٢م، ثم تواصلت العلاقات بين الحزبين على وضعها ذاك حتى وقوع محاولة ناظم كزار الانقلابية، حيث دفعت إلى تكثيف جهودهما من أجل الاتفاق على البرنامج.

في ١٧ تموز ١٩٧٣م، وقع أحمد حسن البكر نيابة عن حزب البعث وعزيز محمد سكريير عام الحزب الشيوعي "ميثاق العمل الوطني"، وبذل الظرفان جهوداً واسعة لإدخال الحزب الديمقراطي الكردستاني معهما في الجبهة، التي انبثقت بعد توقيعه، إلا أنها لم تسفر عن أية نتيجة. ومن دراسة مواد هذا الميثاق نجد أن البعشيين لم يقدموا تنازلات جوهرية للحزب، فكان أهم ما قدموه له: حصوله على الشرعية القانونية لمزاولة نشاطه العلني، وإصدار صحفته المعبرة عن سياساته [طريق الشعب]، حيث صدرت بالفعل وكانت توزع على نطاق واسع / إطلاق سراح السجناء والمعتقلين السياسيين، وهدم [قصر النهاية] السيني الصيت الذي كان مقرأً لتعذيب الشيوعيين وسائر الوطنيين المعارضين/ مشاركته في الحكومة بوزيرين، لكنها لم تكن ذات تأثير على سياسة الدولة التي كان مجلس قيادة الثورة، الذي ينفرد به البعشيون، هو من يقررها، متمتعا بكافة الصلاحيات التشريعية والتنفيذية بل حتى القضائية. مقابلها قدم الحزب الشيوعي للبعشيين تنازلات واسعة: إقراره بأن انقلابهم في تموز ١٩٦٨م ثورة وطنية ديمقراطية اشتراكية، وبمبدأ قيادة حزبهم للجبهة/ قبوله ببقاءه بعيداً عن الجيش والقوات المسلحة ليصبحا حسراً لهم/ إعترافه بدور البعث القيادي لكافة المنظمات الجماهيرية النقابية والاتحادية "العمالية والفللاحية والطلابية". هكذا يتبيّن لنا أنه خسر الكثير بتقديمه هذه التنازلات الواسعة لهم، بينما لم يحصل على أي دور أساسي في تسيير سياسة البلد، إنما أصبح في الواقع مجرّاً على مسيرة حزبهم.

ثمة الأنكى من ذلك، حيث بعدها سمح للحزب بالنشاط العلني وإصدار جريدة واختيار وزراء منه، وفسح المجال لمشاركته في الجبهة الوطنية التقدمية المزعومة، إنكشفت كل تنظيماته قبلة البعثيين، وأجهزتهم الأمنية والمخابراتية، وهذا ما كان يريدونه وما خططوا له، وفاقت على لجنته المركزية تهيئة خط ظل بديل باحتمال ضربة متوقعة قد توجه له منهم. ففي خضم سير عملية تفاوضه معهم تم اعتقال الكثيرين من كوادره، إذ فيما اعتقل رفيقانا صالح العسكري وحاتم سجان من "ق.م"، كان هناك المناضل البارز المنتهي لتنظيمات "ل.م" عزيز فعل الذي اعدم شنقا مع فائق إلياس من تنظيمات القيادة المركزية أمام ناظري "ال العسكري" و "سجان" ، اللذين سيعدمان رميا بالرصاص- مع مجموعة من المتهمين بـ"الخيانة والتجسس" - لأنهما كانا شاهدين على عملية إعدام " فعل" و "إلياس" ، كذلك اغتيال كوادر عديدة إما بعمليات خطف أو بحوادث دهس، وهذا ما حصل للرافق ستار خضير، محمد الخضري، صباح الدرة، شاكر محمود، عبد الأمير سعيد، و تم قتل و تصفية اعضاء و كوادر الحزب الشيوعي الناشطين في بغداد و المحافظات، وقد شملت هذه التصفيات الرفاق ماجد العبيجي ، مشكور مطرود، حسين نادر، عبد الله صالح، محمد حسين الدجيلي، عبد الامير رشاد، جواد عطيه، وآخرين غيرهم تم تصفيتهم بطرق. مشابهة، وتعذيب آخرين من قيادات و كوادر القيادة المركزية في ذلك الحين حتى الموت كـ: متى هندي، هاشم الألوسي، أحمد الحلاق، نوري كمال. يتضح من هذه التصفيات، اعتقالاً أو اغتيالاً أو تعذيباً، ناهيك عن مسارها التصاعدي، أن البعثيين كان لديهم نهج تأمري مبيّت ضد الحزب الشيوعي، حليفهم؟!، ليكون أمامنا عندئذ تفسيران لا ثالث لهما: إما غفلة من قيادته عن التشخيص المبكر لهذا النهج، حيث تصفية كوادره المشككة في نوايا البعث، أو أنها غضت الطرف عن نهج كهذا فجمدت معارضتها له، معتقدة بصدق النوايا البعثية.

لقد وجه البعثيون عام ١٩٧٩م ضربة قاصمة للحزب الشيوعي، بعد سلسلة اجراءات، مهدوا لها، ما لبثت أن انتهت بتصفيته، منها: منع عمله بين صفوف القوات

المسلحة/ محاصرة نشاطاته الجماهيرية وتقليلها/ مضائقه أعضائه ترغيباً أو ترهيباً لتركه/ تصفية بعض كوادره بحملة اعتقالات واغتيالات مثل د. صفاء الحافظ ود. صباح الدرة/ تسهيل خروج قادته من العراق ليتم الخلاص منهم/ مساومة الكثير من رفاقه للانضمام لحزب البعث.

أ-من رفاق المسيرة

إبراهيم اسماعيل/ كان شاباً نحيفاً رياضياً، من عناصر الجهاز الصدامي، عمل فترة في كردستان مع قوات الأنصار للحزب الشيوعي، لم أكن أرى على وجهه علامات خوف أو هلع عندما يهددوننا بالإعدام، إنما رابط الجأش، وحين يقتادوننا إلى محكمة الكرخ، وفي الأيام التي تلي عودتنا منها إلى القصر، تظهر على لحيته بقعة دائرية من الشعر الأبيض تعود سوداء، بعد أن تهداً الأمور ويمر وقت علينا دون تهديد، حيث كانوا في هذه المحكمة يحركون دعاوى ضدنا لإلصاق التهم بنا حسراً، أي تحملينا مسؤولية ما ارتكبه الجهاز الصدامي المركزي، محاولة منهم لتبرئة سكرتير القيادة المركزية، رغم تأكيده لهم منذ بداية اعتقاله أنه هو المسؤول الأول عن ذلك، وقد تم لاحقاً إطلاق سراح إبراهيم اسماعيل مع مجموعة.

إبراهيم جهانبخش/ قبل أن يكون معتقلاً معي في قصر النهاية عام ١٩٦٩ كان معتقلاً معي في معسكر الرشيد-سرية الهندسة-إثر انقلاب شباط الأسود ١٩٦٣ ونقلنا سوية إلى سجن باب المعظم. هو أحد أعضاء الجهاز الصدامي، وأُعتقل في قصر النهاية، وكان يقع في الزنزانة المجاورة لزنزانتي في السرداد، كان يهوى الشعر الشعبي وينظمه، رغم كونه كوردياً مما يثير الاستغراب لدى الآخرين من المعتقلين، شاب وسيم، يمتلك شجاعة وعنفواناً، كنت أسمعه يغني، وعندما يرتفع صوته ويسمعه الحرس يأتون مسرعين إلى الزنزانات لمعرفة مصدر الصوت، فيicismt إلى أن يتتأكد من إبعادهم ليعادون الغناء مرة أخرى. كان معه من أعضاء الجهاز الصدامي، عادل

فرنسيس ، صباح حسين الملقب (صباح صاروخ) ، لطيف مراد وسيد مشتت خضر ، وكشاش الذي خلعت يده بالتعذيب والذي ذكرته في موقع آخر من الكتاب ، سامي محمد علي الذي حاول الهرب أثناء التحقيق بالقفز من شباك في غرفة التحقيق إلى الخارج ، إلا أنه أصيب برجله من جراء السقوط فعاودوا تعذيبه بقسوة وألقوه في قبو القصر كتلة مدممة ملفوفة ببطانية لا يسمع لها إلا أنين خافت واستشهاد أمام أنظاراً براهيم كما روى ذلك لي: أنه ترك جاكيته معه وأخبرونا أنهم نقلوه إلى المستشفى لكنه في الحقيقة قد فارق الحياة وهو معنا وقبل أن ينقلوه إلى خارج الزنزانة ، ومن ضمن الموجودين معه كان محمد علوان القصاب ، وإبراهيم مفizer الدين أحد الشيوعيين من عمال السلك الذين اعتقلوا بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ، وثامر حسني زيتل ، وعبدالله زنكنة (أبو سعيد) ، أحد ابطال إنتفاضة الاهوار.

أحمد علي إبراهيم / كان أحد أعضاء المكتب التنفيذي لاتحاد الطلبة العام ، من الرفاق البارزين في أنشطة الحركة الطلابية ، وعضوًا فاعلاً في التنظيم الطلابي لحزب القيادة المركزية ، اعتقل واقتيد إلى قصر النهاية ، الذي كان يقع فيه رفاقه: حسن علي أمين رئيس اتحاد طلبة معهد الادارة والسكرتارية وعضو المكتب التنفيذي لاتحاد الطلبة العام (قبل استشهاده) وعبد الكاظم كاطع سكرتير اتحاد الطلبة العام وليث الربيعي ومنير حاكم ، وقد مكث بضعة أيام في القاعة العليا ، التي كان فيها عدد من يهود البصرة (علقت جثثهم في ساحة التحرير لاحقاً) ورجل كهل اسمه عبد الهادي (مدير فندق بغداد) وعبد العزيز العقيلي ، وفي نهاية عام ١٩٧٠م ، بعد خروج رفاق من المعتقلات ، قام مع مجموعة ضمت: صلاح أحمد البياتي (كادر متقدم في "ق.م") وعبد الكاظم كاطع سكرتير اتحاد الطلبة العام ، ومحمد القيسى (مهندس زراعي) وعيidan (عامل) وثامر (مهندس زراعي أيضاً) ، بمحاولة تشكيل تنظيم استقطب عناصر عديدة إلا أن اعتقال صلاح البياتي أوقف نشاط هذا التنظيم الجديد ، الذي لم يكشف رغم ما لقيه من تعذيب.

بيتر يوسف / عضو القيادة المركزية، ومسؤول التنظيم المركزي فيها، طويل القامة ضخم الجثة، أملط، يتسم بالنعومة والرقابة، وهو يحذث بصوته الناعم الخافت، لا تبدو على ملامحه علامات العزم والصرامة، وعندما أتطلع الى تعابير وجهه، كنت أراه ضعيفاً مستخدية أمام هيئة التحقيق، كأنني به يستجدي عطفهم، فيتصرف وكأنه ترك الى غير رجعة - العقيدة والفكر اللذان آمن بهما واعتنقهما، وتأكد منه لإثبات الأخلاص والولاء لحزبه، والمزايدة على الآخرين في تقديم الخدمات وأداء الطاعة لهم. قام وهو في السجن بترجمة أحد كرارييس حزب البعث الى اللغة الانكليزية في محاولة منه لعرض خدماته عليهم، وقد روى لي الرفيق ماجد علاوي: "أنه عندما كان في معتقل قصر النهاية أخبره أحد الأصدقاء الذي كان في زنزانة قريبة لزنزانة بيتر يوسف أنه سمع جزء من حوار بين بيتر وبين أحد المحققين الذي جاءه أثناء الساعات المتأخرة بعد منتصف الليل - وهي الفترة التي يجري فيها التحقيق ويسودها جو من الرهبة والوجوم في غرف الموقوفين - وسأله عن إسم لم يميزه حيث يبدو أن ذلك الإسم ورد أثناء التحقيق مع أحد الموقوفين، لكنه سمع إجابة بيتر يوسف يرد على استفساره لا أعرف، ولكنه واصل متظوعاً وموشياً مجاناً آخرين: يمكنك سؤال فلان حوله فهو يفيدكم!! وكان يعني أثناء ساعات الوحشة تلك بصوت واطئ أغاني عاطفية لـ محمد عبد الوهاب". وعلى ذكر تمتع بيتر يوسف (أبو صرفد) بصوت جميل فقد ذكر لي طرفة عندما كنا في غرفة واحدة في أعلى الدرج كان معنا فيها كاظم الصفار وحميد الصافي وخضير عباس ومالك منصور في معتقل قصر النهاية وقد روى لنا هذه الحكاية وقال: أنه ولشدة إعجابه بأم كلثوم وأثناء قدومه من أحد البلدان الإشتراكية إلى العراق حدد له الحزب المسار الذي يسلكه وأن تكون محطةه القادمة مطار بيروت لكنه خالف قرار الحزب وذهب إلى مطار القاهرة بدلاً من مطار بيروت المقرر له من قبل الحزب وكان غرضه من ذلك أن يحضر حفلة أم كلثوم الشهرية ويعود إلى بيروت دون علم الحزب لكن يبدو أن الحظ لم يحالقه وفي أثناء خروجه من الحفلة منتشياً بصوت أم كلثوم وإذا به يقع بحفرة لتنكس ساقه وينكشف

أمره، وان دل هذا الفعل على شيء إنما يدل على عدم الضبط وضعف الالتزام، وقد حاسبه الحزب بسبب ذلك الخرق.

لقد وجدت فيه عكس ما يروى عنه من انه كان يتمتع بفروسيّة وبشجاعة وصلابة واصرار وثبات ابان فترة العهد الملكي وبعد ثورة تموز ١٩٥٨م، يحسده رفاقه عليها. فكان يذكر أن اجهزة الامن كانت تقف مشدودة مسلولة اليدين أمام تحديه وثباته، وأن أساليب التعذيب لم تكن تجدي معه نفعا -مهما تنوّعت -للحصول على إعترافات منه. كان حاقدا على عزيز الحاج ، وكان عندما يلقاه وجهها لوجه في باحة السجن، كان يبصق على الأرض علامه واصارة على كرهه له، وكأنه لم يكن رفيقه لعقود مضت، كان يعزو ذلك الى ان الحاج هو الوحيد الذي يعرف مكان اختفاءه وهو السبب في اعتقاله، فقد كان ليتير مخبأ سري في بيته من الصعب على احد اكتشافه ، عمله خلف الحائط يدخل اليه من فتحة غطّيت بلوحة "أيقونة للمسيح" ، لم يكن أحد يعرف بموقع المخبأ غير زوجته وعزيز، (هذا ما كان يقوله بيتر يوسف)، لكنني اقدر ان تصرفاته تلك ما هي إلا دليل ضعف و انهيار واستخzaء ، لأنه مهما قام به عزيز من تصرفات، لا يبرر موقفه هذا امام سجانيه و اعدائه، ما داما كلّيهما رفيقي طريق لستين طويلا جمعهما معتقل واحد قضية واحدة، لقد تم تعينه بعد أطلاق سراحه سفيرا للعراق في الهند ثم في المكسيك، وقد توفي فيها منتصف التسعينات. ومن المفارقات المضحكة والمؤلمة، حكاية طريفة عنه، تدل بوضوح عن نفسية هذا الرجل: في الوقت الذي كان المعتقلون يفترشون الارض، أو "بطانية" دون غطاء، طلب من هيئة التحقيق أن تحضر له فراشا "دوشك" للنوم وأغطية ووسادة خاصة به، وضعت له في الرواق الذي يفصل بين صفي الزنزانات، ودواء ينشره حول فراشه يمنع القمل- المعشش في ملابسنا من جراء عدم الاغتسال لفترة طويلة - الزاحف اليه من زنزاناتنا المحبيطة به، كنا وقتها نتندر... عندما كانوا يفتحون ابواب الزنزانات بعض ساعات للتهوية، نجلس داخل الزنزانات على عتبة ابوابها، فيختار كل واحد منا قملة ينتزعها من ملابسه ويضعها على مدخل زنزانته ميمما وجهها شطر فراش بيتر

ليدخل القمل حلبة السباق ولنجد أيّ من القمل ستكون هي السباقة بالوصول الى فراشه قبل غيرها وتنتحر عند تخومه. كنت أستغرب لمواقه وسلوكه هذا، فأعید النظر في تقييم شخصه وثباته وسبب تخلخله وتداعيه، فقد سمعت من رفاقه الذين لازموه فترات العمل النضالي السابقة، من أنه عندما كان يلقى القبض عليه ويعتقل، كان رجال الامن لا يحققون معه لما عرف عنه من ثبات ومجابهة أثناء التحقيق معه، وقناعتهم بعدم الجدوى من تعذيبه وإجباره على الاعتراف، وبذلت استغرب مدى صدق هذه المعلومات عندما اراه بهذه السلوك البائس، وحب الاننا وروحية التعالي، وكيف أن الاحداث والتجارب تترك على الانسان آثارا ايجابية أو سلبية تبعا لعلاقة ذلك بمتانة حصانته الفكرية التي يتمتع بها.

وهناك حادثة يرويها الرفيق ماجد علاوي لها دلالتها في سلوكه، ففي الفترة التي تفجرت فيها المعارضة لخط آب التصوفي، كانت تنظيمات المثقفين هي البؤرة الرئيسية التي انطلق منها فريق الكادر في معارضته، ففي إحدى المنظمات التي كان يقودها إبراهيم علاوي (نجم). أرسل بيتر يوسف في عام ١٩٦٦ إلى تلك المنظمة كمشرف "لتأدبيها"، وجرى الاجتماع في بيت إبراهيم علاوي، وببدأ بيتر يوسف بالتهجم على أحد الرفاق الصريحين بقوة في معارضتهم، وتطاول عليه بالكلام وأراد أن يعتدي عليه جسديا، خاصة أن بيتر يوسف كان ضخم الجثة والرفيق الآخر ناعم أقرب إلى القصر، عندئذ تدخل إبراهيم علاوي وقال له لا أسمح لك بالاعتداء عليه مهما كانت صفتكم الحزبية ولو لا أنك في بيتي للقيت مني ردأ لا يسرك ولطردتك. وكانت هذه الحادثة وراء إصرار فريق الكادر على عدم إلتحاقهم بالقيادة المركزية قبل طرد بيتر يوسف وحسين جواد الكمر منها. وقد أزيلت تلك العقبة والتحق الكادر بالقيادة المركزية.

جمشيد الحيدري/ كان معنا هو وأخوه "ممتراز" في القاعة الكبيرة، التي تضم مئات المعتقدين من مختلف الاتجاهات، وهما شقيقا رفيقنا جمال الحيدري، الذي استشهد إثر تعذيبه بعد انقلاب شباط ١٩٦٣م، و"جمشيد" هذا شاب طويل القامة

قوى البنية، تعلو ثغره ابتسامة شفيفة، وتتدلى خصلة من شعر رأسه الكث، تضفي عليه هيبة ووقارا، وكنا نتحدث طويلاً لقتل الوقت، نستعيد شجاعة من صدوا واستمروا بالحياة أو من استشهدوا تحت التعذيب عام ١٩٦٣م، لرفع معنويات المعتقلين الآخرين، لذلك فهو لم يتأثر بأجواء المعتقل الرهيبة.

حاتم سجان/ كان عاماً شاباً يتسم بالعفوية والأخلاق، وبالشجاعة والجرأة، غير هياب من الأخطار، هكذا عرفته من خلال عملنا الميداني في الجهاز الصدامي، نشأ وترعرع وبرز بين صفوف الطبقة العاملة، مناضلاً جسوراً سخر جلّ وقته للحزب، يحمل الكثير من التفاني له، واضعاً لأجله حياته على راحة كفه، دائماً تعلو وجهه ابتسامة، لم تفارقه حتى في قصر النهاية رغم ظروفه الصعبة القاسية. ذات يوم بعدما أخرجونا من الزنزانات الانفرادية إلى باحة المعتقل، نزع خاتم زواجه من يده اليسرى داساً إياه في يدي اليمنى، قائلاً (يا رفيقي، لي طلب لديك أرجو أن تتحقق، إن قيض لك الخروج من السجن، وهو أن تسلم هذا الخاتم لزوجتي، وأنا متيقن من أنك ستلبني طلبي وتوصله لها، فقد نفذنا سوية عمليات خطيرة بطلب من الحزب، كان الموت فيها قريباً منا، قبل أن نعتقل في هذا القصر، لا أخفيك أن قلقاً ينتابني وشعوراً كبيراً يراودني وحدساً يساورني، أن الموت آت كلما التقى عيناي بعيونهم الملئه بالحقد والتشفي، والمنذرة بشبح الموت الذي أطل منها، وعندما أمعن النظر بنظام كزار وبهيتهم التحقيقية وتطلعاتهم، والكلمات التي أسمعها منهم أنا ورفيقي صالح العسكري، عندما يلتقي بنا هو وجلاوته، وأرى صرامة وجوههم التي لا يقطعها السيف، ونظراتهم الشزرة التي يتطاير منها الشرر، أتيقن أن فيها تصميماً على إنهاء حياتي وتصفيفي داخل السجن)... سأله "لنفترض أني لن أخرج، ما العمل؟" فأجاب (إن راودك شعور كالذي ينتابني الآن حاول أن تسلمه لشخص آخر قد يخرج من السجن ، تكون واثقاً منه أنه سيسلمه لزوجتي، هذا في حال تعرضك للإعدام أنت وبقية أعضاء الجهاز الصدامي بسبب التهم الموجهة علينا، كرفع السلاح بوجه السلطة لإسقاط النظام القائم، والسطو المسلح، وتهمة القيام بعمليات اغتيال لأشخاص، وقد وجهت هذه

التهم لنا تحديدا باعتبارنا قيادة الجهاز الصدامي المركزي والمسؤولين عن هذه الأعمال، ولبقية رفاق الجهاز الآخرين باعتبارهم منفذين لهذه العمليات، ومما لاشك فيه أن عقوبتها هي الإعدام، ويريدون أن نكون نحن كبس الفداء فيها، والذي زاد من تأكدي ما استشرفته من خلال إشارات عديدة وتلميحات متكررة، ولأنني وصالح العسكري شهود عيان عندما أعدم نظام كرار بيديه وأمام ناظرينا الرفيقين عزيز فعل وفائق الياس، اعتقادا منه أننا ربما قد نكون شهود عيان في حالة اطلاق سراحنا، يارفيقي أرى التصميم في عيونهم وإيماءات أيديهم بإعدامي أنا وصالح)... وقد وفيت بوعدي له فسلمت خاتمه لزوجته الشابة، وكان لها منه صبي، تركه في بطنها وعمره ستة شهور، اسمه "سلام" تيمنا بالاسم الحزبي الذي حمله قبل استشهاده.

حامد أيوب العاني/ كان شاباً وسيماً، متوسط القامة، يعلو إحدى وجنتيه خالٌ كبيرٌ بارز، هادئ الطبع، عندما يريد التحدث بموضوع، يتأنى قليلاً، يتريث لبرهة ثم يسترسل بانسيابية ذات قدرة إقناع، تدعيمها ثقافته الواسعة، على محياه ابتسامة شفيفة، يحب إلقاء نكات لها علاقة بالموضوع الذي يتحدث فيه، ليخترق الجو الرسمي ويضفي جواً من المرح على الاجتماع الذي كان يحضره، يحمل طاقة كبيرة على موافقة العمل دون كلل، دمت الأخلاق طيب المعشر، أنيق حسن المظهر، ذو ضحكة مميزة يغص ويُشخر بها عندما تهاجمه، يستأنس الحديث مع الرفيق سيد مشتت، يحبه ويحترمه ويمزح معه. ولد عام ١٩٣٨ في بغداد - الكرخ وسط عائلة فقيرة، له أخوان يكبرانه سنا، هما "جمعة" ورفيقنا "حمدي أيوب" المناضل المعروف، عمل عاملاً في معمل نسيج الكاظمية، وهو لم يزل شاباً يافعاً، وفي عام ١٩٥٦ انتمى للحزب الشيوعي، وكان مسؤولاً في الرفيق ابراهيم الحريري، وبعد انقلاب شباط ١٩٦٣ اعتقل ونفي إلى سجن نقرة السلمان الصحراوي، ثم خرج منه منتصف الستينيات، حيث عملنا سوية عامي ١٩٦٧-١٩٦٦ عضوين في اللجنة المحلية الثقافية التي كان سكرتيرها الرفيق كاظم حبيب وتضم معنا الرفيقين صباح الدرة وطارق رحيم، حتى حصل انقسام الحزب في أيلول ١٩٦٧م، لنلتتحق أنا وهو وطارق بالقيادة المركزية

أعضاء في لجنة منطقة بغداد، نقود تنظيماتها المحلية، قبل انتقالي إلى قيادة الجهاز الصدامي. تم اعتقاله في شباط ١٩٦٩م، إثر ورود اسمه في اعترافات لمعتقلين قياديين كشفت تنظيم حزب القيادة، عندما نقلوني من الزنزانة الانفرادية إلى القاعة الكبيرة، اجتمعنا ثانية، فكانت أيامنا ذات نكهة خاصة رغم قسوتها، يتخللها استذكار الماضي، لكنها لم تستمر طويلاً حيث أطلق سراحه، بينما بقينا نحن (أعضاء الجهاز الصدامي) معتقلين. ويبدو أنه عاد لصفوف الحزب الشيوعي، فأصبح عضواً في لجنته المركزية، وبعد الانتكاسة أواخر السبعينيات، توجه إلى سوريا ثم رومانيا للدراسة، فحصل على شهادة الدكتوراه في القانون الدولي، وعمل تدرسيّاً في الجزائر، وأخيراً استقر في هولندا لاجئاً سياسياً، وبعدما عانى مرضًا عضالاً جعله مقعداً، رحل عن الدنيا في نيسان ٢٠١٣م، تاركاً عائلة من زوجة وثلاثة أولاد، وأثراً طيباً، وإرثاً نضالياً طويلاً قارب نصف قرن.

حميد الصافي/ كان عضواً في المكتب السياسي لحزب القيادة، ما زلت أتذكره: من من أمامنا صامتاً وعيناه الزرقاء وان تدوران في محجريهما، وجلتين تدققان النظر حواليهما، تبدو على قدميه آثار تعذيب. لقد طرق سمعي لاحقاً، أن من اعتقله مفوض في الأمن العام القديم اسمه فاروق، كان يعرفه سابقاً، عند خروجه من البيت الذي كان مختبئاً فيه إلى السوق لجلب فطور له ولزوجته. إذا كان ذلك صحيحاً فهنا ضعف منه بالحذر رغم كونه مناضلاً قدِّماً وسجينَا سابقاً، معروفاً لدى الأجهزة الأمنية السابقة، التي استمرت في خدمة النظام الجديد. لكن هنا لاك احتمال آخر: إعترافات البعض عليه، حيث تم اعتقاله في الفترة التالية لاعتقال أحمد الحلاق وصالح العسكري وحاتم سجان ومحمد كريم ثم عزيز الحاج وبيتير يوسف وكاظم الصفار ومالك منصور وخضير عباس وهمام عبد الغني! بعد خروجه من المعتقل عمل في إحدى مؤسسات الدولة، ثم القطاع الخاص موظفاً في جمعية رجال الأعمال العراقيين، التي يرأسها الصديق راغب بليبل "أبو عمّار"، وقد عاد تواصلنا معه بعد عام ١٩٩١م، فكنا نلتقيه في هذه الجمعية، أو نزوره في بيته، إلا أنه في عام ٢٠١٣م اشتد مرضه

متغلبا عليه عقب معاناة طويلة منه فأنهى مسيرته الحياتية ليرحل عننا تاركا أثرا حميدا من حسن الأخلاق والكياسة وإرثا من الماضي النضالي الطويل الذي قضاه في الحركة الشيوعية العراقية.

سامي أحمد / كان يُعذب في غرفة التحقيق المعهودة بشدة وقسوة وبشاعة، في بعض على شفتيه بنواجذه مبتلعا صرخته، يكتمها في جوفه، احتقارا لجلاديه، حينها ينقلونه إلى زنزانة صغيرة لا يستطيع أن يقف فيها منتصبا: إما جالسا أو مستلقيا، يلقونه على أرضها الصلبة، فتنطلق من فمه صرخة "آه"، ليعودوا إليه يشعرون ضربا وركلا ويسمعونه كلاما بذينا، كأشكالهم القميئ، ثم يسألونه "لماذا تطلق الآه وتظهر ألمك الآن بينما تمنع أن تبوح به في غرفة التحقيق، وقد أوجعناك ضربا ونلت منا عسفا وتعذيبا أشنع وأفظع وأشد وأكثر إيالاما من سقوطك هذا على الأرض؟"، شاعرين بشموخه ممتكلا صلابة متناهية، فضلا عن خلق رفيع ، ذو صوت هادئ لا تكاد تسمعه وهو يحدثك، وعندما انتهى التحقيق معنا ونقلونا إلى أماكن أخرى، صاروا يعاملونه باحترام وتقدير كبيرين.

يدرك الرفيق ماجد علاوي "لقد كان سامي أحمد (أبو وميض) استثنائيا في صموده، بدأت الحملة على القيادة المركزية وتم تحطيم وكشف كامل هيكلها التنظيمية، وكان التحقيق قد انتهى مع كافة الموقوفين وكشفت كل التنظيمات تقريبا ولم يتبق بعد ذلك إلا سامي وحده ولمدة لا تقل عن الثلاثة أشهر صامدا صمودا مطلقا رغم كل دورات التعذيب البشع المستمرة التي يقادها. لقد أصبح عاجزا عن المشي بسبب التقرحات التي تركها الضرب بالكعبات على قصبي ساقيه من الركبة إلى القدم، ومن تأثير التعذيب بالصدمات الكهربائية حيث كانوا يعيدونه إلى زنزانته الانفرادية ملفوفا بالبطانية ويتركونه وشخير تنفسه اشبه بشخير الخروف المذبح لارتفاعه كل عضلاته جراء تلك الصدمات ويستمر على تلك الحال لفترة طويلة. وقد كلفت الهيئة التحقيقية أثنين من المعتقلين في الزنزانة المجاورة له، ماجد علاوي وإبراهيم مفizer

الدين، لنقله مرتين في اليوم كي يقضي حاجاته الطبيعية، فكانا يعملان ما يشبه المقدار المربع بتشابك أيديهما ويجلسانه عليه حيث لا يستطيع تمديد رجليه وأخذانه إلى المرافق الصحية ويدخل أحدهما معه ليبقى حاملا له من تحت أبيضه أثناء قضائه لحاجته والتشطف. وفي تلك الفترة يخبرهما بما كان يجري معه. ومن مفارقات تلك الحالة أنهما كانا يحملان سامي على أيديهما المشتبكة كمقدار مربع ودخلان إلى الصالة الرئيسية من الباب الذي في نهاية أحد جدرانها، وفي النهاية الأخرى لذلك الجدار تقع المرافق الصحية. وفي لحظة دخولهما إلى الصالة كان عزيز الحاج يخرج من تلك المرافق، فحصلت مواجهة غير محسوبة بين رمز الصمود والدفاع عن العقيدة ورمز الاستسلام للعدو وخيانة الأمانة. بهت عزيز الحاج -بعد أن رأى سامي- وقد ارتسمت نظرة جامدة على وجهه وأخذ يتحرك ببطء وبشكل آلي وهو يسير بمحاذات الجدار ملتصقا به مشدوه الفكر مشتتة، عيناه غائرتان تتحركان في محجريهما ببلادة وبدى كأنه انسان مخدر مسلول الإرادة في حركته، وفي الجانب الآخر كان سامي يرميه بنظرات شقراء تحمل كل الاحتقار، واستمرت هذه اللحظات الدرامية عند لقاء البطولة مع الخيانة والاستسلام، لبضعة ثوان إلى أن أوصل سامي إلى المرافق، أحدهما يتقدم جسدا مهشما محمولا والأخر يتراجع ويبتعد كالمخدر لاصقا ظهره بالجدار. وبطريق العودة بسامي إلى غرفته سأل ماجد عن غرفة عزيز الحاج وطلب منه أن يوصله إليها ليعبر عن ازدرائه واحتقاره له، إلا أن ماجد ترجمah بترك ذلك.

لقد بلغ الأمر من عجز الهيئة التحقيقية عن النيل من إرادته، ومن إعجابهم الكامن به واحترامهم له، قالوا له أنهم يعرفون كامل وضعه الحزبي كمسؤول عن الخط العسكري للقيادة وأنهم يعرفون كل المعلومات من فوقه ومن تحته تنظيميا وعن رفاقه في الهيئات الحزبية أو المرتبطة به، ولا يريدون منه شيئا سوى أن يصادق على هذه المعلومات ويتركوه، وأخبروه -وبعكس ذلك- أن من المستحيل أن يخرج إلا ميتاً إذا لم يصادق على تلك المعلومات، فلم التضحية بنفسه على لا شيء؟ وقد أفضى بذلك

إلى ماجد خلال الخلوة القصيرة أثناء قصائه لحاجته، وبعد حوار قصير أقتنع بعبيشة موته في تلك الظروف. وبالفعل ما إن قال نعم، هذه المعلومات صحيحة حتى تركوه وتعاملوا معه بكل احترام، حتى أن أحد الروار البعشيين الكبار جاء إلى زنزانة سامي مع أحد أعضاء الهيئة التحقيقية فقط ليشاهد هذه الأسطورة".

خرج من المعتقل مع رفاق آخرين قبلى، ثم التقى مرارا عام ١٩٧٠، بعد خروجي منه، فجمعني به سهرات تخللها جو فكري سياسى ثقافي، إضافة لذكريات الاعتقال، مرها وحلوها، وبعدما غادرت الوطن ظللت أتابع أخباره، فعرفت أن له كتابات وترجمات، ويقدم برنامجا عن النفط في التلفزيون العراقي، ثم عدت إلى العراق عام ١٩٩١، بعد حرب الكويت، ليعود التواصل بيننا لقاءات شخصية وزيارات عائلية. أنشأ مكتبة المربد في منطقة السيدية - كنا نلتقي فيها- لتدخل عليه موردا متواضعا، يغطي به أغباء معيشته، ثم نقلها إلى شارع المتنبي، بدعم مالي من رفيقنا ماجد علاوى، الذي يشاطره رصانة فكرية واحدة، جعلت منهما صديقين قريبين من بعضهما، أما أنا، حينذاك فكانت تجمني معه جلسات جميلة في بيته (حي الميكانيك / الدورة)، يضفي عليها الكثير من نبل خلقه وجم تواضعه، وكان لا يناديني إلا بكلمة "عزيزى".

في منتصف التسعينيات امتدت إليه يد السرطان، محاولة أن تنتزعه من بين عائلته ورفاقه ومحبيه وأصدقائه، فقام صديقنا الدكتور محمد طالب الحسني بإجراء عملية جراحية له، إلا أن صحته تدهورت كثيراً بعدها، حيث استشرى هذا المرض الخبيث في جسمه ناهشاً به وملتهم إياه بسرعة مذهلة. لذلك ترك المستشفى عائداً لبيته، طريح فراشه، فكنت أزوره وعائلي بين فينة وأخرى، وإذا هو يذوي تدريجياً أمام أعيننا بلا أية قدرة لنا على انقاذه، وفي آخر زيارة طبعت قبلة على جبينه، وأنا أودعه، فإذا بدموعة حرى تسقط من عينه على خده دون أن ينبس ببرقة شفة، فاستغربت ماسحا دمعته وقلت (أبا وميض... عهـدتـك طـوـدا شـامـخـا صـلـبا لمـ تـلـنـ ولمـ تـضـعـفـ أـمـامـ هـولـ التـعـذـيبـ فيـ قـصـرـ النـهاـيـةـ، وـتـجـربـتكـ الطـوـيلـةـ معـ العـذـابـ وـماـ عـانـيـتـهـ فيـ سـجـنـ

نقرة السلمان الصحاوي وبقية السجون التي مرت بها منذ عام ١٩٥٢م، كلها لم تفت في عضك ولم توهنك)...بقي صامتاً مطبقاً لا يقوى على الكلام، سوى أنه يتطلع إلينا بعينيه اللتين تشوّبهما نظرة حزن عميقه ترتسم واضحة على وجهه، توحى بأنه أدرك أن مرحلة فراق الأهل والأحبة قد حانت، فتركته والأفكار السوداء تلهب عقله، وثمة شريط سينمائي يدور ويمضي يطوي الزمن ويختزل مسافات العمر ليختتم نهايته. بعد أيام قلائل بلغني نبأ وفاته، فأقمنا له وبالمشاركة مع الشخصية الشيعية صبحي المشهداني تأبينا في بيته، حضره رفاقه القريبون منه: الرفيق كاظم فرهود وماجد علاوي، طارق برّكات الرومي، ضياء العكيلي، سلمان محسن، حميد الصافي، وأبو ذر عقيل عبد الحميد وأخرون أصدقاء وزملاء بمن فيهم مختلفو الرأي معه، وقد أقيمت فيه كلمات وقصائد تشيد بماضيه النضالي وبمحاسنه وصفاته التي ينفرد بها عن غيره.

وبمناسبة التطرق إلى التأبين الذي أقيم للفقيد سامي أحمد لا بد من التنوية إلى ما ساد أجواء تلك الأيام في التسعينات أيام الحصار المجرم الخانق على شعبنا وما صاحبه من تراخ للقبضة الأمنية للنظام لأسباب عديدة منها ظروف هزائمه واليأس من المستقبل وعظم المشاكل التي يواجهها، وقد صاحب ذلك على الطرف الآخر نوع من التحرك للعناصر اليسارية المقومعة في الداخل ونوع من الحنين إلى العلاقات الرفاقية القديمة وتجلّى ذلك بتحرك شبه عفوبي للتلاقي والتواصل من خلال المناسبات الاجتماعية وبالخصوص الفوائح وفقد حالات المناضلين المعوزين وعيادة المرضى منهم، وما أكثرهم. وكان من أبرز الشخصيات في هذه النشاطات الإنسان الرائع صبحي المشهداني الذي يجسد نكران الذات الشيعي الذي تربت أجيال عليه. لقد كان لولب فقد رفاقه القدماء وفقد حاجاتهم ولم شملهم اجتماعياً، كان لا يكل ولا يمل ولا يأبه للمخاطر التي قد يجرها احتفال تنبه السلطات إلى هذه الحركة شبه المنظمة. وكان البطل الآخر في هذه النشاطات الإنسان الثوري النقى أبو ذر الذي كان يتحلى بنكران ذات لا يمكن تخيله، كرس كل حياته وإمكانياته على شحتها،

ولازال، لما يعتقد مبدأيا في الحياة. لقد أضاف أبو ذر إلى تلك المهام الاجتماعية مهمة خطرة أخرى وهي تتبع الكتب اليسارية التي تطبع في الخارج وكان يحصل عليها بشق النفس ويقوم باستنساخها ونشرها وتوزيعها على مختلف المعارف من اليساريين، وكم أقترب من أن تصطاده الأجهزة الأمنية. يا لها من مهمة خطرة في تلك الظروف لقد كانا كمن يحمل رأسه على كفه ولا يدرى متى أوان قطافه من قبل همج السلطة، أنهم جنودنا المجهولون حاملي الأمانة وزارعي الأمل.

كان الفقيد سامي أحمد قد نكب في الثمانينيات بابنه "وميض" حيث أعدم بتهمة انتسابه لحزب الدعوة، وبعد الاحتلال عام ٢٠٠٣ قامت عصابات الإرهاب التكفيرية باغتيال ابنه "درید" عند باب بيته، الذي توفي هو فيه، وأمام أنظار أمه رفيقنا عفيفة ثابت أخت رفيقنا الراحل نعمان ثابت.

سلمان محسن/ كان عامل طباعة في الأجهزة الطباعية السرية والعلنية للحزب الشيوعي، منذ بداية الخمسينيات، ورفيقاً عاماً ضمن منظمة الفرات الأوسط التابعة له، ثم التحق بتنظيم القيادة المركزية بعد الانقسام عام ١٩٦٧م، فعمل عضواً ناشطاً في تشكيلات جهازه الصدامي. عرفته متفانياً في كل المهام التي توكل إليه، مخلصاً مندفعاً، تمثل فيه صفات المناضل سلوكاً و عملاً، فهو من مجموعتنا التي بقيت رهن الاعتقال بعدما أطلق سراح بقية رفاقنا، والتي كانت معرضة في أية لحظة لعملية إعدام يروم الجلادون تنفيذها، ثم تم نقله إلى سجن الفضيلية مع المجموعة المتبقية من جهازنا في قصر النهاية، والتي ضمت: محمد كريم، إبراهيم اسماعيل، صاحب عبد الأمير، قاسم مرисن، عادل فرنسيس، فياض موزان، حيث رحلوا بعد شهرين من مكوثهم في ذلك السجن إلى مديرية الأمن العامة، ومنها تم إطلاق سراحهم بموجب اتفاق ١١ آذار ١٩٧٠ بين الملا مصطفى البرزاني وحزب البعث. بعد سقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣، انضم من جديد لصفوف الحزب الشيوعي فساعد رفاقه القادمين من كردستان في الحصول على مكائن طباعة، تم نقلها إلى مقره عاماً على نصبها

وتشغيلها، والاشراف على طبع جريدة "طريق الشعب" وأدبياته الأخرى، وإدارتها لعدة سنوات، حتى رحيله عنا عام ٢٠١٥.

سيد مشتت خضر / كان ذا شخصية عفوية رائعة نقية شجاعة، مؤمنة بأفكار الحركة الشيوعية لأبعد الحدود، يسكن مدينة الثورة في بيت تغطي الحناء جدرانه الخارجية حيث يقصده مزاراً عاملاً الناس البسطاء للحصول على مباركة أبيه، وكانت لأهله شعبية كبيرة ليس في قطاعهم فحسب بل في معظم قطاعات هذه المدينة. اعتقل في محطة غسيل السيارات التي يعمل فيها، واقتيد إلى معتقل قصر النهاية، السيني الصيت، منتعلاً جزمة مطاطية عالية الأطراف كي تحافظ على قدميه وسط الماء المتدايق من مضخات آلة الغسيل. وقد صادفت فترة اعتقاله وجود طاهر يحيى - رئيس وزراء للعهد العارفي السابق - في المعتقل، فأجبروا الأخير على انتعال هذه الجزمة بعدما أوكلوا له قيادة فرقة للتنظيف، ضممت عدة وزراء من عهده، مهمتها تنظيف الزنزانات والغرف ونقل القمامات إلى مكان تجميعها، للسخرية منه والتهمّ به والضحك عليه وهو بهذه المظهر المزري إشباعاً لرغبتهم السادية. كان يسهر طول الليل قلقاً خائفاً معتقداً ألاً أمل له في الخروج من معتقلهم وأنهم سينهون حياته هنا، وبعد أن اتضح وجود اعتراف عليه بأنه يعمل مع تنظيم الشرطة، أخذوه ذات ليلة ولم يعد إلينا بعدها، فصدقـت أحاسيسه ومشاعره بأنهم سيقتلـونـهـ. كما كان يراقب ويرصد بيتر يوسف، وهو يردد "عضـةـ واحدةـ أقطعـ بهاـ لوزـةـ حـنـجـرـتـهـ وأـقـضـيـ عـلـيـهـ نـهـائـيـاـ" وبعدـهاـ دعـهـمـ يـعـدـمـونـيـ،ـ حيثـ تـرىـ منـ ذـلـكـ مـدـىـ الـخـيـبـةـ التـيـ أـصـابـتـ رـفـاقـنـاـ جـرـاءـ الـوـضـعـ الـبـائـسـ الـذـيـ وـصـلـ إـلـيـهـ بـعـضـ أـعـضـاءـ الـقـيـادـةـ،ـ وـاعـتـقادـهـ بـأـنـ هـؤـلـاءـ هـمـ مـنـ تـسـبـبـ بـالـوـصـولـ إـلـىـ هـذـهـ النـتـيـجـةـ،ـ فـوـجـيـتـ مـعـاقـبـتـهـ بـالـإـنـقـامـ مـنـهـمـ.ـ وـكـانـ يـنـعـتـ الـآـخـرـ بـ"ـصـحـيفـ"ـ أـيـ "ـسـخـيفـ"ـ عـنـدـمـاـ لـاـ يـعـجـبـهـ حـدـيـثـهـ أـوـ لـاـ يـقـتـنـعـ بـهـ،ـ وـحـينـ تـصـحـحـ لـهـ الـكـلـمـةـ هـذـهـ يـصـرـ عـلـىـ إـعـادـتـهـ بـطـرـيـقـتـهـ ذـاـتـهـاـ مـعـتـقدـاـ أـنـهـاـ سـلـيـمـةـ وـأـنـهـ صـوابـ وـالـآـخـرـينـ خـطـأـ،ـ فـكـانـ الرـفـيقـ حـامـدـ أـيـوبـ،ـ مـحاـوـلـاـ عـدـمـ إـحـرـاجـهـ أـمـامـهـمـ،ـ يـسـتـأـنسـ لـطـرـيـقـتـهـ بـنـطـقـهـاـ،ـ وـيـرـاحـ لـهـ وـيـكـرـرـهـاـ عـلـىـ مـسـامـعـهـ مـرـكـزاـ عـلـىـ السـيـنـ لـاـ الصـادـ،ـ مـشـيـراـ

إلى خطئه بتهذيب، وبينما هو يحاوره، يصر مشتت على رأيه، عندها يطلق حامد ضحكته الشهيرة المميزة، التي يختتمها بشهقته المعهودة. يروي لنا سيد مشتت كيف يجري التحقيق معه، بعدما يعودون به من غرفة التعذيب وقد تدللت خصلات من شعر رأسه على صدغيه وبان مفرقه، فيقول: لقد طلبو مني الاعتراف على الخلية التي كنت أعمل فيها وقد أجلسوني أرضا، إنها لوا علي ضربا بالعصي والأسلاك الكهربائية وهم يقولون لي "اعترف" وأنحرف قليلا وأقول لهم "ها أنا قد احترفت يابع عيوني" ("احترفت" بلهجة أهل الجنوب تعني "انحرفت عن مكانني") فيعاودون الضرب وهم يرددون "اعترف، اعترف يا كلب"، وأنحرف قليلا ثانية وأعيدها عليهم "ها أنا قد احترفت يا بعد عيوني" وكأنني فهمتها هكذا، ويستمر الضرب حتى يغمى علي، يتركوني بعدها أعود إلى الزنزانة، ويعيدون دورة التعذيب في اليوم الثاني وبشكل أقسى وأشد، ولكي يوقفوا تعذيبهم لي وحتى آخذ قسطا من الراحة، أخبرهم بأن لي موعدا في الأسبوع القادم في السوق العامة بالباب الشرقي، فيكفون عن ضربي ويعيدونني إلى الزنزانة، وعندما يأتي الموعد الذي حدته لهم يأخذونني إلى الباب الشرقي للاستدلال على الشخص "المزعوم" ولم يكن أمامي غير أن أشير لهم إلى بائع "لبلبي" وضع ديكا حيا على عربته، ويبدا رجالهم بالهجوم عليه ويعتقلونه، بعد أن تنقلب عربته ويقفز ديكة منها، وعندما نعود أنكر أنه الشخص المقصود لكنني من شدة التعذيب اخترعت هذه الشخصية، وتستمر عملية التعذيب من جديد.

شاكر بدر الساعدي / كان شاباً نحيفاً مديداً القامة، جهوري الصوت، متھمساً مندفعاً، يشرئب بعنقه ليطل علينا من خلال فتحة زنزانته المقابلة لزنزانتي ويطلق علينا رشقات من ضحكته المجلجلة وهو يدق باب الزنزانة وينادي بأعلى صوته (أيها الحرس، لقد حان وقت فتح الأبواب، وواجبكم أن تفتحوا أبواب الزنزانات لنا)، فهم عادةً يفتحون أبواب الزنزانات لساعات فترة الصباح، فكان شجاعاً غير هياب من تهديدهم ووعيدهم بضربنا ومحاولات إرهابنا وإنزال العقاب بنا، حيث يسترق النظر من خلال الفتحة العليا لزنزانته، يراقب السجانين سائرین ذهاباً وإياباً في الممر بين

الزنزانات، أو يقفون عند نهايته الموصلة بالباب الرئيسي، وما زالت صورة وجهه الضحوك عالقة في مخيلتي، عندما يظل واقفاً منتصباً في زنزانته معظم الوقت كي ينادينا ويتحدث معنا لـّما يجد أن السجان قد غادر المكان بعد انتهاء نوبة حراسته، غير مكترث للتحذيرات، وحين خرج من المعتقل ترك العراق أواخر السبعينيات إلى الجزائر ثم فرنسا فحصل فيها على شهادة الدكتوراه بالفلسفة.

صالح رضا العسكري/ كان متوسط القامة، قوي البنية، واسع الجبين، له نظرات حادة مرّضة، قليل الكلام، يتقن اللغة العربية الفصحى، مخلصاً لعقيدته وثابتاً عليها، وذلك يتضح من خلال مسيرته النضالية، حيث أبدى أعلى صفات الشجاعة والجرأة والاقدام في كل مواقفه النضالية والفكريّة، حتى في مقابلته الصحفية مع مجلة الصياد. فلطالما لمّح أمامنا عن استيائه من سياسة عزيز الحاج معتبرها ضعيفة ينقصها الحس الثوري، لا ترتقي لمستوى متطلبات المرحلة، لذا يجب إزاحتة، عاملًا على ذلك مع رفاق في القيادة المركزية من خلال جهازها الصدامي، ما أدى إلى نية مبيته عند بعضهم لأقصائه عن الاشراف على قيادة هذا الجهاز. كذلك كان شيوعياً صلب الشكيمة قوي العزيمة أثناء التحقيق معه رغم إمعان الجنادين في استخدام أبشع الأساليب لتعذيبه، وأرذل النعوت التي كانوا يطلقونها عليه والتي يتجسد فيها حقدهم وكرههم، والنظرة الشوفينية المتأصلة فيهم، بعكس سلوكه بعيد عنها، من خلال ثقافته المنتسبة للحركة الشيوعية الأممية المناهضة للتمييز العرقي والقومي والديني. كانوا كثيراً ما يجمعون بيني وبينه ليتحققوا معنا، مبتدئين بضربنا بالعصي البلاستيكية، التي لا تحدث كسوراً في العظام، بعدما يعلقوننا من أقدامنا إلى السقف، حتى تختدر أوصالنا وقد أمسينا لا نشعر بألم، وبعد تيقنهم من أن الضرب لم يعد يؤلمنا، وبات لا يجدي نفعاً، ينزلوننا أرضاً ليبدأوا ركلنا بأرجلهم على ما تبقى من أعضاء جسمينا التي لم ينلها ضربهم (في تشرين الأول ١٩٦٩م. غاب عنا، ما عدنا نراه، فتبين لاحقاً أنه أعدم رمياً بالرصاص مع رفيقه حاتم سجان).

طارق رحيم / كان يتميز ب أناقة مظهره وربطة عنقه الملزمة له، فيما لون شعره الأحمر المميز والمصنف بعنابة يعطيك انطباعا بأنه "مدلل"، فضلا عن كونه رفيقا نشيطا مخلصا مندفعا للعمل، لا يتأخر عن أية مهمة تناط به. بعدهما اعتقل واقتيد إلى قصر النهاية، شاركتني زنزانة لا تبعد كثيرا عن غرفة التحقيق، الذي يبدأ منتصف الليل مستمرا حتى ساعات الهجيج الأخيرة منه، حيث يتعالى من الغرفة صراخ المعذبين، الذي اعتدت على سماعه، غير مكترث له! وبينما أنا غاط في نوم عميق، تهزمي يده، نازلة ثقيلة على جسدي، وقد خاصم النوم عينيه، مرددا (هل أنجبتك أمك من أب انكليزي، فسرى دمه الأزرق البارد في عروقك)، فاصلها برودة أعصابي، فأبقى مستيقظا كي أجاريء في الحديث مشاطرا إياه قلقه وعسر نومه. وكان صباح ميرزا يطل عليه، بين مدة وأخرى، ليطمئنه بأنه سيُسعى لإطلاق سراحه، ويُسرد عليه أخبار خطيبته ويوصل له رسائلها، إذ كانت طالبة في كلية اللغات زميلة إما لميرزا أو لخطيبته التي تدرس في الكلية ذاتها.

كنا نعمل سوية عام ١٩٦٦ في اللجنة المحلية للمثقفين، التي تضم معنا الرفاق: صباح الدرة وحامد أيوب العاني وسكرتيرها كاظم حبيب، لينتقل بعد الانشقاق معه وحامد إلى القيادة المركزية، بدءا من منظمة منطقة بغداد فيها، فيصير لاحقا مسؤولا تنظيمها الطلابي، ويقود لجنته القيادية المكونة من الرفاق: جواد كاظم السوداني من كلية الطب (وقد اعتقل في قصر النهاية) ونوازد عبد الرحمن من كلية الهندسة وباسم جميل أنطوان وعمران جاسم النداوي من كلية الطب البيطري (وقد اعتقل في ١٤ نيسان ١٩٦٨).

عزيز الحاج / كان قصيرا القامة، ضئيل الجسم نحيفه، ترتكز على كتفيه رأس كبيرة نسبيا لا تنسجم مع ضآلة جسمه، عيناه السوداوان الواسعتان تنمان عن ذكاء حاد، واعتداد بالنفس، بيد ان شكله هذا لا يوحى أو يدل على الصراوة او القسوة، نهم وشره بالتدخين، عالي الثقافة، قادر متمكن في الحديث وفي المعاورة، أفكاره واضحة

متراطمة، يمتلك السلاسة في التعبير والقدرة الفائقة على الكتابة، كان يهتم كثيراً في موضوع الصيانة وتوفير وسائلها، حتى لو كانت على حساب الهيئات الأخرى، وقد خصصت له في قصر النهاية غرفة صغيرة تحت مقابلة للسلم شبيهة بالزنزانة، إلا أنه كان يحظى برعاية خاصة حيث يزوره فيها أعضاء الهيئة التحقيقية بين الفينة والأخرى للاطمئنان عليه ولمجاملته، وقام بعض المعجبين به من أعضاء الهيئة التحقيقية أمثال ناصر فنجان بتلبية طلباته، أو زيارة بعض القياديين البعشيين له، ليشاهدو عن كثب - هذه الأسطورة التي دوختهم بقدر ما كتب عنه وتم الحديث عن سيرته النضالية - فيحاوروه أحياناً، وكانت تجلب له السجائر والصحف اليومية والمجلات، وله حرية الكتابة، في الوقت الذي كان رفاق آخرين من حزب القيادة يقبعون في زنزانات فردية، أو في القاعة الجماعية الكبيرة المكتظة، يتلقون الإهانة والتنكيل. بعد خروجه من المعتقل تم تعيينه ممثلاً للعراق بمنظمة اليونسكو في باريس.

قاسم مريسن / كان وجهه أسمر مائل للزرقة، كأنه يحمل بشرة أفريقية، وهو من مدينة الثورة، لذلك ميال لآراء سيد مشتت، يدعمها، محضاً إياها بطريقة جنوبية، يجعله يغلي غضباً كمرجل بخاري. تم نقله إلى سجن الفضيلية معنا نحن أعضاء الجهاز الصدامي: محمد كريم، قاسم مريسن، صاحب حسن عبد الأمير، عادل فرنسيس، سلمان محسن، إبراهيم اسماعيل، وأنا، ثم نقلنا إلى مديرية الأمن العام حيث أطلق سراحنا من هناك.

كمال جمال / كان يسمى "بختيار"، حركياً، وهو شاب عشريني أشقر، كريم العين، رامٍ مصوب ماهر لا يخطئ هدفه، يبدو أنه اكتسب ذلك من وجوده في كردستان، حيث يصيب طيراً عن بعد بدقة، كما كان مساهمًا أساسياً في تنفيذ عمليات عديدة جريئة ضد بعض العناصر التي خانت الحزب، وتعاونت مع الأجهزة الأمنية للسلطة، ضد ضباط أمن معادين، ومخبرين مشخصين من طرفنا، فضلاً عن عمليتي الاستيلاء على

خزينتي معارف السليمانية ومعمل السكائر في بغداد، وقد كان الغرض منهمما تمويل وتسلیح أجهزة حزب القيادة المركزية من أجل دعم عملها النضالي.

لطيف محمد مراد/ كان شابا في أواخر العشرين من عمره، متوسط القامة، هادئ الطبع، تعلو شفتیه ابتسامة رقيقة خجولة، تنم عن طيبة وصدق وتصميم، غزا الشیب سالفیه وتسلل متناثراً مبعثراً بين طیات شعر رأسه وكأنها حبات رز أبيض.

لم يكن يجيد اللغة العربية، لكنه يعني أحياناً بصوته الجبلي القوي الحزين لأرد عليه بموال جنوبی ذي شجن يفوقه حزناً. قام ورفاقه بعدة عمليات مسلحة في مناطق مختلفة من بغداد كباب الشيخ والصدرية والسنک. كان يقسم يميناً بأنه إذا خرج من المعتقل سالماً سيكون صنيعه الأول المهم هو القضاء على بيتر يوسف وعزيز الحاج، معتقداً أنهما سبب النكسة التي تعرض لها حزب القيادة المركزية، لكن لم يقيض له ذلك حيث كان الموت أسيق إليه حين تم إعدامه في قصر النهاية.

محمد كريم/ كان عامل نقابي نشط وشيوعي مخلص متovan نذر نفسه للقضية التي آمن بها، لهذا لم تزل صورته مطبوعة في ذاكرتي، لا تفارقهَا، بخصلة شعره السوداء المتبدلة على جبينه وعينيه العسليتين اللامعتين، ونشاطه المتقد. وكان شجاعاً جسوراً حد التهور أحياناً، عندما توكل إليه مهمة لا يتراجع عنها أبداً، مهما كانت صعوبتها، ينفذها بكل هدوء واقتدار وجرأة كأنه ذا هب لنزهة، حتى أن رفيقنا حاتم سجان قال لي ذات مرة "إني أخاف على محمد لجرأته العالية"، فيما كنت أنا ألاحظ ذلك عندما تبدأ المنازلة وقد اهتزت شفته العليا دلالة عزمه وتصميمه. بعد خروجه من السجن لم يرتدع أو يضعف أو يتخاذل أمام تهديد حسن المطيري (المعاون الأول لناظم كزار) في مديرية الأمن العامة، حيث بارك السعدون، أثناء إطلاق سراحنا، قائلاً لنا "إسمعوا جيداً، في المرة القادمة لن نعيذكم للسجن بل سنصفيكم خارجه". فقد واصل نضاله وبناء علاقة ارتباط وتواصل مع حزبنا في كردستان من خلال الرفيق

مصلحة مصطفى عضو القيادة المركزية (بقيادة ابراهيم علاوي)، لكن يبدو أن الأجهزة الأمنية للنظام كانت تتبعه وتراقبه وانكشف أمره لها وتم اختطافه عندما كان يهم بالخروج من مقهى في شارع أبي نواس فصرخ لحظتها بصوت عال "أنا محمد كريم الشيوعي بلّغوا أهلي أن رجال أمن السلطة هم من خطفوني"، وبعد يومين وجدت جثته ملقاة على قارعة طريق قرب مستشفى الكرخ في الطرف الآخر من العاصمة. لقد أخبرني أخيه "عدنان" بما يأتي: (بعدما تابت وبحثت وقصصت حادثة اغتيال أخي الشهيد، تأكّدت أن مصلحة مصطفى هو من وشى به وخّبّر جهاز الأمن عنه عندما قدم محمد من كردستان إلى بغداد وهو مكلف بمهمة نضالية فيها). وبمقابلتي الرفيقين مصطفى جاورش وفاروق رسول في السليمانية عام ٢٠١٥م، وما ورد فيهما عن شكوك حزب القيادة المركزية آنذاك في وجود تعاون بين مصلحة مصطفى وسلطة البعث خلال تلك الفترة، تمت محاسبته وتجريده من سلاحه، مع الاكتفاء بطرده من الحزب، ثم عُرف لاحقاً تعينه مدير الثقافة الجماهيرية للحكم الذاتي، ما أكّد تلّكم الشكوك فيه.

الرفيق كمال شاكر؛ عضواً الجهاز الصدامي، شارك في عملية إغتيال جلال المختار، لم يُعتقل آنذاك والتحق بكوردستان - هو من مدينة السليمانية ويعيش الآن في السويد- أرسل لي الرسالة التالية يقول فيها: "أنه في أوائل سنتي ١٩٧٩ حضر الكونفرنس الأول للقيادة المركزية الذي عقد في منطقة قرداع المحررة قرب قرية كوشان وكان المشاركون فيه بحدود ٣٠ رفيق أذكر منهم: الرفيق الراحل ابراهيم علاوي (أبو ليلي)، مصلحة مصطفى، أبو جعفر، أبو أنيس، همام هاني المراني (قادر)، عاصم الخفاجي، كريم حواس، محمد أمين بنجوياني، فائق دروياني، أبو علي، وأخرين لا أتذكر أسمائهم. وبناء على معلومات طرحها أبو جعفر تشير إلى أن كل من همام

هاني (قادر) و عاصم الخفاجي لهما ارتباط ب محمد فاضل^(٩٠) وقد حضرا الكونفرنس بتوجيه منه . وبعد عدة أيام قضيناها في قرداع توجهنا الى منطقة بالكaitiy قرب ناحية كلالة الى المقر العسكري في قرية (ناوكيликان) مع هاني و عاصم وبعد الوصول الى المقر تم اعتقال همام و عاصم واستمر التحقيق معهما لعدة أيام لكن دون ان نحصل منهما على نتيجة ، ولكن نتأكد من أنهما ربما يكونا بريئين وبتكليف من مصلح مصطفى ذهبنا الى بغداد للتأكد من المعلومات اتصلت بنوري محمد الحلاق (أخ الشهيد أحمد الحلاق) لمعرفتي السابقة له للتأكد من صحة الإتهامات وأخبرني أن الشهيد أحمد الحلاق كان يسكن مع همام هاني (قادر) في بيت واحد وهو من سلم أحمد الى الأمن . واتصلت ايضا بالرفيق ابو جبار و اخبرته عن طلب الرفيق مصلح بتزويد القيادة عن صحة المعلومات التي وردت عن الرفيقيين وبعد يومين اعطاني رسالة لم افتحها او أقرأها . عدت بالرسالة الى كلالة وسلمتها للرفيق مصلح وبعد ايام حصل خلاف بين ابراهيم علاوي ومصلح مصطفى وتقرر إطلاق سراحهما وطلب الرفيق ابراهيم علاوي (أبو ليلى) ايصالهما الى المنطقة التي تقع تحت سيطرة الحكومة وقد تم ذلك . وبعد فترة قاما بمهاجمة القيادة المركزية عبر صفحات جريدة الثورة " .

من خلال ما ورد في رسالة الرفيق كمال شاكر وما ذكره الرفيق مصطفى جاورش عن مصلح مصطفى يتضح ضلوع الأخير بعلاقة مع نظام البعث .

(٨٩) محمد فاضل هو عضو القيادة القطرية لحزب البعث وأحد المشرفين على هيئة التحقيق الثانية في قصر النهاية عام ١٩٧٩، وفي شهر آب من عام ١٩٧٩ حُكم عليه بالإعدام مع ١٧ من قيادات الحزب والدولة بتهمة اشتراكهم في حركة انقلابية مزعومة بالتعاون مع نظام البعث السوري في عهد حافظ أسد.

حدثتني السيدة شكرية كريم أخت الشهيد محمد، عن حادثة إغتياله وتصفيته وقالت: كان يوم ٢٥/٥/١٩٧١ يوماً مشؤوماً بالنسبة لي عندما وصلني خبر إختطافه أتذكرة تماماً وهو لم يزل مطبوع في ذاكرتي ويأبى أن يغادرها أو يفارقها. وهو اليوم الذي خرج سوية مع رفيقيه عبد الله شهواز زنكنه وعلي حسين (الساهر) من بيتنا الواقع في مدينة الثورة، قطاع ٢٤، حي الأكراد، وكان بيتنا مرصوداً من قبل الأجهزة الأمنية ومن البعثيين الحزبيين في المنطقة، وفي اليوم التالي جاءت إلى بيتنا سيارة شرطة النجدة وأخذونا إلى الطب العدلي لتشخيصه، وقد أغمي على بعد أن شاهدت جثته ورأسه وجده اللذان مزقهما الرصاص.

تذكرت وصية حسن المطيري (ملازم زهير، اليدين اليمنى لناظم كزار) لنا عندما نقلنا من معتقل الفضيلية إلى مديرية الأمن العامة لغرض إطلاق سراحنا فقد قال حينذاك وهو يحدّرنا: إذا علمنا أو سمعنا إنكم أعدتم نشطاكم من جديد فسوف لن نعيديكم للسجن مرة أخرى، كما تعودتم سابقاً، إنما سنصفيكم خارجه، وعلمت أنهم جادون في تحذيرهم، لذلك تركت العراق بعد شهور من إطلاق سراحنا.

هناك رواية أخرى توضح الطريقة التي تم بها إلقاء القبض على الرفيق محمد كريم وتصفيته رواها لي السيد محمد القيسي قال: "كنت ألتقي بالصديق سعد الحديشي [العدم الخلط لدى القارئ أوضح أن سعد الحديشي هذا هو غير د. سعدي الحديشي، رفيق مظفر النواب في سجن نقرة السلمان ومغني أشعاره والمتخصص بالدراسة الأكاديمية والأداء لغناء الباذية الغربية]، وفي يوم من عام ١٩٧١ [التقى في مقهى الرافدين على أبو نؤاس وكان برفقه محمد كريم وأخذنا موقعنا على طاولة في أحد أركان المقهى، وبينما نحن جالسون في ذلك الوقت دخلت زمرة من رجال لجنة التحقيق في قصر النهاية، اتبه لهم محمد كريم وعرف أشخاصهم، وقفوا بمكان ليس بعيد عن طاولتنا دون أن يطيلوا الوقوف أو يجلسوا على إحدى الطاولات القريبة، وبعد أن تأكدوا من شخص محمد كريم تركوا المقهى، إلا أن محمد توجس منهم وبعد دقائق اعتذر عن الإستمرار في البقاء معنا وغادرنا ويبدوا أنهم كانوا يرصدونه وقد

نصبوا له كميناً خارج المقهى وتم إلقاء القبض عليه وقتله ورمي جثته بجانب الكرخ. يقول محمد القيسي: هناك دلائل - على ما أعتقد - تؤكد أن سعد الحديشي كان يعلم بالكمين وله يد بذلك منها : -أن سعد الحديشي كان قد اعتقل (لفترة وجيزة) في قصر النهاية خلال تلك الفترة وأطلق سراحه سريعاً - هو الشخص الوحيد الذي يعرف بوجود محمد كريم وكان يلتقي به في بيت هيفاء زنگنة.

وهناك دلالة أخرى هي وجود شخص تربطه علاقة وثيقة بسعد، لم تكن لي معرفة سابقة به، كنت كثيراً ما ألتقي به عند سعد وكان يحاول إقناعي مراراً بضرورة الالتحاق بحركة الكفاح المسلح في كردستان بطريقه بدأت أشك بصدقها، و كنت أرفض ذلك، وأتوjis منه لعلمي أن الأجهزة الأمنية والمخابراتية الصدامية كانت تجند أشخاصاً لكشف من يعارض النظام أو يمارس النشاط ضده والإيقاع بهم، وقد تم تجنيد هذا الشخص بمعرفة سعد ليشي بالأشخاص المنتسبين أو الذين لهم علاقة بحركة الكفاح المسلح وتنظيم حزب القيادة المركزية في كردستان، أو الذين يرغبون الالتحاق بهما. لذلك ومن خلال هذه الدلائل أعتقد أن سعد هو من وشى بمحمد كريم.

هناك روایتان على لسان رفيقين استمرا بالعمل في تنظيمات القيادة المركزية بعد عام ١٩٧٩ تحدثنا فيهما عن ارتباط (سعـد الحـديـشـي) بالجـهاـز الأمـنـي للنـظـام، واستـخدـامـ الآخـيرـ لهـ كـيـ يـعـملـ فـيـ خـدـمـتـهـ وـيـشـيـ بـرـفـاقـ الـقـيـادـةـ وـمـنـ ثـمـ إـلـيـقـاعـ بـهـمـ، وـقـدـ تـرـافـقـ ذـلـكـ مـعـ الـفـتـرـةـ التـيـ تـمـ بـهـ اـغـتـيـالـ الشـهـيدـ الرـفـيقـ مـحـمـدـ كـرـيمـ، وـتـؤـكـدـانـ صـدـقـ روـاـيـةـ الصـدـيقـ مـحـمـدـ الـقـيـسـيـ إـلـيـ أـوـرـدـنـاـهـ سـابـقاـ.

يذكر محمد يعقوب الهنداوي: " وقبل عودتنا، أمي وأنا، الى بغداد اخذنا شقيقـي عبدـ الحسينـ الهـنـداـويـ الىـ "كـلـالـهـ"ـ حيثـ سـيـارـاتـ اـربـيلـ،ـ وـعـنـدـمـاـ تـوـجـهـنـاـ فـيـ العـوـدـةـ الىـ بـغـدـادـ اـعـطـانـيـ أـخـيـ حـقـيـبةـ جـلـدـيـةـ سـوـدـاءـ كـانـتـ مـحـشـوـةـ بـالـمـنـشـورـاتـ الـوـرـقـيـةـ،ـ وـقـالـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـأـخـذـهـ مـعـنـاـ إـلـىـ بـغـدـادـ وـنـسـلـمـهـ لـلـرـفـيقـ (ـمـنـصـورـ)ـ (ـسـعـدـ الـحـدـيـشـيـ)ـ وـقـبـلـ أـنـ

أسئلته عن أي شيء ظهر الرفيق (منصور) وقال إنه سيسيقنا إلى بغداد وسيأخذ مني الحقيقة عند باب سينما الفردوس في ساحة النهضة بشارع الكفاح، وكان واثقاً من نفسه ومطمئنا تماماً. وتكرر الحديث نفسه بعد ستة أشهر تقريباً لكن دون رسالة مكتوبة هذه المرة. فبينما كنت أغادر مدرستي (إعدادية النضال) في شارع الجمهورية ناداني شخص من الخلف باسمي الحقيقي (محمد) بصوت مكتوم، وكان (سالم) الذي سبق وقدمه لي الرفيق منصور من قبل كعضو في خلتنا. وأخذني (سالم) لنتمشى بعيداً عن المدرسة ليخبرني أن عليّ الذهاب إلى المقر في (ناوكيلكان) مرة أخرى.

ركبنا سيارات (كلاله) وما أن بلغنا سيطرة التفتيش في (حرير) حتى أوقفتنا سيطرة أمنية للتفتيش وأنزلونا من السيارة وقالوا إنهم يعرفون إلى أين نحن ذاهبون فلا داعي للكذب والترويج، وأسقط في أيدينا. أخذونا بسيارتهم إلى دائرة (أمن أربيل) وبعد أن فتشونا أرکبونا في سيارة بيکاب، ومعنا ضابطين أمنيين مسلحین بالبنادق، وسارت السيارة إلى بغداد عن طريق الموصل، ووصلنا (مديرية أمن بغداد) في حوالي الساعة الثانية صباحاً. بقينا في الموقف العام لمديرية أمن بغداد ثلاثة أيام هي فترة العيد، بدأت بعدها التحقيقات وجلسات التعذيب "الترحبيبة". وأمر رئيس الجنادين (داود الدرة) بأن تقاد أمي إلى سجن النساء في الزعفرانية، وأحال أنا إلى قصر النهاية ليتولى ناظم كزار وطواقمه التحقيق معه هناك".^(٩١)

يذكر-أيضاً-الرفيق عبد الحسن حسين: "... كلفت بالذهاب إلى بغداد بمهمة حزبية هي إيصال الرفيق المطلوب إلى كورستان وكان الموعد في أحد مقاهي الكاظمية مساء يوم ٢١ شباط ١٩٧٢ وبدلًا من مجيء هذا الرفيق وجدت في انتظاري رجال الأمن وبعد أن تم اعتقالي أخذوني إلى سيارة متوقفة على مقربة من المقهي وعندما وضعوني فيها تفاجأت بوجود (منصور) سعد الحديثي بداخلها وكان يعرفني

(٩٠) محمد يعقوب الهنداوي -رسائل الضبع وعواقبها-مذكرات شيوعي -الحوار المتمدن ٢٥/٨/٢٠١٩.

من خلال وجودنا معاً في كورستان، وعندما فتشوا جيوبه وجدوا دفتر الخدمة المزور باسم (هاشم حميد زكروط العظيمي)، تبين بعد القاء القبض على أن هذا الدفتر مرسلاً من قبل الآمن عن طريق العميل (منصور) باسمه معتم على كافة السيطرات، وقد أعلنه (منصور) أنه أرسله إلى المقر ليكون مصيدة لحامله. أما رفيقي الذي كنت بانتظاره فقد سُلمه (منصور) إلى الآمن قبل اعتقاله". (٩٢)

يذكر الصديق د. سامي إسماعيل في رسالة منه مؤرخة في ٢١ حزيران ٢٠٢١ تحدث فيها عن سعد الحديشي:

في منتصف العام ١٩٦٧ عندما عضواً في التنظيم الطلابي للحركة الاشتراكية العربية تعرفت على السيد سعد الحديشي وكان عضواً عاملاً في ذلك التنظيم من خلال العديد من اللقاءات والاجتماعات والنشاطات التنظيمية المشتركة لهذه الحركة، وبعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ بدأ تنظيم الحركة بالانكماس، وقللت اللقاءات بين أعضاءه، ولهذا انقطعت أو إنعدمت اللقاءات معه. وخلال أحد أيام العام ١٩٧٠ وكنت حينها طالباً في المرحلة الأخيرة من كلية الصيدلة، التقيت بسعد الحديشي مصادفة في بداية شارع الرشيد وطلب مني – بعد أن بيّن لي أنه يعمل في تنظيم إحدى مجموعات الكفاح المسلح- أن أهيئ له مستلزمات علاجية يحتاجها لإمداد مجموعة ذلك الكفاح المسلح، وحينها شعرت بالريبة والاستغراب من جرأته في الإفصاح عن عمله السياسي رغم ابعادنا عن بعضنا لأكثر من عام ونصف، كذلك الطرف السياسي والأمني الصعب والشائك والخوف السائد في العراق آنذاك. اعتذرته له عن إمكانية تهيئة تلك المستلزمات المطلوبة لكوني لا زلت طالباً، وبسبب ما راودني من شكوك ومن عدم توفر الثقة في الهدف المطلوب. بعد وقت من الزمن لا يمكنني تحديده، علمت أن سعد الحديشي قد تم إعتقاله.

(٩١) ذكريات لا يمحوها الزمن أيام في معتقل قصر النهاية - عبد الحسن حسين يوسف- الحلقة الثالثة- الحوار المتمدن - ٢٠١٨/١/١٤ .

من خلال ما ذكره الصديق سامي إسماعيل يتضح أن الحديثي التحق بتنظيم حزب القيادة المركزية - كما بينا سابقاً- وإن اعتقاله وخروجه من المعتقل في ذلك الظرف دليل على أنه قد تعاون مع الأجهزة الأمنية للسلطة، ويبدو أنهم بعد اعتقاله وإرهابه وهم القادرون في الترهيب والتعذيب الجسدي والنفسي وخبرتهم في الحصول على ما يريدونه منه، تمت مساومته في إطلاق سراحه مقابل التعاون معهم وتسخيره للعمل في خدمتهم، كما بين وتأكد من الفقرات السابقة التي تناولت سيرة الحديثي والأعمال التخريبية التي قام بها.

مصطفى جاورش/ كان شاباً نحيفاً صلب العود، ذا نظرات حادة كالنسر، يوحي للك بالعزيمة والاصرار، وهو أحد رفاقنا القادمين من السليمانية، على رأس إحدى الخلايا التنظيمية الصدامية، حيث خاض عدة صدامات في باب الشيخ ومنطقة الصدرية، كما قام مع رفاقه بعملية مسلحة ضد شركة السكائر في بغداد، فاستولوا على مبلغ ٨٥٠٠ دينار منها، وقد استطاع الافلات من قبضة السلطة المهاجمة، رغم عدم إمامه بمناطق العاصمة، بشجاعته وحذره، اللذين أفلت بهما أيضاً من مداهمة رجال أمن لوكر كان يلتقي فيه مع رفاق آخرين في منطقة بغداد الجديدة. يذكر جاورش أنه قدم إلى بغداد من السليمانية بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ ملتحقاً بالقيادة المركزية عن طريق الرفيق فاروق ملا مصطفى، ثم ارتبط بالرفيق أحمد الحلاق "أحد أعضائها"، وبعده بصالح العسكري، فأصبح عضواً في قيادة جهازها الصدامي مع الرفاق: كمال شاكر، كمال جمال، لطيف مراد، جمال علي فائز، ملا رؤوف، أكرم محمد أمين الملقب بأكرم حفصة وهو ابن خالته الذي أُلقي القبض عليه في السليمانية في الثمانينات وأعدم هناك. كما يذكر أنه ورفاقه في السليمانية، قبل مجئه إلى بغداد، عندما كان مسؤولاً عن الرفيق شيخ علي الكاتب الكردي المعروف (والد بختيار)، قاموا بعملية مسلحة ضد وزارة التربية فحصلوا منها على مبلغ ١٤,٥٠٠ دينار، سلموه كاملاً للقيادة المركزية حينها.

مطشر حواس / كان عضوا في حزب القيادة المركزية، وناشطا في اتحاد الطلبة العام، ورفيقا شجاعا غير هياب من الموت، وضع روحه على كف يده مقارعا الدكتاتورية من أجل قضية شعبه وحقه في الحياة الحرة الكريمة. فقد خاض معركة هو ورفيقه حسن علي أمين، رئيس اتحاد الطلبة في معهد الادارة والسكرتارية، تصادما خلالها مع مفرزة أمنية قرب جسر الصرافية، في الباب المعظم، فتبادلا إطلاق النار مع شخص كان يتبعهما عندما هربا بأحد باصات نقل الركاب وقتلاه أثناء تبادل النيران معه. لكنهما اعتقلا وأودعا قصر النهاية الذي كان أخوه الرفيق المناضل كريم حواس معتقلا فيه أيضا آنذاك، وعند محكمته امام شاكر مدحت السعدو الرئيسي المعروف بأحكامه القاسية على الشيوعيين في المحاكم العرفية، لم يحكمه بالإعدام حسب التوجيهات وإنما حكم عليه بالسجن المؤبد لأن القتيل لم يكن من المفرزة المكلفة باعتقاله، وإنما كان عنصرا بعثيا تصادف وجوده أثناء محاولة اعتقال مطشر فقام بمطاردة مطشر ورفيقه وقتل أثناء المطاردة. وعلى إثر ذلك الحكم أحيل شاكر مدحت السعدو على التقاعد وشكلت محكمة عسكرية أخرى حكمت عليه بالإعدام... وبعدما أن قضى في زنزانات الإعدام فترة طويلة تم تنفيذ الحكم بحقه، رغم مناشدات دولية لإيقافه، حيث صعد لمنصة الاعدام هاتفا بحياة الحزب الشيوعي فكان موقفه هذا شجاعا وبطوليا.

نوري كمال العاني / كان برأس مستطيل قليلا وعينين سوداويتين واسعتين جاحظتين وسحنة بيضاء، هكذا كنت أشاهده وهو يحملونه في طريقهم إلى زنزانته، بينما أطلق للسانه العنوان يشتمهم، يحرّقهم وينعتهم بأرذل الصفات، مرددا (أيها الفاشيون القتلة، يا سفالة السياسة، ويأعداء الوطن، أيها الدمويون "الشباطيون" لا يمكنكم القضاء علينا، نحن كنسبة "الثيل" كلما حاولتم جزها بقيت جذورها ونمط سيقانها وأوراقها من جديد، أيها المنافقون الكذابون أدعية الوحيدة والحرية والاشتراكية، زورا وبهتانا". لقد ارتسمت على محياه صورة التحدي والاحتقار لسجانيه، وهو الذي لم يبق منه غير لسانه سليما، عندما حطّموا جسده، فأمسى لا يقدر على تحريك يديه أو السير

على رجليه، من شدة وهول التعذيب الذي مارسوه بحقه، فقد أستشهد داخل معتقل القصر من جراءه.

كان يعمل مع "فريق الكادر-نجم محمود-ابراهيم علّاوي" قبل أن يتحقق بتنظيمات القيادة المركزية حسب ما ذكره فاروق مصطفى في حواري معه في السليمانية عام ٢٠١٥م.

هاشم الألوسي/ عمره لا يتجاوز الثلاثين، أسمه اللون شعره أسود فاحم، ابتسامته لا تفارق محياه في أي ظرف كان فيه، ناشطاً مثابراً وجريئاً مقداماً، قاد العشرات من رفاقه الذين جمعهم بعد انقلاب شباط ١٩٦٣م، حيث الضربة الموجعة التي تلقاها الحزب الشيوعي، ليساهم في انتفاضة تموز ١٩٦٣م، التي سميت بانتفاضة معسكر الرشيد أو حركة حسن سرير، وقد كتب تقريراً تقييمياً عن قواها، وارتباطها بالحزب، وعن عوامل قيامها، ونواصصها، وتنفيذها، وأسباب فشلها، رفعه إلى اللجنة المركزية عام ١٩٦٨.

ذات مرة، أثناء اقتيادي إلى غرفة التحقيق، تقاطع معي في الطريق مطلاً على وجهه الطفولي، وقد حمله شخصان عائدين به من هذه الغرفة إلى زنزانته الانفرادية وهو لا يستطيع الحراك، ولا يملك القدرة على الكلام لإصابة برأسه. نظر إلى بعينين غائرتين يشع ويبرق منها روح التحدى والاصرار، لكن فيهما نظرة وداع للحياة، يتخللها عتاب أو رجاء كأنه يطلب منا الثبات والصمود وعدم التخاذل أمام الجلاد، وعندما غاب بعيداً عني في الممر لم أره بعد ذلك، ثم تأكدت لاحقاً أنه استشهد جراء التعذيب.

هاشم نادر/ كان في زنزانة مقابلة لزنزانتي، كنيته "أبو هندرين"، شاربه كث وتسريحة شعره تقليدية يعطيانه عمراً أكبر من عمره، وشجاعته وصلابته تحبباني إليه فتشعر بأنه قريب منك. لما انتقلنا إلى قاعة واحدة حدثنا عن عزت الدوري، عندما كان معتقلاً معه منتصف الستينيات في معتقل "خلف السدة"، فقال (بدالي شبيها

بالطلب الفارغ الأجوف، وقد اشرأب رأسه الصغير من بين كتفيه، ليبدو كصوص خرج
لتوه من بيضة فقست، لا يخزن في ذاكرته غير حكايات ألف ليلة وليلة التي كان
يرويها على الحضور، ونحن على بعد أمتار من مجلسه حيث نستمع إليه ثم يختتم قائلاً
"ولما انبلج الصباح توقفت شهرزاد عن الكلام المباح"، بينما الآخرون يتحدثون عن
فضاءات أخرى شملت السياسة والثقافة والاقتصاد ويظهرون اطلاعهم على أمهات
الكتب في الرواية والشعر والفلسفة ونظريات المعرفة وغيرها).

كان معنا معتقلين آخرين أذكر منهم صلاح متى وكاظم مهلهل، وليث الرفيعي وهادي
الطار والأخيران هما من أبناء محلتنا في الكرادة الشرقية وقد أطلق سراحهما وأنا لم
أزل في المعتقل.

ب-رفاق استشهدوا

هنا أستحضر أسماء المناضلين الذين استشهدوا داخل قصر النهاية موتا، تحت التعذيب وفي التحقيق، أو إعداما، مباشرة وبعد تعذيب، أو تصفية، فضلا عنمن اغتيلوا خارجه:

*أحمد الحلاق/ عضو المكتب السياسي للقيادة المركزية. / مات تحت التعذيب
شباط ١٩٧٩.

*أمين الخيون/ إغتييل خارج القصر ١٩٧١.

*جبار محمد علي الربيعي/ عضو حزب القيادة/ مات تحت التعذيب/ شباط ١٩٧٩.
*حاتم سجان/ عضو قيادة الجهاز الصدامي المركزي / تمت تصفيته داخل القصر
١٩٧٩.

*حسن علي أمين/ عضو حزب القيادة / تم إعدامه ١٩٧٩.
*متى هندو/ عضو المكتب السياسي للقيادة المركزية / مات تحت التعذيب/ شباط
١٩٧٩.

*مطش حواس/ عضو حزب القيادة / تم إعدامه ١٩٧٩.
*سامي محمد علي الجصاني/ عضو حزب القيادة / مات تحت التعذيب ١٩٧٩.

*نوري كمال العاني/ كادر قيادي في حزب القيادة / مات تحت التعذيب ١٩٧٩.
*شعبان كريم/ عضو حزب القيادة / مات تحت التعذيب ١٩٧٩.

*وردة داود/ عضو حزب القيادة / مات تحت التعذيب ١٩٧٩.

*كشاش مكور/ عضو حزب القيادة / مات تحت التعذيب ١٩٧٩.
*كمال قادر/ عضو الجهاز الصدامي في حزب القيادة / تم إعدامه بعد تعذيبه ١٩٧٩.

*لطيف محمد مراد/ عضو الجهاز الصدامي لحزب القيادة / تم إعدامه بعد تعذيب/
حزيران ١٩٦٩.

*محمد كريم مراد/ عضو قيادة الجهاز الصدامي لحزب القيادة / تم إغتياله خارج
القصر / ١٩٧١.

*هاشم الألوسي/ عضو منطقة بغداد لحزب القيادة / مات تحت التعذيب / ١٩٦٩.

*مام عبد الله / عضو حزب القيادة / مات تحت التعذيب / قصر النهاية / شباط
١٩٦٩.

*فائق الياس / عضو حزب القيادة / مات تحت التعذيب / قصر النهاية / شباط ١٩٦٩.

*صبري موسى عطية / عضو حزب القيادة / مات تحت التعذيب / قصر النهاية /
شباط ١٩٦٩.

*عادل كريم التميمي / عضو في مجموعة أمين الخيون/ مات تحت التعذيب / قصر
النهاية / شباط ١٩٦٩.

*نصر الدين مجید / عضو الجهاز الصدامي في حزب القيادة / مات تحت التعذيب /
شباط ١٩٦٩.

*عدنان طه الكاكه يي / عضو حزب القيادة / مات تحت التعذيب / كانون الثاني /
١٩٧١.

*كامل نامق / عضو حزب القيادة / مات تحت التعذيب / نيسان ١٩٦٩.

*عزيز فعل ضمد/ تم إعدامه بعد تعذيب / ١٩٦٨.

ت-معتقلون آخرون

لم نكن وحدنا -نحن الشيوعيين -في معتقل قصر النهاية، بل كان فيه معتقلون سياسيون آخرون... من المرحلة العارفية: طاهر يحيى، عبد الرحمن البزار، رشيد مصلح التكريتي، عبد الكرييم فرحان، عبد الكريم هاني، صبحي عبد الحميد، عبد العزيز العقيلي، أنور ثامر، ومن حزب البعث "اليسار" (أطلقت عليهم الهيئة التحقيقية تسمية "المنشقين") وكانت تحاول منعنا من الاختلاط بهم): حسن ذهب، غازي الريبيعي، هاشم الموسوي، جبار المالكي، يوسف النعمة، طه النعمة، جلال شاكر التكريتي، صلاح المختار، ومن الحركات القومية: عبد الإله النصراوي، إياد سعيد ثابت، فؤاد الركابي، ومن الحزب الديمقراطي الكردستاني: عدنان كاكائي، وشخصيات دينية كعبد العزيز البدرى، وحسن الشيرازي.

الشيخ عبد العزيز البدرى

طويل القامة، ضخم الجثة، كث اللحية، مكتنز الوجه مستديره، كمارأيته حين: ربطت عيناه وجرد من ملابسه سوى سرواله الأبيض الطويل وقميصه الداخلي ذي الكمين القصيرين، وقف منتصبا في الممر الفاصل بين صفي الزنزانات الفردية، قيدت يداه بحبيل إلى الشباك العلوي من الواجهة الخارجية لباب احدى الزنزانات الفردية، وكلما مر أحد أفراد جلاوزة التعذيب تلك الأدوات الصفيقة لممارسة التعذيب تجاه المعتقلين، يوجه له إما صفعه أو ركلة أو يبصق عليه بعد أن يسمعه بذيء الكلام، وهذه العملية تتكرر سواء في النهار أو في الليل عندما كانوا يزورون الزنزانات إما لإيداع أحد المعتقلين فيها الذي جاؤوا به من غرفة التحقيق التي لا تبعد كثيرا عن موقع الزنزانات أو لأخذ آخر إلى غرفة التحقيق كي يمارسوا معه حفلة تعذيب لانتزاع اعتراف منه، وفي هذه الأثناء وعندما يسمع أصواتهم أو وقع أقدامهم لأنه معصوب العينين يردد "عطشان يا إخوان، أرجوكم باسم الله وباسم نبيه، هل من شربة ماء أبل بها فمي المتخبـ؟" ، لأن من التجربة معهم عندما كانوا يمارسون التعذيب معنا

كنا نشعر أن فمنا أصبح كالخشب الجافة - هكذا كان يستغيث بهم، وبينما هو بهذه الحال وإذا بحسن المطيري يمر عليه قائلاً بصوت عالٍ "أبشر يا شيخنا غالٍ وطلب رخيص"، وقد أمهله هنيهة كأنه ذاهب لجلب الماء له، ثم يقترب منه - موهماً إياه أنه قادم لسقيه به - ليرفع صوته العالي "فتح فمك شيخنا كيأسقيك"، وبينما فتح الشيخ فمه على وسعه - متلهفاً أن تسقط فيه قطرة ماء - أشعل المطيري ولاعنة الغازية ليملأ بشعليتها فم الشيخ، الذي صرخ إثرها بألم مردداً "حسبى الله ونعم الوكيل"! أراقبه من كوة زنزانتي القريبة منه، فقد مر عليه يوماً كمله وهو بهذه الحال: واقف على رجليه، مقيد اليدين، ملتصق بباب الزنزانة، بعدها نقلوه إلى مكان آخر داخل القصر، وضعوه في حوض "بانيو" مليء بالماء البارد فيما الفصل شتاء، وبعدما تركوه مدة فيه أعادوه ثانية إلى غرفة مجاورة للحمام، ألقوه على بلاطها، وأداروا مروحتها السقيفة لتسلط الهواء عليه، فأصيب بالتهاب رئوي حاد، ما جعلهم يرتكبون محاولين إنقاذ حياته، فهieriوا له سريراً ألقوه عليه وعلقوا له مصلاً مغذياً، واحضروا له طبيباً، هو الوزير السابق الدكتور عبدالكريم هاني "معتقل أيضاً"، حاول علاجه دون جدو، لكن ما أن مضت ليتان فقط حتى توفي البدرى.

حدّثنا المطيري عما أعقب ذلك، وهو يقف وسط الممر الذي يفصل بين الزنزانات قاصداً ترهيبنا - حتماً - فقال (عندما نقلناه من هذا المكان بعد وفاته، سلمنا جثته بتابوت إلى ذويه في الأعظمية، ولما أزاح أخوه (ضابط شرطة برتبة عقيد كما ذكر المطيري) غطاء تابوتة، وكشف عن الجثة وجد آثار تعذيب على جسده، فصرح بأنه "لم يمت موتاً طبيعياً، إنما مات جراء التعذيب الذي مورس ضده"، وهنا ضج الناس حوله، وخوفاً من خروجهم في ظاهرة احتجاجية، (لما له من منزلة وتقديٰ كبيرين في حيّه وبين أتباعه ومربيّه) قال إتصلنا بأخيه حالاً، وأبلغناه الآتي "إسمع جيداً... نحن البعشيين من قتل أخاك، فاغلق فمك، إن فتحته ثانية سنرسلك لعائلتك كما أرسلناه لك مسجى في تابوت).

لقد كان الشيخ عبد العزيز البدرى صامداً ثابتاً لم يهتز لجميع أنواع الممارسات الشائنة من عنف وتعذيب وعسف وامتهان وإهانات مورست عليه من محققى سجن قصر النهاية طيلة فترة وجوده هناك، وبقى ثابتاً لم يتفوّه بكلمة واحدة حتى وافاه الأجل في القصر بسبب هذا التعذيب الشنيع الذي مورس ضده.

ان الشيخ البدرى هو شخصية إسلامية ويعتبر من المفكرين والداعية الإسلاميين الذين خاضوا النضال الميداني، فقد كان قائداً لحزب التحرير الإسلامي في العراق، ونعرف ما كان لهذا الحزب من دور في الحياة السياسية في تلك المرحلة. له مؤلفات عديدة منها: الإسلام ضامن للحاجات الأساسية / حكم الإسلام في الاشتراكية / الإسلام بين العلماء والحكام / الإسلام حرب على الاشتراكية والرأسمالية / كتاب الله الخالد - القرآن الكريم.

فقد قال عنه عبدالله العقيل : "هو عبد العزيز بن عبد اللطيف البدرى، ولد في بغداد سنة ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩ مـ، وأصله من مدينة سامراء، ونشأ في بيئه علمية وتلقى دروسه الدينية على يد طائفة من علماء بغداد، ومنهم الشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ محمد القزلجي، والشيخ عبد القادر الخطيب، ومحمد فؤاد الألوسي وغيرهم، ونال إجازاته العلمية وعين إماماً في مسجد السور سنة ١٩٤٩ مـ، كما عين خطيباً في جامع الخفافين سنة ١٩٥٠ مـ، ثم نقل إلى جامع الوشاش وبعد ذلك إلى جامع الحيدر خانة في شارع الرشيد، وقد تنقل بوظيفته في كثير من مساجد بغداد."^(٩٢)

وكتب عنه وليد الأعظمي: "كان البدرى واعظاً وخطيباً مفوهاً وجريئاً في قول الحق، وكان رجلاً مجاهداً ومتحمساً في الدعوة للإسلام، وقد تصدى لعبد الكريم قاسم، وقد المظاهرات التي طالبت بسقوطه، كما أصدر الفتوى بتكفير الشيوعيين وطالب بمحاربتهم.... فلم يهدأ ولم يتوقف عن الخطابة والتهرج على الحكومة، وتأليب

(٩٣) من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة -تأليف المستشار عبد الله بن عقيل بن سليمان العقيل
دار التوزيع والنشر الإسلامية -الطبعة الثالثة -مصر ٢٠٠٦ م -صفحة ٦٣٣ .

الناس ضدّها. أنتسب الشيخ إلى حزب التحرير ليصبح عضواً فعالاً فيه، إلى أن أصبح أمير ولية العراق في حزب التحرير الإسلامي، وأخذ يدعو لأفكار الحزب في تطبيق الشريعة وإقامة الخلافة الإسلامية، ويكتب بيانات ونشرات الحزب ويوزعها".^(٩٤)

السيد حسن الشيرازي

شاب في العقد الثالث من عمره، قصير القامة، ضئيل الجسم، أبيض السحنة، تغطي وجهه لحية سوداء، حاسر الرأس، يرتدي سروالاً أبيض طويلاً وقميصاً، حيث ربطت عيناه وقيدت يداه إلى شباك أحدي الزنزانات - بنفس الطريقة التي ربط بها البدرى -، لكنه صامت لا يتكلم، وجهه يملؤه الرعب والخوف، ولم نعرف عنه شيئاً بعد ان فكوا وثاقه من الشباك ونقلوه إلى مكان آخر، وقد علمت بعد خروجي من المعتقل أنه اغتيل خارج العراق.

لقد كان السيد حسن الشيرازي يعمل ضمن تيار فكري سُميَّ التيار الشيرازي نسبة إلى المرجع الراحل السيد محمد مهدي الشيرازي، وكانت كتاباته وأخوته: حسن الشيرازي (اغتيل في بيروت عام ١٩٨١ م) وصادق الشيرازي، (المرجع الحالي في قم) وأبناء اخته (محمد تقى المدرسي وهادى المدرسي) ومجموعة كبيرة من مثقفى التيار - وهم في الغالب من رجال الدين - قد رفدت الساحة الشيعية على وجه الخصوص والاسلامية عموماً بفيض من الكتابات الثقافية المتقدمة، وبرز في التيار من عمل على صياغة خطاب شيعي ثوري ومفاهيم اصلاحية، وكان لمؤلفات محمد مهدي الشيرازي وأخوته حسن وصادق الشيرازي وابن أخيه محمد تقى المدرسي دور محوري في التأسيس لحركة شيعية متطرفة في المجال العربي، وهي ليست بعيدة عن التأثيرات الواضحة لأفكار اليسار الشيعي الايراني ممثلاً في المفكّرين الثوريين امثال علي شريعتي و جلال آل احمد، و صنف التيار بوصفه تياراً فكريًا

(٩٤) أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران -وليد الأعظمي -مطبعة الأخوان -بغداد ٢٠٠١ م - صفحة ٢١٥

تقديماً داخل المجال الشيعي، وأمكن القول بأن الشيرازيين كانوا في عقد السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي رؤاداً في تأصيل خطاب ثوري بمواصفات شيعية عربية جنباً إلى جانب الخطاب الثوري الإيراني، إلا أن الخط التقليدي داخل تيار الشيرازيين عمل على تجديد انبعاث التشيع الغيبي القدري، واستعاد هذا الخط التقليدي زمام المبادرة في التيار الشيرازي، وأزاح الخط الثوري فيه وارغمه على مجاراته، وبهذا تم تحويل التشيع من فكرة ثورية إلى ممارسة طقسيّة، وبدأت النزعة الخرافية تطغى على تيار الشيرازي حتى فرضت نفسها على حركته الدعوية على المستوى الاجتماعي.

السيد حسن بن مهدي الحسيني الشيرازي (١٩٣٧ - ١٩٨٠). هو رجل دين ومفكر شيعي عراقي ولد في مدينة النجف الأشرف في العراق سنة ١٩٣٧ م، وأغتيل في أيار ١٩٨٠ م في بيروت على يد مجموعة مسلحة من جهاز المخابرات العراقي بينما كان متوجهاً للمشاركة في مجلس الفاتحة الذي أقامه هو بمناسبة رحيل المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر وشقيقه بنت الهدى على يد النظام العراقي.

ينحدر من أسرة عريقة في العلم والسياسة والفضل، المجدد الشيرازي الأول السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي، والميرزا محمد تقى الشيرازي قائد ثورة العشرين في العراق، ووالده المرجع الديني الميرزا مهدي الشيرازي اجتهد على يد مراجع كبار واهتم بالجوانب الفكرية والاقتصادية والسياسية إلى جانب تخصصه في الفكر الإسلامي.

مارس دوره الموجه في الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة وغيرها، إلى جانب تبنيه لها وذلك بالتعاضد مع أخيه الأكبر الإمام الراحل المجدد الثاني آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي، وقد أمضى 'فترة طويلة من حياته بين الاعتقال والنفي.

اتخذ من لبنان مقرا له عام ١٩٧٠ م، وقبل ذلك كان يتردد كثيرا على سوريا، أسس جماعة عام ١٩٧٧ م إلى جانب تبنيه لها كما أسس الكثير من المؤسسات التربوية والثقافية والدينية والاجتماعية في كل من العراق وسوريا ولبنان وأوروبا وأستراليا وساحل العاج وسيراليون ونيجيريا وكينيا.

وضع أول لبنة في تأسيس الحوزة العلمية الزينبية في سوريا عام ١٩٧٥ م وقد خرجت هذه الحوزة منذ تأسيسها إلى اليوم المئات من الطلاب من مختلف الجنسيات وتعتبر اليوم أكبر وأهم الحوزات في هذه البلدة الطيبة وهي ما زالت اليوم تمارس كل الصيغ للوصول إلى تحقيق الأهداف الإسلامية عامة.

وقد وضع أول لبنة فيما يتعلق بالعلاقات مع العلويين الشيعة في سوريا ولبنان واستطاع أن يزيل الأوهام التي تعلقت بمخيلات البعض عن هذه الفئة من المسلمين الشيعة، دافع وبحماس عن كافة حركات التحرير العالمية وخاصة حركات التحرير الإسلامية، وقف بثبات ضد الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية، دافع عن قضايا لبنان وخاصة الجنوب في كل المحافل والمناسبات، وأكد على وجوب تحقيق الوفاق الوطني، كما قدم مساعدات مالية ومعنوية للجنوب اللبناني لكثير من العوائل التي شردت نتيجة الحملات الصهيونية.

قام بزيارة إلى أفريقيا (ساحل العاج، كينيا، السودان، جنوب أفريقيا) لأغراض الدعوة الإسلامية ونشر مبادئ الدين

وفي سوريا قضى الشيرازي فترة يتوجول في المناطق التي يغلب عليها انتشار الطائفة العلوية لزيارة أبناء هذه الطائفة واللقاء بهم، ثم شد رحاله إلى طرابلس اللبنانية بأمر أخيه محمد الشيرازي الذي كان من مشاهير مراجع الشيعة الإثنى عشرية في وقته، والتلى «بجامعة من أفضل علمائهم ومثقفيهم وبمجموع من أبناء المدن والقرى في جوامعهم ومجامعهم»، وبعد ما يقارب الثلاث أشهر من دراسة الطائفة العلوية والاختلاط بأبنائها أصدر الشيرازي بياناً مشهوراً بخصوص الطائفة العلوية مؤرخ بتاريخ

الحادي والعشرين من ذي القعدة ١٣٩٢ هـ قال فيه أَنَّ «إِنَّ الْعُلَوَّيْبِينَ هُمْ شِيَعَةٌ يَنْتَمُونَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَلَايَةِ»، ثُمَّ قال أَنَّ «الْعُلَوَّيْبِينَ وَالشِّيَعَةُ كَلِمَتَانِ مُتَرَادِفَتَانِ مُثْلِ كَلِمَتَيِ الْإِمامَيَّةِ وَالْجَعْفَرِيَّةِ فَكُلُّ شَيْءٍ هُوَ عَلَوِيُّ الْعِقِيدَةِ وَكُلُّ عَلَوِيٍّ هُوَ شَيْعِيُّ الْمَذَهَبِ».^(٩٥)

عدنان كاكائي / رجل شجاع، لهذا كسرروا له ساقاً أثناء تعذيبه، فكان لا يستقيم في مشيته، أي "يضلع" قليلاً، كما كنت أراه عندما يخرجوننا من الزنزانات إلى الحمامات. كان يتحدث إلي، من وراء الجدار الذي يفصل بين زنزانتينا، بلغة عربية ركيكةً "لقد اعتقلوني بتهمة مفادها إني قادم من كردستان إلى بغداد لأقوم بعمليات تخريب وأغتيال قادة ومسؤولين بعيدين". ذات يوم نودي عليه فاقتيد إلى خارج المعتقل، وبعد غياب استغرق النهار كله عاد ليقول إنه كان في المحكمة وروى لي ما حصل معه فيها (بينما أنا في قفص الاتهام نادى على حاجب المحكمة، ثم على المتهمين الآخرين باسميهما "المتهم مصطفى البرزاني" و "المتهم عبد الحميد الأتروشي"، ووجهت لهما تهمة التآمر والخيانة والتحريض وإعطاء الأوامر إلى "المتهم عدنان" لتنفيذ أعمال قتل وتخريب، وعندما ذكر الحاجب الاسمين تلقت يميناً ويساراً، وقد جف فمي وتجمد الدم في عروقي وأنا أنتظر لحظة دخولهما إلى القاعة، حيث اتخذت قراراً لا رجعة عنه "إذا رأيتما بأم عيني سأنتحر"، لأن اعتقالهما يعني أن الثورة الكردية المسلحة قد انتهت". هكذا قالها ببساطة وعفوية، وقد عذرته لأنه لا يدرك أصول المرافعات في المحاكم، فالعادة جرت أن ينادي حاجب المحكمة أمام القاضي بالاسم الصريح للمتهم سواء كان حاضراً أم غائباً، وبعدما وضحت له هذا السياق تنفس الصعداء وأزاح من رأسه فكرة الانتحار، لكنه غاب عنا ولم أعد أشاهده وبيدو أنه قتلواه داخل القصر عام ١٩٦٩.

(٩٥) بيان السيد حسن مهدي الشيرازي المسلمين العلوبيين -المكتبة الإسلامية العلوية نسخة محفوظة .٩
نوفمبر ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.

ث-صورة من الإذلال

هناك ذكريات مؤلمة مفجعة تطل على برأسها من قصر النهاية الكريه عبر الممارسات الوحشية الممعنة، في إذلال الانسان وامتهان كرامته وأدميته، والتي كان يقترفها السجانون ضد المعتقلين بأمر المحققين. فقد كانوا يأتون إلينا في أوقات معينة يفتحون أبواب الزنزانات لغرض التنظيف، وتبقى مشرعة مدة محددة، خلالها يسوقون مجموعتين معدتين لهذا الغرض: إداهاما بإدارة "طاهر يحيى" رئيس الوزراء السابق-أخراهما بإدارة "عبد الرحمن البزار" رئيس الوزراء الأسبق. ضمت هاتان المجموعتان: عبدالكريم هاني" وزير سابق"، أنور ثامر" مدير أمن عام ومحافظ البصرة سابقاً، عبدالعزيز العقيلي" وزير الدفاع السابق"، رشيد مصلح التكريتي "الحاكم العسكري السابق"(صاحب فضل كبير على صدام حسين فترة هروبها، حيث حماه من الاعتقال، أواسط السبعينيات، عندما خبأه في بيته)، جميل صبري مدير الأمن السابق (الذي رفض تنفيذ أمرهم بنقل القمامات فانهالوا عليه ضربا بالعصي حتى أغمى عليه ونقل الى زنزانته، والتفت الى الاخرين ناصر فنجان "السجان" الذي كان يقود حملة الضرب، وقال لهم ، لو رفضتم العمل مثل جميل لاعفيناكما من نقل الاذبال) ، صبحي عبد الحميد" من ضباط ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م، وزير سابق، رئيس الحزب الاشتراكي العربي" ، عبدالكريم فرحان" من القوميين العرب، وزير سابق، أحد ضباط ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م" ، ونافع بطة رئيس المحكمة العسكرية العرفية التي حكمت بالإعدام على البعشي طالب كلية الطب في الصف المنتهي في الموصل ممتاز قصير في زمن حكم عبد السلام عارف، ونفذ فيه الحكم. وقد نال منهم نافع بطة الإذلال الأقصى، فكان حسن المطيري يسوقه بالعصى والكفخات حاثا إياه على تجميع علب الأصياغ الفارغة التي تستعملها للتبول ليفرغها ويعيدها إلى مكانها. وفي أحد المرات انهار نافع بطة وأخذ يستنجد بالله والأنبياء فانهال عليه حسن المطيري يشبعه ضربا بالكيل وينهال عليه رفسا بأرجله وهو جسد هامد وممدد على الأرض وأثناء الضرب كان يشتمه ويشم الذات الإلهية التي يستنجد بها نافع بطة. وفجأة توقف حسن

المطيري عن ضربه والتفت إلى أحد الزنزانات حيث نافع بطة مرمي عند بابها وقال : سمعت أحدهم، وأشار إلى عضو القيادة المركزية خضير الزبيدي (أبو ماجد)، يقول متعاطفا مع نافع بطة "الله كريم، إلك الله" فأنكر الزبيدي انه تفوه بذلك، إلا أن حسن المطيري كان في حالة أشبه بالجنون فسحب الزبيدي الى خارج زنزانته وانهال عليه ركلا وضربا بالكيبيل واستمر بضربه على جميع أعضاء جسمه إلى أن أتهكه التعب، أما خضير فقد أمسى كتلة لحمية تنزف منها الدماء، وبعد مغادرة المطيري سحبه المتواجدون معه في الرزازة إلى داخلها. كل هذا جرى بالفترة التي كانت قيادة المعتقل من البعيدين قد بدأت تعلن للمعتقلين الشيوخين أنهم قوة تقدمية وأن هؤلاء المعتقلين هم من العلماء والرجعيين الذين تأمرروا عليهم وإننا في الأول والآخر تقدميون مثلكم في خندق واحد اتجاه المؤامرات الرجعية العمillaة، ول يؤكدو ذلك جعلوا يسألون رشيد مصلح أمام المعتقلين الشيوخين: ألسنت أنت من أصدر البيان رقم ١٣ عام ١٩٦٣ بإبادة الشيوخين ل يجعل نهر دم يفرق القوى التقدمية؟ (كان مشهدا سينمائيا وسيرياليًا مذهلا مؤلما وأنت تشاهد هؤلاء بهذه الحالة المزرية: حفاة الأقدام، حاسري الرؤوس، وقد استمken الهلع والخوف منهم).

١-معتقلون

عبد الرحمن البزار/ حاول الاعتذار عن هذا العمل، لكبر سنه ولمرضه، لكنهم أجبروه حتى على نقل علب البول والأذبال ومسح الأرض بروبه الحريري المبطن الذي كان يرتديه عندما اعتقلوه، وبعد بضعة أيام أصبح هذا الروب قطعا ممزقة من كثرة المسح، بل أنهم ذات مرة أمروه بجمع أحذية المعتقلين المرمية عند عتبات أبواب زنزانتهم، كي يعيد رصفيها وتنسيقها، إمعانا في تحقيره والتنكيل به، ساخرين منه بقولهم له "نظمها وشذبها كما كنت تدعوا لاشتراكيتك الرشيدة"، لأنه هو من رفع شعار "الاشتراكية العربية الرشيدة"، عندما عين رئيسا للوزراء في ٢١ أيلول ١٩٦٥م إبان

عمد عبد السلام عارف، داعيا لتطبيق هذا الشعار كسياسة اقتصادية تحقق إنتاجاً أكبر وتوزيعاً عادلاً وترعى مصالح القطاعين العام والخاص على السواء.

بعد أيام وبشكل مفاجئ فتح السجان باب زنزانتي ودفع داخلها معتقلة، تبين لي أنه عبد الرحمن البزار، وقبل أن يغلق الباب وراءه قال بنبرة أمراً "أكتب وصيتك لعائلتك، سأريك غداً فجراً كي أقتادك إلى منصة الإعدام ليتم تنفيذ الحكم بك"، فبقي واقفاً، بيده ورقة وقلم، فيما الخوف والهلع باديان على وجهه، وهنا طلبت منه الجلوس بعدما تركت له متسعًا في المكان. كان معتدل القامة نحيف البنية حنطي السحنة، حلقوا له شعر رأسه، يضع على عينيه نظارة طبية، منعت عني تشخيص ما ترسمانه أو تعكسانه، لتفسير ما ينتابه في تلك اللحظات التي يعيشها.

بعد وقوف دام هنيئات، حاول خلالها منح نفسه شيئاً من التوازن والاستقرار النفسيين، جلس فأطرق قليلاً ثم شرع في كتابة وصيته التي ابتدأها بقوله "زوجتي العزيزة أنا راحل عن هذه الدنيا، أوصيك ب التربية الأولاد تربية عربية إسلامية"، فكان فضولاً وتطفلاً مني أن أسترق النظر للورقة "الوصية"، لذا شعرت بالخجل مشيخاً بنظري إلى الجهة الأخرى، كي يكمل الكتابة دون حرج مني. فجأة التفت إلي، رافع قلمه عن ورقه، صمت قليلاً ثم سألني "ما قولك يا أخي بما سمعته من الرجل الذي جاء بي إلى هنا وقال إنهم سيقومون بإعدامي فجر يوم غد؟"، فأجبته "يا أستاذ عبد الرحمن لا تقلق إنه مجرد ارهاب وتخويف وحرب نفسية وخبرة في التحقيق وأسلوب قد جربوه من قبل مع غيرك، ليضعفوك ويبتزوك، ويحصلوا منك في ساعة ضعفك على ما يبتغون، لأنهم لو كانوا فعلًا يرثمون قتلك لما طلبوا منك أن تكتب وصيّة لأهلك، وهي دليل وشاهد يدينهم على أنك موجود بقبضتهم، ولا حاجة لهم أن يحلقوا شعرك، ولن يتورعوا عن قتلك بالرصاص أو شنقك (لا سمح الله) وليس هناك من شاهد عليهم"، فقال "لكنني يا أخي الكريم أقرأ في عيونهم ووجوههم الاصرار والتصميم على قتلي، وقالوا لي سندمك أنت والشخص الذي ستشارطه الزنزانة والمحكوم عليه بالإعدام"، والأطمئنه قلت "هم فعلًا رددوا على مسامعي الإعدام

لأكثر من مرة وأخبروني أنهم سينفذونه بي، رغم أن قضيتي تختلف عن قضيتك وأصعب منها بكثير إلا أنهم لم يقدموا على ذلك أو ينفذوه لحد هذه اللحظة، فاطمئن يا أستاذ وإن غدا لنظره قريب"، فقال "لقد فوضت أمري إلى الله، ولننتظر النتيجة صباح الغد".

لم ينم تلك الليلة، بقي خائفا قلقا جزاً لم يغمض له جفن حتى ساعات الصباح الأولى، وحين لم يأتوه صباحا، زاد قلقه وطال انتظاره الصعب الذي تخيله دهرا سحيقا مملا وقاسيا، وهو الذي لم يعتد عليه ولم يره أو يجربه في حياته، لكنهم جاءوا إليه مساء ذلك اليوم ليقتادوه إلى مكان آخر وهو لم يزل معتقدا بأنهم آخذوه إلى الاعدام.

طاهر يحيى / رئيس الوزراء في عهد الأخرين عارف، وكان قبل ذلك أحد الضباط الأحرار الذين فجروا ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م، فعيّن بعدها مديرًا عامًا للشرطة، محسوبا على جماعة القوميين العرب. عندما جلبوه إلى قصر النهاية كان متamasكا واجلسوه على كرسي في باحة البناء وجاؤا بماليك منصور (عضو القيادة المركزية) بعد أن هددوه بالضرب ان عصي أمرهم بحلقة شعر رأس طاهر يحيى على شكل خطوط متقطعة بينها جزر من الشعر وقصدهم من ذلك إهانته وإذدرائه وتحقيره. وفي أثناء الحلقة طلبوا منه كتابة وصيته قبل إعدامه، فأجابهم بحدة ومن هو الذي حاكمني وحكم على بالإعدام حتى أكتب وصيتي، فشتموه وقالوا له أنت فاسد ومعرفو بين الناس بـ(أبو فرهود)، فأجابهم بقوة وبصوت عالٍ أنتم في الحكم الآن ويمكنكم التأكد من كذب هذه الكلمات، ثم قالوا له ألسنت من فتحت سباق الخيل للإفساد فقال لهم أن سباق الخيل لا زال مفتوحا فإذا كان إفسادا فلماذا لم تغلقوه. ولكن بعد يومين أو ثلاثة من الإذلال المتواصل فقد تماسكه ورأيته بقامته القصيرة وجسمه المكتنز الذي أصبح نحيلًا بعد مدة وجيزة، حيث وُضعت في يده عصا يسوق بها أفراد مجتمعته، يضربيهم إن قصرروا أو تهاونوا، مجبرا من الجلادين، وإلا انتزعوا "عصاهم" لينهالوا بها عليه ضربا، فضلا عن اللكمات، ويكيبلوا له الشتائم والإهانات. كانوا يعاملونه معاملة سيئة،

يستهزئون به ويسخرون منه آمريه بأنه يقود "شلة حميره"، يقصدون وزراءه، ويقومون بإهانته فينعتونه بكنية "أبو فرهود"، أي "السارق"، حيث هذه الكنية قد اطلقت عليه سابقاً: حين كان رئيساً للوزراء، أنشأ مدينة للألعاب على قناة الجيش، مقاولها المنفذ شركة تملكها عائلة عريم، التي تربطها به علاقة مصاهرة، فقيل إنه مالكها، وهي لم تزل حاضرة لليوم تملكها الدولة العراقية، علماً أنه لم تثبت عليه أية سرقة للمال العام، بعكس ما أشيع عنه آنذاك، بل مات دون أن يملك سوى بيت يسكنه وعائلته، لكونه مسؤولاً نظيف الكف، لذلك أرى أن البعثيين هم الذين وراء كنيته "أبو فرهود"، لأنه كان أول من حاربهم مشتركاً مع عبد السلام عارف في حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ التي أنهت حكمهم الأول.

عبد الكريم هاني / طبيب وبعثي سابق ووزير في عهد عبد الرحمن عارف طوييل
القامة، أبيض البشرة، تستقر أعلى ظهره حدبة صغيرة عندما يسير تراه قد انحنى قليلاً إلى الأمام بفعلها. في معتقل قصر النهاية، أهانوه وأجبروه على التنظيف كالآخرين، لكن بعد مدة وعطفاً منهم على ماضيه خصصوا له غرفة، مع حرية الخروج منها لفحص المرضى من المعتقلين ومعالجتهم، يبقى بابها مشرعاً طيلة النهار ليغلق عليه ليلاً.

بعد مضي مدة أطلق سراحه، لكننا فوجئنا عقب أيام بأنهم أعادوه للمعتقل، وراحوا يجبرونه على خلع سترته ليمسح بها الأرض، ويضربونه ضرباً مبرحاً، ترافقه الإهانات البذيئة، سباً وشتاماً، وبعد ما ينتهي من عمل التنظيف يأخذونه لينقل النفايات إلى مكان تجميعها، يحملها بسلة على رأسه، تقطر سوائلها عليه، يدفعه أحد السجانين، يضربه بالعصا. يستمرون بذلك حتى يخيم الليل، عندها يربطونه بعمود الكهرباء المنتصب وسط ساحة المعتقل المكسوفة، يضعون على رأسه سلة أو ساخ، ويدخلون في فمه فردة حداء يشد عليها بأسنانه، يحدرونه لا يسقطها، وإلا ينهالون عليه صفعاً وركلاً، فيما الأوساخ تسيل على رأسه من ثقوب السلة، والحشرات تحوم حول ضوء

العمود المسلط عليه لتلتصق بوجهه، لا يستطيع طردها لأن يديه مكبلتان. ويصف أن يكون السجان "أبو أحلام" مشرفا على هذه المسرحية المهزلة تلك الليلة، وكان هاني يستغيث طالبا شربة ماء يبل بها فمه، فقال له "إن سقاك أبو وميض قدح ماء، تكون أمك قد دعت لك بليلة القدر"، وهنا نهض رفيقنا سامي أحمد "أبو وميض"، دون أي تردد، فملأ قدحا بالماء، ثم تقرب منه حتى سقاها!

كاظم شبر / طبيب شهير، أحد مالكي مستشفى ابن سينا، في بغداد - الكرخ، قبل أن تحوله حكومة البصرة بعد عام ١٩٧٩م لمستشفى خاص برعاية صدام حسين وعائلته فضلا عن القياديين الباعثين وعوائلهم. كان قد تخطى الستين من عمره فغزا الشيب رأسه، بشرته بيضاء رقيقة تميل إلى الحمرة، متوسط القامة نحيف الجسم، ينحني قليلا إلى الأمام في مشيته لتنقوس ظهره بسبب تقدم سنه، تبدو عليه مظاهر النعمة والرفاهية. اعتقل بتهمة التجسس والانتماء للحركة الماسونية، فجيء به إلى قصر النهاية، حيث رأيته هنا مرات عديدة، بعدها غاب عنها ولم نعرف عنه شيئا. كانت الهيئة التحقيقية غالبا ما تستدعيه ليمنع جلاودها في تعذيبه: يطبقون على رأسه بكماشة ضاغطة، في نهايتها الخلفية قبضة حلوانية تربط بين فكيهما، وتتضيق كلما تم شدّها صوب اليمين، لتطبق أكثر على صدغيه... ومؤخرة رأسه، وتبدأ باقتلاء وانتزاع شعره من جذوره كلما ضيقوا خناقها على الرأس، حتى يصبح كرأس صوص قد فقس لتوه من بيضته.

أنور ثامر / محافظ للبصرة ومدير للأمن العام في عهد الأشويين عارف. كانوا تارة يمتطونه كالحمار وتارة أخرى يطرونه أرضا ويعتلونه كأنهم يمارسون الجنس معه امام أنظار المعتقلين، لغرض إهانته وإذلاله بهذه الطريقة الوحشية الإنسانية البعيدة عن أبسط قيم الأخلاق والتهدیب. لم أكن استغرب ما يفعلون به، لأن أخلاقهم الرديئة التي تربوا عليها وما تحمله من أفكار مريضة، هي من تدفعهم لارتكاب مثل هذه الافعال الشنيعة.

عبد العزيز العقيلي/ وزير الدفاع الأسبق، قصير القامة، صغير الجسم، أسمى البشرة، يرتدي بيجامة أكبر من قياسه، يبدو وهو داخلها ضئيلاً. لكنه يبدىء من ضروب الشجاعة شيئاً كثيراً، فكان صلباً مشاكساً عكس ما توحى لك ضآلة جسمه. إذ أنه لم يكن يكتفى برفض نقل النفيات، بل كان، علينا وبصرىح العبارة، يشتم من يأمرونه بنقلها ويحذرهم ويوعدهم بأنه لو قيض له وعاد إلى الحكم ليعلقونهم واحداً تلو الآخر على أعمدة الكهرباء في كل شوارع العراق.

٢- سجنون

عمر مش عرمود / كنيته "أبو أحلام"، ضخم الجثة، مفتول العضل، تجاوز الثلاثين من عمره، سجين عادي متهم بجريمة قتل، كسبه البعضون في السجن، وبعد انقلابهم في تموز ١٩٦٨ أطلقوا سراحه وضموه للهيئة التحقيقية التي يرأسها ناظم كزار، ليس للتحقيق بل للضرب والتعذيب وانتزاع الاعترافات من المعتقلين، فضلاً عن مداهمة البيوت للقبض على المطلوبين. كان ضمن المجموعة التي داهمت بيتنا فاعتقلتني، وقد شاهد والدي فتبين له من ملبيهما ولهجتهما أنهما من الجنوب، ويبدو أن ذلك انطبع في ذاكرته منعكساً على تعامله معى، فلم يقس علي بالضرب!، عندما كنت في السرداد أو القبو، بداية اعتقالي، كانت قدماي قد تقرحتا بفعل التعذيب لهذا أجد صعوبة في السير عليهم، وجرت العادة أن يسحلوني إلى غرفة التحقيق عبر السلّم المؤدي للطابق الأعلى، فجاءني يوماً في وضح النهار، على غير عادتهم، وحملني على ظهره إلى غرفة الطبابة، التي يديرها نائب ضابط "مضمد صحي"، طالباً من طبيبها أن يعالجني، بأمر من رئيس الهيئة، وأخبره أنهم يريدون الحفاظ على بقائي حياً من أجل إكمال تحقيقهم معى، وفعلاً قام الطبيب بمعالجتي مزيلاً التقرحات من قدمي. كما كان يذهب إلى أهلي خفية دون علم هيئة التحقيق ليخبرهم عن أحوالى، فطلبوا منه ذات مرة أن يحضر لهم شيئاً من أغراضي يثبت أنني لم أزل على قيد الحياة، لأنهم كانوا يشكّون في ذلك، عندها أخذ إليهم ساعتي! وعندما أطلق سراحني أخذني من مديرية الأمن العامة إلى البيت، فشاهدت كيف أغمي على أمي لما رأتني أدخل عليهم فجأة. لم أره بعدها، ثم علمت أن الأهل كانوا يكرمونه ويساعدونه مالياً ويلبون طلباته أثناء فترة وجودي في المعتقل.

سعدي العظيم / لم يتجاوز العشرين من عمره، قصير القامة، أسمراً اللون، على وجنته اليسرى خال بغدادية، بذيء قاس في معاملته للمعتقلين لا يحترم أحداً منهم. كان هو من يضرب عبد الكري姆 هاني بالعصا ويجربه على نقل القمامات، بداية اعتقاله،

ويمعن بإهانته عندما كان ضمن مجموعة التنظيف التي يديرها طاهر يحيى. ولما أرسل هاني إلى سجن رقم واحد في معسكر الرشيد لإطلاق سراحه، فتشوا أغراضه هناك، فضبطوا معه أوراقا كتب عليها وصف للمعتقل وما كان يدور فيه من تحقيق وتعذيب، وأسماء المحققين والسجانين الحركية، التي كانوا يتسمون بها، خوفا من اكتشاف أسمائهم الحقيقية. وحين أوصلوا الخبر إلى أحمد حسن البكر سألهم "من هو سعدي العظيم الذي ذكر هاني اسمه وأطالت الحديث عنه في اوراقه؟" فأجابوه "إنه شاب يافع، يتتجبه المعتقلون لطول لسانه ولقوته في معاملتهم"، حينها بعث رسالة تقدير لهيئة التحقيق وهدية لسعدي العظيم.

Jasim Hamidi / من عتاة المجرمين القتلة، كان سجيننا عادي، كسبه البعثيون في السجن، مع عرمش عرمود، وبعد انقلابهم في تموز ١٩٦٨م أطلقوا سراحه، أيضا، وضموه إلى الهيئة التحقيقية للاستعانة به في ضرب المعتقلين وتعذيبهم بل قتلهم كذلك، إذا اقتضت الضرورة، حتى أنه لم يتورع عن قتل زميله السجان "صباح بدن"، الذي كان معه كسجين عادي، وقيل لاحقا أنه قام بقتل البعثي السابق "فؤاد الركابي".

أ-قتله "صباح بدن"

ذات ليلة كانا يسهران داخل شقة لهما في منطقة الكرخ، يستخدمانها لشرب الخمر ولعب القمار، وحين صارا في حالة سكر اختلفا وتشاجرا، فقام جاسم بقتل صباح، ثم حمله إلى منطقة "الشالجية" القريبة، بدرجة هوائية، ملقيا جثته على السكة الحديدية، ولاحقا ذهب لمجلس عزاء أهله باكيًا مولولا، لاطما وجهه، ليظهر حزنه على فقدان صديقه، وقدم لهم كيس رز وصفحة سمن.

آنذاك أراد ناظم كزار، رئيسهما، معرفة حقيقة الحادثة "هل دافعها سياسي أم شخصي؟"، فسأل رجاله "من كان مع صباح ليلتها؟"، وحين أجابوه "جاسم" طلب حالا، ولما قابله نظر إلى وجهه متطلعا في عينيه، وسأل إله إن كان برفقة صباح تلك الليلة،

فأجابه نافيا بارتباك، ليرتفع صوت كزار بنبرة حادة منفعلة مناديا "اربطوه من قدميه إلى العتلة وارفعوه"، وبمجرد أن فعلوا ذلك، فتارجح في الهواء، صرخ "بروح الشهيد صباح أزلوني أنا الذي قتلتة". أرخو الحبل المعلق به والمتدلي من السقف، فسقط على الأرض، وبعدما استقر جال بعينيه البائسين ماسحا بنظراتهما أحذية زملائه لاستدرار عطفهم، فبدأ ضعيفا متهاويا متخاذلا مستخذيا، بينما كان بالأمس عاتيا يرهب المعتقلين بقوته، وهنا أومأ كزار لرجاله كي يخرجوه، فسلله الاثنان من منكبيه، ليرمياه في غرفة تحت أحد سلالم القصر، وفيما بعد حوكم ثم اقتيد إلى السجن العام. ولا تستبعد أن يكون قد تم التخلص من صباح بدن-قاتل ناصر الحاني -على يد جاسم حميدي بأمر من نظام كزار.

٣- قتله "فؤاد الركابي"

لقد سرت لاحقا شائعة مفادها أن جاسم حميدي هو من قتل فؤاد الركابي، بعدما نقل هذا الأخير من قصر النهاية إلى سجن بعقوبة، لتم هذه الجريمة بعد ترتيب أمر ترحيل الأول، الذي كان محكوما لقتله صباح بدن، من سجن أبو غريب إلى سجن بعقوبة أيضا، فقام بطعنه عدة طعنات قاتلة بسكين أدخلت له بواسطة إدارة السجن. ويبدو أنها جريمة من تدبير نظام كزار وبأمر من صدام حسين للتخلص من الركابي، الذي كان وجها قوميا بارزا معارض لنظام الحكم آنذاك، فضلا عن كونه أحد القادة البعثيين السابقين، فكان من الممكن أن يكون بدليلا محتملا لصدام الذي بدأ بتصفية خصومه المنشقين عن حزب البعث. فالركابي يعني محضرم انتهى لهذا الحزب عام ١٩٥٠، وأصبح أمينه العام منذ ١٩٥١م لثماني سنوات، لكنه انشق عنه قبل انقلاب شباط ١٩٦٣م، ثم أسس مع قوى قومية حركة الوحدويين الاشتراكيين التي أسهمت في تأسيس الاتحاد الاشتراكي العربي في ١٤ تموز ١٩٦٤م، فأصبح أمين سره

العام، وشكل مع مجموعة من الناصريين الحركة الاشتراكية العربية لتنشر أواسط عام ١٩٦٧ إلى تيارين بنفس الاسم أحدهما يقوده هو ذاته.

٤-نقاہة في السجن

بعد مضي ما يقارب عامين على وجودنا في قصر النهاية، نقلنا إلى سجن الفضيلية الذي يقع في الطرف الشرقي من بغداد، خلف حي العبيدي، لنقضي فيه شهرين من النقاہة، سمحوا خلالهما لأهالينا بمواجهتنا، كي نخرج منه مستعدين عافيتنا. لذا كانت لنا في هذا السجن حرية اختيار طعامنا، الذي خصصوا من أجله مبلغًا مقطوعاً لكل سجين، فكنا نجمع مبالغنا ونشتري بها مواد طبخ، ليقوم رفيقنا صاحب عبد الأمير ذو الخبرة في الطبخ بتهيئه الطعام، وهو يعكس طعام القصر الرديء حيث كان في وجبتي الغداء والعشاء من مؤونة الجيش: خبز أسمر متجر ومرق لا لحم فيه، أحياناً يكون ذا خيار مطبوخ، أما وجبة الفطور فشدة أيام نحرم منها، ناهيك عن أنهم كانوا يتذكوننا دون وجبات لأكثر من يوم. كما تمعنا بحرية المشي والتحدث ولعب الكرة، كي نعطي انطباعاً لمن يزورنا بأننا نعامل معاملة سجناء سياسيين لهم حقوقهم التي تكفلها لائحة حقوق الإنسان!

هكذا قضينا هنا أكثر من شهرين، بمثابة فترة نقاہة تسقب خروجنا لنبدوا أمام الناس بأحسن حال صحياً ونفسياً، ثم تم نقلنا إلى مديرية الأمن العامة في بارك السعدون، لإطلاق سراحنا، بناء على توصية تضمنها اتفاق ١١ آذار ١٩٧٠ بين حزب البعث والحزب الديمقراطي الكردستاني، لكن قبيل ذلك، ونحن لم ننزل في المديرية، جاءنا حسن المطيري، مساعد ناظم كرار، فحضرنا من العودة لممارسة العمل السياسي، قائلاً بالحرف الواحد "سوف لا نعيكم إلى السجن ثانية أو نسامحكم أو نتساهم معكم، إنما سيتم قتلام على أيدينا"، وهذا ما حصل بالفعل مع رفيقينا محمد كريم وأمين الخيون لاحقاً.

عندما نقلونا إلى مديرية الأمن العامة، التقينا هناك بال مجرم جبار كردي، الذي قتل اثنين من الشيوعيين المتظاهرين سلميا في ساحة السبع بتجویه من حزب البعث، فقال لنا (أتمنى عليكم أن لا تقوموا بتصفيتي، فأنا لم أعمل ضدكم أنتم "القيادة المركزية" إنما ضد "اللجنة المركزية")، فضحكتنا أنا والرفيق محمد كريم، الذي كان يعرفه، لأننا نعرف أن البعثيين آنذاك كانوا يعزفون على وتر خلافاتنا عقب الانشقاق الذي حصل للحزب الشيوعي، ليستغلوه في تثبيت سلطتهم، ولippiضيفوه إلى الآثار السلبية التي نجمت جراءه، وإلى الأضرار التي خلفها، حيث أن "ق.م" و"ل.م" كلتيهما قد انزلقت إلى هوة صراع مكشوف متتبادل لم تكونا واعيتين بنتائجها وما آل إلى حال الحزب بعدها.

٥- صدام في الكويت

نهاية عام ١٩٧٠ م غادرت العراق إلى الكويت مقينا فيها حتى خروجي منها مكرها، بعدما غزاها صدام حسين في ٢ آب ١٩٩٠ م. كنت متواجدا في بيتي القريب من قصر دسمان في الشرق، يومذاك المسؤول للكويتيين وللعاملين المقيمين في بلدتهم. وصفته ببیدر حنطة تقف عليه مطمئنة مئاتآلاف العصافيرقادمة إليه من مائة بلد، بل أكثر، لتملأ حواصلها وتطعم زغاليلها، بکدتها وتعبهها في أجواءه التي يسودها السلام... لكن على حين غرة هاجم البيدر عدو وحش فجر فيه قنبلة مروعة بعثرته محولة عصافيره إلى أشلاء ممزقة.

فوجئت فجر ذلك اليوم بما أثار استغرابي بسماع إطلاقات نارية، لم يصادفني ذلك سابقا طيلة عشرين سنة قضيتها هنا، ثم انتابني تعجب عند تحرك قطعات عسكرية متوجهة إلى البوابة الرئيسية لقصر دسمان، حيث أراقبها من شباك البيت، فخلت للوهلة الأولى أن انقلابا عسكريا قد حصل في الدولة، لذا ارتأيت أن أذهب للجمعية التعاونية كي أتزود ببعض المأكولات المعمرة. قبيل انطلاقي واجهني كويتي طالبا مني إيصاله إلى (الدسمة وهو حي قريب من المنطقة التي أسكنها)، وعندما استقل

سيارتي أوضح عن أنه كان متوجهها بسيارته إلى بيته في الدسمة حين أوقفته مفرزة عراقية على شارع الكورنيش فانتزعت السيارة منه ليسير راجلاً حتى التقى بي، خاتماً بأن الجيش العراقي قد احتل الكويت! عدت إلى بيتي، بعد أن أوصلته لمبتغاه، أراقب الشارع، من الشباك، فإذا برتل عسكري يخترقه، أصغيت السمع لحديث دار بين قائده وجنوده، ليتبين لي أن لهجتهم عراقية، عندها تيقنت مما قاله. مساءً، عندما خلت منطقتي من سكانها، يممت وجهي صوب بيت شريك الكوبي عبد الله حمد السهيل في جليب الشيوخ، حيث بقىت معه أيام، قمت خلالها بأعمال، رأيتها واجبة على لنصرة الكويتيين، رافقتها خطورة جسيمة، ذات نتائج وخيمة، قد تؤدي إلى إعدامي من نظام صدام، آنذاك، وكان السهيل وأشقاءه وأعمامه يعلمون بها علم اليقين.

كانت تربطني علاقات صداقة طيبة مع نخبة كويتين، أمثال الروائي اسماعيل فهد اسماعيل، وأخيه صلاح وابن عمه عبد العزيز، و: محمد الرحماني / أحمد الرحماني / عبد الصمد العوضي / حامد السالم / نادر جوهريات / حسين بورحمة / فاضل الدعيج الصباح. كذلك مع العاملين على إدارة مجلة الطليعة الكويتية، التي تقع ضمن شارع الصداح في الشويخ بالقرب من شركتي، كان منهم: سامي المنيس / عبد الله النباري / صباح السعدون / عبد الخالق كريم / ومن العراقيين: عزيز الجصاني / مهدي الرضي (أبو صلاح) شقيق الشهيد سلام عادل / موفق فتوحي / أكرم الربيعي / أكرم العكيلي / عدنان حسين (الآن نقيب "النقابة الوطنية للصحفيين العراقيين" ونائب رئيس تحرير جريدة "المدى"). لكن الغزو أفسد ديمومة اللقاء المباشر بهم جميعاً، حيث غادر معظمهم الكويت فيما انزوى بعضهم في بيوتهم بعيداً عن الناس.

ويبدو أن شبح نظام صدام ظل يلاحقني، حتى وصل إلى في الكويت، حيث تم اعتقالي يوم ٢٤ من تشرين الأول ١٩٩٠ من طرف جهاز الأمن الاقتصادي، التابع لمديرية الأمن العامة، بتهمة زائفه باطلة هي ترويج وبيع مواد بيطرية عامة ممنوع تداولها في سوق القطاع الخاص، علماً أنني لم أتعامل بهذه المواد أصلاً، بل كنت

أعمل في تجارة الاخشاب، وبعدما قام هذا الجهاز باقتيادي معصوب العينين من الشركة إلى مبنى العدل، بسيارة مغلقة النوافذ، قضيت يوما من التحقيق معه لمعرفة إن كنت متعاونا مع الكويتيين، ثم نقلت في اليوم الثاني إلى سجن العاصمة في الصفا، فمكثت فيه خمسة عشر يوما قبل أن يطلق سراحه بكفالة شخص ضامن.

لقد شاهدت بأم عيني ما كان يمارسه هذا النظام بحق الكويتيين منذ اليوم الأول لاحتلاله بلدتهم، حيث قام بشتى أنواع التنكيل ضد أنسنة المسلمين، بعدما استباح ممتلكاتهم وأموالهم، فقتل منهم أكثر من ثلاثة وواحدة وأختطف أكثر من ستة آخرين نقلوا إلى العراق وغيروا فيه ولم يعثر لهم على أثر حتى يومنا هذا رغم مطالبات هيئة الأمم المتحدة ومناشدات المجتمع الدولي وصيحات منظمات حقوق الإنسان بالكشف عن مصيرهم.

روى لي الصديق الدكتور العراقي زهير الزيني، الذي عمل طبيبا جراحيا في مستشفى مبارك الكبير تلك الفترة، قال: إن أفرادا من الأجهزة الأمنية العراقية كانوا يأتون إلى المستشفى بأشخاص قد تم إعدامهم ويطلبون مني أن أحضر لهم شهادة وفاة صادرة من المستشفى بتوضيعي أذكر فيها أن وفاتهم كانت طبيعية، إلا أنني رفضت ذلك، ونتيجة تهديدهم أرغمت على إصدار الشهادة إلا أنني ذكرت فيها عبارة (متوفي) دون أن أذكر سبب الوفاة. وفي يوم أفاق سكان حي "بنيد القار" صباحا ليجدوا ما يقارب الثلاثين مغدورا قد أقيت جثامينهم على قارعة الطريق، كانت الأجهزة الأمنية العراقية قد أحضرتهم ليلا وألقتهم هناك، وكانوا يقومون بإعدام الكويتيين الذين يجدون في بيوتهم سلاحا، وفي إحدى المرات اكتشفوا جنديا مقتولا قرب أحد البيوت، فقاموا بإحضار الشباب من أهل البيت وقاموا بقتلهم بطريقة بشعة وغريبة حيث تم سقيهم بمادة البنزين عنوة حتى امتلأ بطونهم ومن ثم قاموا بإطلاق الرصاص على بطونهم لتفجر جثثهم وتتطاير أشلاء أمام أنظار أهلهما وذويهم. أما نقاط التفتيش التي كانت تنتشر على طرقات المدينة فكانت تقوم باحتجاج الكويترين وتربطهم بد"غترهم" إلى أعمدة الكهرباء في الشوارع العامة، تحت الشمس المحرقة،

ليبقوا ساعات طويلة على هذه الحال قبل أن يخلّى سبيلهم، وكثيراً ما كانوا يدخلون البيوت ويجبرون أهلها على الوقوف بالصف ويبدأون بإهانة الرجال منهم أمام أفراد عوائلهم بصفتهم أو ركّلهم.

ذات يوم أخبرني المحامي وكيل شركتي، وهو سوري، أن إمام مسجد، سورياً أيضاً، قد اعتقلته الأجهزة الأمنية العراقية، بعد خطبة له، مضيفاً أن زوجة هذا الإمام طلبت منه أن يستفسر عن مصيره بمساعدة من عراقيين، وبما أنني عراقي قصدت موظفاً أعرفه يعمل في السفارة العراقية راجياً إياه أن يعلمني بمصير الرجل، فأجابني فوراً بكل وقاحة ضاحكاً ملء شدقية "لقد قتلناه ووضعنا برجليه أثقالاً ورميـناه في البحر، وأصبح طعماً للأسمـاك لكن عليك أن لا تخبرـهم بذلك وقل لهم إنـنا سنتأكـد من وجودـه في بغداد لأن كل المعتـقلـين نـبعـثـهم إلى هـنـاكـ" ، وبتفـاخـر وزـهـوـ أضافـ (لقد دـاهـمنـاـ بـيـتـ رـجـلـ الأـعـمـالـ الكـبـيرـ وـشـرـيكـ أـمـيرـ الـكـوـيـتـ مـرـادـ الـبـهـبـهـانـيـ، وـأـجـبـرـنـاـ منـ فيـ الدـارـ جـمـيعـهـمـ عـلـىـ الحـضـورـ وـالـوقـوفـ أـمـامـهـاـ، وـطـلـبـنـاـ مـنـهـ أـنـ يـعـرـفـ عـنـ نـفـسـهـ وـبـعـدـ أـنـ فـعـلـ ذـكـرـ قـمـنـاـ بـإـهـانـتـهـ وـصـفـعـهـ أـمـامـ عـائـلـتـهـ، ثـمـ اـقـتـدـنـاـ خـارـجـ الـبـيـتـ، أـدـخـلـنـاـ إـلـىـ صـنـدـوقـ السـيـارـةـ الـخـلـفـيـ، أـغـلـقـنـاـ عـلـيـهـ، وـأـخـذـنـاـ إـلـىـ مـرـكـزـ التـحـقـيقـ لـيـعـتـرـفـ لـنـاـ عـنـ عـلـاقـتـهـ الـمـالـيـةـ بـأـمـيرـ الـكـوـيـتـ وـأـرـقـامـ حـسـابـاتـهـ، وـالـبـنـوـكـ الـتـيـ يـتـعـاملـ مـعـهـاـ وـيـضـعـ أـمـوالـهـ فـيـهـاـ).

أما الذي قامت به الأجهزة الأمنية الصدامية من نهب للبيوت وسرقة للمحال، ثم حرقها، فحدث ولا حرج، حيث كان علي حسن المجيد ابن عم صدام، وأحد أخطر قادة نظامه، يرسل وضح النهار عساكر يغلقون شوارع تجارية في حولي والصالمية، ليكسرموا أبواب محلاتها وينقلوا محتوياتها إلى العراق بشاحنات مدنية. كذلك ثمة مجاميع عسكرية تجوب المناطق الصناعية في الشويخ للاستيلاء عنوة على موجوداتها، وكان أفرادها يقتسمون شركاتنا الخاصة في محاولة منهم للاستحواذ عليها، لكنهم يرتدعون عندما يجدوننا فيها ويعرفون أن أصحابها عراقيون. وقد صدرت أوامر رسمية على جميع الوزارات والمؤسسات والإدارات الحكومية العراقية بأن تصدر من مثيلاتها الكويتية كل ما تحتاجه من أجهزة ومعدات.

٦-محنة مع الاختطاف

اليوم... ما الذي يجري لنا، نحن العراقيين، منذ بُعيد ٩ نيسان ٢٠٠٣م؟! صرنا ضحية للمرضى اللاهثين وراء المكاسب عبر نواياهم المحجّبة بستارة الدين! كانت لي حكاية معهم، نعم "كُلُّهم"!، تعكس وضعًا شائعاً في مجتمعنا، حتى الآن، رغم كونها تجربة خاصة، بي أنا "فقط"!، سأقص منها عليكم فصلاً بسيطاً، هنا، دون أية رتوش "اسلوبية"، لكي يدخل قلوبكم قبل عقولكم، كما يأتي:

المكان/ مكتبي في عرصات الهندية في بغداد، بيت تتقادمه حدائق كبيرة يمتد فيه مرأب بطول خمسة عشر متراً يوصل بابه الخارجي الحديدي بالباب الداخلي للمكتب، يسع لوقوف عدد من السيارات فيه، كان ولدائي على وعمر قد غادراً المكتب إلى جامعتهم بسياراتهم التي كانت تشغله حيزاً في المرأب، أصبح المرأب حالياً وفي العادة تكون بوابته الرئيسية مشترّعة أثناء فترة عملنا، يتكون المكتب من غرفة استعلامات واستقبال ترتبط بالمدخل الرئيسي للمكتب وتتصل بمكتبي الخاص عبر باب جرار، ورواق يؤدي إلى غرفتين آخرتين للموظفين.

الزمان/ الساعة قاربت الواحدة من بعد ظهر اليوم الثالث من شباط عام ٢٠٠٥م.

الحدث/ كان يجلس معي في الغرفة حينها شريكه في العمل جمال ججو وضيف آخر هو الصديق حسن الساعدي، أما غرفة الاستقبال فكان يشغلها موظف الاستعلامات المختص، وقد تزامن مع مداهمة العصابة للمكتب، وجود ولدي أحمد ابن الخامسة عشرة، جالساً في غرفة الاستعلامات، قادماً لتوه من مدرسته (الكميت) التي لا تبعد عن المكتب أكثر من خمسين متراً لتعود بي الذكرى إلى ليلة مولده في الكويت بمستشفى السلام يوم ٢٥/١١/١٩٩٠م، فترة احتلال القوات العراقية للكويت، الذي تزامن مع يوم اعتقاله على يد ما يسمى "جهاز الأمن الاقتصادي" التابع لسلطات الأمن العراقية، بتهمة كيدية باطلة.

دخل على مكتبي وبشكل خاطف ومفاجئ ثمانية مسلحين، يجرون معهم موظف الاستعلامات، أجبروه على الجلوس أرضاً، كذلك الحال مع شريكى جمال ججو وضيفي وصديقى حسن الساعدي اللذين كانا متواجددين في غرفتي، أجبروا الثلاثة على الجلوس أرضاً، يبدو أن ولدى أحمد قد بقى في غرفة الاستعلامات، أما الموظفون الآخرون فكان كل واحد منهم في غرفته المخصصة له، تقدم إليّ شخصان من المسلحين الذين اقتحموا المكتب - عددهم أكثر من ثمانية اشخاص - كانت لهجة المتكلم منهما تدل على أنه من المناطق الغربية من العراق، كان يردد "هل يوجد أجنبي بينكم؟ هل يتكلم أحدكم الأجنبي؟" أجبته بالنفي، وقلت له إن هذه شركة عراقية وجميع من فيها عراقيون، ولا يوجد بيننا أي أجنبي.

وبينما أنا جالس خلف مكتبي، تقدم أحدهم رافعا صوته "من منكم صاحب الشركة؟" "أجبته" أنا صاحب الشركة"، لم أشر إلى شريكى لخوفي عليه، إن اعتقلوه يقتلوه حتماً، سيمـا وأنـه مسيـحي الـديـانـة وشـقيقـه رـجـلـ ثـريـ وصـاحـبـ مـعـمـلـ عـرـقـ العـصـرـيةـ، أـكـبـرـ مـعـمـلـ لـلـمـشـرـوـبـاتـ الـكـحـولـيـةـ فـيـ بـغـدـادـ، يـنـحدـرـ جـمـالـ مـنـ أـصـوـلـ فـلـاحـيـةـ مـنـ قـرـيـةـ "الـقـوـشـ" فـيـ شـمـالـ الـعـرـاقـ، هـذـهـ الـقـرـيـةـ الـمـعـرـوـفـ بـصـلـابـةـ وـشـجـاعـةـ وـعـنـادـ أـهـلـهـاـ، كـلـ ذـلـكـ مـرـسـيـعـاـ فـيـ ذـهـنـيـ كـالـلـوـمـضـ مـاـ جـعـلـنـيـ أـحـجـمـ عـنـ التـعـرـيـفـ بـهـ شـرـيكـاـ لـيـ، تـقـدـمـ أحـدـهـمـ وـضـرـبـنـيـ عـلـىـ مـؤـخـرـةـ عـنـقـيـ بـبـنـدـقـيـتـهـ، أـسـقطـنـيـ أـرـضاـ، تـقـدـمـ آخـرـ مـسـرـعاـ، شـدـ وـثـاقـ يـدـيـ إـلـىـ الـخـلـفـ بـوـاسـطـةـ حـبـلـ كـانـ مـعـهـ، رـفـعـنـيـ عـنـ الـأـرـضـ، ثـمـ اـقـتـدـانـيـ مـنـ غـرـفـتـيـ عـبـرـ غـرـفـةـ الـإـسـتـقـبـالـ إـلـىـ الـبـابـ الـمـؤـدـيـ إـلـىـ خـارـجـ الـمـكـتبـ، تـحـيطـ بـهـ الثـلـثـةـ الـبـاـقـيـةـ مـنـ الـمـسـلـحـيـنـ، وـبـيـنـمـاـ أـنـاـ فـيـ طـرـيقـيـ أـحـاـوـلـ اـجـتـيـازـ غـرـفـةـ الـإـسـتـقـبـالـ، سـقـطـ نـظـريـ عـلـىـ ولـدـيـ أـحـمـدـ، كـانـ مـيـمـماـ وـجـهـهـ صـوـبـ الـحـائـطـ، وـيـدـاهـ مـرـفـوعـتـانـ إـلـىـ الـأـعـلـىـ، وـقـدـ وـضـعـهـمـاـ عـلـىـ جـدـارـ الـغـرـفـةـ، شـعـرـ بـحـرـكـتـنـاـ، فـالـتـفـتـ نـحـونـاـ، نـظـرـاتـهـ كـانـتـ تـتـفـحـصـنـيـ وـتـتـابـعـنـيـ، وـأـنـاـ أـرـىـ دـمـوعـهـ تـنـهـمـ بـغـزـارـةـ عـلـىـ خـدـيـهـ، صـرـخـ بـهـ أـحـدـهـمـ "أـدـرـ وـجـهـكـ حـيـثـمـاـ كـنـتـ، وـإـلـاـ سـأـفـرـغـ مـسـدـسـيـ هـذـاـ بـرـأـسـكـ"، أـدـارـ وـجـهـهـ مـرـغـمـاـ نـاحـيـةـ الـجـدـارـ، كـاتـمـاـ فـيـ نـفـسـهـ أـلـمـاـ وـحـزـنـاـ كـبـيرـينـ، وـحـسـرـةـ قـدـ حـبـسـهـاـ فـيـ صـدـرـهـ تـنـبـعـتـ مـنـهـاـ نـظـرـةـ وـدـاعـ

انعكست على عينيه وهو يشيعني بها، كأنها ستكون النظرة الأخيرة لوالده، الذي ربما لن يراه بعدها، أشعلتني نار الغيظ وأنا مقيد اليدين، لا أستطيع فعل شيء له، علمت بعد إطلاق سراحه أنهم سألوه أثناء مداهمتهم المكتب "من أنت؟"، فقال "أنا فراش المكتب"، ولم يذكر لهم انه ابن صاحب الشركة، وكانت التفاة ذكية منه.

إجتزت باب الاستعلامات المؤدي إلى خارج المكتب، وقد أوقفوا مؤخرة سيارتهم بمواجهة هذا الباب، ومقدمتها كانت باتجاه المدخل الرئيسي، كي يسهل عليهم إدخالي إلى صندوقها الخلفي وبعد أن حشروني فيه أغلقوا غطاءه، كانت هناك سيارة أخرى ذات دفع رباعي، سدوا بها البوابة الخارجية كي يمنعوا أي سيارة أخرى ترورم دخول المرآب، تمت العملية بسرعة فائقة وخطافة، قام بها أناس ذو خبرة وحرفية في عمل الاختطاف، أما الموظفون الآخرون فقد جمعوهم وأدخلوهم الحمام وأغلقوه عليهم، هددوهم إن حاولوا فتحه فالموت سيكون بانتظارهم، غادروا المكان إلى جهة مجهولة، أسرعت السيارة وأنا في صندوقها الخلفي مقيد اليدين، ثم استمرت في المسير رحاما من الزمن، توقفت أثناءه، حيث استبدل طاقمها بأخر، وأنا مكّور محشور في صندوقها طيلة الطريق، أسمع تلاوة للقرآن من خلال مكبرات الصوت المثبتة في مؤخرتها، كان الغرض منه إيصال معلومة لي بأنهم من الجماعات الإسلامية المتشددة أو ما كان يطلق عليهم في حينه "المجاهدون"، وصلت السيارة إلى بيت ولجته، شعرت أن السيارة قد ارتفعت إلى مكان مرتفع قليلا، توقفت السيارة، أطفأوا محركها، دثروها ببطانة، ضاق نفسي بسببه، شعرت بأختناق وصعوبة في التنفس لنفاد الأوكسجين، أرخيت وثافي وحررت يديّ، ثم اقتلعت بطانة الصندوق علّني أجد منفذًا أو فتحة أتنفس منها، قبل أن ينقطع نفسي، وجدت ثقبا من خلال قفل الصندوق، وضفت أنفي عليه أشم قليلا من الهواء، تنفست الصعداء بعد أن أبعدت عني شبح الاختناق، بقيت على هذه الحال حتى المساء، كنت أسمع خلالها صفارات إنذار سيارات الشرطة، وصوت آذان قربا صادرا عن مسجد لا يبعد كثيرا عن مكان احتجازي، فتح أحد هم صندوق السيارة، كان يضع لثاما على وجهه، سأله "ما اسمك

ما عائلتك" ، أجبته على سؤاليه، غادرني بعد أن اغلق صندوق السيارة، بعده بساعة جاء اثنان آخران ملثمان أيضاً، فتحا الصندوق، وجداًني قد حررت يدي من وثاقي، قالا بلهجة غاضبة "لماذا حللت وثاقي؟" "أجبتهم" لقد اختنقت بسبب قلة الهواء، ولم يكن امامي غير ذلك" ، عنفاني، ثم شدا وثاق رجلي ويدتي بإحكام، وضعاً عصابة على عيني وثبتا عليها شريطاً لاصقاً امتد إلى فمي، أغلقاً الصندوق، خرجت السيارة قاصدة مكاناً آخر، حيث استمر وقت سيرها بحدود ساعة أو نحوها، وبعد أن وصلوا إلى مبني أدخلوا السيارة إليه، حملوني إلى داخله، شممت رائحة البخور كأنني أدخل أحد المقامات أو الأضرحة الدينية، أو ربما كانت محاولة منهم ليخلقوا لدى شعوراً واهما والايحاء لي بهذه الصورة، أجلسوني على بساط من الصوف ملقى على الأرض، بقيت لفترة على هذا الوضع، بعدها تقدم مني شخصان، بدأ بطرح أسئلتهم عليّ، كان أحدهما وهو يكلمني يحاول انتقال لهجة أهل الجنوب، لكنها كانت مكشوفة لي، سألني عن اسمي، أسماء أولادي، زوجتي، تحصيلي الدراسي، تحصيل الأولاد الدراسي، وعن ابنتي في أي مدرسة وما هو وزيها وكم عمرها؟... وتوالت الأسئلة تباعاً، و(أنت متهم بالعمل مع "المجاهدين" وإمدادهم بالمال)، نفيت ذلك بالمطلق، وعاد ليطرح أسئلة من نوع آخر، "أنت قمت بتفجير السيد محمد باقر الحكيم في النجف"، قلت له "أنا رجل أعمال لا علاقة لي بهذه الأمور" ، تململ قليلاً ليطرح علي سؤالاً آخر (ما رأيك بـ"المتعة"؟)، فأدركت مبتغاه من هذا السؤال، أجبته "لا أفقه ما تعنيه هذه المفردة، فأنا رجل حنفي على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان" ، فقال أحدهما بلهجة جنوبية مفعولة "جا بوية جيب سيد حيدر يحقق معاه، هيئته ما يريد يعترف" ، كنت أدرك تماماً تصنعيه التكلم باللهجة الجنوبية وما يرمي إليه، تركاني على ما أنا عليه حتى صباح اليوم الثاني، قدم إلي شخصان وحملاني إلى الخارج، وضعاني في صندوق السيارة مجدداً، سارت السيارة بسرعة فائقة وهي تجتاز طرقاً متنوعة، أصابت رأسي جروح لشدة ارتطامه بجدار الصندوق، مرة أشعر كأننا نقطع سكة حديدية، ومرة نسير عبر طريق وعرة، وأخرى مستوية مسلفة، مشينا لأكثر من ساعة، ولجنا مكاناً كأني به مزرعة، فتحت بوابة حديدية كبيرة، علا صريرها، توقفت السيارة، فتحوا

صندوقها، أخرجوني منه، طرحوني على أرض اسمنتية صلبة، جاء أحدهم، فك وثاقي وقبل أن ينزع الشريط اللاصق من على عينيّ وفمي، جردني من ملابسي كلها حتى الداخلية منها، أعطاني بدلها قطعتين قميصاً وسريراً لا ارتديتهما، قال "لا تفتح عينيك" بينما أنا أرفع الغطاء عنهم، ربط عينيّ من جديد بقطعة قماش، وقيّد يديّ ورجلّي بوثاق بطريقة تتيح لي التحرك وتناول الطعام، حذرني بقوّة أن لا أخلع العصابة أو أزيحها من على عينيّ، قال لي "عليك أن تترك اسمك هنا وتنساه، واختر لك رقمًا يكون البديل عن اسمك، إن ناديناك بأسمك الحقيقى لا ترد علينا ولا تجيئنا"، قلت "اعطني رقمًا"، قال "لا...أنت اختره"، فاخترت رقم (٩٩)، أسماء الله الحسنى !!، كنت حتى هذه اللحظة معتقداً أنهم من "المجاهدين" وقد تعزز لدى لاحقاً هذا الاعتقاد بعد أن نسبوه علينا لأنفسهم في هذا المكان.

قادني أحدهم ممسكاً بيدي، فتح طاقة حديدية، أنزلني منها إلى سلم حديدي ذي طبقات، يؤدي إلى نفق يوصل إلى باب آخر، سرت في النفق منحني القامة، لا أقدر على رفع رأسى للأعلى خوفاً من أن يرتطم بسقفه، فتح الباب، أدخلني الغرفة من كان يقودني، حدد لي مكان نومي الذي لا يتجاوز الخمسين سنتمراً عرضاً والمترین طولاً والنوم فيه محدد بهذه المساحة، لا أستطيع الحركة بحرية سوى أن أكون إما مستلقياً على جنبي أو على ظهري، بعدها أرشدني إلى مكان جلوسي عندما يحين وقت الطعام، قال لي "استدر بزاوية ٩٠ درجة وتقهقر إلى الخلف، حتى يلامس قفال الجدار، وعندما نأتي لكم ونفتح الباب، عليك أن تبقى بالوضع الذي كنت فيه ولا تغيره، لا تحاول أن ترفع غطاء عينيك، لا تتكلّم مع الآخرين، لدينا كاميرات وأجهزة مراقبة تراقبكم، إن ضبطناك تتكلّم مع أحد سيكون مصيركما الذبح وقطع الرأس"، وكان حديثه يمتزج مع تلاوة للقرآن كنت أسمعها من الأعلى تأتينا عبر مسجلة صوت سرعان ما توقفت بعد أيام ولم نعد نسمعها، ولم نفّقه سبب ذلك !!!

غادر المكان وأغلق باب الغرفة من خلفه، مجتازاً النفق مرتفعاً السلم الحديدي ليغلق غطاء الفتحة والباب الآخر، بقيت دون حراك مدة تجاوزت الساعة، وبعد أن تأكدت

أنه فعلاً غادر المكان، رفعت الغطاء عن عيني في محاولة مني لاستطلاع المكان، الغرفة مظلمة، بقيت لحظات حتى اعتادت عيناي على العتمة فيها، بدأت أميّز الأشياء إلا أنها كانت تبدو لي ظللاً، الغرفة لا تتعدي المترین عرضاً والأربعة أمتار طولاً، يتدلّى من سقفها سريران حديديان مربوطان بسلسل إلى السقف، يشغلهما شخصان وإلى يميني يوجد شخص آخر قدماه نحوه ورأسه إلى جهة جدار الغرفة المقابل، إلى يساري شخص آخر يرقد بنفس اتجاه الشخص الذي على يميني لكن تفصلني عنه ستارة من القماش، أما في الجهة المقابلة فهناك أربعة أشخاص اتجاه أرجلهم نحو رأسي، ورؤوسهم إلى الجهة الثانية من جدار الغرفة، كان مجموع الأشخاص الذين يشغلون هذه الغرفة تسعة، هناك فتحة أعلى الحائط مثبت عليها مروحة هوائية تدفع هواء إلى داخل الغرفة، يشعّ من خلال شقوقها بصيص ضوء يسقط على الجدار المقابل وعلى الأشياء المنتشرة داخل الغرفة بصورة لا يمكن تمييزها بوضوح، إنما تراها ظلاماً.

صباح ذلك اليوم فتح الباب، دخل شخصان يحملان الفطور لنا، كان عبارة عن قطعة خبز "صمونة" داخلها بيضة مسلوقة، وهو فطورنا طيلة الوقت الذي قضيته في هذا المكان، قبل أن يوزعوا الفطور علينا كانوا يأخذوننا إلى المرحاض الشرقي في الطابق العلوي، لقضاء حاجتنا، يقودوننا إليه كالعميان معصوبي الأعين، يجلسوننا عليه ويضعون بيدهنا إبريق ماء، وبعد أن يعودوا بنا إلى القبو ونستقر في أماكننا يأتوننا بماء نغسل به أيدينا قبل تناولنا الطعام، يغادروننا بعدها، يغلقون الباب خلفهم تاركين لنا وعاء "جليكان" لغرض التبول، وقنية ماء للشرب إلى يوم جديد آخر، كانوا يزودوننا بوجبة طعام غداء وعشاء، وفي أيام كثيرة يحجبون عنا وجبة العشاء، كنت أراقب "المعتقلين"، معظمهم كان يصلي ويكثر من الدعاء، سوى شخص واحد، ذاك الذي كان يجلس على يساري وتفصلني عنه ستارة القماش، بدأت أراقبه، كان ضعيف البنية متوسط القامة شعر رأسه طويل، يرتدي لباساً طويلاً، يمارس الرياضة لساعات عديدة، في مرة كنت أراقبه وأحصيت له حركاته الرياضية التي كان يقوم بها دون

توقف، وقد بلغت ألفا وخمسمائة وخمسين حركة، خمنت أنه لم يكن عراقياً أو عربياً، ربما يكون أمريكاً أو أوروباً، إذ لم أشاهده وأنا أراقبه يتصرف كبقية المحتجزين الذين يقومون بالصلادة والدعاء طيلة الوقت، فقط كان يمارس الرياضة ليحافظ على لياقته البدنية لتساعده على الهرب في حالة تمكنه من ذلك، وفي كل صباح وبينما نحن نغسل أيادينا كنت أشم رائحة معجون الأسنان تنبعث من ناحيته، يبدو أنهم كانوا يميزونه عنا في المعاملة (لأنه صيد ثمين!) ، فقد كنا ننظف أسناننا بالصابون والماء.

بعد عشرة أيام وبشكل مفاجئ، فتح أحدهم باب الغرفة وأخذني إلى الطبقة العليا حيث غرفة التحقيق والتعذيب، وهناك قيد يدي إلى الخلف وربط شريطلا لاصقا فوق قطعة القماش التي كانت تغطي عيني، تم تعليقي من رجلي بعد ربطهما إلى بعضهما، رفعوني قليلاً إلى الأعلى، كاد رأسي يلامس الأرض، إنها لوا على بالضرب من كل صوب بعصي بلاستيكية، يلسعون بها جسدي، وبرعدات كهربائية من جهاز أو عصا كهربائية يختض ويرتعد جسمى لها بعنف شديد، بدأت الأسئلة تتوالى علي "ما عملك مع الأمريكان؟"، رغم أنني لم يكن لي عمل معهم، إنما عملي كان يقتصر على شركات عراقية ومؤسسات حكومية، (هل المكتب الذي اخطفناك منه ملك لك أم "إيجار"؟ كم رصيد حسابك في البنك؟)، بدأ الضرب يشتد والأسئلة تنهال علي، "كم عقدا أبرمت مع الأمريكان؟ إن آخر جناك كم تدفع لنا؟"، أجبت "إن أطلقتم سراحني وتركتم لي حرية العمل تحت حمايتكم سأعطيكم مليوني دينار شهرياً"، أي ما يعادل ألفا وخمسمائة دولار، ضحك "الحجي" الذي يقوم بالتحقيق معي، قهقهه عالياً وهو يردد على مسمعي (ما رأيك إن أعطيتك أنا "شدة" شهرياً)، أي عشرة آلاف دولار، قلت له "يظهر أنكم أغنياء كفاية لتمنعني مثل هذا المبلغ"، فانهال على بالضرب وبشكل أعنف يرافقه مزيد من الرعد الكهربائي.

طلبوا مني أن أغنى لهم!! أطرقت قليلا دون أن أجيب، والضرب مستمر لم يتوقف وهم يطروحون أسئلتهم علي، ثم اشتد الضرب مرة أخرى وأصرروا على أن أغنى لهم، لم

يكن أمامي إلا أن أدندن لهم عسى أن يوقفوا الضرب قليلا، بيد أنهم لم يوقفوا الضرب وكأن عصيهم آلات موسيقى وهم يرددون "ما تستحي على شيبتك تغبني؟ طيب احكي لنا نكتة تحفظها"، الضرب والتعذيب مستمران، رأسي متدلٌ يكاد يلامس الأرض، معدتي تفرغ ما حوتة من طعام، لم أعدأشعر بالألم فقد تحدرت أجزاء جسمي التي كانوا يركزون الضرب عليها، بعد ساعات من الضرب المستمر المرافق لاستجوابهم، وبسبب خبرتهم في التعذيب، تأكدوا أن الضرب لم يعد مجزيا، أسقطوني أرضا، فكوا وثاقي، لم يرفعوا اللاصق من على رأسي وعيني، تقدم مني شخصان، رفعاني عن الأرض، فانتصبت واقفا على قدمي، أجبراني على السير وطلبا مني أن أدعوك باطني قدمي على الأرض بحركات مساجية، كان الغرض منها إعادة جريان الدم وإيصاله إلى أوردة وشرايين القدمين ونهايات الأعصاب، قدماي أمستاكالحجر لا أحس أوأشعر بهما عند ملامستهما الأرض بسبب الخدر الذي أصابهما، وقد بقيت الطبقتان الأخيرتان من جلدتي القدمين مدة ستة شهور لا أتحسسهما رغم الإشراف الطبي وجلسات العلاج الطبيعي التي مارستها بعد إطلاق سراحني.

فكوا وثاقي وأعادوا ربط يدي ورجلتي إلى وضعها السابق، خاطبني "الحجي" قائلاً "اسمع جيدا، لدينا عشرون نوعا من التعذيب، مارسنا معك نوعا واحدا فقط وبقيت تسعة عشر نوعا آخر، الأحسن لك أن تعرف"، قلت له "لو كان لديك خمسون نوعا من التعذيب ليس لدى غير الذي قلته وذكرته لكم".

إتسم عملهم بالاحترافية المبنية على خبرة وتجربة طوليتين في أساليب التحقيق والتعذيب، تأكد لي ذلك من خلال اسلوب تعاملهم وطريقة تعذيبهم وتحقيقهم، اللذين لا يختلفان عن طرق وأساليب عناصر أجهزة الأمن والمخابرات، التي مورست معي، في الفترة التي كنت خلالها سجينًا لدى هذه الأجهزة عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٨م، كان أحد الحراس يعطف علي، يرعاني ويعتنني بي ربما لكبر سني، أو ربما أن "الله" قد أنزل الرحمة والشفقة على قلبه ورق لحالي، كنت لا أشتاهي الطعام وكان يجبرني عليه،

أحضر لي مرة مرهماً ليعالج به قدمي المترورمتين والمتشققتين جراء شد الجبل والضرب.

أرقب الآخرين، أتفحص شكل الغرفة، محتوياتها، فالكهرباء التي يزودوننا بها كانت تغذي المبني من مصدرين، كهرباء الدولة ومولدة كهرباء خاصة لديهم تعمل حالما تنقطع كهرباء الدولة، كنت أسمع أزيز أصوات الطائرات السمتية والحربية الأمريكية تمر من فوقنا، وفي يوم أمطرت الدنيا واستمر المطر لثلاثة أيام متالية، مما سبب انقطاع الكهرباء وتعطل مولدة الكهرباء، توقفت على إثرها مروحة الهواء التي تغذي الغرفة به، وأمسى الجو خانقاً لا يطاق، بدأ تنفسنا يضيق فالغرفة كانت تقع تحت مستوى الأرض ومحكمة الغلق معزولة كأنها براد لحفظ الأطعمة، لا ينفذ إليها أو يدخلها الهواء، وقد علمت لاحقاً أنها مخزن يستعمل لخزن البطاطا، فاضطروا أن يفتحوا الأبواب ليدخل الهواء منها لنا، ولقربي من فتحة الباب، بدأت أرقب المكان، أتفحصه، بعد أن رفعت الغطاء عن عيني، أزاحت الستارة قليلاً، فاكتشفت أن هناك سلماً حديدياً يوصل الغرفة التي نحن فيها إلى سطحها العلوي في نهاية السلم، وقد وضعوا نفقاً مموفاً، صنع من هيكل حديدي دائري الشكل غلفت بمادة "الموكيت" يمكن تحريكه ونقله حسب الحاجة، يوصل بين الباب السفلي والسلم المؤدي إلى الفتحة العلوية، ليوهموا "المعتقلين" أنه نفق حقيقي تحت الأرض، وليشيعوا الرعب ويثيروا الهلع والخوف في نفوسهم، وكان سقف الغرفة يتكون من حمالات حديدية ثبّتت عليها صفائح حديدية مغطاة بطبقة من الكونكريت.

كانت ستارة القماش بمثابة حاجز يفصل بيني وبين الجزء الآخر الذي يستلقي عليه ذلك الشخص، ويترك مسافة قصيرة بيني وبين الباب، وقد وضعت بطريقة تسهل على سجانينا المروء إلينا بمجرد أن يرفعوا طرف الستارة إلى الأعلى، وتحجب عنا رؤية الباب الذي يقع خلفها، وكانوا يضعون علامات مميزة على أمكنة محددة في الستارة إن رفعتها أو حرکتها سيكتشفون أنني قد اجترتها للوصول إلى الباب أو للتحدث مع

هذا الشخص (وهو الاحتمال الأقوى)، كنت حذرا جدا وواعيا للعبتهم، أحاول جاهدا
ألا أعطيهم دليلا ومبررا لإدانتي والاعتداء عليّ.

نظرًا للساعات الطويلة من الفراغ الذي كنا نمر به، أدمت على مراقبة الآخرين،
وتدقيق النظر بما يحيطني من أشياء، فالشخص الذي كان على يميني ويحمل الرقم
(٦) كنت أراقب تفاصيل حركته، أتفحصه عن كثب، كان يؤدي الصلاة بأكثر من
أوقاتها ويكثر من الدعاء، أراه يبكي أكثر الأحيان خائفا، مروعًا متيقناً أن مصيره هو
الموت المحتم، يتبول أحياناً بوعاء "الجل يكن" الذي تركوه لنا لهذا الغرض، وبعد
انتهائه من التبول يقترب من الحائط ليمسح عضوه به، كأنه "يتظاهر من النجاسة
العلاقة به"، ليمارس طقوس الصلاة والدعاء، كنت أراقب حركاته وسكناته، وكان
آخرون حرفيين محافظين على ثبات ربطات أعينهم، خوفاً من العقاب الذي
ينتظرون، كان شخص ينام في الجهة المقابلة لموضعى، أصابه اسهال حاد، صار يتآلم
يصرخ ويطرق الباب، ليس هناك من يسمع نداءه أو يرد عليه، تغوط في ملابسه،
عبأت رائحته الغرفة، قدموا إلينا صباح اليوم التالي وأخرجوه ليغسل وينظر
ملابسه، بعد أن أهانوه، ولاموه على فعلته وكيف سمح لنفسه أن يفعلها !! ، تعرفت
على اسمه عندما نقلنا إلى المكان الآخر بعد مرور شهر على وجودنا في هذا
"المعتقل"، كان اسمه **أحمد العبيدي**، كان يعمل في لبنان الذي انتقل إليه بعد رحلة
عذاب طويلة شرع بها من بغداد مروراً بمحافظة دهوك ومن ثم إلى سوريا ولبنان.

بعد عشرة أيام أخرى، أي بعد عشرين يوماً من "اعتقاله"، نودي علي، أخذوني إلى
غرفة التحقيق، وقبل أن يوجهوا لي سؤالاً ربطوا رجلي ورفعوني عالياً كالمرة الأولى،
وببدأوا بضربي على مواضع مختلفة من جسمى، وبينما هم كذلك بادرني "الحجي"
قالاً "احكي لنا عن عملك، فأنت لم تعرف لنا في المرة السابقة"، شرحت لهم عملي
والشركات أو الجهات الحكومية التي كنت أتعامل معها، والعمل الأخير الذي نفذته
مع وزارة الصناعة، يبدو أن شرحى الصادق بما ذكرته كان مقنعاً لهم بعد أن وجدهم
مطابقاً لما ذكرته في الجولة التحقيقية السابقة، أو ربما من خلال التقصي الذي قاموا

به عنى توفر لديهم معلومات كافية عن عملي مع وزارة الصناعة وعن الأشخاص الذين اتعامل معهم من العاملين فيها، مما يدل أن لديهم أشخاصا في هذه الوزارة يمدونهم بالمعلومات، وما يؤكّد ذلك أنهم في نفس اليوم الذي خطفوني فيه كنت قد استلمت صكا من الوزارة أودعته في حسابي في البنك، عدت منه الساعة الثانية عشرة بعدها بساعة واحدة داهمت العصابة مكتبي، كنت أحاول استعادة الموضوع في ذهني، وأنا رهن "الاعتقال"، وأعيد الشريط لأعرف سبب "اعتقالني" والشخص المسبب، وحامت شكوك حول الوسيط الذي حصل لي على العمل من وزارة الصناعة مقابل عمولة تقاضاها، فالمعلومات التي طرحت علي في التحقيق لم تتعذر المعلومات التي كانت متداولة بيني وبينه وضابط أمن وزارة الصناعة والموظف المختص عن العمل.

أنزلوني على الأرض، تفوّه "الحجي" متثاقلاً متأنياً بكلامه "إن أهلك أقاموا عليك الدنيا وأقدعواها، وعليه سنسجل لك شريطاً صوتيًا، نبعثه لهم"، صمت برهة، قال "سنملّي عليك الرسالة التي سنسجلها لك، عندما أضربك بالعصا على كتفك الأيمن تبدأ بالحديث، إن أخطأت أضربك على رأسك فتتوقف عن الكلام ثم نعيد تسجيل الحديث الثانية، اذكر اسمك الكامل واطلب منهم أن لا يتصلوا بالشرطة العراقية أو بالقوات الأمريكية، وأن شخصاً اسمه رعد سيأتيكم ومعه شروط عليكم قبولها بالكامل، وأن التحقيق معك قد انتهى وذكرت جميع أعمالك وأشغالك وارتباطاتك وكل ممتلكاتك، دع حديثك مصحوباً بالبكاء أثناء التسجيل"، سأله "كيف يكون ذلك؟" وفي ذهني شعور بالقلق والخوف ينتابني، لو أن هذا الشريط قد وصل إلى عائلتي بهذه الطريقة سوف يرعبهم، يقلّفهم، يكدرهم، ويجعلهم أكثر ضعفاً أمام المساومة التي سيمليها عليهم الخاطفون، توقفت عن الكلام، قال "نحن نعرف كيف نجعلك تبكي"!! لسع جسدي بالعصا الكهربائية التي معه، خرجت مني صرخة مكتومة تنم عن الألم، لكنني لم أبك كما أراد، بعد انتهاء عملية التسجيل أعادوني إلى الغرفة تحت الأرض، بقيت عشرة أيام أخرى، وبهذا يكون قد مر على اختطافي شهراً كاملاً لم يتم

خلالها التحدث نهائيا مع أي من "المعتقلين"، فقد كان الكل خائفا مرجعوا من التهديدات التي يرددوها الخاطفون، من ذبح ونحر على أيدي المجاهدين المعروفين بجز الرؤوس وفصلها عن أجسادها، وأفلام الفيديو التي كانوا يصورونها لضحاياهم ويبثونها خير شاهد على ذلك، كل هذه المدة المنصرمة التي قضيتها في هذا المكان، كنت خلالها مقيد اليدين معصوب العينين، كما هو حال الآخرين من "المعتقلين" يلفنا الظلام طيلة الوقت.

بعد انقضاء شهر على تواجدي في هذه الغرفة المظلمة دخل علينا الحراس الذي عطف علي وعالجني، كنت أميذه من خلال نبرة صوته، ربته على ظهري وقال "يلله حاج انهض" شعرت من خلال طريقة تعامله، أن هناك نية لإطلاق سراحني خصوصا وأنهم قبل يومين ألبسوني قميصا غير الذي كنت أرتديه، تسلقت السلم الحديدي بمساعدته بعد اجتياز النفق المزيف، حيث اعتليت السطح العلوي، أجلسوني أرضا، فكوا وثاقى القديم، ربطوا رجلي إلى بعضهما بإحكام، قيدوا يدي إلى الخلف، ثبتووا شريطًا لاصقا فوق ربطية عيني وعلى فمي، شعرت أن هناك شخصا آخر إلى جانبي، تعاملوا معه بنفس الطريقة سوى أن معصميه كانوا مقيدين بقيد حديدي "كلبجه" سمعت ذلك من خلال حديثهم معه، رفعونا عن الأرض، أودعونا صندوق السيارة، وقد أدخلوا صاحبى الصندوق قبلي، وسعنا الصندوق نحن الاثنين لضالة جسمينا، سارت السيارة وهي تتوقف عن المسير بين الفينة والأخرى، يتزلج منها أحد هم يفتح غطاء الصندوق، يطل علينا ليتأكد من وجودنا، كانت حركة السيارة بطيئة وهي تجتاز أرضا زراعية وعراة ترغمها أن تمشي الهوينا وهي تسير بصعوبة بالغة، بعدما يقارب النصف ساعة بلغنا مكانا كأنه مزرعة، ميّزتها من خلال صرير بابها الحديدي، ولجت السيارة المكان توقفت، أخرجونا من صندوقها، رمونا أنا وصاحبى على أرض وعراة رطبة، بعد فترة وجيزة تقدم مني شخصان رفيعان يديهما عن الأرض، نقلاني إلى مكان آخر، أقياني على سطحه، تحسسته كان سطحا صلبا أملس من الاسمنت، لم يمض وقت طويل وأنا ملقى على الأرض، وإذا بهم يلقون علي بجرؤ ثم تلوه ببطة ودجاجة، أسمع

نباح كلاب وأصوات دجاج ليست بعيدة عنى، بقيت مر MMA على هذه الحال لمدة تقارب الساعة، جاء أحدهم فك وثاقى، أزاح الشريط اللاصق عن فمي، ورفعه عن عيني ليستبدل بقطعة قماش ربط بها عيني وحبل ربط به رجلي بطريقة تسمح لي بالحركة، ولـي القدرة على استخدام يدي في تناول الطعام والشراب، قال لي بلـهجة عسكرية آمرة واضحة "انهض"، إستقمت ومشيت قليلا وهو ممسـك بيدي يقودـني إلى المجهـول، طلب منـي ارتقاء درجات سـلم، بعده دفعـنى بشدة من خـلال كـوة في حـائط، تـقدمـني رأسـي إـليـها، سـقطـت على الأرضـ من الجـهةـ الآخـرىـ للـحـائـطـ كـأـنـيـ نـزلـتـ في حـفـرةـ، تـقدـمـ إـلـيـ ثـانـيـةـ، فـاقـتـادـنـيـ وـأـدـخـلـنـيـ قـبـواـ ضـيقـاـ، كـتـفـايـ تـكـادـانـ تـلـامـسـانـ جـدرـانـهـ الجـانـبـيـ، وـقـفـتـ عـلـىـ اـمـتدـادـ قـامـتـيـ، تـحـركـتـ دونـ أـنـ أـحـنـيـ جـسـميـ، فـقـدـ كـانـ السـقـفـ مـرـتفـعـاـ قـلـيلـاـ، أـجـلـسـنـيـ وـقـالـ بـنـبـرـةـ آـمـرـةـ "أـنـتـ تـنـامـ هـنـاـ"ـ، الأـرـضـ مـفـروـشـةـ بـحـصـيرـةـ مـنـ النـايـلـوـنـ عـلـيـهـاـ بـطـانـيـةـ وـوـسـادـةـ عـلـيـهـاـ آـثـارـ حـفـرـةـ لـرـؤـوسـ قـدـ سـبـقـتـنـاـ فـيـ اـسـتـخـدـامـهـاـ، مـكـانـيـ كـانـ آـخـرـ هـذـاـ القـبـوـ، أـمـاـ صـاحـبـيـ الـذـيـ قـدـمـ مـعـيـ، فـاتـخـذـ المـوـضـعـ الـذـيـ يـلـيـنـيـ وـرـأـسـهـ تـلـامـسـ قـدـمـيـ، إـنـتـصـبـ الـحـارـسـ إـلـيـ جـانـبـيـ، وـالـتـقـطـ يـدـيـ بـعـنـفـ وـقـالـ بـلـهـجـةـ تـهـكمـيـةـ بـأـسـةـ جـافـةـ "انـهـضـ وـاـمـسـكـ الـحـائـطـ بـيـدـكـ الـآـخـرىـ وـأـكـمـلـ السـيرـ مـعـيـ"ـ، وـصـلـنـاـ إـلـيـ آـخـرـ الـجـدارـ، كـانـ هـنـاكـ عـلـبـةـ صـفـيـحـ "الـتـنـكـةـ"ـ قـالـ "هـنـاـ تـتـغـوـطـ وـتـبـولـ، هـذـاـ هوـ مـرـاحـضـكـ"ـ، عـادـتـ بـيـ الـذاـكـرـةـ إـلـيـ أـكـثـرـ مـنـ خـمـسـيـنـ عـامـاـ، عـنـدـمـ اـعـقـلـتـ بـمـعـسـكـ الرـشـيدـ فـيـ بـغـدـادـ، بـعـدـ انـقلـابـ شـبـاطـ ١٩٦٣ـ، كـنـاـ حـيـنـهـاـ مـعـتـقـلـيـنـ فـيـ ثـكـنـةـ الـهـنـدـسـةـ الـعـسـكـرـيـةـ وـ"ـمـرـاحـضـ الـتـنـكـةـ"ـ الـمـشـابـهـ لـهـذـاـ الـمـرـاحـضـ، إـنـ دـورـةـ الـأـيـامـ وـالـأـحـدـاثـ تـعـيـدـ نـفـسـهـاـ لـتـرـافـقـهـاـ دـورـةـ الـعـنـفـ عـلـىـ يـدـ أـشـخـاصـ يـحـمـلـونـ الصـفـاتـ ذـاتـهـاـ وـيـمـارـسـونـ التـعـذـيبـ وـالـتـنـكـيلـ، وـإـقـصـاءـ الـآـخـرـ، وـأـمـتـهـانـ كـرـامـتـهـ وـأـنـتـهـاـ حـرـيـتـهـ.

بعدـماـ فـرـغـ الـحـارـسـ مـنـ مـهـمـتـهـ الـاـرـشـادـيـةـ، أـعـطـىـ لـكـلـ وـاحـدـ مـنـاـ رـغـيفـيـ خـبـزـ وـمـوزـتـيـنـ اـثـنـيـنـ وـقـنـيـنـةـ مـاءـ لـلـشـرـبـ، وـأـخـرـىـ تـرـكـهـاـ بـالـقـرـبـ مـنـ "ـالـتـنـكـةـ"ـ لـإـسـتـعـمـالـهـاـ بـعـدـ إـسـتـخـدـامـ الـحـمـامـ "ـالـتـنـكـةـ"ـ، غـادـرـنـاـ بـعـدـهـاـ، وـبـقـيـنـاـ دـاخـلـ القـبـوـ لـاـ نـكـلـمـ بـعـضـنـاـ، فـالـخـوفـ الـذـيـ لـازـمـنـاـ مـنـ السـجـنـ السـابـقـ قدـ خـيـمـ وـكـلـلـ عـلـيـنـاـ وـتـرـكـ بـصـمـتـهـ فـيـنـاـ، مـرـ وـقـتـ طـوـيـلـ

كأنه دهر، ونحن صامتان، رفعت العصابة عن عيني لم أر شيئاً، كان الظلام الحالك الدامس يحيط بنا، لا يمكنك أن ترى فيه حتى أصبع يدك، ليس هناك من شباك أو فتحة هواء سوى بعض الشقوق في أساسات جدار القبو، هي عبارة عن فتحات ضيقة بين الطابوق لم تملأ بالإسمنت، فاستخدمناها لاحقاً للتنفس، لأنسمع سوى بطبطنة البط ونقمة الدجاج ونباح الكلاب ونقيق الضفادع وصياح الديك الذي كنا نعرف منه أن الوقت فجر وأن الصباح آت، وعندما يهجع الدجاج إلى أفقناه فهو إشارة للغروب وأن الليل سيخيم علينا، وكان هذا مقاييسنا في حساب الأيام التي تمضي.

مر يوم لم نسمع فيه أو نشعر بوجود بشر حوالينا في هذا المكان، وفي المساء تحدثت مع صاحبي همساً بعد أن طلبت منه أن يقرب رأسه مني، أصبحنا نكلم بعضنا، بعد يومين أطل الحراس علينا وناولنا أربعة أرغفة من الخبز وأربع تفاحات وقنية ماء لكل واحد منا، لم يتحدث معنا كثيراً طلبت منه دواء لمعدي، فقد كنت أشكو من قرحة فيها، أجب باقتضاب "سأحاول"، رمى الأشياء علينا، غادرنا بعد أن أغلق الباب من خلفه، لم نتحرك أو نتحدث لأكثر من ساعة خوفاً من أن يوهمنا بخروجه وهو لم يزل داخل القبو، لم نسمع صوتاً لأحد، قربت رأسي من رأس صاحبي، همست في أذنه بصوت منخفض "من أنت؟ وما قضيتكم؟ حدثني عنك"، تفوه بصوت ضعيف مرتفع، تعلوه نبرة متعرجة، يصعب علىّ سمع ما يقول، رجوته أن يرفع صوته قليلاً، أجب "أنا أحمد العبيدي خطفوني من الشارع، كانوا أربعة أشخاص ضربوني على رأسى بالمسدس، سال الدم على وجهي وقميصي، قاومتهم، لأنني من القوة والشجاعة والاعتزاد بالنفس ما يجعلني قادراً على مقاومتهم والافلات من قبضتهم، إلا أن أحدهم وضع مسدسه في خاصرتي، شعرت حينها أنه جاد بقتلني مما اضطرني للإسلام لهم، في التحقيق اتهموني أنني أعمل مع السفارة البريطانية، وكنت قد سافرت إلى الإمارات العربية بمساعدة أحد الأصدقاء للبحث عن عمل، فشلت في هذا المسعى، عدت أدرجياً إلى بغداد وفي طريق العودة إلى بيتي في العامرية وقعت الحادثة، يبدوا أنهم كانوا يراقبونني منذ فترة ويعرفون الكثير عن سيرتي الحياتية".

ربما كانوا يعتقدون أنه غني وأحواله المادية جيدة جداً، لأنه يتحدث في مجالسه الخاصة أنه كان يمتلك متجراً كبيراً في لبنان، مما ترك انطباعاً لديهم أن أوضاعه المالية حسنة، كانوا يساومونه في التحقيق على مبلغ كبير من المال وهو الذي لا يملك شيئاً.

حدثني كيف أنه خرج من بغداد إلى كردستان وسكن فندقاً متواضعاً في دهوك كي يجد له سبيلاً إلى سوريا، لم يكن في جيشه سوى خمسين دولاراً، حزن له صاحب الفندق لما رأه بهذه الحال، عطف عليه، دبر له طريقة للهرب واتفق مع أحد المهربيين كي ينقله إلى سوريا، ومن هناك يذهب إلى لبنان، لم يكن في جيشه غير عشرين دولاراً، تمت عملية تهريبه بنجاح، وصل إلى لبنان، وذهب إلى أحد المساجد في بيروت بحثاً عن مأوى ينام فيه ولم يجد أنساب وأفضل من ذلك، دخل المسجد ليلتقي بإمامه الشيخ، شرح له ما عاناه وما جرى له وما أصابه في رحلته الشاقة من العراق إلى لبنان، رق الشيخ لحاله بعد أن استأنسه واطمأن له، تركه ينام في المسجد حتى يجد له عملاً ومأوى آخر، وعده أنه سيسعى في إيجاد عمل له، وجد له وظيفة في أحد الأسواق الكبيرة في بيروت، وحصل على سكن وتحسن أوضاعه المالية، بقي على هذه الحال أربع سنوات، مخالفًا قانون الإقامة، يقيم بصورة غير قانونية، وفي يوم صادف مروره عبر حاجز للدرك اللبناني، ولأنه لا يحمل معه أوراقاً ثبوتية وإقامة شرعية، أوقفه الحاجز الدركي وأودع على إثرها سجن رومية، بقى فيه ثمانية أشهر، سفر بعدها إلى العراق عن طريق منفذ ربيعة. أمسينا ندرك خلال فترة ونعرف أنهم يعطوننا قدرًا من الخبر والتفاح بعد الأيام التي يغيبون فيها عنا، فلكل يوم خبزة واحدة وتفاحة واحدة، بعد أربعة أيام عادوا وهم يحملون لنا أربع تفاحات وأربعة أرغفة خبز وقنية ماء واحدة لكل منا، واستمر الحال على هذا المنوال.

بعد ما يقارب العشرة أيام، فتح باب القبو علينا، رموا إلينا بشخصين ليصبح عدداً أربعة أشخاص، وفي بداية دخولهما كانا وجلين خائفين لا يرغبان في التحدث معنا حتى وإن كان همساً، بعد يومين بدأنا الحديث معهما لكن بصوت منخفض أثناء

ساعات الليل، الأقرب إلينا اسمه ياسر عمار العبيدي، طالب بالمرحلة الأخيرة في كلية الهندسة، وقد "اعتقل" هو والده، بعدهما اختطفا من بيتهما في العامرية وضربوا الأب على رأسه بكتف البندقية، أما أبو عمر (لم يعرفنا باسمه) الشخص الثاني فقد اختطفوه من أمام مكتبه في حي العامرية، يحمل شهادة الدكتوراه في هندسة الطرق من أمريكا ومقاول كبير في بغداد وشريك لآل خربيط، وبعد حديث معهما تبين أنهما كانا بنفس "المعتقل" الذي جئنا نحن منه، كان الحديث يدور بيننا وكل من لا يرى شخص الآخر للظلام الحالك الذي كان يحيط بنا.

مررت الأيام ونحن على هذه الحال وأنا أقص على الشابين احمد العبيدي و ياسر عمار العبيدي قصصاً و اسمعهم شعراً، لأنهم كانوا في منتهى الخوف والفرغ واليأس، كان يصل بهم الحال أحياناً إلى التفكير بالانتحار، وأنباء حديثي معهم وإذ بي أفاجأ بيااسر ليقول لي (أليست أنت العم "أبو علي"؟)، قلت "بلّى"، قال "عرفتك من صوتك وحديثك أنا ياسر ابن صديقك عمار العبيدي...لقد اعتقلوني أنا وأبي من البيت، أخرجونا منه عنوة، ضربوا أبي على أم رأسه، فانتزعت البندقية من يد أحدهم، حاولت استعمالها إلا أنها لم تتجاوب معي، ربما كان السبب هو الإرباك وخوفي على والدي من القتل، نقلوني إلى هذا المكان بعد أن أكملوا التحقيق معنا في المعتقل السابق الذي كنا معكم فيه، بعد أن أبرم والدي معهم اتفاقاً طلبوا منه مبلغ مليون دولار، شرط أن يبقى هو رهن الاعتقال ويطلقوا سراحه كي أسلمهن المبلغ، بعدها يتم اطلاق سراحه".

كان عمار العبيدي شيوعياً سابقاً هو وأخوه الذي يكبره، وهما من سكان ناحية "جبة" المنطقة القريبة لقاعدة البغدادي، ويعمل مهندساً في مديرية الري، والده من شيوخ المنطقة البارزين، وبعد سقوط نظام صدام، قام بإصدار مجلة دورية باسم (البغدادي) تهاجم الإرهاب والقاعدة والنظام السابق، وأنباء التحقيق معه كانوا يسألونه عن الضابط الأمريكي الذي يتصل به، وعن مصادر تمويل مجلته، كنت أعرف أنه كان يصدر هذه المجلة، وقد تسنى لي قراءة بعض أعدادها عند زياراتي المتكررة له في بيته، كان أيضاً يعمل مقاولاً يجهز الأميركيان في قاعدة البغدادي باحتياجاتهم.

مرت علينا ثلاثة أسابيع ونحن في هذا القبو لا نسمع غير أصوات الطيور والحيوانات وأصوات السجّانين عندما يطلون علينا في المواعيد التي ينفذ فيها الأكل والشرب لدينا.

حمامة من خارج القبو تنوح، هديلها يختلط بالصوت الرخيم لابنتي أروى، يشنّف أذنيّ، يمسح هذا الصوت الساحر دمعتها من تحت أهداب عينيها الجميلتين، تأسّري رقتها، حبها للشعر والغناء، تذكرني بأبي فراس الحمداني وهو يرسل شعره إلى أهله وقومه من خلف قضبان سجنه في بلاد الروم وأبياته التي تعبر عن الحالة التي أنا فيها:

أقول وقد ناحت بقريبي حمامـة أـيا جـارـتـا لو تـشـعـرـين بـحالـي
معـاذـ الـهـوـيـ مـاـذـقـ طـارـقـةـ النـوـيـ وـلـاخـطـرـتـ منـكـ الـهـمـومـ بـبـالـيـ
أـياـ جـارـتـاـ ماـأـنـصـفـ الدـهـرـ بـيـنـنـاـ تـعـالـيـ أـقـاسـمـ الـهـمـومـ تـعـالـيـ
أـيـضـحـكـ مـأـسـوـرـ وـتـبـكـيـ طـلـيقـةـ وـيـسـكـتـ مـحـزـونـ وـيـنـدـبـ سـالـيـ
لـقـدـ كـنـتـ أـولـىـ منـكـ بـالـدـمـعـ مـقـلـةـ وـلـكـ دـمـعـيـ بـالـحـوـادـثـ غالـيـ.

وقد صدق ظني، بعدما أفرج الأوباش عنِّي، كم كانت تحزن أروى وهي تصدح وتغنى، للغائب الذي ربما لن يعود، تعاني وتألم، تنام بفراش الأب المغيّب عنها، تلتحف بحنان "حبها الكبير"، المغادر بيته للمجهول، وجهها الجميل يمسح وسادته التي فارقها ولم يعد بعد إليها، تسقيها من لآلئ دموع عينيها الخضراوين، لتشتل عليها لهفة الأمل بعودة الوالد الصديق، وصوتها الغارق بالحزن يردد هل هناك من يزف لها خبراً يكحّل أهداب عينيها، وإن كان نداء أو علامة تكشف المصير، وتبعث بصيص أمل يفضح غياب المجهول، ويطفئ جمرة الشوق المستمرة بين حنايا بنطي الحلوة، أواه عليك، كيف بي وأنا لا حول لي بالوصول إليك.

في الأسبوع الرابع فتح باب القبو ودفعوا إلينا بشخص خامس اسمه "أبو علي" لهجته بغدادية، يروي أنهم اختطفوه من سيارته التي كان يقودها على جسر الصرافية "الجسر الحديدي"، أوقفوها وأنزلوه عنوة منها، تركوا فيها ولديه، الكبير منها عمره أربع سنوات والآخر ثلاط سنوات، قال (أخذوني إلى قصر فخم، واحتجزوني فيه مدة أسبوع قبل أن ينقلوني إلى هذا المكان، يطعمونني فيه أحسن الطعام، يناقشواني في أمور الدين، معاملتهم لي جيدة، لكنهم يسمعونني أشرطة تسجيل فيها دعوة تشم منها رائحة الموت والحدق والانتقام والتحريض على القتل)، كان يتحدث بلا وجل أو خوف وبصوت مرتفع "أنا شيعي المذهبولي ثلاط أخوات متزوجات من رجال سنة، لقد وعدوني بإطلاق سراحني"، عيناه مربوطة، نزع الغطاء عن عينيه، فتحوا الباب فجأة، دخلوا علينا، شاهدوه بهذه الحالة وعيناه قد تحررتا من قناعهما، عَنْفُوه وأهانوه، وانهالوا عليه ضربا، حتى أنه سقط أرضا من هول وشدة الضرب.

في الأسبوع الرابع من الشهر الثاني لاختطافه عاودني ألم معدتي، داهمتني نوبة من الاستفراغ، بسبب قرحة مزمنة في معدتي، نقلت مكاني قرب عبة الصفيح "التنكة" أو المرحاض بالمعنى الآخر، وقد امتلأت بالبراز والبول والاستفراغ، لفظت هي الأخرى ما حوتة في جوفها، فاض السائل واندلق على جوانبها غازيا فراشي وملابسي، أطلت على بوجهها الكالح ذكريات معتقل معسكر الرشيد عام ١٩٦٣م ومراحيلها من على التنك القيمية المصنوعة من صفائح الزنك، التنفس أصبح صعبا، والعرق بات يتصلب مما لحرارة الطقس في داخل القبو، لا أقدر على النوم، قررت أنفي من شقوق أساسات الحائط على أستطيع استنشاق بعض الهواء، إرتفع صوت أحمد العبيدي من مكانه "لقد حفرت التراب بأصبعي، أوجدت خرما بين الأرض والجدار، وسّعته قليلا وتنسمت منه هواء عليلا، هلموا إلي، كل واحد منكم له بعض دقائق يستنشق فيها هواء نقيا غير ملوث"، تهياًنا جميعا ليقوم كل واحد منا بدوره، إذ لا سبيل له إلا أن ينبطح على الأرض ويضع أنفه على الشق كي يستنشق الهواء منه.

إستمر الاستفراغ معي دون توقف، نفد الماء مني بعدهما فرغت القنينة اليتيمة الوحيدة التي معي منذ ستة أيام، بدأت أفقد سوائل جسمي، تشدق لسانى وشفتاي، فرغت قنانى الماء التي بحوزة الآخرين، نفد الأكل والماء، فقد كانت وجوبهم الأخيرة تتكون من ستة أرغفة خبز وبعددها تفاحات، كنا متأكدين أنهم سيغيبون عنا ستة أيام كما عودنا، بدأ أمل البقاء في الحياة يتضاءل لدى، وأمسيت على مشارف الموت، فقد وهن الجسم مني، وفقدت سوائل جسمي، وتشققت شفتاي وتقرّح لسانى، وأصبحت أجد صعوبة في الوقوف لاختلال توازني، إذ سرعان ما أهوي أرضاً ويرطم رأسى بالجدار ليحدث به خدوشاً وجروحًا، فيما "أبو علي" الذي كان آخر من حشروه معنا سقط على الأرض، خف نبضه، توقف عن الكلام والحركة.

نحن الآن في اليوم السادس وهو اليوم الأخير، الذي نتوقع أن يطلوا علينا فيه، بحسابات طريقة تعاملهم السابقة معنا التي يتطابق فيها عدد التفاحات التي يعطونها لنا مع عدد الأيام التي يغيبون بها عنا، قلت لزملائي المحجوزين "تعالوا يا أخوان نحن الآن على مشارف الموت، إن لم يأتيوا إلينا اليوم، دعونا نفكر بطريقة نهرب بها من هنا، كأن نفتح جداراً، أو نخلع باباً، أو أية وسيلة أخرى، المهم أن نخرج من هذا المكان، فإن كانوا موجودين ومحتجزين في المزرعة التي يحتجزوننا فيها، وقاموا بقتلنا فنحن أصلاً أمسينا في عداد الأموات، وبخلاف ذلك نتمكن من الهرب ونصبح أحراراً، ويبدو أننا قريبون من الطريق العام، فقد كنا نسمع هدير أصوات الدبابات الأمريكية وأزيز الطائرات التي تمر من فوقنا"، فاتفقنا أن نعمل على إيجاد طريقة للهروب ليلاً وفي وقت متأخر، كي نصل عند بزوغ الضوء إلى مكان بعيد عن هذا "المعقل"، وعندها نستطيع أن ننتقل منه إلى مكان آخر "إن جاءوا حسب تقديرنا لموعد قدومهم وشعرتم بوطأة أقدامهم أو سمعتم أصواتهم، وإن كنتم تخافون من دعوتهم، لا عليكم سوى إعلامي بوصولهم وأنا من يناديهم"، لم يمر وقت طويل على حديثنا حتى سمعنا أصواتهم ووطأ أقدامهم، زحفت إلى الباب الحديدي، تعالى صوتي بالصرخ، ركلت الباب عدة مرات بقدمي، وطرقات قوية من يدي، وإذا بهم يأتون مهرولين مسرعين، فتحوا الباب، والغضب يغلي في عروقهم، والحنق باد على أصواتهم وهم يرددون "من كان يطرق الباب؟ ألم نحدركم أن لا ترفعوا أصواتكم، أو تطرقوا على

"الباب؟"، دخلوا علينا، وجدوني قبالتهم، سألوني "ما بك يجاج؟ ولم الصراح؟" أجبتهم "إننا بشر ولسنا بهائم، حتى البهائم لاتعامل هكذا، إن كنتم تريدون موتنا فهذا لا يكلفكم سوى إطلاقة بخسة الثمن من مسدساتكم، وإن كنتم لا تريدون ذلك، فأضعف الإيمان أن توفروا لنا ماء، الطعام من الممكن أن نصبر عليه، ول يكن في علمكم، إني بعد أربع وعشرين ساعة، إن لم تسقوني ماء، سأودع الحياة، لأن جسمي فقد كل سوائله ونشفت عروقي، وهذا الرجل الذي سقط أرضاً وقد القدرة على الكلام وخف نبضه، ربما يكون قد فارق الحياة، إن لم تستطعوا أنتم فعل شيء أو غير قادرین أن تتحذوا قراراً بأنفسکم، أخبروا الحاج مسؤولکم أن رقم (٩٩) يقول هذا الكلام"، عادوا أدراجهم بعدهما أغلقوا الباب وراءهم، مرت دقائق معدودات عادوا بعدها إلينا، فتحوا الباب، سحبونا إلى خارج القبو، سقوني ماء سكبوا منه على وجهي، ناولني أحدهم علبة عصير، تركونا نستنشق الهواء، رفعوا "أبو علي" عن الأرض حملوه خارج القبو، وكنت مرق من جنبي، فارتطممت يده المتبدلة بجسمي أثناء مرورهم وهو يحملونه، وكنت أسمعهم يقولون "ذلك له صدره، اعمل له تنفساً صناعياً"، وقد خلته ميتاً، بعد وقت لم يتجاوز الساعة نقلونا إلى قن كبير للدجاج، كان هواؤه منعشًا، أرضه رطبة باردة جراء براز الدجاج، فكوا ثaqي، رميـت بنفسي على الأرض، شعرت وكأنـي في فندق فئة خمسة نجوم، نمت نوماً عميقاً، مر الوقت مسرعاً لم أشعر به، إلا بعدما أيقظوني، أعادـونا مجدداً إلى القبو، بعد أن جفـفـوا أرضـهـ من الماء، وغيـرـوا فـرـشـناـ الـقـدـيمـةـ، أعادـونـاـ إلىـ أماـكنـاـ السـابـقـةـ فيـ القـبـوـ، أعـطـونـيـ كـيسـاـ مـلـيـئـاـ بـالـتفـاحـ وـالـكـيـكـ وـعـصـيرـ الـبـرـقـالـ وأـرـبـعـةـ قـنـانـيـ مـاءـ، أـوـصـواـ يـاسـرـ عـمـارـ أـنـ يـعـتـنـيـ بـيـ، وـيـعـيـنـنـيـ كـيـ أـصـلـ إـلـىـ "مـرـاحـضـ عـلـبةـ الصـفـيـحـ"ـ عـنـدـ الـحـاجـةـ إـلـيـهـ، لأنـيـ كـنـتـ أـتـرـنـحـ يـمـينـاـ وـشـمـالـاـ إـنـ سـرـتـ فـيـرـتـطمـ رـأـسـيـ بـالـجـدـارـ.

صباح اليوم التالي، فتح الباب وصاح أحدهم منادياً على باسمي الصريح "فياض"، فاستغربت لأنـهمـ كانواـ يـنـادـونـاـ سـابـقـاـ بـالـرـقـمـ وـلـيـسـ بـالـاسمـ، فـالـأـخـيـرـ مـحـرـمـ تـداـولـهـ، قالـواـ "اخـرـجـ"ـ، أـجـبـتـهـمـ "ـلاـ أـقـدـرـ عـلـىـ السـيـرـ وـالـخـرـوجـ بـمـفـرـديـ لـيـأـتـ أـحـدـ لـمـسـاعـدـتـيـ، خـوفـاـ منـ اختـلـالـ توـازـنـيـ وـارـتـاطـامـيـ بـالـجـدـارـ"ـ، جاءـنـيـ أحـدـهـمـ أـسـنـدـنـيـ إـلـيـهـ وـسـاعـدـنـيـ بـالـسـيـرـ إلىـ خـارـجـ القـبـوـ، أـجـلـسـنـيـ إـلـىـ جـانـبـ الحـائـطـ الـخـارـجيـ، قالـ "ـأـخـلـعـ مـلـابـسـكـ، وـافـلتـ غـصـابـةـ عـيـنـيـكـ، شـرـطـ أـنـ لـاـ تـفـتـحـهـمـاـ أـوـ تـسـتـرـقـ النـظـرـ"ـ، خـلـعـتـ مـلـابـسـيـ، أـمـسـيـتـ عـرـيـاناـ،

سكب أحدهم الماء على رأسي وجسمي، غسلت رأسي ووجهي، ناولني ملابس جديدة ارتديتها، كانت عبارة عن بدلة رياضة "تراك سوت" ونعل وقبعة، طلب مني أن أرافقه ماشيا على قدمي ذهابا وإيابا لأكثر من ثلاثين مرة، كي أستطيع التوازن أثناء سيري، قال لي "سنطلق سراحك، تعال معى إلى السيارة، اجلس بجانبي، لا تفتح عينيك وابقهما مغلقتين، وعندما نصل المكان المعين، ترجل من السيارة، سر خمس خطوات توقف بعدها، عد إلى الخمسين وافتح عينيك، تكون نحن قد تجاوزناك"، دس في جيبي مبلغا من النقود، قال "تستأجر به سيارة تقلك، لا تذهب إلى بيتك مباشرة، بل اذهب إلى بيت أحد أقربائك أو أصدقائك، تبيت عندهم ليلة، تغادرهم في اليوم الثاني إلى بيتك"، ثم أضاف (نحن الآن في "الفلوجة"، سقط جسرا على النهر، نتوجه بعده إلى بغداد، من المحتمل أن تعرضا دورياً أمريكية أو دورياً شرطة، افتح عينيك باتجاههم، قل لهم إنك مريض وذاهب إلى بغداد للعلاج، وسألني "هل لك أغراض لدينا؟" قلت "نعم، ساعتي، حذائي، تلفوني النقال، بدلتي، ومبلغ من النقود، قال" عليك أن تعذرنا وتهبنا إياها، وتحلّها علينا، لأننا لا نستطيع إعادتها إليك، ولا تدع علينا بالسوء"، أدار دفة الحديث وبدأ يتحدث عن "أبو علي" الشخص الذي حملوه من داخل القبو، قال "لقد قتلنا هذا الشخص الذي كان معكم فهو من منظمة بدر"، كنت أدرك اللعبة منذ البداية، إن أزاحت غطاء العين وأرأيتهم، يعني أنك قد شخصتهم وعرفت وجوههم، وعندما سبقتلونك لامحالة، كان يريد أن يعرف هل علمت بمorte، قلت له "أنا لم أكن بوضع يؤهلي لتمييز الأشياء، ولم أكن واعياً لما يدور حولي، غارقاً في البول، لا أدرك ما يجري من حولي"، سكت قليلاً ثم غير دفة الحديث، قال "هل علمت من أصبح رئيساً للجمهورية؟"، لم أجبه، قال "لقد أصبح جلال الطالباني رئيساً للعراق، هذا آخر الزمان يكون رئيس جمهورية العراق كردي"، ولأقطع عليه حديثه طلبت منه أن يسقيني شربة ماء بارد، توقف قليلاً، ناولني علبة كولا مبردة وعلكة، لم أفتح عيني أبقيتهما مغلقتين لأنني كنت متيقنا تماماً متى ما فتحتهما، فإنهم لا يتوانون عن قتلي، باعتباري قد كشفت عن وجوههم وخصوصهم، كانت لحيتي طويلة وأمسى وزني لا يتعدي الأربعين كيلوغراماً، وجهي قد اسود بفعل الضعف والاستفراغ، استمر بالسير حتى بلغ المكان المعين الذي حدده مسبقاً، طلب مني الترجل من السيارة، سرت خمس خطوات، توقفت، لم أعد للخمسين كما طلب مني، غادرت سيارتهم المكان، تأكدت من ذلك دون أن ألتزم بالعد، ففتحت عيني،

وأنا غير مصدق أنهم أخلوا سبيلي، كانت الدنيا سوداء مظلمة، رافقتنى الحالة لحظات، انكشفت لي المكان بعدها، صرت أرى الناس الواقعين عن بعد مني دون أن أستطيع تمييز تحديد معالم وجوههم، قمت بالسير قليلاً رواحاً ومجيئاً بمحاذة الشارع العام (طريق الرمادي القديم - منطقة "الكرمة")، إتضحت صورة الناس أمامي، وانجلت وبانت الرؤية، كنت بحالة يرثى لها من الضعف والوهن وعدم التركيز، مر شخص من أمامي يقود جراراً زراعياً، ربما تكون له علاقة بالخطافين، بادرني بالقول "من هنا إلى خان ضاري" وأشار بيده نحو الطريق، غادر وبقيت أومئ للسيارات المارة، إلى أن توقفت سيارةأجرة كان فيها راكبان إضافة إلى سائقها، سأله "إلى خان ضاري؟" فهزّ برأسه إيجاباً، ركبت معه، دفعت له الأجرة، أوصلني إلى الخان، غادرت السيارة نحو محطة لوقوف السيارات، وكان صوت منبعث منها ينادي "علاوي...علاوي"، كانت محطة سيارات لنقل الركاب، ركبت السيارة، جلست في مقعدها الخلفي، وأنا ملتح وأعتمر قبعة وأنتعل نعلاً، أرتدت بدلة رياضية، كان يبدو عليّ المرض كأنني خارج لتوي من المستشفى، سارت السيارة إلى مبتغاها وهي تطوي الطريق بنا، أوصلتنا إلى "علاوي الحلة"، أفرغت حمولتها بالقرب من جامع البنية، ترجلت منها، صرت أبحث عن سيارةأجرة قديمة تحمل اللوحة الحمراء، فقد كان الكثير من السيارات الخاصة التي لا تحمل لوحة حمراء، تعمل كسيارةأجرة، كنت خائفاً أن تكون إحدى هذه السيارات عائد لعصابات الخطف، فضلت الانتظار، عثرت على واحدة، ركبتها مسرعاً دون أن أفالصه عن الأجرة، طلبت منه إيصالٍ إلى منطقة "زيونة" حيث يقع بيتنا، لم التزم بشرطهم الذي طلبواه أن أذهب إلى بيت أحد الأقرباء أو الأصدقاء، طال الطريق بنا فالطرقات معظمها مغلقة، والازدحام على أشدّه، حاول السائق عبور جسر الصرافية الحديدية، لأن جسر الخلاني وجسر الباب الشرقي كانوا مزدحمين بالسير، تبين أن الأخير أيضاً كان مغلقاً لشدة الازدحام، فاتجه بنا يميناً نحو منطقة الكرخ، واستمرت الطريق بنا لأكثر من ساعتين، وهي التي لا تتجاوز النصف ساعة في الأيام الاعتيادية، حسبت الوقت دهراً والطريق طويلة قد امتدت لآلاف الأميال، يتخللها اشتياق يستعر بين الحنایا يتاجج ويضطرم لرؤية الأهل والأولاد والأحبة، وصلت بيتنا، توقفت السيارة التي أقلّها أمام بابته الخارجية، ترجلت منها، أفرغت ما بجيبي من نقود، ناولتها للسائق، بقى مشدوهاً يتطلع بي، تزامن وصول سيارةالأجرة وتوقفها مع وصول ولدي "علي" إلى باب البيت، أراقبه وقد

رُكِن سيارته خارج مَرَأَبَ الْبَيْتِ، ترجل منها، ذهبت أنا باتجاهه، لم يُتَعْرِفَ عَلَى شخصي لأول وهلة، ولسان حاله يقول من هذا الرجل الغريب القادم إلينا والذي يروم دخول بيتنا، وإن لم أكن قد ترجلت من سيارة الأجرة لخالني شحاذًا، يطلب المساعدة، توجهت نحوه، دققت النظر فيه، دمعت عيناي، قلت له بصوت مكبوت مكتوم فيه حشارة "أنا أبوك يا علي"، حاول أن يصرخ، منعته وضعت يدي على فمه، ضمني إليه بقوه حملني بين يديه لخفة وزني، وأدخلني البيت، زوجتي كانت تغسل المَرَأَبَ لم تعرفني قال لها علي "هذا أبي يا أمي"، ففرزت نحوه، هب إلى راكضا من داخل البيت ولدي عامر صار يبكي ويقول "إنه ليس أبي أنتم تكذبون عليٍّ لا أصدقكم، أما ابنتي "أروى" فهالها وأذهلها المشهد وكأنها في عالم آخر، ولشدة المفاجأة هربت إلى الجيران غير مصدقة ما تراه، صارخة "هذا ليس أبي"، أَحْمَد تعلق برقبتي وصار يقبل يديه ويُشْمِنِي من عنقي وعيناه اغتروقتا بالدموع، أولاد العم وأبناؤهم، هرعوا جميعاً من داخل البيت حيث كانوا متواجدين وهم كثُر لحراسة الأهل، كي أخفف من الوطأة عليهم هزّت لهم وسطي ورقصت لهم بحركة علّها تخفف من الحال التي هم عليها، قلت لهم "خذوني إلى الحمام، أزيلوا عنِّي رائحة البول والاستفراغ"، نظفوا الطين العالق في باطن أنفي وفي أذني، بقيت على هذه الحال ثلاثة أيام، خلالها علقوا لي مغذيًا كي أُسْتَرِد عافيتي ووضعي الصحي، كان يزورني فيها طبيب يشرف علي يعينه مضمد يرابط الوقت كله إلى جانبي، كل من كان يزورني وتقع عيناه عليٍّ لا يصدق أن الذي أمامه هو فياض الذي تركه منذ شهرين بصحة وعافية، ربما أنه شخص آخر، فقد تغيرت هيئتي وشكلي وأصبح وزني لا يتتجاوز الأربعين كغم، طلبت من الأهل نقلِي إلى مستشفى أهلي كي أجري الفحوصات الازمة وأتلقي العلاج وأرقد فيه بضعة أيام للنقاهة، بسبب كثرة الأشخاص الذين يأتون لزيارتِي وتفقدِي والاطمئنان علي، وإصرارهم على مقابلتي لمعرفة حكاية اختطافِي، وكان هذا يسبب لي قلقاً وضغطًا لم تعد لدي القدرة على تحملهما، تم نقلِي إلى مستشفى السعدون الأهلي، بقيت فيه ثلاثة أيام، وبعد أن استقرت حالي الصحية، عدت إلى البيت.

ثمة الجانب الآخر من الحكاية بحسب أفراد عائلتي: لم يتصل بهم أحد إلا بعد شهر من اختطافِي، كانوا يجوبون المستشفيات، يفتتشون بين الجثث في بُرَادَاتِ الطب العدلي، يحاولون الاتصال ببعض "العلّاسة" وهم مرشدوا العصابات إلى الضحايا بأمل

أن يجدوا من خلالهم طريقاً أو أثراً أو خيط معلومات يصلهم إلى عصابة الخطف، حاملين صورتي معهم للاستدلال بها، وذات يوم من تلك الأيام الحالكة السوداء، المليئة بخوفهم وترقبهم وقلقهم على مصربي، كان ولدي علي برفقة أحد أبناء عمه وهو ما يراجعان مستشفى الطب العدلي للاطلاع على الجثث المكدسة في خزائنه المبردة، في محاولة لمعرفة جثتي إن وجدت بينها، بعد تردد عزف علي عن الدخول إلى المستشفى وطلب من ابن عمه أن يذهب هو ليستطلع الأمر، دخل المستشفى، فتش أدراج البرادات، عثر على جثة عمه، بقي مذهولاً حائراً متربداً، كيف سيبلغ ابن عمه بهذا الخبر الصعب والمشؤوم، أطرق قليلاً والحزن مرتسم في عينيه، لم يجد مفرأ من العودة ليخبر علي، وجده متکئاً على السيارة والقلق باد عليه، وقف أمامه دون أن يكلمه وقد اغروقت عيناه بالدموع، ضمه إلى صدره وهو ينتحب ويقول "وجدت عمي داخل الثلاجة"، خارت قوی علي، سقط أرضاً مغشياً عليه، غسل له وجهه بالماء، هدأ طالباً منه العودة إلى البيت لإخبار الأهل ومن ثم العودة لاستلام الجثة، رفض علي طلبه وأصر على العودة إلى المستشفى ليتأكد أن الجثة هي لأبيه بعد أن يراها بأم عينه، سيماناً وأن ابن عمه قد أخبره "إن وجه عمي مشوه وجثته منتفخة"، علماً أن الكثير من الجثث كانوا يأتون بها وهي مجهرولة الهوية، دخل علي المستشفى، ولج غرفة البراد، تنشق رائحة الموت التي تملأ فضاءها، وأشار له ابن عمه إلى درج الثلاجة الذي وضعوا الجثة فيه، يقول علي: (سحبت درج الثلاجة، أمعنت النظر إلى الجثة ودققت فيها، الجسم نفسه، البذلة الزرقاء التي كان يرتديها أبي يوم خطفه هي عين البذلة، والرأس شبيه برأسه لكن الوجه قد اعتراه التشويه ولا يمكن معرفته أو تشخيصه، لم يكن أمامي غير الكشف على رجلية، فأصابع رجلي أبي فيها تشوّه خلقي حيث يركب الاصبع الرابع على الاصبع الثالث في كلتا القدمين، وهما يشبهان قدمي أخي عامر، بينما وجدت أصابع رجلي الجثة سليمة لا يشوبها التشوه، ناهيك عن كبر حجم القدمين اللتين لا يمكن مقارنتهما بقدمي أبي الصغيرتين، مما جعلني أتأكد أن الجثة ليست له، حينها تنفست الصعداء وحمدت الله، أن الأمل باق بوجود أبي على قيد الحياة).

مرّ شهر والخاطفون لم يتصلوا بهم أو يبعثوا بخبر لهم، بدأ الاتصال مطلع الشهر الثاني من اختطافي، أخذوا يساومونهم على مبلغ من المال بدأوه بنصف مليون دولار وكان

التفاوض معهم يجري عبر التلفون، كان يتخالله التهديد والوعيد، ينتعون على بالكذب، فيقول له المتحدث "لاتكن كذا با مثل أبيك"، بعدها يخبرونه أنهم قتلوني ورموا بجثتي للكلاب، ويقطعون الاتصال لفترة تاركين القلق ينهشهم، والخوف يسيطر عليهم، وفي مرة أخرى يقولون لهم إنهم قتلوني ورموا جثتي في النهر، ويعودون ثانية ليقولوا إن جثتي في المكان الفلازي فاذهبا لرؤيتها، كل هذه الأساليب كان الغرض منها اللعب بأعصابهم ومساومتهم وابتزازهم عندما يكونون بأقصى حالات الضعف والخوف كي ينفذوا مطاليبهم، وقد استمرت المفاوضات ما يقارب الشهر إلى أن استقروا على مبلغ معين استلموه منهم في مكان ووقت هم الذين حددوهما وفرضوهما عليهم وبطريقة حرفية عالية حتى لا ينكشفو، حصل ذلك قبل يومين من إطلاق سراحني، وفي أثناء ذلك الوقت كان يرابط في بيتنا العديد من أبناء عمومتنا وقد استنفروا لحماية البيت خوفاً من مداهمة العصابة له ولمتابعة الأحداث وتطورها.

أخيراً... فقط عودة ولدي علي وما تحمله خلال فترة اختطافي، لأذكر حواراً حصل بيني وبين "الحاج" أثناء التحقيق معي، حيث قال "سنخطف ولدك علي ونأتي به إلى هنا لتجنيده مجاهداً انتحارياً ضد الأمريكان"، فقلت "أنتم تعلمون جيداً أن المجاهد يحتاج لإعداد نفسي وذهني وبيئة مهيئة قبل تنفيذ العمل، وأننا متيقن تماماً أنه غير مستعد لذلك، فلماذا تجهدون حالكم عبثاً؟"، أجاب "نحن لن نعلم بأنه ذاهب لمهمة انتحارية إنما نرسله للمكان المعين وعند بلوغه الهدف المقصود سوف نفجر سيارته بواسطة التحكم عن بعد"، قلت "هاً أنتاً أمامكم يمكنكم فعل ذلك معي دون الحاجة إلى اختطاف ولدي"، فسألني : "ها... تخاف عليه الموت من أجل قضية جهادية؟"، وحين أجبته متسائلاً : "بالتأكيد أخاف عليه، هل ترسل أنت ولدك لمثل هذه المهمة؟"، أمر بضربي، أي أبني لم أكن أخشاه، أبداً، لا هو ولا أتباعه، وهم من هم، لكوني منذ الوهلة الأولى لاختطافهم لي وضع نصب عيني أنني ذاذهب إلى "الموت" مؤمناً بأنه مصير قدرني حتمي!

كنت قد ذكرت أن شخصاً كانت تفصلني عنه ستارة من القماش وكان يرقد إلى شمالي، يحمل الرقم (٥)، و كنت أعتقد أنه من الجنسية الأمريكية او الاوربية، كنت أشم رائحة معجون الاسنان تنبعث من ناحيته عند كل صباح، وأحياناً كانت تنبعث منه رائحة عطر بعد أن يكمل تمارينه الرياضية و كأنه يستعملها ليغطي بها رائحة

العرق المنبعثة من جسمه وعندما انتقلنا الى المكان الآخر الذي اسميته "القبو" أخبرني احمد العبيدي: "أن الشخص الذي كان قرب الباب خلف الستارة هي امرأة، فقد كان السجان ينادي على الأشخاص في الطابق الأعلى ويقول لهم هيئوا (الابريق)، وكان يعني هيئوا الحمام للمرأة، ألم تكن تشم رائحة العطر المنبعث منها؟"؟ قلت بلى. وبعد ما يقارب الشهرين من إطلاق سراحه، شاهدت على احدى القنوات الفضائية، تقريرا مصورة عن صحافية فرنسية خطفت في العراق، واستقبلتها الفرنسيون في مطار شارل ديغول بباريس استقبلا حافلا، فقد صرّحت للصحافيين: "خطفت والمترجم العراقي الذي كان معى واقتادونا الى مكان نجهله، وكنا نحمل أرقاما داخل المعتقل بدلا من أسمائنا، ينادوننا بها، أنا أحمل الرقم (٥)، والمترجم يحمل الرقم (٦)، وفي تقرير مصور لفضائية ذاتها، عرضت فيه مقابلة مع المترجم وهو يزور عائلته وهم يستقبلونه بعد أن أطلق سراحه. فقد كانت هي من تجلس على يساره خلف الستارة، والمترجم هو الشخص الذي كان يرقد على يميني وهو من كان يكثر من الصلاة والدعاء كما ذكرت سابقا.

أبو عمر المقاول وشريك آل خريط والمهندس الحاصل على شهادة الدكتوراه بالهندسة من أمريكا، اعتقلوه هو الآخر من مكتبه في العامرية، لم يعذبوه حسبما افاد، وجهت له تهمة التعامل مع الامريكان قال لهم انه لم يعمل مع الامريكان بعد الفتوى التي اصدرتها "هيئة علماء المسلمين" بتحريرهم التعامل مع الامريكان، كان هادئا رصينا، حلو الحديث، يعاني من امراض عديدة، كان يستهل مكالماته مع المخطوفين الاخرين بكلمة "بني" ، علمت من عائلة صديقة لنا تسكن في حيهم، انه أطلق سراحه وترك العراق بعد ذلك.

عمار العبيدي "ابو ياسر" هو ابن احد شيوخ عشيرة العبيد في ناحية (جبه) القريبة من مدينة (حديثة) غربي العراق، مجاورة (القاعدة البغدادي)، التي شغلها الامريكان عام ٢٠٠٣م، كان سابقا يعمل مهندسا في وزارة الري و خيرا في السدود ايام حكم صدام حسين، ليصبح مقاولا بعد الاحتلال عام ٢٠٠٣م، كان يجهز القاعدة المذكورة بأحتياجاتها من المواد والمعدات ، ويصدر في الوقت نفسه مجلة دورية باسم "البغدادي" يحررها بنفسه ويذكر اسمه الصريح عليها كمدير لتحريرها، يتكلم فيها عن الديمقراطية ويهاجم الارهاب والارهابيين ويهاجم النظام السابق من على صفحاتها ،

كان شيوعيا سابقا هو و أخيه الذي يكبره سنا، ترك العمل السياسي في السبعينيات من القرن المنصرم.

في غرفة التحقيق وفي الجولة الثانية من التحقيق معي، وبينما كنت معلقا من أرجل إلى السقف، كان هناك شخص يجرؤن تحقيقا معه ويطرحون عليه أسئلة: "من يمول صحيفتكم؟ من هو الشخص الذي يتصل بك؟ أعطنا اسمه؟ والا سيكون الموت مصيرك"، استمرروا بتضيق الحبل عليه ليزداد الماء، وبتعالي صراخه: "توقفوا عن ضربى اتركوني وأخبركم عن كل شيء، يبدو انه انصاع لأمرهم وكشف عن علاقته بضابط أمريكي، حينذاك لم أكن اعرف ان هذا الشخص هو صديقي عمار العبيدي، بل تبادر الى ذهني اما أنه يمتلك صحيفة عراقية أو محرر فيها، بيد أنني عرفت هويته عندما التقى ابنه ياسر في "القبو" كما ذكرت سابقا، لكنني بقيت أحهل ان كان قد أطلق سراحهما، ولم يزالا على قيد الحياة، أم أنهما تمت تصفيتهما في المعقل.

منذ الوهلة الاولى لاختطافى، عشت صراعا مريعا مع نفسي، كيف سأمضي الوقت وقد جافاني النوم، وحرّم الحديث عليّ مع الآخرين، والأفكار تنهشنى من كل صوب، واسأل نفسي: ما هي أحوال عائلتي؟، الزوجة، الاولاد، يا ترى بماذا يفكرون؟ هل اعتقدوا أنني أمسكت في عدد الاموات؟ أو لديهم بصيص أمل في بقائي على قيد الحياة؟، ماهي الافكار والهواجس التي تنتابهم؟، أحمد ابن الرابعة عشرة، كيف كان وضعه بعد أن رأى الخاطفين وقد اقتادونني أمام ناظريه مكبل اليدين الى خارج المكتب، وهو غير قادر على فعل شيء ازائهم؟، كيف كانت حالته النفسية والعاطفية في تلك اللحظة؟ وهو الذي قدم الى الحياة يوم اعتقلتني أجهزة الامن العراقية في الكويت، وأودعوني سجن الصفا، وما أحاط بأمه ليلتها من ظروف صعبة المُت بها، صاحبها ألم وخوف على مصيري، بعد سماعها نباء اعتقالي، وتم نقلها الى المستشفى، والغريب في ذلك أنه ولد في مستشفى السلام الكويتي وصدرت له شهادة ولادة عراقية عنوانها: الجمهورية العراقية/ وزارة الصحة العراقية/ محافظة الكويت/ بتوقيع مدير المستشفى د. عادل الزهير. (٩٦)

(٩٦) شهادة ولادة أحمد.

على الذي رافقني ولازمني عملي وشاطرني افکاري، كيف يشعر الان وقد أصبح المسؤول الاول عن العائلة؟ عامر الطيب القلب بماذا يفكر وكيف يقضي اوقاته؟، اخي الوحيد كاظم الذي بيضي وبينه جفوة هل رماها خلف ظهره و عاد ليحتضن عائلتي كأب و أخ كبير ، أم تراه لم يزل يحمل غيضا و زعلا يمنعانه من زيارتهم و الاطمئنان على احوالهم؟، أصدقائي وشركاء العمل في بغداد، عباس عاصم فليح وجمال ججو، كيف هما الان هل تخليا عن عائلتي ام تراهما يواسونها ويمدون يد العون لها؟، شلة الاصدقاء بالأمارات العربية، عزيز الجصاني، عباس حسين محمد، جمعة اللامي، محمد عارف، سردار البياتي، باسم مطر، نجاح المختار، فلاح الصايغ هل وصلهم نباء اختطافي؟. ورغم كل هذه الافكار والهواجس التي انتابتني، ومنذ الوهلة الاولى لاختطافي فقد وضعت نصب عيني أنني ذاهب إلى "الموت"! لم أضعف بل زدت قوّة وصلابة وعنفواننا وصبرا في مواجهة ظروف المعتقل القاسية، واساليب التعذيب التي مارسها الخاطفون، ولم يفارقني الأمل في الحرية والبقاء والحياة.

خاتمة

بات من واجب مفكرينا المبدعين، أئّى هم، أن يسترجعوا هذه التجارب، منذ "البداية" التي (ليست في النهاية)، كي يقفوا عندها، بتراوٌ وتمعّن مراقبين مستقلّين، ثم يقيّموها واجدين لها حلولاً وبدائل، باّنة، أمست ضرورة ملحّة من أجل استشراف مستقبل مبشر ببناء وطن، متتطور مزدهر، ينأى عنه العنف، عاجلاً ليس آجلاً، فيسود فيه السلام....

.....النهاية في البداية

ملحقان

١- من شهاداتي / ثمة موضوع عنوانه (في النهاية كانت البداية/ أواخر ديسمبر ١٩٦٩ .
من مذكرات المناضل الشيوعي فياض موزان)، منشور على موقعي "صوت اليسار
العربي" و "الحوار المتمدن"،



في النهاية كانت البداية

اواخر ديسمبر ١٩٦٨

من مذكرات المناضل الشيوعي فياض موزان

* * * * *

قام السيد عزيز الحاج بالتعليق عليه، في الموضع الثاني، فعَقَبَ البعض على تعليقه تعقيبات متجنية، خارجة عن اللياقة، مما حدا بي أن أكتب رداً عليها، باعتباري شاهداً حاضراً، وقد نشر الحاج هذا الرد على الصفحتين الأخيرتين من كتابه "حدث بين النهرین - تجربتي في القيادة المركزية" كشهادة منصفة مني، قلت فيه:

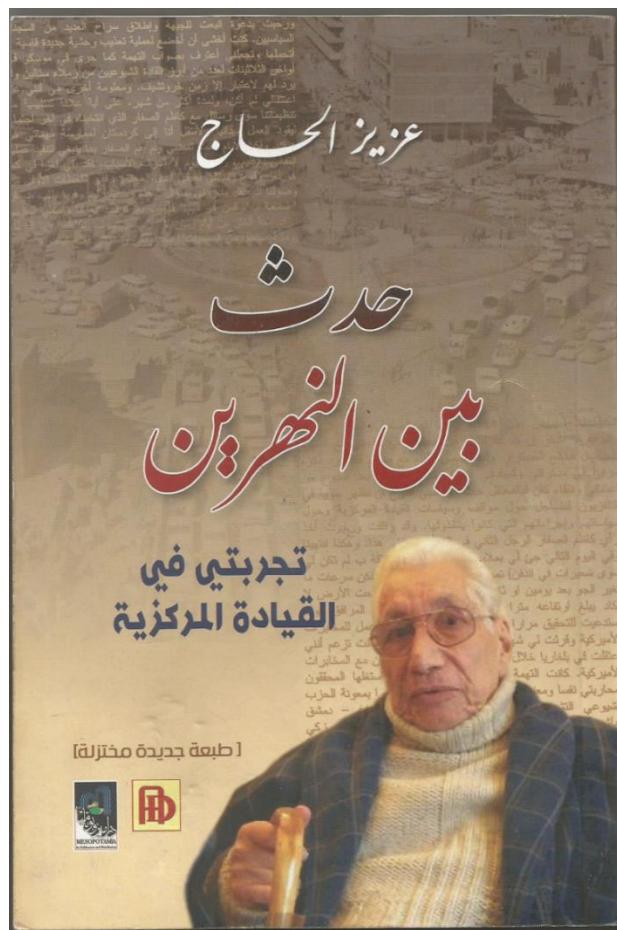
"تخطيت السبعين عاماً من عمري كما هو الحال مع السيد عزيز الذي بلغ الثمانين ونيف، وألا يغضب أبو سعود من كلمة (ونيف)، فكلانا سبعينيون ولم نزل نصارع الحياة لنبقى شهوداً منصفين. كنت عضواً في قيادة الجهاز الصدامي -القيادة المركزية- وأعتقلت في النصف الثاني من عام ١٩٦٨م في قصر النهاية إثر اعتراف من الشهداء صالح العسكري وحاتم سجان ومحمد كريم من أئتنا لجنة عمالية وبعد فترة اعتقل عزيز، وبذات ليلة اقتادني سالم الشكره عضو الهيئة التحقيقية إلى غرفة التحقيق، وجيء بعزيز إليها وأكد لهم أنني عضو في قيادة الجهاز الصدامي، ولست عضواً لجنة عمالية.

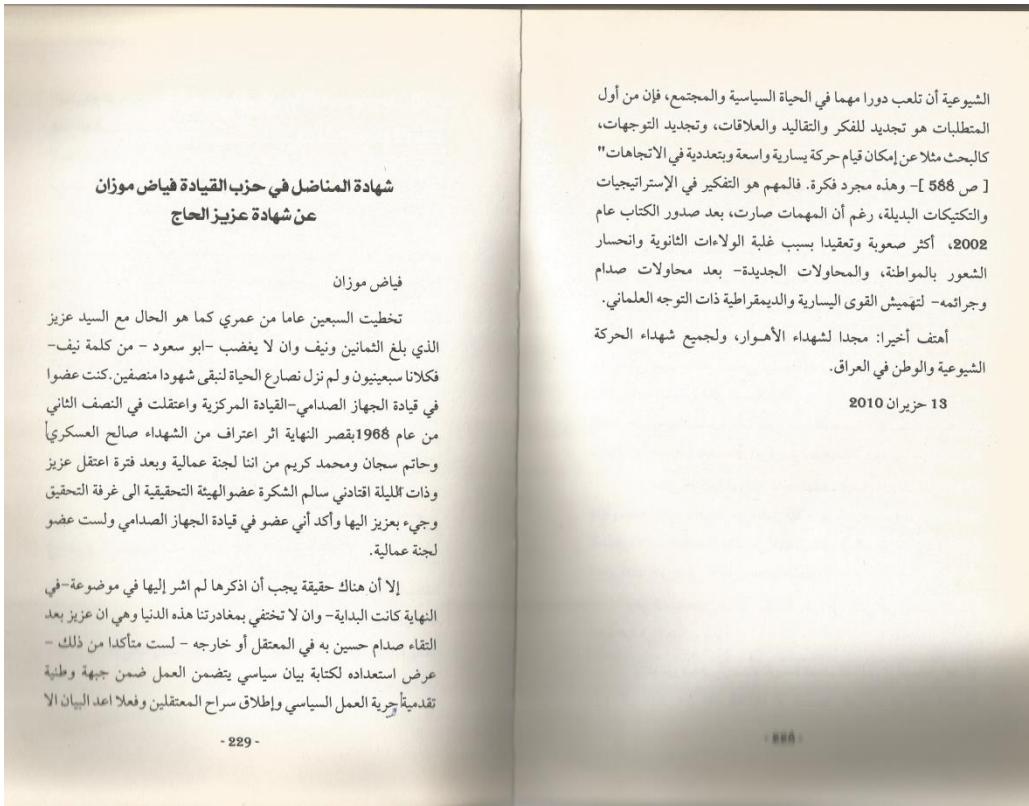
الآن هناك حقيقة يجب أن أذكرها، أشرت إليها في موضوعة- في النهاية كانت البداية- وأن لا تخفي بمغادرتنا هذه الدنيا، وهي أن عزيز بعد اللقاء صدام حسين به في المعتقل أو خارجه (لست متأكداً من ذلك) عرض استعداده لكتابه بيانه السياسي يتضمن العمل ضمن جبهة وطنية تقدمية، وحرية العمل السياسي واطلاق سراح المعتقلين ، وفعلاً أعد البيان ، الا انهم يبدوا لم يقنعوا بالفكرة، وذهبوا الى التصفيية التنظيمية والجسدية لأنهاء هذا التنظيم، وقد قال وبصوت عال "أني المسؤول الأول عن سياسة الحزب وأتحمل كامل المسؤلية لوحدي ولا يتحملها الحزب او أي رفيق آخر .

أما ان عزيز الحاج كان في غرفة مرفهة فهذا غير صحيح، فقد خصصت له غرفة صغيرة تحت السلم أشبه بالزنزانة، الا أنه كان يحظى برعاية واحترام الهيئة التحقيقية، وتصله الصحف يومياً، وله حرية القراءة والكتابة ويعامل معاملة حسنة. وهناك مسألة أخرى اطراها علينا أحد أعضاء اللجنة التحقيقية -أسمه مؤيد العبيدي -أنقلها بأمانة، فقد

قال : " في اليوم الذي اعتقلنا به السيد عزيز الحاج وجهت مسدسي الى رأسه مهددا ، فرد على (نحي مسدسك عني فهذا لا يرهبني) ...

من كل ما تقدم ، فان نيش الماضي كما فعل بعض الأخوة بتعليقاتهم ليس صحيحا . فالمرحلة المنصرمة الطويلة كانت كفيلة بتغيير الكثير من قناعاتنا ونوعية تفكيرنا وأن نعترف بأخطائنا ونصححها نحو محور مركزي هو بناء الوطن وحرية الإنسان فيه ، والابتعاد عن الأحقاد والأدلة ، وألا نكون (حنديري) كما قال البغداديون .





الفهرس

	مقدمة الطبعة الثانية.....
١٨	باريس في بداية نوفمبر 2012
١٩	تعليق على الفصل الثاني:.....
	الباب الأول
٢٣	الفصل الأول: قضايا الاصطفاف القهابي ومؤتمر الحزب، وأشكال الكفاح.....
٣٧	جلة ١٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٥
٤٩	مدخل.....
٤٩	الصراعات الحادة التي أدت للانقسام.....
٥١	الفصل الثاني: الصراع بين كوادر منظمة بغداد واللجنة المركزية.....
٥٩	الفصل الثالث: حركة القيادة المركزية.....
٥٩	بعض الخلائق والأجراء.....
٦٧	الفصل الرابع: الانقسام الحتمي.....
	الفصل الخامس
٧٥	١- مقدمات الحركة الانقضائية وتفاصيل تنفيذها
٩٠	ب- قصة اعتقال:
٩٥	الفصل السادس: "فريق من الكادر"
٩٩	الفصل السابع: حدن والبرازيلي
١٠٥	الفصل الثامن: الاجتماع الموسوع لقواعد القيادة المركزية [كانون الثاني ١٩٦٨]
١٠٥	(١) أحداث

- 231 -

أنهم يبدو لهم بقتعوا بالفكرة وذهبوا الى التصفيقية والجسدية لانهاء هذا التنظيم، وقد قال و بصوت عال «أني المسؤول الاول عن سياسة الحزب وأتحمل كامل المأي رقيق آخرف لمؤولية لوحدي ولا يتحملها أي الحزب». **هؤلئك هم**

اما ان عزيز الحاج كان في غرفة مرفةه فهذا غير صحيح. لقد خصصت له غرفة صغيرة تحت السلم أشبه بالزنزانة الا انه كان يحظى برعاية واحترام الهيئة التحقيقية وتصاله الصحف يومياً وله حرية القراءة والكتابة ويعامل معاملة حسنة. وهناك مسألة أخرى اطراها علينا احد أعضاء الهيئة التحقيقية وأنقلها بamanة، واسمها مؤيد العبيدي.. وهي أنه " وقت اعتقالنا السيد عزيز الحاج وجهت مسدسي الى رأسه مهدداً فرد علي [نحي مسدسك عني فهذا لا يرهبني]" ..

من كل ما تقدم إن نيش الماضي كما فعل بعض الإخوة بتعلقياتهم ليس صحيحاً. فالمرحلة المنصرمة الطويلة كفيلة بتغيير الكثير من قناعاتنا و نوعية تفكيرنا وان نعرف بأخطائنا وتصحيحها نحو محور مركزي هو بناء الوطن وحرية الإنسان فيه والابتعاد عن الأحقاد والأذلة، وان لا تكون [حنديري] كما يقول البغداديون ...

- 230 -

٢- من ملاحظاتي / هذه ملاحظات حول حوار صحي أجراه مبعوث مجلة الصياد اللبناني طلال سلمان عام ١٩٦٩م، في مكتب ناظم كزار، مع عزيز الحاج وستة من أعضاء القيادة المركزية، حين كانوا معتقلين في قصر النهاية، وقد نشر هذا الحوار الصحفي في ثلاثة أعداد من المجلة: ((١٢٨٤ في ٢٤ - ٣٠ نيسان- ١٩٦٩)، (١٢٨٥ في ١ - ٨ أيار- ١٩٦٩)، (١٢٨٦ في ٨ - ١٥ أيار- ١٩٦٩)).

أ- عزيز الحاج

١/ أوراق شخصية

ذكر طلال سلمان ما كتبه عزيز الحاج في أوراقه الشخصية داخل المعتقل، بعدما حصل عليها من إدارة القصر لينتقي منها ما يريد أن تنشره مجلته بحيث يسلط الضوء على ما كان ينتاب الحاج في معتقله من مشاعر وأفكار وأراء، مبتدئاً بعنوان "محاولات للتغيير شعراً ونثراً"، كان غرض سلمان منها:

- التعطيم على مواقف القوى اليسارية والمنظمات الفلسطينية المسلحة المساندة لحزب القيادة المركزية في لبنان، لحجب صوتها الذي كان يدافع عن معتقلين حزبي القيادة، ويفضح أساليب التعذيب التي تمارسها السلطات الأمنية القمعية البعثية ضدهم، وكان لـ "الجبهة الشعبية الديمقراطية" وـ "الجبهة الشعبية - القيادة العامة" هناك عمل مشترك يربطهما مع "ق.م"، فكان لمجلة الجبهة الثانية (إلى الأمام) دور بارز في الحملة الإعلامية التي فضحت ما كان يتعرض له معتقلوا حزبنا في قصر النهاية، وكان للرفيق إبراهيم الحريري دور بارز في الصحافة اللبنانية بالدفاع عن معتقلين في قصر النهاية من رفاق القيادة المركزية.

- إسقاط عزيز الحاج أمام رفاقه والجماهير المؤيدة له، حيث تداعياته السلبية، سيما تأثيره على الذين لم يتم اعتقالهم، بإضعاف معنوياتهم وخلق إحباط لدى جماهيرهم، كما حصل بعد المقابلة التلفزيونية التي ظهر فيها، مع محمد سعيد الصحاف، وهو يدلّي باعترافاته منتقداً سياسة حزبه، فأحدث بذلك آثاراً سيئة على أعضائه وجماهيره. فلقد ورد في مجلة الصياد تحت عنوان (صفحات مطوية من حياة عزيز الحاج) قوله "أنا طلبت التلفزيون، وما كان ممكناً لقوّة أن تحملني على الكلام لولا أنني أريد حقاً أن أتكلّم فأخاطب قواعدينا" نافياً أن هناك ضغطاً مورس عليه لإجراء مقابلة تلفزيونية كهذه! وربما كان هناك اتفاقاً مبرم بين حزب البعث ومندوب المجلة، ليقوم بنشر هذه المقابلة التلفزيونية على صفحاتها، إذ من غير المعقول أن توجه دعوة رسمية من مسؤولين عراقيين لصحفي عربي كي يدخل "قصر النهاية": المعتقل (السرّي) الشهير المعروف في تاريخ العراق، والذي تمت داخله ممارسة أبشع أنواع التعذيب فذاع صيته منتصراً في العالم، منذ انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ الدموي، ليستمر وتکتمل دورة العنف والدم بين جدران حجره وزنزانته الرهيبة بعد انقلاب ٣٠ تموز ١٩٦٨.

ثم قد يكون من الطبيعي لعزيز الحاج تحت وطأة ذلك الظرف واستناداً إلى موقفه في التحقيق، حيث النهاية المأساوية التي وصلها مجبراً داخل المعتقل، أن انتابته مشاعر ونزعات وهواجس شتى، تتارجح بين السلب والإيجاب، فسطرها على أوراقه الشخصية، قائلاً في بعضها شعراً:

(غرق الزورق المكابر في اليم / وطافت أشلاءً للعيان / واحتوتها الأمواج قذفاً ودفعاً / لا منار يومئ ولا شاطئان / قادنا مزلق التهور للقاع / وألقى مرساتنا في الهوان / واحتوانا من الشكوك ظلام / ودخان يثير كل دخان / *** / وردة كانت حياتي لم يكن عندي سواها / حرمتني لذة العيش وأحلام شبابي / أسرتني وسبتني في رواحي وإيابي / وردي كانت ضلالات وأوهام كتاب... / ونوايا طيبات اندفاع العاطفات / وسراباً في سراب / فقدت كل بعاتها / وسلام القلب هواها)... ليقول في آخرها وقد أفاق على

نفسه: (ماذا دهاني؟! نسيت الصبر والجلد!! ماذا دهاني؟! لا قيدي يؤرقني... ولا طيوف المنايا حركت شجني... حب الحياة يناغيني بهمساته لكنني غير هياب من الكفن) ...

وهنا يذكر طلال سلمان ("ولكنه يختتم القصيدة بما يليق به... ربما بفعل تذكرة أين ينظم شعره وفي آية مناسبة:

"الصبر والجلد!! أَجَلْ سأَصْمِدُ لِلْبَلْوَى بِلَا خُوراً!!.... وَأَفِيقُ إِلَى نَفْسِي، وَإِلَى مَهْمَتِي،
وَأَبْدأُ رَحْلَةَ الْبَحْثِ عَنْ جَوَابِ لِتَلْكَ "اللَّمَادِ" الْلَّعِنَةِ الَّتِي حَيَّرَتْ قَبْلِي الْكَثِيرِيْنَ فِي
الْعَرَاقِ وَخَارِجَهُ، وَالَّتِي مَا زَالَتْ وَسْتَبْقِي لِفَتْرَةِ طَوِيلَةِ مَعْلَقَةٍ، قَبْلَ أَنْ يَصُلَّ الْمُتَبَعُونَ
بِحَمْلِهَا إِلَى رَاحَةِ الْيَقِينِ الثَّابِتِ) ...

ومن خلال ما عبر عنه في كلماته يتضح تماماً الصراع النفسي الذي مربه، حيث جلد الذات، والضعف الداهم الذي عاشه، بسبب ما كان يعانيه داخل المعتقل وهو تحت رحمة جلاديء، يحاول جاهداً أن يعزى نفسه ليقنعها على الأقل بموقف الصامد الثابت.

٢/ مواقف غريبة

إنقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨

يوجه طلال سلمان سؤالاً لعزيز الحاج "ما هو موقفك من حركة ٣٠/١٧ تموز ١٩٦٨، وما يقارنه خصومك وأعداء الحركة الشيوعية، بين موقفك الراهن وبين صمودك في المحاكم التي نظمها العهد الملكي عام ١٩٤٨ لتصفية قيادات الحزب الشيوعي في العراق والحزب نفسه؟"، فيجيبه "إن موقفي الآن لا يختلف في جوهره عن موقفي عام ١٩٤٨، إنني ما تخليت عن العقيدة الشيوعية قط، وكل ما في الأمر أنني خطأت سياسة معينة، وربما لو كان عندي نفس الوعي لحقائق الأمور عام ١٩٤٨ لاتخذت نفس

موقفي الراهن، ثم أني كنت أواجه سلطة عميلة للاستعمار، بينما أواجه الآن سلطة وطنية وتقديمية ويمكن وصفي الآن بأني تخليت عن حزبتي، أنا الآن ماركسي ليينيني غير ملتزم بأي تنظيم شيوعي، ولستأشك لحظة واحدة في أن الشعار الذي رفعه حزبنا كان تعبيراً عن تهورنا وتطرفنا، لهذا أعتبر اعلان قناعتي بأضرار هذا الخط، ومن ثم التخلي عنه نوعاً من الشجاعة"، وهنا يسأله سلمان ثانية بذكاء وخبث "لكن الناس يتساءلون لماذا لم تعلن قناعتك الجديدة هذه إلا في المعتقل؟" (يستطيع القارئ اللبيب أن يستشف المقصود الحقيقي من وراء سؤاله هذا، كأن لسان حاله يقول: إن قناعتك الجديدة جاءت بسبب املاءات الهيئة التحقيقية باستخدامها أساليب القوة والترهيب، ولم تكن نابعة من إرادتك الحرة وقناعتك السابقة)، ليقول له "الجواب بسيط جداً، وهو يتلخص بأننا لم نتوصل إلى هذا التشخيص إلا بعدما صدمتنا الواقع، من الانصاف أن نعترف أن الإخوان البعيدين قد ساعدوك في معرفة بعض الحقائق، والحق إننا كنا نعيش جواً من التشكيك بحزب البعث استمر يلفنا منذ أن بدأ الحزب يفرض وجوده على المسرح السياسي في العراق، وهذا الجو ليس جديداً، ولم يخلق ضمن تنظيمينا، لأننا ورثناه عن اللجنة المركزية، ثم ترسخ في نفوسنا نتيجة المعلومات الخاطئة والمضللة التي كنا نزود بها، وبكلمة، فقد كنا أسرى جو الشك باستمرار... كنا نفكرون ونتصرف ونتحرك بينما الحقيقة محجوبة عنا".

هكذا يحاول أن يختبيء وراء اصبعه ويتنكر لقناعته الحقيقية، وأن هذا الاعتراف بـ"الإخوان البعيدين" جاء نتيجة وجوده داخل السجن وما مورس من أساليب تحقيق معه، فلو كان خارجه لاختلف حديثه، وهنا يظهر التراجع بوضوح من خلال ما قاله، ولدي قناعة تامة بأن ما صرح به لا يمثل قناعته الحرة، إنما جاء نتيجة ضعف وتخاذل في محاولة منه لإرضاء البعيدين وإقناعهم أن موافقه نابعة عن قناعته الذاتية، وبالتالي يؤكد لهم لم يصدقوه، لأنهم يعلمون تماماً أن اقواله وتصريحاته هذه لم تكن نابعة عن إرادته الحرة، بل جاءت نتيجة خوفه مما كان يراه بعينيه من ممارسات ارهابية شنيعة يقوم بها نظام كزار لانتزاع الاعترافات من المعتقلين وبث الرعب والفزع في

نفوسهم لخبرته الطويلة التي اكتسبها منذ كان محققا وجلادا في قصر النهاية عام ١٩٦٣م، إضافة لما يتمتع به من قدرة فائقة على التركيز لابتکار وسائل عنف غريبة قل نظيرها، ناهيك عن الضحايا الذين كانوا يموتون بين يديه وتحت تعذيب شركائه في الهيئة التحقيقية الذين هم في غالبيتهم خريجو سجون "عادية" لكونهم من عتاة المجرمين المدانين، وقد اختارهم للعمل في هيئته هذه، ف تكونت لدى الناس صورة مسبقة عنه تحيط بها حالة مخيفة لشخصه، تثير الرعب في فرائص ضحيته حالما يقابلها، ولقد شاهد الحاج هذا الشخص فلم يـ "العين المجردة" أعداد قتلاه من تنظيمات القيادة المركزية ممن ماتوا تحت التعذيب أو اعدموا في القصر فترة وجوده فيه، ولو كان هذا السؤال ذاته قد طرح عليه وهو خارجه متمتعا بحرية الرأي، دون ممارسة ضغوط عليه، لأجاب عليه بكلام آخر.

يقول الحاج "إننا كنا نعيش جوا من التشكيك بحزب البعث ورثناه عن اللجنة المركزية، ولم يخلق ضمن تنظيمنا"، وهنا أقف مندهشا مستغربا أمام هذا القول الذي يحاول به تعميمه على "ق.م"، حيث يوجه الاتهام إلى "ل.م" واضعا اللوم كلها عليها وحدها متناسيا أنها قبل الانقسام -لما كان الحزب واحدا - كانت الواجهة الوحيدة للحزب الشيوعي العراقي، وكان هو أحد الأعضاء البارزين في مكتبه السياسي، فتبينت أسئلة عديدة: أليس هو الآخر جزءا من موروثها؟ هل أنقذه اتهامه هذا إياها من تسقيط حزب البعث له؟ أما كان الأجدر به ألا يبرر موقفه قبالة البعثيين من خلال تعليقه على شماتتها؟ ثم... هل يا ترى أن تبريره باتهامها هي حسرا ينم عن فروسيّة وشجاعة شيوعيتين؟

* * إنشقاق الحزب الشيوعي العراقي

في ردّه على سؤال عن هذا الانشقاق، يقول عزيز الحاج:

"لقد بدأت خلافاتنا في أواخر عهد عبد الكريم قاسم ولكنها جمدت بعد حركة ١٤ رمضان (يقصد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م، الذي كان يوصف بانقلاب شباط الدموي في كل أدبيات الحزب الشيوعي التي تلتة، حتى بعد انقسامه إلى "ق.م" - "ل.م"). نتيجة ما تعرض له الشيوعيون في العراق... وكان ما نالهم آنذاك مفهوماً كردة فعل عنيفة لمسؤوليتهم عن كثير من الحوادث والأعمال العنيفة التي وقعت أيام قاسم".

في العبارة الأخيرة يبتعد الحاج عن التحليل الواقعي الموضوعي لتلك الأحداث وما عاناه خلالها الشيوعيون ومؤيدوهم والحركة الوطنية العراقية على يد الانقلابيين البعثيين، خصوصاً من تعذيب حتى الموت في السجون والمعتقلات، وأبرز دليل على ذلك "بيان رقم ١٣" السيء الصيت الذي أصدره ما يسمى بمجلس قيادة الثورة، وقد أذيع من إذاعة بغداد بتاريخ ١٩٦٣/٢/٨ وجاء فيه "نظراً لقيام الشيوعيين عملاً وشركاء عبد الكريم قاسم بمحاولات يائسة لإحداث البلبلة بين صفوف الشعب وعدم الانصياع للأوامر والتعليمات الرسمية فقد تقرر تخويل القطعات العسكرية وقوات الشرطة والحرس القومي بإبادتهم والقضاء عليهم" (١٧).

حتى أن قادة من البعثيين أقرّوا واعترفوا لاحقاً بأنّهم من ارتكب تلك المجازر، في الوقت الذي يعتبرها الحاج ردة فعل عنيفة من الانقلابيين، ويقترب من المجاملة محاولاً طمس الحقيقة والعبور عليها، أثناء تقييمه لأحداث عايشها وعرف دوافعها والقوى التي عملت على إثارتها، أو التي وقفت خلفها، واستغلّالها لضرب حزب

(١٧) هنا بطاطو -العراق -الكتاب الثالث ص ٢٦٥. حديث اجري مع عبد الغني الملا في ١٥ آب ١٩٦٦م.

الشيوعيين، الذي بُرِزَ على الساحة العراقية كحركة جماهيرية واسعة، أثارت الرعب والقلق لدى الدوائر الاستعمارية الغربية، ولخوفها من امكانية استلامها السلطة جندت كل امكانياتها وعلاقاتها في الداخل العراقي لمحابتها هذا الخطر الداهم.

إن بعض "التجاوزات الفردية" قد حصلت، سواء في الموصل أو في كركوك، ولكن واحدة منها ظرفها الخاص، الذي استغلته هذه القوى، فلعلت من خلاله دورا في إثارة الصراع، ولم يكن الحزب الشيوعي مسؤولا عنها، ربما يتحملها بعض كوادره وأعضاء من قواعده في هاتين المحافظتين، هو يعرفها أكثر من غيره، حيث كنا معاصرين لها ولا يمكن اعتبارها ردود فعل تبرر المجازر التي ارتكبت بحق الحزب إثر انقلاب شباط ١٩٦٣م، فراح ضحيتها آلاف الشيوعيين وأنصارهم، بتهمة الانتماء له، وأنصار الزعيم عبدالكريم قاسم، ثم لماذا لا نقول إن تجاوزات فردية كهذه لم تكن صادرة عن قيادة الحزب أو بتوجيه منه إنما جاءت كردود فعل على ما كان يقوم بها البعثيون والقوميون من أعمال عنف واغتيال وقتل ضد أعضائه، دون أن تجاهه بردود فعل مباشرة أو غير مباشرة، من الشيوعيين وأنصارهم، حتى وصل الحال لأن يتهموا بـ"الجبن"، بسبب عدم ردهم على الاعتداءات الموجهة لهم. أي أن أحاديث الموصل وكركوك عام ١٩٥٩م، وما رافقها من أعمال عنف بالغة الخطورة، لم يرتكبها حزب الشيوعيين، لا تخطيطا ولا تنفيذا، كما يدّعي خصومه السياسيون، بل كان أعضاؤه وأنصاره من ضحاياها، وقد أثبتت الأيام أنها بتقاربها الزمني، ٨ آذار ١٩٥٩م في الموصل / ١٤-١٦ تموز ١٩٥٩م في كركوك، كانت بتخطيط من الخارج وبتنفيذ من قوى سياسية عراقية.

أشير هنا إلى ما ذكره المؤرخ حنا بطاطو في كتابه الثالث "الشيوعيون والبعشيون والضباط الاحرار"، ترجمة عفيف الرزاز، بخصوص أحداث الموصل وكركوك، ما يؤكد، براءة الحزب الشيوعي منها، وعدم مسؤوليته عنها".^(٩٨)

يقول عن أحداث كركوك "لا شيء أذى الشيوعيين بقدر ما فعلت أحداث كركوك الدموية، ١٤ تموز ١٩٥٩م، ومع ذلك فقد أصبح مؤكداً الآن أن هذه الأحداث لم تكن مدبرة من قبل زعمائهم، ولا هم سمحوا بها، ويمكن أن تعزى هذه الأحداث جزئياً إلى طبيعة تلك الأزمة، من أفعال القسوة القصوى التي كانت شائعة في لحظات عدم الاستقرار الاجتماعي والغليان غير الطبيعي، ولكن اللوم المباشر يقع بوضوح على عاتق الكورد المتزمتين ذوي الميول المختلفة، ومن الأمور ذات المغزى أن كل القتلى الذين أفيد عن سقوطهم رسمياً، وعددهم ٣١ وباستثناء ٣ منهم وكل الجرحى الـ ٣٠ باستثناء ٦ منهم كانوا من التركمان، وأن كل ٢٨ المدانين بالطرف والذين اعدموا في ٢٢ حزيران ١٩٦٣م وباستثناء ٤ منهم كانوا كورداً وعلى العموم، وبشكل عام، كانت جذور الضراوة الوحشية التي أمسكت بتلابيب المدينة تعود إلى العداوة المتأصلة بين الكورد والتركمان. وكان للشيوعيين دور ناشط في انفجار الأحداث، ولكن ككورد لا كشيوعيين، ولم تكن الأحداث التي سعى هؤلاء إلى تحقيقها أهدافاً شيوعية، بل كوردية، وكانت شيوعيتهم، في معظم الحالات، شيوعية سطحية. ويبدو أن ما حدث في الواقع، كان أن الكورد طوّعوا كل المنظمات المساعدة للحزب الشيوعي لخدمة أغراضهم، أي لخدمة نزاعهم القاتل مع منافسيهم التركمان. وباختصار، فقد كان الكورد يحكمون عملياً ولا من يعارضهم، وكان لديهم تحت تصرفهم تقريباً كل الآلة القانونية والسياسية للمدينة الازمة لحل نزاعهم التاريخي مع التركمان وبدأوا فعلاً بتخفيه لأغراضهم، وما زال غير مؤكد ما إذا كان الانفجار أمراً مدبراً، أم أنه كان-

(٩٨) حنا بطاطو - الكتاب الثالث - الشيوعيون والبعشيون والضباط الاحرار - الفصل الحادي عشر - تموز (يوليو) ١٩٥٩م، (ص ٢٢٣-٢٣٢).

بساطة-متنوعاً متطرفاً من الجيшенات -شبه الغريزية-المتكررة الحدوث للحقد العرقي، أم أنه جاء نتيجة للأمرتين معاً.

أما عن أحداث الموصل فيقول "نظراً لقلة أعداد الشيوعيين وأنصارهم مقابل القوى القومية والدينية والاجتماعية والمحافظين، والمعلومات المتوفرة لديهم عن وجود حركة انقلابية يعد لها، بدأ الشيوعيون وأنصار السلام ومؤيدون آخرون للحكومة يتدفعون إلى الموصل يوم ٥ آذار أي قبل مهرجان السلام، وفي اليوم الثاني تجمع حوالي ٢٥٠ ألف شخص في المدينة، وفي منتصف صباح اليوم التالي ٧ آذار، غادر أنصار السلام الموصل، لكن الشيوعيين تخلّفوا، وكانت بقية يوم السابع مليئة بالمظاهرات والمظاهرات المضادة التي تزايد التوتر فيما بينها تدريجياً، وفي حوالي الساعة الثانية من بعد الظهر، تدفق البعثيون ومؤيدوهم من النبي شيت بقيادة فاضل الشكرة، عبر شارع فاروق وهاجموا عدداً من المكتبات اليسارية ومقهى علي الحُّوش، مكان لقاء الشيوعيين، وأحرقوها كلّياً، وفي وقت لاحق حوالي الساعة الرابعة، بالقرب من مكتب البريد، اصطدم البعثيون - الذين عززوا لأنّه باتباع عائلة كشمونة الذين كان كثير منهم مسلحين - بالشيوعيين الذين خرجوا من حي المكاوي وعلى رأسهم عباس هيّاله، وصحب العراك إطلاق نار ووقوع إصابات، وتدخل الجيش وفرض منع التجول، وعند فجر الثامن من آذار تم اعتقال حوالي ستين شيوعياً، بينهم كلّ أعضاء اللجنة المحلية تقريباً، وفي حوالي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي للانقلاب، قامت أربع طائرات من سلاح الجو العراقي بقصف مقر قيادة اللواء الخامس وجرح عبد الوهاب الشواف (قائد الانقلاب) وقتل بأيدي أربعة جنود وبناء على أوامر تلقوها من الرئيس أول الجوي أحمد حبيب، وفي الوقت نفسه، سار جنود من فوج الهندسة إلى السجن العسكري، في معسكر الحجرية فاقتحموه عنوة وأطلقوا سراح الضباط وكل المعتقلين الشيوعيين، ولم يتمكنوا من إنقاذ قائدتهم عبدالله الشاوي الذي كان قد صرع بيد محمود عزيز معاون الشواف، وعثر كذلك على زعيم أنصار السلام كامل قازانجي ميتاً، وتبعه ذلك صدامات دموية، وتدفقت حشود اليزيديين

وقبائل البرزاني الكردية والفلاحين الأرميين القادمين من تلکيف من الريف إلى الموصل استجابة لنداءات بغداد. وأعاد رواية تتمة الأحداث أمام المحققين البعثيين في العام ١٩٦٣ م مهدي حميد، قائد قوة المقاومة الشعبية في الموصل، (وخلال وجودي في مركز الشرطة حصلت في المدينة أحداث مؤسفة جدا، إذ كانت هناك تهجمات على حياة الأشخاص بداعي الكراهية الشخصية أو انطلاقا من رغبة بالثار أو بسبب نزاعات عائلية أو على أساس أنهم حملوا السلاح ضد الحكومة، أو أنهم ساعدوا المتمردين، وارتكبت هذه الأعمال من قبل عناصر سيئة النية وغير ذات ارتباط سياسي، أو من قبل قطاعات من الجنود الذين خرجن عن النظام والانضباط)..."في نهاية عهد قاسم كان عدد الضحايا والمهجرين قد ارتفع كثيرا في الموصل وحدها، واستنادا إلى سكرتير فرع الموصل للحزب الوطني الديمقراطي (عبد الغني الملا) قتل ما لا يقل عن ٤٠٠ شخص لم يكن بينهم إلا جزء من الشيوعيين (الحقيقيين) واضطر ما يصل إلى ٥٠،٠٠٠ شخص إلى الهجرة قسرا إلى بغداد وأماكن أخرى، وكثيرا ما كانت عمليات القتل تتم على يد الأشخاص الخشنين الطباع الذين نفذوا أعمال ١٩٥٩ الوحشية".^(٩٩)

(٩٩) هنا بطاطو الكتاب الثالث -الفصل التاسع، الموصل -آذار (مارس) ١٩٥٩ (ص ١٧٩-٢٠٠).

حركة الشواف وعلاقتها بأحداث الموصل

يذكر محمد حديد ما يلي: "إتضح أنه خلال زيارة عبد الوهاب الشواف إلى بغداد، عقدت اجتماعات عدّة بين الضباط ذوي الميل القوميّة شارك فيها بعض الضباط المستقلين. وكان الهدف منها تداول الوضع السياسي القائم، ومحاولات إيجاد حل للصراع السياسي الذي بدأ يتفاقم. وبعد أيام قليلة من عودة الشواف إلى مقر عمله حيث كان يدير كتلة من العسكريين الذين يؤازرونه إضافة إلى بعض المدنيين من بغداد والموصى، عُقد إجتماع أنصار السلام في ٦ آذار ١٩٥٩ في الملعب الرياضي في الموصل وعند إنتهاءه خرج المتظاهرون على شكل تظاهرات أخذت العناصر القوميّة والإسلاميّة بالإشتباك معها مما أدى إلى وقوع إصابات في صفوف الطرفين. وقام أمراً من المنطقة الشماليّة بإزالة قوات من الجيش بإمرة صغار الضباط من أهالي الموصل من أجل المحافظة على النظام، ولكنها تطورت إلى أعمال ضد الموالين للثورة والجمهوريّة، وصدامات كان نتيجتها وقوع عدد من الجرحى. وفي اليوم الذي أعلن فيه عبد الوهاب الشواف التمرد من إذاعة خاصة جهزتها له الجمهوريّة العربيّة المتحدة، كما قيل، وساعد في إنشائها مهندس بريطاني من شركة النفط في عين زالة، وأرسل طيارتين من مطار الموصل لتقصفاً موقع إذاعة بغداد في أبو غريب. وكان محمود الدرة، وهو ضابط متلازد، ومن المساهمين في حركة رشيد عالي سنة ١٩٤١ مشاركاً فعالاً في حركة الشواف، إذ كان وفق ترتيب سابق، حاضراً في الموصل أثناء إعلان الحركة. ومثله أيضاً سامي باش عالم الذي كان نائباً سابقاً في المجلس النبّابي في العهد الملكي، وهو من الموصل، وكان يساعد الشواف في تحرير البيانات والأحاديث التي كانت تُبثّ عبر الإذاعة. وتتجدر الإشارة إلى ما إتضح فيما بعد وهو أن إتفاقاً قد تم في خطّة التآمر على أن يقوم نظام الطبقجي بصفته قائد الفرقة الثانية التي مقرها في كركوك وتشمل المنطقة الشماليّة بما فيها الموصل، بدعم التمرد العسكري وإعلان تأييده له، ويقوم العقيد رفت الحاج سري الذي كان مديرًا للإستخبارات العسكريّة ومقره في وزارة الدفاع، بالإشتراك مع بعض الضباط القوميّين

الموجودين هناك بإعتقال عبد الكريم قاسم عند إعلان التمرد وإرغامه على الإستقالة، وإعلان تعيين رئيس وزراء وتشكيل حكومة أخرى. لكن هذه الخطة لم تنفذ بسبب تسرع الشواف في إعلان تمرده، أو بسبب الخوف الذي انتابهم فلم ينفذ ذلك العمل.... وعرف بعدها أن المتآمرين كانوا قد اتصلوا بعد الحميد السراج مدير المخابرات في (الإقليم الشمالي) من الجمهورية العربية المتحدة أي سوريا تأييداً للحركة. ويذكر أيضاً: "وقد نقل لي بعض معارفه في بلدتي الموصل، فيما بعد، إن أحد المعروفين بإنتسابهم لحزب البعث (طه الجزوائي)، وكان إذ ذاك يعمل في فرع مصرف الرافدين في الموصل، قد نفذ عدد من عمليات الإغتيال في تلك الحملة، وأصبح في وقت لاحق، في الصف الأول من قيادة حزب البعث".

"وكان أحمد عجیل الیاور (شیخ عشائر شمّر) قد أحضر عدداً من أفراد قبیلته لمساعدة الشواف، وتمكن لاحقاً من الهرب. والغیر أن أحمد عجیل الیاور كان قد زارني في مکتبی في وزارة المال للبحث في أوضاع الزراعة في لواء الموصل قبل أيام قليلة من إعلان حركة الشواف. وربما كان ذلك غداة سفره إلى الموصل للإشتراك في المؤامرة". (١٠٠)

أن الإعتداءات والإغتيالات والقتل والتصفيات ، ومحاولات الإطاحة بعبد الكريم قاسم وإسلام السلطة، والتصدي للشيوعيين ومؤيدي قاسم، كانت في وقت سابق لحركة الشواف وقبل إنعقاد مؤتمر السلام في الموصل بزمن طويل، يتضح من ما تقدم ومن خلال التنسيق مع القوى العسكرية والمدنية الأخرى في كركوك وبغداد والمدن الأخرى، ودعم من الجمهورية العربية لهم، هذا الدعم الذي بدأ منذ انسحاب الوزراء القوميين والبعثيين من الحكومة الأولى لثورة تموز ١٩٥٨، واحتدام الصراع بينهم، من جانب، وبين الشيوعيين والديمقراطيين والمؤيدين للثورة من جانب آخر، أضف لذلك نشوب الخلاف بين عبد الكريم قاسم و عبد الناصر مما حدى بالأخير أن يدعم هذه الحركة الإنقلابية، والقوى المؤيدة لها من قوميين وبعثيين، بكل الوسائل الممكنة من

(١٠٠) محمد حديد - مذكراً - الصراع من أجل الديمقراطية في العراق - دار الساقى - ٢٠٠٦ - ص ٣٧٢-٣٧٤.

مال وسلاح وإعلام، وهذا يدحض الرأي القائل أن الشيوعيين هم من بدأ الإعتداء على القوميين والبعثيين في الموصل عندما ذهبوا إليها وعقدوا إجتماعهم في الملعب الرياضي في الموصل كما أُشير إليه سابقاً، بل ما حصل هو العكس. وهذا يؤيد ويؤكد ما ذكره المؤرخ حنا بطاطو في هذا الصدد.

ولإعطاء صورة أكثر وضوحاً أسرد هنا بعض ما كتبه قياديون في الحزب الشيوعي عن تلك الأحداث:

لابد لنا أن نرجع إلى الأسباب التي فجرت أحاديث العنف والإقتتال في الموصل بين الشيوعيين والديمقراطيين من جهة، وبين القوى القومية والدينية والرجعية من جهة أخرى، وكان من أسباب تفجيرها، الحركة العسكرية الإنقلابية التي قام بها عبد الوهاب الشواف في الموصل بسبب المعاملة القاسية التي عومل بها الشواف، التي لم تراع مزاجه العاطفي. "فقد اختاره عبد الكريم قاسم في اليوم الثاني لثورة تموز ١٩٥٨ ليكون الحاكم العسكري العام، وأبلغه بذلك، وقد سر الشواف بهذا وأعد نفسه للأمر، إلا أن عبد السلام محمد عارف عارضه في ذلك، وأصر على إبعاده إلى الموصل، ليقود اللواء الخامس المرابط هناك، فترك في نفسه أثراً سيئاً، وشرع في تكوين مجموعة خاصة به من أمراء وحدات عسكرية في الجبانية والمسيب ومعسكر الرشيد وغيرها، وأظهر موقفه المحايد تجاه النزاعات في الموصل والتنافس فيما بين القوى المختلفة".^(١٠١)

"وببدأ الشواف يغازل القوى القومية، وكان حتى ذلك الحين لم يقطع روابطه السابقة بالحزب الشيوعي العراقي، وقد رشحه الحزب الشيوعي ليشغل منصب وزير الداخلية بعد إبعاد عبد السلام عارف، وأبلغه بذلك، ولم يكتم هو سروره بهذا الترشيح، وهيا نفسه لهذا الغرض، إلا أن عبد الكريم قاسم فاجأ الجميع بتعيينه أحمد محمد يحيى السفير العراقي في السعودية لهذا المنصب، ولم يكن الأخير قد أُسهم في ثورة تموز،

(١٠١) تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ج - ٢ ص ٦١.

ولم يكن من الضباط الأحرار، فجن جنون الشواف وهو الشخص العاطفي السريع الإنفعال والقليل للإتزان كما يصفه عامر عبدالله في (مجلة، أبواب - العدد ٣ - ص - ٢٠٣). وقد سعى المحامي جميل الشواف وهو أخوه وعضو في الحزب الشيوعي العراقي، أن يلتقي بعد الوهاب الشواف، لكن عامر لم يستطع اللقاء به لاختلاف العنوان كما يروي). فزاد في نقمته على الوضع، الرغبة في التمرد، فوجد فيه الضباط القوميون في الموصل، لاسيما قطبهم المحنك الذي يحقد على الشيوعية كثيراً. محمود عزيز، ضالتهم التي يبحثون عنها، فالتفوا حوله وراحوا يزيثون له للإقدام على التمرد، وكشف الضباط القوميون من جماعة محمود عزيز من نشاطهم، وشرعوا يتحركون على مختلف الجهات. (١٠٢)

وبقى التمرد بإسبوع تتابعت الأحداث وكثفت القوى القومية والقوى الرجعية من نشاطها، بإتجاه تغيير الأوضاع، واحتدمت لهذا حرب الشائعات، وإزدادت المشاحنات التي أوججتها زيارة عبد السلام عارف وفؤاد الركابي وجابر عمر إلى الموصل في آب ١٩٥٨. وسارع تنظيم حزب البعث في المدينة إلى تجميع كل القوى المحافظة فيما دعي بـ(التجمع القومي - الديني) الذي ضم ممثلين عن حزب البعث، وحركة القوميين العرب، وجماعة الإخوان المسلمين، وعدد من المستقلين للعمل ضد الشيوعيين في المدينة، وإلى جانب هؤلاء نشط المحامي سامي باش عالم العمري وهو نائب سابق من نواب العهد الملكي، ومحمد إبراهيم، وعبد الرحمن داود الملقب (أي. بي. سي) في تكوين تكتل يدعى إلى إسقاط حكم عبد الكريم قاسم، وإقامة حكومة إسلامية تقودها شخصيات من العهد الملكي أمثال مصطفى العمري. وبعدأخذ ورد بين القائمين على الحركة في موعد إنطلاقها استقر رأيهم على أن يبدأ التمرد العسكري في الموصل في ٥ آذار ١٩٥٩ لكنهم عادوا وغيروا الموعد إلى ٢٠ آذار.

(١٠٢) عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي - عزيز سباхи - ج ٢ - ص ٣٢١.

في الجانب المقابل، كان عبد الكريم قاسم والقادة الموالون له، وكذلك الأحزاب الثلاثة: الشيوعي، والوطني الديمقراطي، والديمقراطي الكردي (البارت) يتبعون التحركات التي يقوم بها قادة الحركة، وإن الأعمال المعادية ستبدأ خلال إسبوعين أو ثلاثة والقيام بإضرابات في المدن الكبرى في العراق. ولهذا عزمت الأحزاب والقوى الديمقراطية على عقد مؤتمر لأنصار السلام في الموصل، وحددوا له موعد يوم ٦ آذار ١٩٥٩ وأن يحشدوا له أوسع القوى، وذلك لتحذير "القوى المتآمرة" في الموصل، وقد تعاطف عبد الكريم قاسم مع عقد المؤتمر، ورفض الإصغاء إلى الذين طلبوا إليه منع انعقاده أو تأجيله على الأقل، لكي يتيسر لهم تنفيذ خططهم دون عائق، وقد أجاز الحكم العسكري العام وبتأكد من رئيس الوزراء عقد المؤتمر في موعده المحدد ٦ آذار، وأوغر إلى مدير السكك وأجهزة الأمن على توفير كل التسهيلات الضرورية التي يتطلبها عقد المؤتمر في وقته المحدد.

ومنذ الخامس من آذار راحت تتدفق الجماهير إلى الموصل من المدن والقرى المحيطة بها، ومن المدن الأخرى في البلاد لحضور مهرجان السلام، وفي اليوم المحدد إنعقد المهرجان في ملعب الإدارة المحلية في باب سنجار وطبقاً للتقديرات الرسمية شارك فيه حوالي ربع مليون شخص، وسارت الأمور سيرها الطبيعي، وبعد إنتهاء المهرجان قفل المشاركون عائدين في صباح يوم ٧ آذار، ولكن طبقاً للخطة المرسومة كما يبدو، شرع القوميون والقوى المساندة لهم ومن يلتف حولهم، يتحشدون في ٧ آذار منذ الصباح في ساحة النبي شيت وفي المكتبات والمقاهي التي اعتادوا التردد عليها. وتتدفق بعض مئات من أفراد شمر نحو المدينة، وجرى توزيع الأسلحة على العناصر القومية والموالين لها، وراحوا يتظاهرون في الشوارع وساروا في شارع الفاروق يتقدمهم البعثي فاضل الشكرة بإتجاه المحلات التي يسكنها الشيوعيون وهاجموا المكتبات اليسارية ومقهى على إلحو، الذي اعتاد الشيوعيون التردد عليها وحرقوها كلياً. إذ ذاك شرعت القوى الديمقراطية تتحشد، وانطلقت من محلة المكاوي ويسيير خلفها فصيل مسلح بالرشاشات وكان يقودها

النقيب عبدالجواد عبدالحميد، وعند ساحة الساعة إلتقت بمظاهرة قومية كانت قد انطلقت من باب البيض يعززها أتباع كشمولة المسلحون، وبعد تبادل بعض الإطلاقات تفرقت مظاهرة القوى القومية، وتعززت المظاهرة الديمقراطية بأعداد غفيرة من الناس المسلحين بقضبان الحديد والعصي، وكانت الحماسة قد بلغت بالجماهير إلى الحد الذي راحت تسستهين بكل شيء ولم تتردد عن فعل ما سبقها إليه القوميون، إذ أحرقت مكتبة فاضل الشكرة، ومكتبة آل كشمولة، ومحل محسن العاني وقتلت أخاه جبوري العاني، وكان العسكريون الذين يرقبون هذه التظاهرة، وهم بقيادة المقدم خضر يغضون الطرف عما تفعله الجماهير ولم يتدخلوا لوقف إطلاق الرصاص.

بعد هذا الإستعراض المستفيض للأحداث وتداعياتها في هذا الشأن يصل السيد عزيز سباهي الى الرأي الآتي: "المسؤولية الأولى، بالطبع، تقع على العناصر التي أسهمت في التآمر وتلك التي حركتها ووفرت لها المستلزمات المادية والمعنوية لكي تقدم على ما أقدمت عليه، ويندرج في إطار هذه العناصر القوى القومية المتعصبة، التي اندفعت إلى التآمر دون أن تحسب أي حساب للمصلحة العامة، والقوى الرجعية من عملاة الإستعمار ورجالات الإقطاع ومن ورائهم الدوائر الإستعمارية والجمهورية العربية المتحدة التي ذهبت إلى أبعد الحدود في دعمها للتآمر دون أن تضع في الحسبان المصلحة القومية العامة".

"ولكن هذا لا يعفي مسؤولية الجانب المقابل في دفع الأمور إلى حد الإنفجار والتصادم. لقد كان كلا الطرفين يسعى إلى تأجيج الأمور وتفجيرها كما تنفجر (الدملة) كما عبر عبد الكريم قاسم عن مخططه إلى وفد القوى الديمقراطية في المدينة الذي زاره قبل الأحداث، وكان كلاهما يفهم المرونة على أنها مناورة يراد منها خدع الخصم، وهددها يقظته تمهيداً لضربه." أما بالنسبة للشيوعيين في الموصل فقد كانت الأحداث فوق قدراتهم بكثير، وقد لعبت قلة الخبرة، وضيق الأفق، وبيروقراطية القيادة، والتعامل غير الديمقراطي الذي مارسه كل من حمزة السلمان ومهدي حميد،

الموفدين من قيادة الحزب، دورهما في جرهم إلى قرار خرقاً أضرت بهما وبالحزب كثيراً". ويؤكد عزيز سباهي "على أن مزاج قيادة الحزب كان يميل يومها إلى التعامل بقوة مع الأمر. إذ إنعكس هذا المزاج في اللغة التي كانت تعامل بها (اتحاد الشعب) مع أحداث الموصل، ويبدو أن المكتب السياسي للحزب قد أدرك بعد فوات الأوان أن القيادة الشيوعية في الموصل قد وقعت بخطأ كبير، وأنها ورطت الحزب في قضية خطيرة". وربما يحمل عزيز سباهي عبد الكريم قاسم شخصياً جزءاً من هذه المسؤولية عندما كان يتساءل: "هل كان عبد الكريم قاسم يريد أن تتطور الأحداث في الموصل على هذا النحو؟ وكم هي مسؤوليته الشخصية فيها؟ لاحظنا سابقاً أنه كان يصر على عقد مؤتمر السلام، وكان يرغب في الإمساك برؤوس التمرد وهم يمارسون الجرم المشهود، كما يقال، لقد ظل عبد الكريم قاسم يشيد بالدور الذي لعبه الشيوعيون في قمع تمرد الشواف، ولكن ما أن بدأت العلاقات تسوء ما بين عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي، حتى راح يستخدم محكمة قادة الشيوعيين في الموصل، ورقة يشهرها بوجه الحزب، وتناسي أنه ظل يشيد بأبناء الموصل هؤلاء، حتى حكمت عليهم محكمة عسكرية بالإعدام، وجاء إنقلابيو شباط لينفذوا هذه الأحكام".^(١٠٣)

لم تنتهي الأحداث المأساوية التي شهدتها الموصل، بانتهاء تلك الأحداث، وما اقترن بها من إراقة دماء شملت كثيراً من الناس من كلا الطرفين المتصارعين، وإنما امتدت إلى سنوات لاحقة مكونة بحد ذاتها قضية مريرة جديدة. لقد أدركت القوى القومية والعوائل الثورية المحافظة التي وقفت إلى جانب التمرد وساهمت بالأعمال التي كانت تدور في حينها، أن سياسة عبد الكريم قاسم قد اتجهت منذ منتصف عام ١٩٥٩، نحو التضييق على الشيوعيين واليسار عامه، وإرسال هيئة تحقيق خاصة للتحقيق فيما دعي بالأعمال التي إرتكبها "الفوضويون" وهي مزودة بأسماء الشيوعيين الذين يراد اعتقالهم ومحاكمتهم.

(١٠٣) عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي - عزيز سباهي - ج ٢- ص ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢٥.

" لذلك سارعت القوى المعادية للشيوخية إلى تدبير الإغتيالات، وتألفت لهذا الغرض لجان سرية تتولى من يراد إغتياله و من يتولى الإغتيال، وسرعان ما اتسعت دائرة الإغتيال لتشمل أناساً على الشبهات، ثم دون تحديد ولدوافع شخصية محضة، وللابتزاز، أو لدوافع دينية، ولم تعد تتوجه إلى الشيوخيين أو مؤيديهم، أو لأقاربهم فقط، وإنما امتدت إلى عناصر من الحزب الوطني الديمقراطي، أو من الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وإلى أناس لا علاقة لهم بالسياسة أساساً، وارتقت معدلات القتل إلى مستويات مخيفة، حتى بلغت في بعض الأوقات، ما بين ٨ و ١٢ حادثة إغتيال باليوم الواحد، ولمدة إسبوعين متتالين، وقدر عدد القتلى ما بين ٣٠٠ و ٦٠٠، وأخطر كثير من العوائل إلى الهجرة عن المدينة وقدر عدد العوائل المهاجرة ما بين عشرة آلاف وخمسة آلاف، وكان نصيب المسيحيين من التهجير هو الأعلى".^(١٠٤)

أحداث كركوك

في خضم الإستعدادات للإحتفال بالذكرى الأولى لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، فقد لوحظ أن التركمان راحوا يبالغون في الإستعداد للإحتفالات، ولكن ليس في إطار الإحتفالات العامة، وإنما بإسمهم الخاص، مما أثار الشكوك عند الجماعات المقابلة، ورغم المحاولات التي بذلت لتسير مسيرة شعبية واحدة في يوم الإحتفالات، إلا أن التركمان أصرروا على أن ينظموا مسيرة خاصة بهم إلى جانب المسيرة التي كانت المنظمات الديمقراطية قد هيأتها، فنشأت بذلك فرصة أو عقدة للإحتكاك.

إن الإصطدام قد حدث نتيجة الأحقاد القومية المقابلة بين الكورد والتركمان، حتى أن الشيوخيين الكورد لم يتصرفوا إزاء المسألة كشيوخيين وإنما ككورد أولاً.

يلاحظ (أوريل دان) "أنه كان لقاسم الدور الرئيسي في خلق هذه الصورة أي كون الشيوخيين هم الذين دبروا الأحداث وليس بالإمكان - كما يقول أوريل دان - التحقيق

(١٠٤) عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي - عزيز سباхи - ج ٢ - ص ٣٣٦ .

فيمن كان البداء بالإستفزاز في يوم ١٤ تموز ١٩٥٩، وليس ثمة دليل قانوني يثبت صدور أمر من الحزب الشيوعي العراقي في بغداد لتنفيذ مخطط مذبحة، ولكن يمكن التأكيد بصورة معقولة، إن أمراً كهذا لم يصدر قط". (١٠٥)

يذكر عزيز محمد السكري السابق للحزب الشيوعي العراقي في معرض حديثه عن أحداث كركوك، عندما كان عضو المكتب السياسي للحزب والمشرف على لجنة إقليم كردستان للحزب التي تتخذ من كركوك بالذات مقراً لها، وكان قد شاهد بعينيه ما جرى وسعى شخصياً بالتعاون مع وكيل قائد الفرقة العسكرية لتدارك الأوضاع: ".... واستغلت أحداث كركوك أ بشع يستغلال بتعكير العلاقة بيننا وبين عبد الكريم قاسم، كنت مسؤولاً عن منظمة حزبنا في كردستان، ولهذا أستطيع أن أعطي شهادة دقيقة مما حصل. كان الجو في كركوك عشية الذكرى الأولى للثورة متوتراً، وتقرر إقامة موكب موحد للاحتفال بالذكرى. الأخوة التركمان أرادوا الإنفراد بموكب مستقل، وهو من حقهم، غير أنه في أجواء التوتر تلك بدا غير مقبول لأطراف أخرى لسنا من بينها. تعرض الموكب لإطلاق الرصاص، ولم نعرف الجهة التي أطلقت منها وسببت الفوضى، بل الهيستيريا، حتى الآن فقدت السيطرة على الوضع، وحدثت إنتهاكات، وأعمال تصفيية ضد التركمان لم يكن لنا فيها كمنظمة أي دور، بالعكس بذلنا أقصى ما نستطيع من جهود لحقن الدماء ولم نوفق. ومع ذلك وجه الإتهام لحزبينا، وكانت هناك أوساط مستعدة لتقبل هذا الإتهام، إن لم تكن مستعدة لتلقيه والنفخ فيه. ولذلك فعلا صور عن فظاعات، وارسلت إلى الزعيم، ولا بد أنه صدقها، وألقى بعدها خطاباً في كنيسة مار يوسف يستخدم فيها نعوتاً قاسية ضدنا، وبعد هذا الوقت الطويل الذي مر على الأحداث أستطيع أن أؤكد أن منظمة حزبنا لم تكن لها يد فيما حدث، ولا

(١٠٥) أوريل دان - العراق في عهد قاسم - تاريخ سياسي - ١٩٥٨-١٩٦٢. نقله إلى العربية وعلق على حواشيه جرجيس فتح الله. عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي - عزيز سباхи - ج ١ - ص .٢٨٢

أستطيع أن أنفي ممارسات قد يكون أعضاء أو مناصرون لنا قد إرتكبواها بخلاف موقفنا ". (١٠٦)

لقد حذر مكرم الطالباني (الشخصية الديمقراطية القيادية، والتي تتصف بالرصانة والهدوء وسعة الأفق، والمحترمة في مدينة كركوك ومن عوائلها المرموقة) عبد الكريم قاسم من حدوث مذبحة في كركوك، كذلك اقترح على قيادة الحزب الشيوعي إستبدال نافع يونس، سكرتير اللجنة المحلية للحزب في كركوك، وعضو لجنة الإقليم، بأخر من أهالي كركوك، لتفادي هذه المذبحة التي بدأت معالمها تلوح في أجواء المدينة.

ويذهب عامر عبد الله القيادي في الحزب الشيوعي العراقي في رؤيته لأحداث الموصل وكركوك إلى رأي مقارب لما ذكره عزيز محمد سكرتير الحزب الشيوعي حول تسلسل تلك الأحداث والتعقيدات التي تخللتها والعنف الذي شابها حيث يذكر عن أحداث الموصل: "كانت هناك دوافع لقيامها منها انقسام الشارع السياسي إلى إتجاهين، اليسار والمتمثل بالحزب الشيوعي والمؤيدين له، والقوميين المتمثل بحزب البعث العربي الإشتراكي ومن يدعمهم، فضلا عن شعور بعض الضباط بالغبن، منهم العقيد الركن عبد الوهاب الشواف.... وجرى اختيار الموصل بالتحديد، لكونها معقل القوميين ولأنها قريبة من سوريا (الإقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة) لسهولة نقل الأفراد والمال والسلاح". وبعد أن يعطي صورة عن تطور الأحداث في تلك الفترة كما وضحنا ذلك سابقاً، "يرى أن تلك الأحداث وما رافقها من عنف وانفلات له أسباب عديدة يذكر منها: "الإحتيكات المحلية بسبب قطار السلام في الموصل،

(١٠٦) عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي -عزيز سباхи - ج ٢ - ص ٣٧٦، عن مجلة الوسط الصادرة في لندن العدد ٢٨٨ بتاريخ ١٩٧٩/٨/٤- مقابلة أجترتها مع سكرتير الحزب الشيوعي العراقي عزيز محمد.

وحركة عبد الوهاب الشواف والغبن الذي شعر به، وتعظيم دورنا واستصغر شأن الآخرين، كذلك كانت مواقف القوى الأخرى تزداد تشنجاً وتآمراً". (١٠٧)

ويذكر عن أحداث كركوك: "وتكررت الأحداث نفسها في كركوك في ١٤ تموز ١٩٥٩ لكن لأسباب ودوافع مغايرة، فكان العامل القومي في مقدمة العوامل التي أدت إلى وقوع تلك الأحداث، بسبب التصub التركماني -الكوردي، ونتيجة للتباوت الطبقي بينهما لصالح التركمان، ولتعيين عدد من الشيوعيين الكورد في مناصب حساسة مما زاد من مخاوف التركمان". ولم ينف مسؤولية الحزب الشيوعي ومسؤولية الحزب الديمقراطي الكوردي عنها، لكنه عارض الرواية السائدة في حينها، التي إستعملها عبد الكريم قاسم ضد الشيوعيين، وجرى تلوينها لاحقاً بتبييت الهجوم ضد التركمان فعده "أمراً غير مقبول وغير منطقي... لكنه لم يستبعد أن تكون عناصر متطرفة أرادت تعكير صفو الإحتفال بهذه المناسبة". وأكد عامر عبد الله "أن شركات النفط لم تكن بعيدة عن إفتعال الصدام، وإتهم بعض المتطرفين ومن غير علم أو تشاور مع القيادة العليا بقيامهم بذلك الإنهاكات. إذ انفجر الإحتقان الطويل الذي عاشه الشيوعيون في العهد الملكي، فيما كان الحزب قد نما وتضخم فلم يعد من الممكن السيطرة على إنفعالاته". (١٠٨)

كذلك أذكر هنا رواية شاهد عيان عن أحداث الموصل ١٩٥٩م، رواها لي كل من عماد عباس محمد وعلي جاسم حمودي نقلًا عن صديقهما عصام عائد شيت، (أمين عام حزب الاصلاح والعدالة الديمقراطي -بعد عام ٢٠٠٣م -الذي يمثل الجناح اليساري لحزب البعث في الموصل، وعضو مجلس محافظة نينوى بانتخابات مجالس المحافظات لعام ٢٠٠٩ - ٢٠١٣م، ورئيس لجنة التخطيط الاستراتيجي في المجلس).

(١٠٧) عامر عبد الله ودوره السياسي والفكري - (١٩٢٤-٢٠٠٠) - غادة فائق محمد علي - بغداد-٢٠١٨.

(١٠٨) عامر عبد الله - سنوات الفقر والأمل الخائب-١٩٨٨-١٩٩٤-٢-ج-٢-ص، ٢٠٤.

ذكراً أن عصام أخبرهما : "لقد أقام الحزب الشيوعي مهرجان أنصار السلام في الموصل، حضرته وفود جماهيرية واسعة من بقية المحافظات العراقية الأخرى، حتى وصل عددهم أكثر من مائة ألف شخص، وبعد انفلاطهم، ومجادرة المحتفلين ساحة الاحتفال، عائدین إلى محافظاتهم، قمنا بتنفيذ الخطة المهيأة مسبقاً للاعتداء على الشيوعيين، كنت أحد قادة هذا العمل، وكانت الخطة تقتضي أن نهاجم بقوة مسلحة مقاهي الشيوعيين، ومكتباتهم العامة، ونقوم بهجوم منظم على الفلول المتأخرة المتراجعة من المتظاهرين الذين غادروا سوق الاحتفال، إلى محافظاتهم، قد تم تنفيذ العملية وقمنا بالهجوم المسلح، وحصل التصادم معهم، وقتل من الشيوعيين ثلاثة وعشرون، ومن المهاجمين سقط سبعة عشر قتيلاً".^(١٠٩)

***أعمال الجهاز الصدامي المركزي

في الحديث عن الجهاز الصدامي لحزب القيادة المركزية، حيث تقييمه له، قال عزيز الحاج (قام الجهاز بالأعمال التالية: قتل عدنان شومان، وهو قائد شيوعي سابق قررت القيادة أنه خان الحزب فأهدرت دمه، وكلفت جهازها الصدامي بتصفيته، وكانت النتيجة أن قتل بالإضافة إلى عدنان إثنان من أنسبيائه، لا علاقة لهما بالموضوع / قتل جلال المختار وهو الآخر قائد شيوعي سابق تحول فيما بعد إلى خدمة السلطة فعمل مع أجهزة الأمن والمخابرات، وشارك في ضرب وتعذيب رفاقه الآخرين، وكان الخلاص منه يمثل رغبة جماعية لدى الشيوعيين قيادة وقواعد/ قتل الجهاز بمبادرة منه وبغير قرار من القيادة، بعض المواطنين، لا علاقة لهم بالسياسة أو بالحزب أصلاً، ومنهم محمد مир، وأمين الجنابي / وبمبادرة منه حاول اغتيال "أبو عروبة" أحد أعضاء حزب البعث "مسؤول تنظيماته في مدينة الثورة").

(١٠٩) مقابلة مع الصديقين المهندس عماد عباس وعلي جاسم حمودي.

لتوضيح هذا الأمر، أقول: إن كل القرارات التي كان ينفذها الجهاز الصدامي حتى العمليات التي يقتربها، وقبل تنفيذ أية عملية، كانت تسبقها موافقة القيادة، وتكون بعلمها ودرايتهما، أو بتخویل مسبق بالخلص من عناصر معادية تشكل خطراً كبيراً على الحزب، وإن جميع الذين وردت أسماؤهم، دون استثناء كانوا من هذه العناصر المعادية، ولم يكونوا " مواطنين عاديين لا علاقة لهم بالسياسة وبالحزب أصلاً بعد ترکهم له" كما يذكر الحاج، وهل يعقل أن تقوم قيادة جهازنا بقتل أناس أبرياء، لا علاقة لهم بالسلطة، أو لأسباب شخصية؟!، وبخصوص ذلك يقول صالح العسكري المشرف على الجهاز" إن الذين نفذوا العمليات المقررة هم مجرد شيوعيين متزمتين بخط الحزب، لم يكن يحركهم الطمع أو الخصومة، وإنما كان الخط السياسي هو الدافع والمبرر حتى في إقدامهم على قتل من لم تقرر القيادة قتلهم فإنهم كانوا يتصرفون انطلاقاً من تصورات سياسية وليس من عواطف شخصية".

لقد ذكرت سابقاً ان المعلومات عن الاشخاص وعن اوينهم كانت تأتي من خلال الجهاز الاستخباري المرتبط بمنظمة النساء، التي تقودها رفيقتنا نرجس الصفار، وقد كنا سوية اعضاء في منظمة بغداد، وكنت استلمها منها مباشرةً وبدوري كنت أسلمها إلى المشرف على الجهاز الرفيق صالح العسكري، وكل المعلومات عن الاشخاص، كانت دقيقة، ولم يكن خلفها اية دوافع شخصية او ثأرية، سوى تطبيق قرارات الحزب وتنفيذ سياسته، في الخلاص من اعدائه الذين كانوا يشكلون خطراً عليه.

يقول عزيز الحاج " ان أعمال الجهاز الصدامي، وعمليات الكفاح المسلح، كانت انعكاساً لأساليب العمل المخططة من قبل القيادة... والذين نفذوا انما هم شيوعيين متزمتين بخط الحزب. وتقضي الامانة ان اذكر ان الجهاز قد قام فعلاً ببعض المبادرات غير المقررة... وذلك يعود بالدرجة الاولى الى ضعف المركبة، والى عدم استطاعتنا السيطرة على هذا الجهاز. ولقد تصورت في فترة، ان السلطة تقوم ببعض العمليات ثم تنسحبها علينا بغرض تسويه سمعتنا والاساءة الى خط الكفاح المسلح، لكننا تبينا، من ثم ان الجهاز نفذ ثلاثة عمليات دون علمنا... وقد نوقشت هذه

المسألة في الاجتماع الاخير للقيادة، واتخذ قرار بإلزام الجهاز بنيل موافقة القيادة المسبقة على اي تصرف... كذلك قررنا تبديل المشرف وتكوين لجنة صدامية جديدة. على ان التناقض كان مصدره القيادة وليس الجهاز او لجنته، فلقد كنا نطالبهم بالالتزام بقراراتنا وفي الوقت نفسه نطالبهما بأن يأتونا بالمال من اي مصدر كان."

ويعقب عزيز على ما تقدم فيقول : " هذا يعني ان القيادة و الحزب اجمالا، كان ينقصهما الوضع النظري الكافي، و انها لم تكن جادة في المحاسبة، و كانت تنسب تراخيها الى حاجتها الماسة الى المال من جهة اخرى فلقد شعرنا، و نحن في غمرة العمل بقيام تكتل بين بعض عناصر اللجنة الصدامية و منظمة الحزب في المنطقة الجنوبية و بعض المنظمات الاخرى... و كان مبرر التكتل الزعم بأن القيادة متخلفة و غير مؤمنة بخط الكفاح المسلح، و لقد تلقينا عشرات الرسائل و التقارير المليئة بالتهجم على موقفنا الذي وصف "باليمنية" و "الميوعة"، كذلك تمردت علينا المنظمات الصدامية في السليمانية، بينما قدم قادة تشكيلاتنا في الجنوب انذارا الى القيادة و سكرتيرها بضرورة التحاق جميع القياديين بالأهوار و إلا فإن احدا لن يعرف بكم !! ، وان المقررات ذات الطابع الصدامي التي اتخذتها القيادة وبينها :

١-الرد بالمثل في حال وقوع اعتداءات مسلحة على رفاقنا في الكليات.

٢-في حال قيام السلطة بهجوم كاسح على حزبنا، او قيامها بحملة اغتيالات ضد رفاقنا، فان واجبنا ان نرد بالمثل، شرط ان يتقرر اي عمل بمكتب القيادة.

٣-كان في جدول العمل مشروع تقدمت به منظمة بغداد وبعض الرفاق بضرورة التخلص من مالك سيف (عضو سابق في اللجنة المركزية، متهم بخيانة الحزب وتسليم وثائقه وكل ما يخصه الى السلطة عام ١٩٤٨م) وهادي هاشم، في ذكرى اعدام قادة حزبنا في ١٤ شباط ١٩٤٩، اي يوسف سلمان (فهد) ووزكي بسيم (صارم) وحسين الشبيبي (حازم).

٤- تقرر في اجتماعنا الاخير العمل على تنفيذ قرارات سابقة (اصدرناها خلال حزيران ١٩٦٨) بإقامة قاعدة جديدة في الاهوار بعد تدمير القاعدة الاولى، والعمل لإقامة قاعدة جديدة في لواء ديالى.

٥- كانت ندرة المال اللازم لصيانة أنفسنا مشكلتنا الكبرى، ولهذا قرر اجتماع القيادة الاخير، وبأجماع ١١ صوتا، ان تقوم منظمات المناطق الجنوبية وكردستان والجهاز الصدامي في بغداد بثلاث عمليات مسلحة للاستيلاء على النقود بأقل التضحيات، على ان نكف بعدها عن ممارسة هذا الاسلوب... ولقد تركنا المبادرة للمنظمات المذكورة واعطيناها حرية التصرف.

ان مجموع هذا الاتجاه كان ضارا وخطرا، وكاد ان يحول حزبنا الى مجرد جماعة من المسلحين، وتناسى اي عمل من هذا النوع تحديا للسلطة، وضررها من المغامرة المتهورة، وحتى تشجيعا للفوضى، ونحن كقيادة وانا بالذات كسكرتير نتحمل المسؤوليات الاساسية."

ب-الأعضاء القياديون

لابد من تسلیط الأضواء على تصريحات بعض أعضاء القيادة المركزية، في هذا الحوار الصحفي، وقد بان في عيونهم القلق، وارتسم على وجوهم الخوف، وانصاعوا لما طلبه المحقق البuchi منهم.

يجيب خضير عباس الزبيدي (مسؤول العلاقات الوطنية فيها) على سؤال "الكافح المسلح شعارا وممارسة؟" بما يأتي: "إن تشيع الكفاح المسلح الآن أمر لا يفيد في التخفيف عن مسؤوليتنا، بالإضافة إلى كونه تصرفًا غير شجاع وغير أخلاقي، إن نقطة الخطأ الأساسية في موقفنا ليست اعتمادنا على الحركة الكردية المسلحة، ولكنها تمثلت في موقفنا الخاطئ من السلطة بعد ١٧ تموز ١٩٦٨م، ولو أننا انتبهنا إلى التغيير النوعي الذي تم على مستوى الحكم لامكن أن نتفاهم ونتعاون معه، وبالطبع فإن سائر

مواقفنا كانت ستبدل، إن تصحيح الظروف الموضوعية لا يتكامل دفعة واحدة، إنما يتكامل مع العمل وبالعمل، لكننا لم نشأ أن نتعجب أنفسنا بالتفكير والتحليل، فاعتبرنا أن الوضع لم يتغير، وتمسكتنا بـمواقفنا السابقة نتيجة لانعزاليتنا وركودنا وهكذا بقينا نتصرف وكأننا نواجه حكومة رجعية ديكتاتورية كالتي عرفناها قبل ١٧ تموز ١٩٦٨ م.

هنا أيضا يضرب الزييدي على نفس الورت، مكررا النغمة التبريرية ذاتها، مخطئاً الموقف من سلطة ١٩٦٨، مقرّعا النفس ناعتها بالانعزالية والركود، محاولاً أن يحسن ويلمّع صفحة انقلابي ١٧ تموز، ممجداً بـ"التغيير النوعي" الذي طرأ على حكمهم وضرورة التفاهم والتعاون معه، ويصف عهد عبد الرحمن عارف بالرجعية والدكتatorية، بالرغم من أن هذا العهد، ذا الحكومة التي رأسها الدكتور عبد الرحمن الباز المدني الأكاديمي الليبرالي، كان يدعو لفضاء أوسع من الحرية والديمقراطية، يعكس عهد البعثيين الجدد الذي استهل باغتيال وإعدام وحبس المعارضين له، وهو أحدهم! فـ"التغيير النوعي" الذي يشير إليه لم يحصل قبل اعتقال القيادة المركزية المبكر في أيلول ١٩٦٨ م، أي بعد شهرين من انقلاب تموز ١٩٦٨ م، وكان هناك الكثير من الملاحظات والمؤاخذات على نظام البعث لما قام به من حملات اعتقال وممارسات تعذيب في مراكز التحقيق، وملائحة القوى المعارضة، واستمراره بكشف أعضاء "ق.م" ومطاردة من تبقى منهم خارج المعتقلات، رغم المقترح الذي طرحته عزيز الحاج بإصدار بيان يعترف بوطنية النظام ضمن جبهة وطنية تقدمية مقابل إطلاق سراح المعتقلين ومعاودة حزبنا لنশاطه السياسي، إلا أن مقترنه هذا جوبه بالرفض من النظام. أي أنه لم يكن تغييرا نوعيا لا في تركيبة السلطة ولا في قراراتها، وما سمعناه من مواقف ونحن لم نزل في قصر النهاية، لا يعدو عن اجراءات تكتيكية استخدمها البعثيون لثبت حكمهم واستمراره، بعد أن انقلبوا على شريكهم النايف والداود، منها: توثيق العلاقة مع الاتحاد السوفيافي والمعسكر الاشتراكي، الاعتراف بألمانيا الديمقراطية، إتفاقية الكبريت مع بولونيا، الدعوة للجبهة الوطنية، الإيحاء بأن موقفهم المعادي للشيوعيين قد تغير، وهذا الأخير - خصوصا - تدحشه اعتقالات واغتيالات وإعدامات شملت العشرات من رفاق القيادة واللجنة المركزية للحزب الشيوعي.

ويشير كاظم الصفار إلى بيان (ق.م) عام ١٩٦٨م قائلاً "بداية الخطأ كامنة في البيان الذي أصدرناه في يوم ٣١ تموز، أي بعد الحركة التصحيحية التي نفذها حزب البعث مباشرة، لقد أكدنا في ذلك البيان أن الشعارات الاستراتيجية المركزية لاتزال تحفظ بجديتها، كما حاولنا نسب الانتفاضة لجهات مشبوهة بالقول إن الاستعمار تدخل عندما تيقن أن الحركة الثورية بلغت مرحلتها الحاسمة، فأحدث الانقلاب، وهكذا يتبيّن أننا أخطأنا في تحديد المهمة المركزية".

أقول: إن بيان ٣١ تموز ١٩٦٨م، كان صائباً في تحليله للأحداث وتشخيصه للواقع السياسي، إلا أن الصفار جافي الحقيقة والصواب عندما خطأً القيادة المركزية، مع أنه عضو فيها، وأصفا الانقلاب على الحلفاء في ٣٠ تموز ١٩٦٨م بالانتفاضة، وهذا ما كانت تريده الهيئة التحقيقية لتسقط "ق.م" أمام أعضاء الحزب وجماهيره فضلاً عن الرأي العام، فتجاهل هذه الحقائق الأساسية:

- إن (الانتفاضة)، بحسبه!، في ٣٠ تموز ١٩٦٨م وبينه "ق.م" في ٣١ تموز ١٩٦٨م، أي أن هناك يوماً واحداً بينها وبينه، وهنا ملاحظتان: الأولى/ من المستحيل أن يتم اجراء تغيير في بنية نظام الحكم الجديد خلال يوم واحد! - الثانية/ لا يمكن تصديق أن هذا اليوم الواحد كافٌ لدى "ق.م" لتقييم الأوضاع ومن ثم تأشير صواب نهج الانقلابيين وحكمهم!!.

- بعدها قام حزب البعث بتوجيه دعوة إلى "ق.م" للقاء تشاوري حول إقامة تعاون مشترك بينهما، حيث الصفار ممثلاً، وقد أبدى البعثيون ترحيبهم بالشيوعيين، عارضين عليهم استعدادهم للتعاون، وقلب صفحة الماضي، وأنهم قادمون بعقلية جديدة، مختلفة عن تلك التي كانوا عليها عام ١٩٦٣م، إلا أن قرار "ق.م"، الذي أبلغه لهم، كان يؤكد استحالـة العمل مع حزبـهم، ما يعني أن القناعة كانت موجودـة، ولم تكن خاطئـة في حينـها.

- أي أن البيان كان صائباً في تشخيصه وهذا ما حصل فعلاً، حيث كان العنصـران الأسـاسـيان اللذـان تعاونـهما حزـبـ الـبعـثـ فيـ الحـرـكـةـ الانـقلـابـيـةـ، هـماـ عبدـ الرـزاـقـ النـايـفـ مـعـاـونـ مدـيرـ الاستـخـبارـاتـ المـحـسـوبـ عـلـىـ الانـكـلـيزـ، وـالـذـيـ أـصـبـحـ (ـرـئـيـساـ للـوزـراءـ)، وـأـبـراهـيمـ الدـاوـدـ قـائـدـ الـحرـسـ الجـمـهـوريـ المـحـسـوبـ عـلـىـ الـأـمـرـيـكـانـ، وـقدـ

نَصْبُ (وزيراً للدفاع)، وعندما تمت تنصيبهما من منصبيهما وإبعادهما خارج العراق، إعترف الحزب بأنهما من القوى الرجعية وأنه حالفهما من أجل الوصول إلى السلطة.

أما بيتر يوسف (مسؤول جهاز التنظيم المركزي لـ "ق.م") فيقول "كنت أردد دائمًا، وقد أعلنت هذا في آخر اجتماع لنا، أن حزبنا فقد صفتة كحزب شيوعي، وأخذنا نتساءل الرفيق كاظم الصفار وأنا، ترى إلى أين نسير؟!"، وفي رسالة منه "إلى سعادة رئيس وأعضاء مجلس قيادة الثورة"، لخص فيها تجربته مع الحركة الشيوعية على امتداد ٢٤ عاما، يقول "أما القسم الآخر من الحزب الذي انشق وسمى نفسه بالقيادة المركزية، والذي كنت أنتهي إليه، فقد سار سيرة هوجاء رعناء شملت جميع نواحي سياسته، ففي النطاق الخارجي، ونظرًا لمقاطعة الأحزاب الشيوعية والبلدان الاشتراكية التي تؤيد موسكو لحزبنا، فقد انطلقتنا نبحث عن مصادر أخرى لتساعدنا ماديًا على تحسين أمورنا... وحين عجزنا عن إيجاد هذه المصادر توجهنا للحصول على ما تحتاجه من باب آخر هو السطو ، وسمينا عملياتنا في هذا المجال عمليات ثورية!، ولكي نتضارب مع جماعة اللجنة المركزية الذين صنفناهم يمينيين وإصلاحيين، رفعنا شعارات الكفاح المسلح... ولكن كل الذي قمنا به كان عملية شوهاء ذهب بسببها، في أهوار الناصرية، أبرياء هدرت دمائهم، ولماذا؟ لإرضاء نزعة الغرور والتزعم والحدق لدى نفر معين.... (يقصد عزيز الحاج) وكذلك عمليات اغتيال وإرهاب كان الغرض منها البقاء على التنظيم قائما وإيهام البسطاء من المنتسبين إليه بأن حزبهم حزب ثوري".

إن رسالته هذه ركيكة مجافية للحقيقة والواقع، فيها من الوهن والضعف والمزايدة الواضحة الشيء الكثير، تنبئ من بين سطورها رائحة التنافس والصراع الشخصيين والحدق على شخص الحاج، ناهيك عن تقديم أنواع الطاعة والولاء لكسب ود ورضا سلطة البعد، وتحمل نزعة التنكر لكل ماضيه وتراثه النضاليين لأكثر من ثلاثة عقود قضاها في صفوف الحزب الشيوعي، بأنه لم يكن قائداً وكادراً متقدماً فيه، شاططاً على كل هذه المسيرة النضالية عندما ارتضى ما ارتضاه من الخنوع والمذلة، مقابل أن يحصل على سلامه رأسه وعلى منصب أو وظيفة في الدولة، وقد بر البعضون بوعدهم له فعينوه سفيراً للعراق في المكسيك.

لقد حاول في هذه الرسالة أن يرمي الأخطاء على عاتق الحاج وحده، في الوقت الذي كان هو مشرفاً على كل تنظيمات حزب القيادة المركزية، حيث المسؤولية فيها كانت جماعية، وهذا ما يتضح من خلال الجدول التالي الذي كتبه الحاج بخط يده كما نشرته مجلة الصياد:

- ١-بيان ٣١ تموز ١٩٦٨ الصادر من القيادة المركزية، محدداً موقفها من الحكم الذي قام نتيجة لانقلاب ١٧ تموز. موافقة بالإجماع
- ٢-صواب الاستمرار في اعتماد إستراتيجية الكفاح المسلح بعد ٣٠ تموز. موافقة بالإجماع
- ٣-القرار باغتيال عدنان شومان، مع نقد الطريقة التي تمت بها العملية. موافقة بالأجماع
- ٤-القرار باغتيال جلال المختار مع تقدير للذين نفذوها. موافقة بالإجماع
- ٥-قرارات السطو المسلح لتوفير الأموال المطلوبة. موافقة بالإجماع
- ٦-قرار إقامة قواعد للكفاح المسلح في الأهوار وديالي. موافقة بالإجماع
- ٧-القرار بتشكيل جهاز صدامي مستقل. موافقة بالإجماع
- ٨-القرار بتشكيل فرق مسلحة في بغداد. موافقة بالإجماع
- ٩-القرار برفع شعار إسقاط السلطة في بيان الحزب الصادر خلال شهر كانون الثاني ١٩٦٩م (ومعارض واحد هو حميد الصافي). موافقة بالإجماع
- ١٠-الموقف من الحركة الكردية المسلحة، وإدانة أية حركة انفصالية إدانة علنية وجماهيرية. موافقة بالأجماع
- ١١-القرار بأخذ المساعدات من الملا مصطفى البرزاني. موافقة بالإجماع

.....النهاية في البداية.....



الواقفون من يمين الصورة (أعضاء القيادة): كاظم الصفار ، مالك منصور ، بيتر يوسف ، صالح رضا. العسكري مسؤول الجهاز الصدامي.

الجالسون في الوسط (أعضاء القيادة) : حميد الصافي ، خضير عباس الزبيدي ، طلال سلمان"مندوب مجلة الصياد" عزيز الحاج.

الجالسون على الأرض (أعضاء قيادة الجهاز الصدامي) : فياض موزان ، محمد كريم ، حاتم سجان.

صفحات اللقاء الصحفي في الاعداد الثلاثة من مجلة الصياد (العدد ١٢٨٤ في ٢٤ نيسان / ايار ١٩٦٩ والعدد ١٢٨٥ في ١ - ٨ ايار ١٩٦٩ والعدد ١٢٨٦ في ١٥ - ٨ ايار / مايو ١٩٦٩)

.....النهاية في البداية.....

صور ووثائق

تحقيق

أول لقاء صحفي مع طلال سلامان يكتب من بغداد

عزيز الحاج في معتقله

للمرة الثانية خلال شهرين اسافر إلى العراق .
كانت الزيارة الأولى استطلاعية ، بشكل عام، غايتها محاولة رسم المفريطة السياسية العراق في ظل الحكم القائم فيه ..

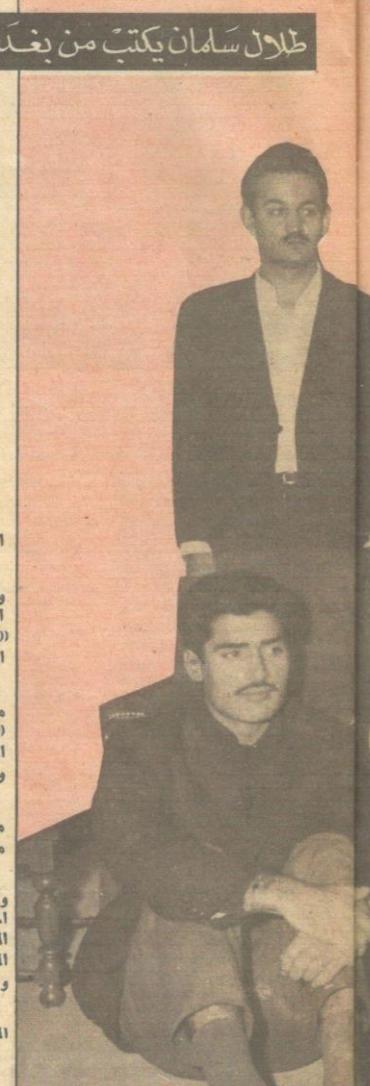
أما الزيارة الثانية فكان الفرض منها محدداً : مقابلة عزيز الحاج في معتقله ، ومحاولة فهم الموامل والظروف التي مهدت لانشطار الحزب الشيوعي العراقي إلى خزيين ، ثم ما انتهى إليه العزيزان بعد اعتقال المجموعة القيادية اخراج «القيادة المركزية» ، وبعد «الانقلاب» الذي قبل أنه وقع (أو أنه على وشك أن يقع) في صفو جناح «اللجنة المركزية» .

وقد تنسني لي أن أقابل عزيز الحاج ، وبصفة من رفاقه بينهم أعضاء في مكتب القيادة ، وبينهم أعضاء في القيادة ، بالإضافة إلى مجموعة من أعضاء «الجهاز الصدامي» الذي كان يتولى تنفيذ أعمال العنف التي جعلها جناح القيادة المركزية جزءاً من استراتيجية الكفاح السلمي التي حمل رايته ونشر بها وحاول ممارستها فعلاً ، بحدود إمكاناته .

ذلك تنسني لي أن أطلع على الكثير من أوراق عزيز الحاج الخاصة ، وكلها مكتوبة في المقلع ، وعلى حلة من الذكريات والوثائق الجزئية التي نفس المدير من الروايا والنقاط الفلاخة في موضوع عزيز الحاج وقضيته .

وليسوف أحاول في هذا التحقيق، وما سأليه، تقديم صورة دقيقة وموضوعية وأمينة ، بقدر الإمكان ، لهذه القضية التي تشتعل الآن كل العراقيين ، على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم وحزبياتهم ، وكذا سائر العراقيين والمهتمين بالتطورات السياسية والمركزية في الوطن العربي وليس فقط رفاق عزيز الحاج في المقيدة الشيوعية أو خصومهم أو أولئك الذين اختاروا أن يقفوا في نقطه ما بين الماليدي والمخاصمة .

على أن ثمة ملحوظة لا بد منها هنا وهي أنني قد حضرت حديثاً بعزيز الحاج وحده ، مؤولاً نشر المنشورة مع القيادة المركزية إلى المدد المقبل .



المصدر - ١٩ -

.....النهاية في البداية.....

صورة شاملة للمعتقلين من اعضاء القيادة المركزية وجهازها الصدامي
ويعهم موقد «الصاد» .
الجالسون اربعاً : اعضاء الجهاز الصدامي .
اما الجالسون على الكتبة فهو من بينهم الى السرار :
١ - احمد خضر الصافي ، عضو مكتب القيادة .
٢ - خضر عباس المزيدي - عضو القيادة .
٣ - طلال سلمان ، موقد «الصاد» .

٤ - عزيز الحاج ، سكرتير القيادة المركزية .
واما الموقوفون فهو ، من اليمين الى اليسار :
٥ - كاظم رضا الصفار - عضو مكتب القيادة ، والشخص الثاني
من حيث الاهمية بعد عزيز الحاج .
٦ - مالك نصورو - عضو القيادة .
٧ - بيتر يوسف ، عضو القيادة .
٨ - صالح رضا العسكري ، المسؤول عن الجهاز الصدامي .



الصاد - ١٨ -

.....النهاية في البداية.....

نقاش مشير

بين

طلال سلمان يكتب من بغداد:

عزيز المخابع وقادم المركبة



المصدر - ١٦ -

حوك :

- ◆ وضع الحزب الشيوعي قبل ١٦ أيلول ١٩٦٧
- ◆ محاولات إعادة توحيد الحزب بعد الانقسام
- ◆ مواضيع الصراع بين اللجنة المركزية والقيادة المركزية
- ◆ العلاقة بالبازار وفي والحركة الكردية المسلحة
- ◆ تجربة الكفاح المسلح والظروف التي جرت فيها

◆ الأوضاع الداخلية للقيادة المركزية وعلاقتها بقواعدها

ابتسم عزيز الحاج قبل أن يقول لي :

- لقد ارتكبت أكثر من خطأ خلال التحقيقات التي نشرتها في « الصياد » عن الحركة الشيوعية في العراق .. فول انت مستعد للمناقشة فيها تمهدوا لتصحيحها ؟
 قلت : بل شكر لك اسهامك في التصحيح ..
 قال : لقد كان تصوري أن دار الصياد ينحاز كلبا إلى اللجنة المركزية خدنا ..
 قلت : هنا يأتي دورني في التصحيح .. وما يمكنني أن أؤكد هو أن دار الصياد غير منحازة قطعا إلى أي فريق ، وكل ما يهمها أن يقوى في العراق حكم وطني وتقديم ثابت للarkan بحيث يقدر ليس فقط على صنع القدر الأفضل لهذا البلد العظيم الإمكانيات ، وإنما يقدر أيضا على وضع إمكانيات هذا البلد في خدمة قضايا التقدم والتحرر في الوطن العربي الكبير ..

ذلك في شباط ١٩٦٧ . وقد تقرر
 أيضاً أن يكون « العنوان » هو اي انقلاب عسكري شيوعي . وقد
 مدر المسلح ، وان تتشكل فرق
 مسلحة صغيرة وعاملة في المدن ،
 لتنصي على رؤوس المليار من جلوده
 قيل أن يمارس اية فعالية حقيقة
 في الأمن الشرسين . وذكر أن
 معلومات تصفيية جدا قد مصدرت
 خلال شهر آذار ١٩٦٧ ، الى
 القروع واللجان في المطارات . كذلك
 اذكر أن القيادة جاءت من باصر
 مع خبر الزبيدي ، ثم حميد الصافي يلقي السين الصوت الآخر الواقعه من رفقاء الذين لم يظهرؤ في
 الصورة ، وعلى الطرف صالح العسكري ، والذي كان مسؤولاً عن الجهاز الصدامي وقد أسبل بيده
 عامي ١٩٦٥ - ١٩٦٦ . وكانت

خط حسين : المجهاز الصدامي

قال عزيز الحاج :
 - تبدأ أذن مكابية خط حسين)
 لقد ذكرت أن الحزب الشيوعي
 لم يتورع عن اللجوء إلى سلاح
 الطائفية فاتشأ هذا الخط في
 محاولة لاستغلال مشاكل أبناء
 الطائفة الشيعية .. وهذا غير
 مشروع . أما المعرفة فهي أن « خط
 - يلي ، لقد تقرر في اجتماع
 كامل اللجنة المركزية للحزب (قبل
 الانشقاق) الشاهزاد مسلح
 للجهاز الذي الصدامي التابع
 جوالة وتأطير في القرى ، بشرط ان
 يضم المسلح ، وطالع بيان
 تمارس بعض الفعاليات .
 وكان



صورة تضم أربعة من القيادة المركزية هم ، من اليمين إلى اليسار : عزيز الحاج وقد أنهى في حدث
 مع خبر الزبيدي ، ثم حميد الصافي يلقي السين الصوت الآخر الواقعه من رفقاء الذين لم يظهرؤ في
 الصورة ، وعلى الطرف صالح العسكري ، والذي كان مسؤولاً عن الجهاز الصدامي وقد أسبل بيده
 وحقنه ..

واعتقد ان بعضنا لم يكن يتصرّف
ان تبني الاوروا في قيام تنظيمين
شيوعيين متباينتين ... من هنا
نفهم الطائفة التي كانت ترتفع
بين الين والآخر بضوره اعادة
توحيد الغرب

قال عزيز الحاج بلجنة تنقش
باللوكوم : يبدو ان ذاكرة الاخ
اكتاف شكسون من سخيف هاد على
ان واهي في هذه النقطة غير مهم
اذ انه كان في السجن عندما
كان الشطران واظنه بازل لكن
انني كنت اكتب عن كل المتصالحين
ولم يجد اي تحفظ على اقسامنا
كذلك اظنه يذكر اتنا هنا اليس
منه ماذا هنا ان القسم كان
ميرزا وضوري وهذا ... سل
ولعله قال ملماقدار ان الاقسام كان
معهم امثاله عام ١٩٤٤

■ عن اللجنة المركزية والخطباء ...

كانت تطغى على وجه المغاربة انتلحة مستعمليه على الوف،
تسبيل من خذى الى فيه المتنفس
من أسلنة المسند بمقدار الاكتاف
من الدخن .. واد عزيز يكل
حيثية تقال:

كان رأي الاكثرية ان الجنة
البركية للغرب الشيوعي في
العراق قد انتهت منذ ثورة
تموز نهائياً اصلياً وبينياً .. هذا
من الثابتين السياسي والفكري ،
اما من الناحية العلمية فما كانت
صريحة الفوضى والناليـة
والبيـرطـاطـة .. وكان يـدـعـتـ في
مرات قليلة ، ان تـقـرـ الجـنـةـ
باختصار اوركتها ، وما كانت اـنـجـةـ
ذلك الا تحت سقطـفـةـ والـحـاجـ
القرـادـ ، ولـكـهـاـ فيـاتـ الـوقـتـ
لم تـكـنـ تـقـدرـ علىـ حـامـيـةـ
المـخطـفينـ ، بلـ تـكـنـ تـسـتـعـيـخـ
انـجـانـ اـبـاـيـاـ منـ اـفـغـانـ

■ المصارف . المقصام

نضم كلّهم المسفار ، المضبوط في مكتب القيادة وبمِسؤوليّة بغداد ، قبل ان يتسلّل :
علم عزيز : الم يكن هذَا
الم الذي كان لا بد ان ينتهي
سام :
اجاب المسفار غير ابصريه :
عن مم لكن لنقول . كان سفّاقه
الموارد ، ان تدخل ونخفّض .
مستحبّت مستحبّت نظرنا ان يعلق
على تعليقه ، لكن عزيز
الشان ، اين ان تقبل فنظام ...
الستان ، قال :
اينك اتناك ، قبل الانشقاق
الجات العملي ايسامية الحزب
يعود ...
طلبه عزيز : الانقسام
ان الانشقاق ، يا كاظم ..
في المسار ، اما انسا
بمه انشقاقا . على اي حال
معهمية لا لهم . دعنا الان نتابع
نشطة ...
ند جينا ، بعد الانشقاق ، مفهية
فالانتفاضة اضعف المركبة
الحزبي ، وهذا ما دفعنا نحن
اهما فيقيادة المركبة .

قاسم . وبعده ان اذكى الذي
لـ «أطلق» الموقف الذي ادى الى
الانقسام ، بل ولم الشارك فسي
الاعداد المتسق له ، بحسب
وهو انتي كنت خارج العراق طوال
هذا تقسم ، وبالتحديد منتصف
عام ١٩٧٦ حيث بدأية عام
١٩٧٦ بالطبع لم اكن مقطوعاً من الشفاط
وكان اعملاً معزولاً ، وكانت تصانني
اخبار ما يحصل للغرب وداخله
حيث كنت في الخارج . وكان أول
الابر تأمل بمحاجة المخالفات
والبيانات المتلقاة والمصارعة
المستجدة في إطار الدبلوماسية

اللجنة المركزية من التقييم

في الخارج ينادي بغير قانون نفس
ي... ولكنهم حين مصادرو
العراق تراجعوا تدريجياً، ثم
دوا إلى أنهم بالتمر على
الذهب.

٠٠ حزب ما قبل الانقسام

سبت عزز لحلته ، وانتهت إلى
ـ رئاته لم أجد على أي منها
ـ يوحى بالاعتراف ، وأن كان
ـ مهد بهم بما يتبين
ـ مطانة على الورق .. ومساء

ـ صباح يقول :
ـ منذ نصف العام ١٩٦٤ كانت
ـ الحالات قد بدأت تظهر على
ـ سطح . والحق أن موقف العرب
ـ ضد إسلام رفاه واتصاله
ـ بشريكيه كان في طفولة العوامل
ـ التي فجرت الخلافات . لقد اعتبر
ـ زوب تلك المهد المكاثراني و/or
ـ شرفاً . وبذلك انتهى تمهيد تنسو
ـ بشريكته . ومثل كل التقسيم
ـ يقبل بالذريعة إلى التفصية
ـ زوب الشعبي داخل الاتحاد
ـ بشريكته .

ـ ومن معروفة إن هذه هركات
ـ تقاضيات كانت قد قاتلت في
ـ الهيئة المركزية .. وسطر

الفـاـيـة .
● وهـل مـعـنـى هـذـا إن
اسـتـرـاتـيـجـيـة الـكـاـحـ الـسـلـحـ كـاـتـ
مـقـرـرـة قـبـل الـاـنـقـسـامـ ؟
قال عـزـيزـ الحاجـ :



.. وثلاثة من اعضاء
القيادة المركزية هم من
اليمين الى اليسار :
بيتر يوسف (الوجيه)
بالناظارات والسبحة ،
ثم مالك منصور ، والى
جانبه كاظم الصفار
وقد اخذ « يوز »
قطاناً وتمزقاً .

من اوراق عزيز
الحاد الخاصة :
مناقشة للصاد حول
ما ذكرته عن
« خط حسين » .

اللأقسام ثانية موضوعية لخلاف
معستكم من أحاجيكم: الأول يبني
وينهي ، والثاني يهدى تياراً نورياً
لتحقيق متكامل وغايته المعرفة
أن ثمة سراماً كان يعيش المذهب
في إنداءه من ١٩٥٤ عاماً إلى ١٩٥٦ . وهكذا
كان في أيامه من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٣
ثانية موضوعية لما سميّه . ولكن
الخطاب الموضوعي يربط بالخطاب
الذاتي ، كما يعبر عن ، ومن هنا
اكتسب على الدور الشخصي للزوج
شقيق الملاعج . وبالطبع فهو كمان
ذلك تشنفوس لبيان الأدوات
التي هي في حيزها حيث نحن الان .
إن بقاء الأقسام ، وجوز تبنينا
من استنباط كافة جماهير العرب
الشيوخية وأسقاط قياداته التقديمة
كل هذا دأب آخر ، وكان لا بد أن
يُركب على عالمتنا مع الآخرين ،
ويالتحديد مع الكمال المقام . كما
يطردون إلى التنساق في حمى
المراجعة سيساسية لا يأكل ثمنها
المجنة تفتقد إلى أي موقع منهاون
أو متعدل ، ونعني بتقدتها على كل
وقوفها ، وباعتبارها أنها جميساً
متعدلة ، ومتوازنة . وصحيف القول
أنا كما مارس نوغا عن الزهاب
الفكري ضد الجنة ونطرتها إلى
جحيد مواقف غير تلك التي كانت
تختتمها أبو ، وهذا جعلها
مغلظة

صمت كالظم لحظة ، ونظر الى
عزيز الحاج ثم ابتسם قبيل ان
خفيف :

- صحيح كذلك انتي قد امضيت
بعظم الفقرة التي تم خلالها
الانقسام في السجن . اذ انتي
ما اخرج منه الا في ٥ ايلول
١٩٦٨ بعد نحو عام من انجازه . كان
الحزب يعيش حالة من التمزّق
لاربع . و يوم عاد الرفيق عزيز

على اختطافه ، مما كان است
جسامتها وخطورتها وضررها على
العرب .

قال ميرز الحاج : - الاصح
القول ان ثلاثة اراء كانت تصرخ
في المفتراء الاخيره : **نحو رأي**
منظর لا يريد ان يتم اي لقاء بيننا ... **والرأي**
وين الجنة المركبة ... والرأي
الثاني كان يقصد محاولة توحّي
بین شعراً تعاور اسباب الانقسام ،
ونرفض حل التناقضات الموجدة ،
ومعذل هذه الماكرة لا يمكن ان ينتهي
الى مثل انتحار الامر ...
- ١٧ ايلول ١٩٦٧ . ولقد ادمر
واصحاب هذه الاراء ان يتم عقد
«كونفرانس» **ل kokard الغربيين**
فجاة ، **فافتتح** **الكونفرانس**
قيادة جديدة ، **والقيادة تتوالى**
تشكلت **مكتب** **من منتهى**
الاشخاص **حيث يكون لها ثلاثة**
مهم **والجنة المركبة ثلاثة** .

■ من بيتر الى حميد
هنا فقط تدخل بيتر يومئذ ،
عضو القيادة المركزية ، ومسؤول
جهاز التنظيم المركزي ، في الحديث

قال : ...
- طالما انتا تتصارع فلا بد ان
نقرر انه لم تكن لدينا النية لاقامة
تظاهرات ، ولكننا اقمنا على انشاء
نظم مسقتل بعدما فشلنا في
اعتقال اعضاء اللجنة المركزية

الحرب .

مكتب القيادة ، هو الذي تولى
نظام الحديث ، قال :
ـ أن عجزنا وحده هو الذي
أدى بحزينا إلى الفشل ، لقد كان

الانقسام ميررا ، ما في ذلـك
شك ، ولكن ، يجب أن نعترف ،
ويشجاعة ، إن نتائجه جات بضرر
بالحركة الشيوعية ، وبالحركة
الثورية العربية عموما :

■ الزيدي ومشاريع اعادة الوحدة .. بعد الشاب التحق الوجه ،

عَزِيزُ الْحَاجِ
وَفَيَادَتِهِ
الْمَرْكَزِيَّةُ

خاصه السلاح ، من البرازاني .

■ البرازاني و هيبي
محمد كريم .

قلت بنى اللهجة المثلية :
— مستخدماً لذلك ملء الفرسى
التي تعجم بسكتون الجنـة
المراكـبة عـبر البرازـانـي ، حـبيب
حمد كـريم .

رد عزيز الحاج ياتـالـة ، ثم
أردت بـقولـه :

— لقد لـجـأـتـ المـلكـةـ المـركـبةـ
في مـارـبـيـرـتهاـ إلىـ الـاسـالـبـ
الـشـامـةـ ، وـهـنـاـ طـلـبـ الـمـكـرـبـ
عـلـىـ صـلـبيـ المـالـيـةـ بـحـبـيـبـ محمدـ
كـريـمـ .ـ نـذـلـكـ لـذـلـكـ اـنـ اـسـاعـتـ
فـيـراـ عـنـ اـعـيـانـ تـمـ بـيـنـ الـبرـازـانـيـ
وـبـيـيـ ، قـبـيلـ الـاقـسـامـ ، وـهـذـهـ
روـاـيـةـ خـلـقـةـ منـ اـسـاهـيـ
وـفـيـ الـوقـتـ الـذـيـ حـدـوـدـ اـجـتـمـاعـاـ
الـشـانـيـ كـانـ اـخـرـ اـجـتـمـاعـاـ
جزـيـئـاـ فيـ بـغـادـ ، وـلـمـ يـكـنـ الـاقـسـامـ
قـدـ يـدـعـ .ـ

علىـ اـنـ قـاتـلـ الـلاـمـصـطـنـىـ
الـبرـازـانـيـ فـعـلـاـ ، وـهـرـةـ وـاحـدـةـ
فيـ حـيـانـيـ ، وـيـانـدـ دـفـوـةـ خـاصـةـ
منـهـ وـلـكـ فيـ اوـاـلـ عـامـ ١٩٧٦ـ

وـهـنـوـ تـقـيـيـتـ الدـوـوـةـ ، وـكـانـ نـزـفـ

انـ سـكـوتـ الـلـهـجـةـ الـمـكـرـبـةـ مـوـجـودـ

هـنـاكـ ، قـرـنـاـ انـ الـبـرـازـانـيـ رـيـماـ

كـانـ بـيـدـ الـنـدـلـفـ كـوـسـيـتـ بـيـنـ

وـبـيـنـ جـاهـةـ الـلـهـجـةـ .ـ وـقـدـ نـاقـشـناـ

هـذـهـ قـنـاطـةـ ، وـسـافـرـ بـعـدـ ماـ

اخـتـلـفـ الـقـاتـلـةـ الـمـكـرـبـةـ قـرـارـاـ

بـسـفـرـيـ ، وـهـدـدـ كـيفـةـ طـرـاحـ

مسـالـةـ الـوـحدـةـ منـ الـلـجـنةـ

الـمـكـاتـبـ .ـ

■ عـلـقـتـ مـحـالـةـ :

— لـذـلـكـ اـشـتـرـتـ بـعـضـ الـاوـسـطـاءـ
إـلـىـ هـذـهـ اـسـمـسـ الـبـرـازـانـيـ ،
وـالـحـقـقـةـ أـنـ تـقـرـيـبـ اـسـتـكـرواـ

وـاسـتـهـجـنـاـ أـنـ تـوـنـ اـهـواـ الـحـرـكـةـ
الـشـيوـعـيـةـ فـيـ الـعـرـاقـ دـنـهـورـتـ

إـلـىـ هـذـهـ الدـهـرـ .ـ

قالـ عـزيـزـ الـحـاجـ يـاتـالـةـ ،

مـنـيـعـ الـحـاجـ يـاتـالـةـ :

— طـلـبـاـ كـانـ فـيـ الـلـفـرـجـ تـاجـهـ

هـذـهـ الـمـاـهـوـلـةـ الـتـيـ بـرـيدـ نـهـيـاـ

الـبـرـازـانـيـ اـنـ بـرـيدـ وـكـانـهـ وـصـيـ

عـلـىـ الـمـرـكـبةـ الـشـيوـعـيـةـ فـيـ

الـعـرـاقـ ، وـبـيـنـهـ وـعـدـاـ فـلـقـ

رـفـقـتـ عـرـضـهـ الـنـدـلـفـ ، بـلـيـلـهـ

وـبـلـيـوـمـاسـيـةـ ، وـهـوـرـتـ الـحـدـبـ

وـمـوـضـعـ اـخـرـ ظـلـيـلـ

مـسـاعـدـاتـ لـعـلـيـلـاـنـ الـسـلـحـةـ فـيـ

الـأـهـوارـ .ـ وـلـقـدـ بـرـيدـ الـبـرـازـانـيـ بـاـنـ

يـقـمـ لـاـ مـاـ مـوـجـعـهـ ٥ـ بـنـقـيـدـ

حـرـبـيـةـ وـخـصـيـةـ رـشـاشـاتـ .ـ

لـمـ يـفـ بـوـدـهـ ، اـذـ اـنـ كـلـ مـاـ

مـاـدـنـاـ يـبـدـيـنـ ٥ـ وـ٦ـ قـطـعـ

صـفـيرـةـ .ـ

■ كـانـ تـنـسـاهـلـ !

امـلـاـ بـالـسـلـلـ !

سـاتـ :ـ وـهـلـ كـانـ

بـعـدـ عـلـيـلـاتـ الـفـارـوـارـ ?

قالـ عـزيـزـ الـحـاجـ :

— لاـ ، اوـ

مـكـذاـ انـ اـنـطـاعـيـ .ـ وـلـوـ اـنـ

كـانـ مـقـتـلـاـ بـالـسـلـلـ عـلـىـ

الـاـقـلـ .ـ كـلـكـ انـ وـاقـعـ عـلـىـ

بـطـلـيـلـاـ بـسـلـيـلـ اـنـصـارـاـنـ الـقـيـمـ

فـيـ الـنـاطـقـ الـتـيـ بـحـرـكـيـهـ يـهـاـ اوـ

سـطـرـ عـلـيـهاـ .ـ

عواطف عزيزه
الحاج حال رفقة
في بيته
رسول وقد تجده
في «البيتية»
وهي قصيدة غريبة
في بيانها في الهباء
حتى لا تذكر بغيره.

او س ا ظ ا ل ا ح ز ب م و ج ة م ن ا ل ت ق د
ا ل ع ل ي ب م ش ا ل ا و ق ت ، و كا ن ت
ت ر ت ق ع م ط ل ا ب ا ل م ر ح ب ب ض و ر ة ..
ا ز ا ح ا ة ب يع الص ا ه ار ال ق ا د ي ا ب ..
ك ا ن ك ل ل ك ا ن ب ال ط ب ي ا ف ا ذ ا ك ،
ا ن ت ر ف ش ال ق و ا د ق ر ا ت م ص ا د ر ا
ب ن ال ل ج ة ال م ك ر ي ة . و ع ك د ا ت م
ال ا ت ك ش ا ب ي ش ا م س ه و ر ة
و ب ا ل ل ي ة . ث ا ن ة ت ن د ز ن د ي ك ا ش ة
و س ا ب ج ي ة . ث ا ن ة ت ن د ز ن د ي ك ا ش ة
م و ق ف ة ، و م ن ت ج د ب ا م ح س م
و ل م ت ر د د ط ب ا ل ب ا ل ا ن
ن ح س ب ا م ب ا ل ا ج اه ا ل ا ت ك ش ا ب ي ش ا م

■ مواضع الم الرابع
 هي لنا بالشأن ، للمرة
 الثالثة . وران علينا سميت لا يذكره
 غير زين الفقيه المصنفة
 عند أصحابها بعنوان الكواوب
 التجازية الدقيقة ، مترجم
 الأولى عدنا إلى المنشورة ، وبعد الرشاشة
 هذه المرة علىوضع الداخلي
 الذي كان ساندا داخل القيادة
 التركية . ثُمّ قلت :

— يكاد وهذا يتشتت من كلامك
 إنكم لم تكتفوا تسييسون وضمّوا
 بعبيدهم شيئاً ذاته ...
 قبل هذا النطيط صحيح ؟

نال مزيز الحاج :
ـ دعنا لنخوض ، اولاً ، مواضيع
صراحتاً مع الجلة المركبة ، ليتمكننا
بعد ذلك تحدى الهم التي كانت
مطروحة امامنا وكيف تصرفنا
عليها .

كانت اهم مواضيع المراءع :
ـ الخلاف حول دور الطقة المطلطة
وزيادتها ، والخلاف حول طبيعة
سلطة عازف واحد وهذه الاشتراكية ،
ثم الخلاف حول تقييم التحرر
الصريفي ، والخلاف حول المسألة
الكردية ، والخلاف حول قضية
فلسطين ، وحول مشاكل المفرقة
الشيعية العالية ، بل وحول
مفهوم الاشتراكية ذاته . ولقد
نبع حزيناً ، بعد تطهير نفسه من
الانهزامية البليبلية ، في شر ونافذ
هوية البقية . كذلك كان اول

حزب شعوي في الوطن العربي :

— 1 — 144

.....النهاية في البداية.....

تحقیق

هناك بدون رابطة فلسفية ، اذ ان القاعدة تقصد في القيادة مثلك طلاق فيها يصلق بقادتها الجالية ! أما عن مسلم الاتمام بالوجهة فقد خدعته وخدعها .

مثلاً : شرقي في علم من جزء الحزب « طريق الشعب » مقابل « عونان » حول « إيجابية الحكم » .

هذا اقتال اثاره فلسفية فسي صوفى القواعد التي رفضت منهجه جلة تقصده . وكانت الميادة اخيه من ان تصرفه الى اينما .

لم تكن ابداً امساكى الجالية وهذا ما ادى بما يناله وضع في غاية الارتكاك ، حصواته يهدى رعايا كانوا الاول الماضى . فلم تكن تناقض الا ادارى ، وبنتاً تناقض وتتناطح .

اما ، وبالطبع ،

يشكل مسلسل وظائف
الجانب الأول : الكفاح الملحمي
وهيمنته من حيث النظرى كمساءل
إلى الحزب التقى وكيف انتهت
الحزاب التي شهدتها الأحوال
واولاده وعفنه ببقاء ذاتها .
والجانب الثاني : الموقف من
المأساة الكردية بشكل عام ومن
بعد موقفقيادة المذكرة إلى
الحزاب والقوى السياسية الأخرى ،
وخصوصاً سراسر الحركة الاشتراكية
العربية الذي وقع في فترة معايير
ذات الشعارات ، وكانت الجلة
الوطنية باسية في بيروت «الجريدة»
تطرح فيزيز الحاج وقياداته حلية
لها ، نتيجة لإعادتها مثلاً للخط
السياسي الصحيح بالقياس إلى
السياسات التي تنتهجها الأحزاب
الشيعوية العربية ..

— باختصار يمكن القول ان سلوب الكتاب تناهيك ولين من استراتيجية، وأساس المركبة هي تحليلاً هي الموقف من الحكم. بدأ ديدان المثلثة كافية في البيان الذي أصدروا يوم 21 تموز ، اي بعد الحركة المصيرية التي نفذها المحت بمشاركة . كذلك أخذنا في ذلك البيان ان الشعارات المستراتيجية المركبة لا تزال ممنتهة بعديتها مما عانيا نسبة الارتفاع لمياه مشبوهة بالقول ان الاستثمار تدخل منها تيقن ان الفكرة التورية يلتقط لمرحلتها الخامسة ، فأخذت التقابع وهكذا يتبعنا خطاناً ، اولاً . تحديد المهمة المركبة .

نانيا: كان وضمنا الذي اتى
بريرا ، فالقيادة كانت ، عموماً ،
لتنشق مع قواعدها في هذه الواقع
والظروف الجديدة . طبعاً هذا يعود
إلى نفس الوعي ، إلى الوعي
في مجال توعية القواعد وتثقيفها .
نانيا: نقطة جديرة باللاحظة في هذا
المجال ، ملئق اهتمام حزيناً على

قواعد ملحوظة من الحزب
الشيوعي العراقي ، وعلى بعض
الكتاكيز التألفية التي تربت في
الأطوار التقافية العام للحرب ...
حيث حدث هنا ذلك الكتاكيز التألفية
ذى قرابة بعده ، وبفضل الأقسام
التي ينبع منها القادة ، يغدو اعداد
واسيف . وبالاضافة الى هذا ،
فقد كان يعيش في انعزالية شديدة
على مدار ما يجري حولنا ، وكذا
الي الدركية . وقد ادت هذه
العزلة الي اضطرابات قدرة
الحزب المكافحة ووجهه من تمييز
الخط السياسي الصالب .
قواعد تحرير القيادة
لم يرق احد نعمان السناري
استئنافاته بالبلطة الواقعية
... قال :
اورى مثل ما حدث في اول
ذلك الماراثونية الاكاديمية

**الرفيق كاظم وانا : نرى الى
ابن نصري؟**

تحت حيد الصافي الذي تختال
انك لقيته برات ومرات ، من
قبل ، نتيجة تكون بلا حاسة
الأساسية مشتركة بيته وبين
عده مدن من المدن في كل مكان ..
وبحين هادء خوشاء زمانه قال :

ـ كان قد اتفقا على تشخيص
الخطايا ، من قبل ، وبعد ان
الراقالق يغزون من فوقها ، ابرز تلك
الاخحاء قدان المركبة داخل
الغرب ، ثم جو الشنج الذي
فرض علينا دالما ان نعيشه
كالكل اراء المؤفعة والمقدمة
اجمالاً تعارض على الفور وبهدنة

دون ابع منفحة . ولم تكن
الهيئات السفلية في الحزب تتلزم
أو تؤمن بالديمقراطية المركزية .
وكان في القيادة ، أقليه ماجزأة عن
التصحيح ووضع الحزب وخطه سير
العام . كل ظننة من ظننات
الحزب كانت تصرخ وكأنها تنتظرون
مسقطل ، وتمارس على القيادة
ضغطا شديدا كي تأخذ إيدا بالآراء

وأوقف الأكثر نظرها .
لول دُنْدَنْ ، تدقق في النقاش
الداير ، صالح رضا المركبي ومسرور
غضيـفـةـ قـيـادـةـ الـمـكـرـبـةـ وـمـسـرـورـ وـالـجـاهـزـ الـصـادـمـ فيـ الـعـربـ . . . قالـ:
ـ فيـاـ اـنـكـهـ ذـانـ الـقـيـادـةـ
ـ قدـ خـصـتـ فـيـ اـنـهـاـ الـآـخـرـ
ـ مـجـمـوعـ الـفـاطـمـ وـفـحـضـ خـطـبـ ثـيـرـ
ـ مـسـتـقـلـةـ الـتـرـاجـعـ عـنـ هـاـنـ . . . منـ الـسـكـ
ـ اـنـاـ اـسـتـقـلـتـ فـيـ الـسـوـرـةـ
ـ الـكـرـدـيـةـ . . . يـعـبـيـرـ عـنـ الـحـرـكـةـ الـكـرـدـيـةـ
ـ الـسـاحـلـةـ . . . عـنـ الـسـيـمـرـانـ فـيـ
ـ اـعـيـارـاـ هـاـلـيـفـةـ الـبـلـطـيـةـ الـعـامـلـةـ .
ـ وـلـكـنـ الـفـلـوـرـ لمـ تـسـاعـدـنـ عـلـىـ
ـ تـطـبـيـقـ هـذـهـ الـخـطـةـ ، اـذـ اـنـتـ
ـ اـعـتـقـلـتـ بـعـدـ فـتـرـةـ قـصـيـرـ مـنـ
ـ اـقـارـهـ .

وتدخل نظام المسنار غالباً :
- في أي حال فإن البرازاني لم يسعه للتشييعون في أي يوم
بان يغدووا سخطاً مسلماً ، كان
عملياً يسخرهم الخدمة اغراضه
ومصالحة .

وعاد بيتر بوس بتقوله :
- كنا نعرف هذا ، فلماذا لم
تنتِ القادة المركبة موقفها من
البرازاني ؟ الجواب يسيطر
لأننا ، كما تعمد على الحركة
الكردية المسلمة التي كان تمور
انها يمكن ان تهدى جلبها اساسياً
من خلفنا الخاصة لاستلام السلطة
من طريق التناحرسلح .
قدّس كانت خطتنا في ثلاثة عناصر
رئيسية : عبادات مسلحة في
الاعواد ، تغريب في المدن ،
واعيادن عن التزود الكردي المسلح
في الشمال . هنا كان ساهاهم
مع البرازاني والبرازانيين .

■ مکمن الخطأ:

.. الموقف من الحكم
 وقال بعض القديسين غالباً نبياً
 تعرّض بالكلام المسلح نفسه ماتندع
 خصيّ الرّبّيبي يقول
 - إن دينش العفاف المسلح
 لأنّ أمّاً لم يُدين في التّخفيف من
 مسؤوليتنا ، بالإضافة إلى كونه
 تصرفاً عن شجاع وغفران الآخرين .
 إن خطأ الخطاب الأنساني فحسب
 موقفنا ليس في اعتقادنا على
 الحركة الكندية للسلطة ، ولكنها
 تبتلي في موقفنا الشّامي ، من
 السلطة بعد ١٧ تموز ١٩٧٦
 ولو اتنا نذهبنا إلى التقى التّوقي
 الذي تم على مستوى الحكم الممكّن
 أن نتفاوض وان نتفاوض معه
 وبالطبع فإن سائر وفاقيات كانت
 متقدّمة . إن فضح الظّروف
 الموضوعية لا يتكمّل بحقيقة واحدة ،
 وإنما يتكمّل بمعنى العمل وبالعمل .
 لذا لم نشا أن نتّبع فرضيّتنا
 بالتفكير والتحليل . فاعتبرنا أن
 الوهم لم يفتر ، ووسيكنا وبوقائعنا
 السابقة نتيجة لإنتزاعنا ورودتنا
 وكذلك بيقينا تصرّف وكانتنا نواجه
 حوكمة رجيبة ودكتاتورية كالتي
 عرفناها في ١٧ تموز

القيادة المركزية
من الداخل !
 ثار بيبر لاتهاميه بأنه يحاول
 التّخلّي ، وقال بيبرة لم يستطع
 رسم حدودنا أن نختفي طريقة
 النّامة في الكلام :
 - لم يصرّ بيبر عن رغبة في
 التّخلّي ، وإنما هو تعبير عن
 النفس بالخطا . لقد سمع
 لنا أننا نتقاضأ أكثر من مرة هرول
 وغضّنا ، وكانت أراد دالياً
 وقد أطلّت هذه في آخر اجتماع
 لنا - أن حزننا تقدّم سقحة كهرب
 شعوب .. . لكننا نتساءل :



٣

طلاس سمات يكتب عن
عزيز الحاج وقيادة المركبة

أجراً اعتراف لقيادة عزيز الحاج نحن قتلنا هؤلاء!

هكذا سقطت

اطرفة الكفاح السّابع في العراق



عزيز الحاج : لم أخاف الانقسام وإنما نفذته ..

منذ ١٧ أيلول ١٩٦٧ ، تاريخ الانتظار الذي قسم الحزب الشيوعي في العراق إلى «قيادة مركبة» تنادي بالكفاح المسلح ، و «لجنة مركبة» ظلت مخلصةً للأسلوب الشيوعي التقليدي في النضال من أجل السلام والتعايش المسلمين ..

منذ ذلك التاريخ أصبح اسم عزيز الحاج مرادفاً لشعار الكفاح المسلح ، وببلغ البعض في التقدير وفي المقارنة فشلته سكرتير القيادة المركبة للحزب الشيوعي العراقي بـ «غباراً» ، وصنف حزبه صينياً أو كوباً أو فنزويلاً ، رفم حرص هذا الحزب على تأكيد استقلاليته ، ورغم أن أحداً من الصين أو كوباً أو فنزويلاً

لم يعلن تأييده له وشعاره التورى .
وبعد حركة ١٧ تموز ١٩٦٨ ، ثم حركة ٢٠ تموز التصحيحية أو التطهيرية ، وتنسلم حزب البعث زمام السلطة في العراق ، بشكل متأخر وكامل ، لم يصدر عن القيادة المركبة ما يشير إلى تخليها عن شعاراتها وخطها الفكري ، بل صدر العكس تماماً : إذ أذيع ما يشبه البلاغ عن عمليات مسلحة نفذها متظاهرو القيادة المركبة في الأهوار .. وخرجت مجلة «الحرية» اللبنانية على الناس ذات آثرين وقد كرست صفحتها الأولى لصورة «أول شهيد للكفاح المسلح في العراق» .

فما هي استراتيجية الكفاح المسلح ، في رأي عزيز الحاج والقادة الآخرين ؟

.....النهاية في البداية.....

مفتون

او اليسارية . والمتبلل لماك الجنة المركبة ، مثلًا ، يجد هنا تتنافس بين الفيلية اليمينية وبين اليساروية . والشعب ليس لهما الداخليتين ، في الحزب ، قد يلخص في المقيدة الشيوعية ، او في الاشتراكية العلمية ، وانما هو من ممارسات وتسلبيات الشيوعيين العراقيين خاصة والشيوعيين قبل التنازل ، وبالتالي ارض طالباً بانتصاره ورفض الكفاح المسلح ، وانما في اعتقادنا له كاستراتيجية لبلدة يعيشون النظر عن بديل الظروف وتبدل المراحل . ان اساليب الكفاح في الماركسية هي حيلة من حيلك ، ولكننا لم نفهمها على هذا الاساس .. ولو اتنا فهمناها كما يبنيها لكن علينا ان نتفاهم عن استراتيجية العنت وعندنا ان نتفاهم عن بذلة الماركسية اندفع — بدلاً من ذلك — الى رفع شعار يقول بوجوب التحالف مع عارف وطاهر يعني ، ويوجوب الدخول في وزارة الثانية مع طاهر بعين الذات .

من النهج المثيري الى الانحراف .. والسيطرة المفتوحة ..

على ان يفتر يوسف ، مفتون ، القيادة المركبة ومسؤول لجنته التنظيم المركزي له رأى اخيراً في استراتيجية الكفاح المسلح .. انه يقول في رسالة منه الى اسياده رئيس واعضاء مجلس قيادة الثورة ، شخصيتها تجريمه مع الحركة الشيوعية على ابتداد ٤٤ عاماً :

للاوضاع التي كان يعيشهما الحزب بشكل عام .

ليس مصادفة ان ازمنتنا الداخلية ، في الحزب ، قد يلخص في المقيدة الشيوعية ، او في الاشتراكية العلمية ، وانما هو من ممارسات وتسلبيات الشيوعيين العراقيين خاصة والشيوعيين

قبل التنازل ، وبالتالي ارض

طالباً بانتصاره ورفض الكفاح المسلح ، ويرفع شعار اراله دولة اسرائيل

وادانة دولة ديمقراطية في فلسطين ..

ـ لكن الجنة المركبة رفضت

طلبانا هذا .

ـ وفي تلك الابرار ايضاً طالباً بذلة

حكومة عبد الرحمن عارف ، باعتبار

انها تحمل جزءاً اساسياً من مسؤولية النكسة ، ولكن الجنة

المركبة اندفع — بدلاً من ذلك —

ـ الى رفع شعار يقول بوجوب التحالف مع عارف وطاهر يعني ، ويوجوب الدخول في وزارة الثانية مع طاهر

ـ بعين الذات .

ـ تمكنا من العودة الى البلدان بارسال خمسة منظرين ، فقط لا غير ، الى منطقة الاهوار — العمارة « كانت مشكلة السلاح هي مشكلتنا رقم واحد .. وكذا الحال

ـ يان ينور لما ما يزيد من مائة قطعة من السلاح ، على نطاق العراق كله ، لكن هذا الحال ، على توافقه ، لم يتتحقق ابداً .

ـ **النكسة دائمًا** .. واسأل عزيز الحاج القاعد

ـ قبالي في مكتب امر المحتل بيدداد : ترى هل كان اندفاعكم الى

ـ الكفاح المسلح نتيجة ايمان واقناع

ـ بهذه الخط ، ام انه كان بمناسبة

ـ الترويج العملي للسمارات التورية

ـ والسياسات المطرفة التصحي

ـ انتجهوها لكشف ضعف الجنة

ـ المركبة ، بالدرجة الاولى ؟

ـ لا يمكن النظر الى هذا الخط

ـ او الشمار او الاسلوب في الكفاح

ـ الا من خلال الظروف الموضوعية

ـ التي امات رغبة ، والحق ان اهلنا

ـ بالذريعة وتنا ، في زعن قياسي

ـ القعر . قال عزيز الحاج لحظة تم

ـ لند حاولنا ان نخطف لانتسنا

ـ توجهنا توريا .. ولذلك تديري بالحرتنا

ـ منه واصبعنا نسير على ثوابج

ـ المقاومة والتطرف السياسي . على

ـ ان هذا كان ليس جديداً ، بالمناسبة

ـ للحرب الشيوعي في العراق ، كما

ـ الشيوعي العراقي من القصيدة

ـ الفلسطينية ، من جهة ثانية ، كما

ـ انه التعبير الابرز حدة من رسمنا

ـ **المكافحة المسلح .. في اوراق عزيز ..**

ـ يقول عزيز الحاج في بعض اوراقه الشخصية :

ـ **في الصناع الوسع لقيادة حربنا ،** وقد انعقد خلال شهر

ـ اكتوبر الثاني ١٩٦٨ ، تقرر ان تأخذ

ـ باستراتيجية الكفاح المسلح ، بعد

ـ دراسة مفصلة لوضع العراق ،

ـ واوضاع القوى السياسية فيه .

ـ « وحسب ما تقررت ، فإن هذا

ـ اللamar كان يعني استراتيجية

ـ الكفاح المسلح الطويل الامد ، على

ـ النطاق الفقني فعليها . وقد

ـ قدرنا ان كفاحتنا سستنفرق سنوات

ـ طويلة من العمل المسلح في الريف ، حتى تتجه القوى الورقة الكافية

ـ في الجيش ، داخل بغداد ، وعندها

ـ يتم التstile على السلطة حلقة

ـ اخرية توج نضال المجاهرين

ـ المساحة » **ـ وبالنسبة للتطبيق فالصورة لم**

ـ تكون زاهية ومشرقة منها في الحيز

ـ النظاري . « قد باشرنا العمل بصفة انفار ،

ـ خلال شهر سبتمبر ١٩٦٨ ، وليس

ـ وبطأ مفتوح داخلياً هالقا ، وليس

ـ نتيجة لافتتاحنا باتنا وصلنا الى

ـ المستوى المطلوب للشروع في هذا

ـ عمل .

ـ « على ان هذه الحركة قد دفعت

ـ في مدهها لاسباب وعوامل كثيرة

ـ بطول شرها .. « ومضت شهور اخرى قبل ان



حضر عباس الزبيدي : كاتباً مسؤولاً عن اصحاب و المسؤوليات



حضر عباس الزبيدي : كاتباً مسؤولاً عن اصحاب و المسؤوليات



حضر عباس الزبيدي : كاتباً مسؤولاً عن اصحاب و المسؤوليات

أجراً
اعتراف
المقِيادة
عَزِيز
الحاج

«...اما القسم الآخر من
الغرب الذي اتفق وسيق نفسي
في العيادة المركبة ، والذي كانت
لانتباه اليه ، فقد مارسها هو وجاه
رعاه شملت جميع ثواباته بيساسته
في الفنطان الخارجي ... ونظراً
لقطافة الإجاز الشيوخية للمبداء
الاشتراكية التي تزبد ورسوكـو
احتقرنا ، فقد انتلقتنا بفتح عن
مصادر أخرى لتساعدنا مادياً على
تحسين أورتنا ... و herein عجزنا عن
ابعاد هذه المصادر توجه المجهول
على ما نحتاجه من باب آخر هو
التجربة ، وسبينا ميلاتنا في هذا
المجال عمليات ثورة ! . ولكنـ
نخبار سمعناه مع جماعة اللجنة المركبة
الذين متضاعفـون بينين وأصحابـ
رفعتـ شعارات الفتح السلمـ ..
وكلـ الذي فتناهـ كان عليهـ
شوهـ ذهبـ يسبـبهـ .. في اهوارـ
الناصرـة ، ؟ اناسـ ابراهـيمـ هـدرـتـ
بيـاؤـهمـ ، ولـماـذاـ اـلـزـامـ زـعـمةـ
الغـرـبـ والـقـرـمـ والـمـدـىـ نـفـرـ
منـ .. وـكـلـكـ عـلـيـاتـ أغـيـرـاـنـ
واـرـهـابـ كانـ الغـرـفـ منهاـ الـبـقاءـ
عـلـىـ تـقـيـيـمـ قـائـمـاـ وـأـيـاهـ الـبـساطـ
منـ الـمـقـيـمـينـ اليـهـ باـنـ حـزـبـ هـرمـ
نـورـيـ !!

■ الحركة الشيوعية • وتاريخ العنف ! .

وقيل بيتر يوسف ، وبعده ، وجed من بشر — ولو عن طرف خفي — إلى أن عزيز الحاج هو المسؤول الأول والآخر عن انتشار الجرائم لاستراتيجية الكتاب المسلح ... ولكن الحقيقة أن المفتى له تاريخ فيحركة الشيوعية بالعراق ... وقد سرد عزيز الحاج يթل هذا التاريخ بقوله :
— كثروا من قبل أنحزب كان قد انشأ في بغداد جهاز صدامياً ، عام ١٩٦٣ ، واطلق عليه تسمية رعنفية هي « خط حسین » ، ووضحت أن هذا الجهاز دخل حل في أوائل عام ١٩٦٧ ، ولكن الحزب أقرر في اجتماع لجنته المركزية الواسع الحال سلسلة عمليات ١٩٦٧ وهى وثائق في الربيع ، وتشكيل فرق صورية مماثلة في الدن .

موافقة اجتماعية مع تقدير للذين
تفوّهوا

- قرارات البسطو المسلح لتوفير
الاموال المطلوبة : موافقة اجتماعية
ويجتئي الحساسة !
- قرار اقامة قواعد للكتائب
المسلح في الاهوار وديالي : موافقة
اجتماعية ، ويجتئي الحساسة .
- القرار بتشكيل جهاز صدامي
مستقل : موافقة اجتماعية .
- القرار بتغيير سلاسل
في بغداد : موافقة اجتماعية .
- القرار بريع شمار استقطاب
السلطة في بيان الحزب المصادر
خلال شهر نونبر الثاني ١٩٦٦
موافقة شبه اجتماعية ، وعارض
وحجد محمد الصافي .
- الموقف من الحركة الكردية
السلطة : في منتاشات الاجتماع
الكامل ، ايلول ١٩٦٨ ، كان كاظم
الصفار وحيد الصافي وضيـ
عيـسـيـ الرـبيـبيـ يـلـوـيـنـ علىـ تـصـيـفـ
الـحرـكـةـ حرـيـةـ عـدـيـدةـ . وـبعـدـ
منـاشـاتـ توـصـلـ المـعـمـونـ السـىـ
اقـرـارـ الـقـرـارـ الـذـيـ نـشـرـ فيـ جـريـدةـ
الـحـزـبـ طـرقـ (ـطـريقـ النـسبـ)ـ ،ـ نـسـمـ
طـرـحـ مـكـبـقـ الـقـيـادـةـ وـعـدـ موافـقةـ
اجـتمـاعـيـةـ الـوـيـقـنـةـ الـخـاصـةـ بـالـسـالـةـ
الـكرـدـيـةـ الـلـقـائـاتـ الـعـامـ ،ـ وـغـيـرـهـ .
نـقـرـيـعـ وـقـوـيـ وـصـالـمـ لـلـتـائـيـاتـ
الـرـجـهـيـةـ وـالـشـوـشـيـةـ ضـمـنـ الـمـرـكـبـ
الـكـرـدـيـةـ الـسـلـحـةـ ،ـ معـ الـتـائـكـوـنـ
عـلـىـ آـنـ طـبـيـعـاـ الـتـحرـرـ الـعـالـمـ لاـ
يـزالـ ثـائـماـ ،ـ وـانـ كـانـ قدـ ضـعـفـ
نسـيـباـ .
- القرار بإلغاء المساعدات من
الملا مصطفى البرازاني : موافقة
اجتماعية .
- القرار بإدانة اية حربـةـ
كرـدـيـةـ الفـصـالـيـةـ ،ـ اـدـانـةـ عـلـىـ
وـهـامـيـرـةـ موـافـقةـ اـجـتمـاعـيـةـ .

من ذـيـ اـنـتـامـ خـلـقـ سـيـاسـةـ
الـعـدـ،ـ وـأـنـ اـعـمـلـنـاـ كـاسـتـاتـيـجـيـةـ
هـنـاكـ ،ـ بـعـدـ الـاقـتسـامـ اوـ الـهـرـفـ،ـ
يـاـ فـيـاـ خـصـصـ الـقـرـدـ فيـ اـسـدـارـ
الـقـرـارـاتـ اوـ فـرـقـيـهـ مـذـهـبـهـ

استراتيجية على حرب الذهاب العادم
صـحـيـعـ عـلـىـ الـاطـلاقـ ،ـ وـلـسـتـ
قولـ هـذـاـ لـكـ اـنـ تـنـصـلـ مـنـ
الـسـلـوـلـيـةـ ،ـ فـالـسـلـوـلـيـةـ تـرـكـةـ
ترـكـةـ بـيـنـ اـعـصـاءـ الـقـيـادـةـ جـمـيعـهـ

تصـبـيـحـهـ مـنـهـ مـنـ هـذـاـ الـحـارـ وـالـكـبـرـ
اعـتـبارـيـ كـثـرـ سـكـرـتـيرـهـ الـعـامـ .
ماـ يـكـنـيـنـ اـنـ اـفـوـلـهـ ،ـ هـنـاـ ،ـ انـ
عملـ الـجـاهـزـ الـسـادـامـيـ ،ـ وـعـيـاتـ
لـتـكـافـيـ الـمـالـ ،ـ كـانـ اـنـعـكـاسـ
الـسـلـيـلـ الـعـملـ الـخـطـطـيـ قـلـ
لـقـيـادـةـ .ـ وـالـذـينـ فـنـوـ اـنـهـ هـمـ
جـردـ شـيـوعـيـنـ مـلـتـزمـ بـخـاتـمـ الـحـزـبـ

■ من هـمـ معـ ؟
■ ومن هـمـ ضدـ ؟

من اـجلـ مـزـيدـ مـنـ الـوـرـوجـ نـسـ
جـددـ الـسـلـوـلـيـاتـ اـعـدـ مـنـزـلـ الـحـاجـ
جـوـدوـلـ بـلـصـلـ حـولـ الـحـاجـ
الـاسـاسـيـةـ التـيـ تـصدـتـ لـهاـ الـيـادـةـ
الـمـرـكـبـةـ ،ـ وـمـوـاعـدـ اـعـمـاءـ الـقـيـادـةـ
عـلـىـ رـفـاهـ رـفـاهـ اـنـتـكـاسـ اوـ تـابـيـعـ اوـ اـنـتـكـاسـ
عـلـىـ اـنـهـ مـنـ الصـورـ .ـ وـهـيـ بـاـيـزـ
 تمامـ هذاـ الجـدولـ :

● بيان ٢١ تموز ١٩٦٨ المصادر	● تم ٣٠ تموز ١٩٧٤ انتقادها
نـقـرـيـعـ وـقـوـيـ وـصـالـمـ لـلـتـائـيـاتـ	منـ القـيـادـةـ الـمـرـكـبـةـ مـحـدـداـ مـوقـعـهاـ
الـرـجـهـيـةـ وـالـشـوـشـيـةـ ضـمـنـ الـمـرـكـبـ	منـ الـقـيـادـةـ الـمـلـيـلـيـةـ الـذـيـ قـامـ تـبـيـعـ لـحـرـكـةـ
عـلـىـ آـنـ طـبـيـعـاـ الـتـحرـرـ الـعـالـمـ لاـ	١٧ـ (ـ تمـ ٣ـ تمـوزـ)ـ موافـقةـ
يـزالـ ثـائـماـ ،ـ وـانـ كـانـ قدـ ضـعـفـ	اجـتمـاعـيـةـ
نسـيـباـ .	● صـوابـ الـاسـتـمرـارـ فيـ اـعـتمـادـ
● القرارـ بـإـلـغـاءـ الـمـسـاعـدـاتـ منـ	استـراتـيجـيـةـ الـقـاتـكـ الـمـالـ بـعـدـ
الـمـلاـ مـصـطـفـيـ الـبـرـازـانـيـ :ـ موـافـقةـ	٢ـ (ـ تمـ ٣ـ تمـوزـ)ـ موافـقةـ اـجـتمـاعـيـةـ
اجـتمـاعـيـةـ .	● القرارـ بـإـنـصـالـ عـلـىـ دـعـانـ
● القرارـ بـإـدانـةـ اـيـةـ حـربـةـ كرـدـيـةـ الـفـصـالـيـةـ ،ـ اـدـانـةـ عـلـىـ	شـومـانـ :ـ موافـقةـ اـجـتمـاعـيـةـ ،ـ وـلـكـنـ عـلـىـ مـنـقـدـ طـرـيـقـةـ الـقـيـادـةـ تـمـ بـهـ
وـهـامـيـرـةـ موـافـقةـ اـجـتمـاعـيـةـ .	الـمـلـيـلـيـةـ
	● القرارـ بـإـغـيـاثـ جـلالـ المـخـtarـ

عَزِيزٌ
الْحَاجُ:

فعتنا بـعاـركـفـاعـالـسـاحـ كـرـدـ
نـفـلـ عـاـنـ النـكـسـةـ دـكـبـيرـ
عـنـ رـضـنـاـ لـأـوـضـاعـ الـحـزـبـ
مـوـقـتـ مـنـ قـضـيـةـ

كل ما قلنا به كان عملية سوها وهررت في را الرماد لا رضا نزعه الغرور والتزعم والحق لدعى نفر معين !!

بِسْمِ
يُوسُفَ:

نوقشت هذه المسالة في الاجتماع الأخير للقيادة ، وانحدر سوار بالزام الجهاز ببذل موافقة القيادة المسيبة على أي تصرّف .. كذلك قررتا بذيل الشرف ، وتكوين لجنة مصادمة جديدة.

على أن التناقش كان مصدره القيادة وليس الجهاز أو اجتهاته ، فقد كان نظامهم بالالتزام بقرار اثناء ونفس الوقت ظالمهم بياناً باليون بالمال من أي مصدر كان ..

القاعدة : تعالوا إلى الاهوار ..

- وبما هي المليات التي نفذها الجهاز في مجال تأميم المال ؟

يجب عزيز الحاج :

- لقد بربت عملية سطو وسلح على منصورية السياسية ، حصلنا على ما على ١٤ الف دينار ، كما دربت عدّة عمليات ضد شركات في بغداد جعلناها أكثر من خمسة الف دينار.

وإذ الخبر يأن التقيب او التحليل ، يقول عزيز الحاج :

- هذا يعني ان القيادة ، والحزب ، كان تقصيراً على الوضع النظري الكافي ، وأنهما لم تكن حازمة في المحاسبة ، وكانت تنسحب تراكيزاً على هاجتها المسامة الى المال . من جهة أخرى ، فقد شعرنا ، ونحن في غمرة العمل ، بقيام تكسل بين بعض من شاهر الجنة بالظلمة وبنقمة الحزب في الأطفة الجنوية وبغض القنابل الأخرى .. وكان ببر التكسل الرعنوي بالجهاز مخالفة وغير ملزمة بخط الكاح المسلح . وقد تقينا عنترات الرسائل والمقارير البالية بالتهم على موقعنا الذي وصف به « البنية » و « الملوحة » كل ذلك تمثّل علينا الظواهر الصدامية في السليمانية ، بينما قدم قادة شكلتنا في الجنوب اذاراً الى القيادة وسكتيرها بفسورة التحاقي جميع القادة بالاهوار والا « كان احداً من يعرفكم !! » ! ووجه عام كان نهاية طبلة خطرون : الفزعة العسكرية المعرفة التي ترمي بحمل التشكيلات المساحة فوق الحزب وأشرف القيادة ، والمجلس لاسراف الاخفاط والمرتكبة . كان حزيناً مهداً بقسامات خطيرة ، وكان علينا ان ثبت ،

الحزب الى صدام مع السلطة ، ولقدنا حاولنا هذا القرار اكثر من مرّة وكفانا الجهاز بعمليات كان لا بد وان تؤدي الى الصدام والحق ، وكانت تنتهي ان قبل على السداوم بطاعم السادس والسادسة والتبسيط السياسي ، مثلاً : كما في امس الجمعة الى الملل ، ظلم تجد غضافة في اللجوء الى عمليات السطوة المسلح تأمين الاموال التي كانت درجات في شراء السلاح ، او في شراء سفارة ،

ويقول عزيز الحاج :

- تقضي الامانة ان اذكر ان الجهاز قد قام فعلاً ببعض المباردات في المطار .. وذلك بعدة الاوامر من لا يلتقطهم بالسياسة عدم استطاعتنا على هذا الجهاز . وقد صرحت ، في

فترا ، ان السلطة تقوم ببعض الميليات تم تسبيبها هنا بفرض شوبيه سمعناها والأساء الى خط الكاح المسلح .. لكنني تبين ، من

عندما يدار الجهاز ..

ويقول عزيز الحاج :

- كانت القيادة قد اخذت قراراً يجنب اي عمل يضر

■ اولاً - قتل عدنان شومان ، وهو قائد شيعي سابق قسرت القيادة انه هان العرب فأهدرت دمه وكانت جهازها الصدامي يتنبّه الانذارات النظمية .

■ وافرض ان هذه النوبة كانت طبيعية نظراً لتمشي بلقة الائمة بالواسطة الساحقة من القواسم والقواعد

الهزيبة . ان مكانتي في العرب لم تتم على اساس التهديد او الاكراه ، وإنما كانت ثمرة منطقية لدورى ضد الخطط التي اتيتني انجز اليه الحزب عام ١٩٦٤ ، ثم

لدورى في تصحيح هذا الخطط عام ١٩٧٢ ، في حين ان اكتيرية اصحاب القادة الراكيبة كانوا من الماهسين والمحظيين لخطة الارز وعدهم فرقه تعرفها تظميات العرب جيماً .

■ وفي مجال التدليل على انه لم يكن يمارس اية مكانورية ، ولم يسر تكن له حسنة خاصة ، سرور عزيز الحاج مثلن بارزون هنا :

□ اقترحه بعد انتخاب بيتر يوسف ضموا في القيادة ، بينما هو سيفين .. وقد ذكر مسذا اقتراحه ، ووافق ١٧ عضواً على انتخاب بيتر ، وهذا خلوات الائمة السكوني ..

■ وخلد راي السكوني مرة اخرى باكتيرية ١٦ ضد ١٥ حيث اقرّر اصدار قرار عن الجماعة الموسوع يكتب به العزب استخدام اسلوب العنف والاكراه مع الجنة الراكيبة ، وكان ذلك في الاعام الاولى للانقسام .

■ **الجهاز الصدامي**
ومنجزاته ..

■ ونعود الى الكاح المسلح ، فننسأل ، ما هي الامثل والعمليات التي نفذها القيادة الراكيبة عملاً ، تتبّع اخططاً الفكري والستراتيجي المثير ؟

■ قبل الاجابة على هذا السؤال لا بد من الاشارة الى الطبيعة المزدوجة لامال العنف التي مارستها القيادة الراكيبة ، وهي الريف اثبتت قاعدة ، ثم ثانية ، كمنطلق لکاح شعبي مسلح ، اما في المدن ، وقاده يذادات - مثل الجهاز الصدامي هو الذي يتولى تنفيذ (واجيئنا تحطيم) الميليات .

■ من اوراق عزيز الحاج الخاصة :

قبل الانقسام ، كان قد تقرر ان يتّشتُ الحزب الى نوعي فرقاً مسلحة جوالة وتابعة في الريف ..

أَجْرَاءً
اعْتِرَافٌ
لِقَيَاوَةٍ
عَزِيزٌ
الْحَاجَ

بابنصر ، اتنا لسنا بيمين ،
وكان يطلب منا الدخول في
معارك بينما حزينا مفترق الى
المستلزمات الأساسية للوجود
والنمو .

■ بين الكفاح المسلح و .. المحوسيس

لكن الجو الذي خلقته اعمالكم
كان يسر لاعداء الوطن فرصة
ذهبية للتحرك وتحقيق اغراضهم
التخريبية ؟
يحيى عزيز الحاج بغير تردد :

— طبعاً، قد تحدثت وترة
ال:right margin-left: 20px; right: 20px; position: absolute; top: 0; bottom: 0; background-color: black; opacity: 0.5; width: 100%; height: 100%; z-index: 1000;"/>
 اليميني اليساري لدينا ، عنصر
مشهورة على التحرك كما
أنسحت المجال لشبكات التجسس
وأقول الرغبة هنا منتشرة
هذه الأوضاعية ، وقد يقتضي بعض
شبكات التجسس ، بالفعل ، بيعض
الإعمال التغريبة (بينما هادئ
نفس سيارات فيشارع أيسى
نواس) ، وكان طبيعياً أن
هذه الأعمال انتهت !

والثالث الى صالح رضا العسكري ، عضو القيادة المركزية والشرف المسؤول على الجهاز السادس ، يتكلل هذا كلام عزيز الحاج بما يليكه . . . يقول :
— أريد فقط التأكيد ان القيادة

هي التي تتحمل المسؤولية ،
واعتبارها مد مسؤولة وحدث
الاحداث والمبادرات ، ان اعمال
الجهاز في انكماش اساليب العمل
القرفة في القيادة ... وختى
تمدد نعاصر الجهاز الى الحلة
المصادمية ، وبالتالي على القيادة
انها تحمل القيادة مسؤولةها . ان
الذين نتفق على اسلوبات القرفة هم
مجرد شيوخين متزهدين يبغضون
العرب . لم يكن حركهم المطبع
او الخصومة او ايها من الخطى
السياسي هو الدافع والمبرر .
حتى في اقدامهم على قتيل من
من تقرر القيادة تقتله ذاتهم كانوا
يتصارعون اطلاقا من تصورات
سياسية وليس من عواطف
شخصية

من ممارسة هذا الاسلوب ...
لقد تركنا القيادة للمنظomas المذكورة
اعطافها حرية التصرف .»
ويأتي عزيز الحاج على هذه
التفاصيل يقوله :
— إن مجموع هذه الاتهامات
كان شفراً وخطراً ، وكان أى يحول
عن هنا إلى مجرد هبطة من
السلفين ، ونقاشي أن في أي عمل
من هذا النوع تعيينا للسلطنة ،
فيضيأنا من القافية التي تروي وة .
حتى تشجعوا للغوص . ونحن
قادحة ، وانا بالذات كستكريـ
تحمل المسؤوليات الأساسية
■ ■ ■
الإسطورة ..

٤٠ وَزَبْرَ يُكَوِّنُ الظَّمَرَ الْأَطْمَرَ
يَنْتَهِي إِلَيْهِ أَيْ سَنْدَنْيَةٍ أَوْ خَارِجِي
مُؤْتَرٌ ، مُلَاجِدٌ بِدَا مُقْتَلِمْ مُعْلَمَاتٍ
رَسِيمَةً لِتَبَيْنَ الْمَسَالِ
الْأَلَامِ شَاءَ الْمَسَالِ مِنَ الْمَسَوْقِ
الْسَّوَادِ ، اَذَا تَبَيْسِ ..

٣٠ ثُمَّ قِيَادَةٌ فِي تِحَاسَةٍ ، وَغَيْرِ
تِحَاسَةٍ ، وَفِي مَوْهَدَةِ الْأَرَاءِ ،
تَفَقَّدَ لِبِسْ نَقْطَةَ الْحَسْنِ
وَالْعَوْلَةَ بِلِ الْمَنَّةَ تَوَادِعَهَا بِهَا ،
تَاهِيَكَهُ الْبَاهِيَنَ الْمَبِيقَ بِهَا تَرْكِمَهُ
شَنِ عَلَمَاتِ نُورَةِ .

وَعَدَا اَنْتَهَى الْاَسْطُورَةِ بِطَرِيقِ
مَذَلَّةِ الْبَطَلَةِ هَنِّي لَا يَكَادُ
يَصْتَنِعُ اَهَدِ !

وَالْاَسْطُورَةِ الْمَصْوَدَةِ هِيَ
الْبَيَانِ الْمَكْرِيَةِ وَلِبِسِ الْكَتَابَ
الْمَسَالِ ، طَلَبَا مِنَ الْبَازِ الْكَتَابَ
الْمَسَلِحَ طَرِيقَ الْجَاهِزِيَّةِ الْمُرَوْنَةِ
الْعَرَبِيَّةِ الْمَالِيَّةِ الْمَادِرَةِ مَلِيَّ
تَحْرِيرِ الْاَسْلَمِ الْعَرَبِيِّةِ كَلَّا ، وَكَذَا
شَنِ تَعْرِيفِ الْاَسْلَمِ الْعَرَبِيِّيِّ فِي كُلِّ
هَنَاءِ الْفَسْحةِ .



ناظم كزار، مدير الأمن العام، (١٩٦٣-١٩٧٩) زمن الرئيس أحمد حسن البكر، أعدم عام ١٩٧٣ م بعد تعذيبه، لقيامه بمحاولة انقلابية.

.....النهاية في البداية.....



مع الرفيق مصطفى جاورش في السليمانية في مقابلة معه بشهر آب / ٢٠١٥

.....النهاية في البداية.....



مع الرفيق فاروق مصطفى رسول في السليمانية في مقابلة معه بشهر آب / ٢٠١٥

.....النهاية في البداية.....



عبد القادر محمد ويوسف رزين وحافظ التكجحي وسامع العلي الجاسم والشهيد خالد أحمد زكي في لندن عام 1960

الشهيد الرفيق خالد أحمد زكي الاول على يسار الصورة.



الشهيد خالد أحمد زكي في بريطانيا سكرتير برتراند رسول

.....النهاية في البداية.....



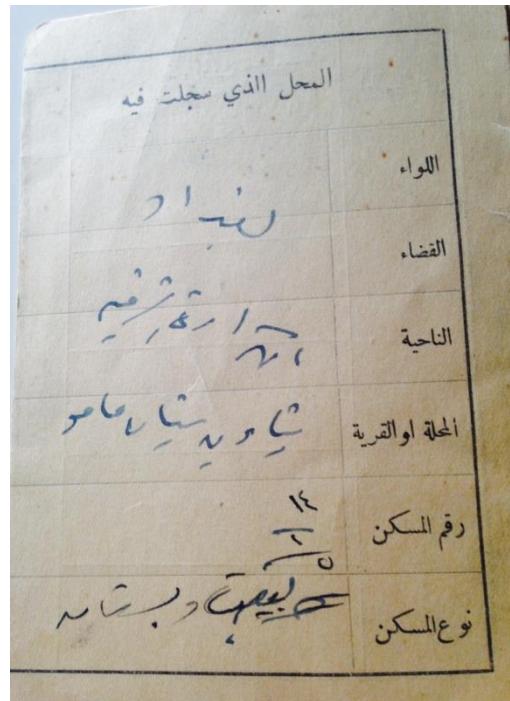
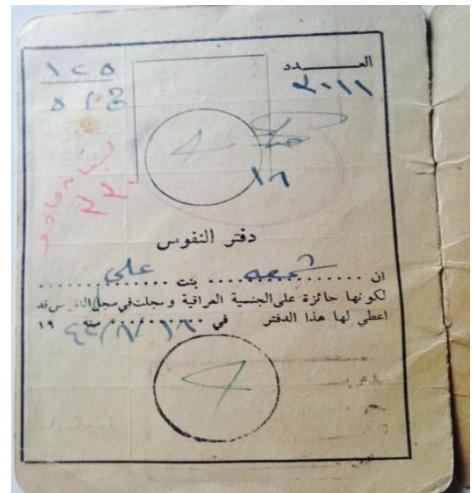
الشهيد البطل الرفيق مطشر حواس في السجن قبل إعدامه

.....النهاية في البداية.....



من اليمين الرفاق: حسين محمد حسن الساعدي / عبد الله شهواز زنكنة / عبد الجبار
على الجبر / الشهيد مطشر حواس / عقيل حبش / علي حسين أبويجي / في جناح
الإعدام بداية عام ١٩٦٩

.....النهاية في البداية.....



دفتر نفوس صادر عام ١٩٤٢ يبين الناحية - الكرادة الشرقية - المحلة والقرية - بتاوين بستان مامو.

.....النهاية في البداية.....

شهادة ولادة أحمد فياض

المصادر

- (١) د. عامر كامل احمد، العنف والعنف المضاد في الجزائر، "بحوث المؤتمر الدولي حول الارهاب - الجزائر "
- (٢) د. عامر كامل احمد، العنف والعنف المضاد في الجزائر، "بحوث المؤتمر الدولي حول الارهاب - الجزائر "
- (٣) عبود الشالجي، موسوعة العذاب - ج ١ - ص ١٥.
- (٤) حسنين توفيق ابراهيم. ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، "مركز دراسات الوحدة العربية " .
- (٥) سليم سوزه-قناعة الأربعين -الحوار المتمدن -العدد ٤٤٧٦ في ٢٠١٤/٦/٨
- (٦) هادي العلوى، الاغتيال السياسي في الاسلام، "دار المدى للثقافة والنشر" ص، ٢٩، ٨٥، ٥٩
- (٧) هادي العلوى، من تاريخ التعذيب في الاسلام " دار المدى للثقافة والنشر" ص- ٥٤
- (٨) د. رشيد خيون، دروس من تراث الاسلام، "مؤسسة الانتشار العربي -بيروت"
- (٩) من أعمق السجون في العراق -عبد الجبار وهبي "أبو سعيد"- اعداد وتقديم محمد علي الشبيبي -مؤسسة النبراس -العراق -النجف الاشرف - ٢٠١٣). عن كتاب من أعمق السجون في العراق -محمد راشد (عبد الجبار وهبي) - دار القلم - القاهرة ١٩٥٥- ٢٦، ٢٤.
- (١٠) حنا بطاطو -العراق-الكتاب الثاني-مؤسسة الابحاث العربية-ص ٣٥٩، ٣٥٧.
- (١١) حسنين توفيق ابراهيم. ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، "مركز دراسات الوحدة العربية " .
- (١٢) ناشط من داخل الموصل-Maouris Milton -عام كامل على داعش في الموصل: القسم الثاني....
- (١٣) لمحات عن اليزيدية - زهير كاظم عبود - بغداد - دار النهضة - ١٩٩٤ .

(١٣) دراسة في موقع ايلاف على حلقتين بعنوان (اليزيدية العراقيون: طيف رافدي حيوي نادر الخصوصيات بتاريخ ٢٩ / ١ / ٢٠٠٧)

(١٤) تاريخ الوزارات ج ٣، عبد الرزاق الحسني طبعة ١٩٨٢، ص ١٨٤

(١٥) ١- كتاب القرن البديع من آثار قلم حضرة ولی أمر الله شوقي ربّاني-من منشورات دار النشر البهائية في البرازيل -١٩٨٦ ترجمة محمد العزاوي.

William Hatcher &، The Emerging Global Religion, 2- The Bahai Faith 2nd Edition, Harberg & Row publishers, Douglas Martin عبد الحسين فكري بعنوان "الدين البهائي بحث و دراسة" دار النشر البهائية - البرازيل - ٢٠٠٢ م.

Ronald ، Oxford ، Hassan Balyuzi ، 3- Bahaullah The king of Glory 1980.

، Georg Ronald، The Revelation of Bahaullah ، 4- Adib Taheradeh Oxford – 1975.

(١٦) دراسات في البهائية -البهائيون في إيران-خوان كول -ترجمة نفين عبد الرؤوف -ديسمبر ٢٠١٤ .

(١٧) أشياء كنت ساكتة عنها -ذكريات -آذر نفيسی -منشورات الجمل -بيروت ٢٠١٤ - ص ٦٣ .

(١٨) محمد مصطفى البغدادي - الرسالة التسع عشرية - مطبعة السعادة ١٣٣٨ هـ شهر محرم الحرام مصر.

(١٩) هنا بطاطو -العراق -الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية -الكتاب الاول -ص (٣١٨)

(٢٠) نهج السلامة الى مباحث الامامة للعلامة السيد محمود الالوسي مفتی مدينة السلام، مخطوطة بيد المؤلف محفوظة في مكتبة مديرية الاوقاف برقم ٦٧٨٧ .

(٢١) بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة -مطبعة دار المعرفة - بغداد -١٩٥٤ -ترجمة سعاد هادي العمري -ص (٨٧).

- (٢٢) مطالع الانوار -نبيل زرندي -دار البديع للطباعة والنشر - بيروت لبنان -٢٠٠٨
- (٢٣) الحكومة العراقية مجموعة القوانين والأنظمة مطبعة دنكور الحديثة الجزء الاول
صفحة بيان المحاكم رقم ٦.
- (٢٤) عبد الرزاق العباجي -تقرير عن الدين البهائي في العراق منذ نشأته والى اليوم -
.٢٠١٦
- (٢٥) موافقة وزارة الشؤون الاجتماعية - الطب الاجتماعي رقم ٧٠٢٣ في ١٥/٣/١٩٥٢
- (٢٦) الدعوة البهائية في العراق للباحث يوسف حسن محمد صفحة ١١٩ وزارة
الداخلية محاضر جرد الموجودات لحظيرة القدس البهائية في بغداد .
- (٢٧) عبد الرزاق العباجي -تقرير عن الدين البهائي في العراق منذ نشأته والى اليوم -
.٢٠١٦
- (٢٨) كورت رودولف -أصول وفصول - الجزء السابع - الصائفة المندائيون.
- (٢٩) د. موفق كمال قنبر وفي -الوجود والدين -ص ١١٥
- (٣٠) الصائفة المندائيون في العراق وإيران - أثيل ستيفانا دراورو -ترجمة المرحومين
غضبان الرومي ونعميم بدوي.
- (٣١) عباس العزاوي -العراق بين احتلالين -الجزء الثاني-ص ١٧
- (٣٢) زهير كاظم عبود - الشبك في العراق - المؤسسة العربية للدراسات والنشر -
بيروت لبنان -٢٠٠٩ .
- (٣٣) هنا بطاطو-العراق - الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني
حتى قيام الجمهورية-الكتاب الأول -مؤسسة الأبحاث العربية-ص-٢٨٦,٢٨٨ .
- (٣٤) جاسم المطير -نقرة السلمان - دار المكتبة الأهلية - ٢٠١٨ -ص ٤٠١).
- (٣٥) عبد الله الجيزاني - حزب الإستقلال العراقي ١٩٤٦-١٩٥٨ - التجربة الفكرية
والممارسة السياسية - ١٩٩٤ - ص ٧٩ .
- (٣٦) عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي-عزيزي سباхи -ص ٢٨٤

- (٣٧) * الحسني - تأريخ الوزارات العراقية - ج ٨ - ص ١٥٩-١٦٢.
- * كفاحنا ضد الصهيونية - عبد الرزاق الصافي-إصدار طريق الشعب ومنظمة التحرير الفلسطينية.
- (٣٨) هاشم الشبلي -محطات سوداء في تاريخ العراق الحديث - ٢٠١٧-١٩٣٦ - دار دجلة للنشر - عمان الأردن - ص ٣٩.
- (٣٩) كل شيء هادئ في العيادة -سلمان درويش -منشورات رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق -مكتبة الدكتور داود سلمان-سالا لمؤلفات يهود العراق، ١٩٨١، ص ٦٠-٦٢.
- (٤٠) كاظم حبيب -يهود العراق والمواطنة المنتزعـة -دار المتوسط، لبنان -٢٠١٥.
- (٤١) حسقيل قوجمان -الحوار المتمدن العدد ١٤٥٧ في ١٠/٢/٢٠٠٦. موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة -صديق صديق -الاربعاء .aletihad.44@gmail.com
- (٤٢) هنا بطاشو -الكتاب الثالث -الموسوعة السرية الخاصة بالحزب الشيوعي العراقي السري، مديرية التحقيقات الجنائية، الامن العامة ص ٣٨٣
- (٤٣) د. خضر سليم البصون في مقالته ذكرى اعدام يهود عراقيين في بغداد والبصرة -ايلاف -العدد ٥٠١٣ ١١- شباط ٢٠١٥.
- (٤٤) مركز الدراسات الفلسطينية -عصبة مكافحة الصهيونية -جامعة بغداد -لجنة توثيق القضية الفلسطينية ١٩٧٧-ص ١٤، ٣٣.
- (٤٥) جعفر عباس حميدي - التطورات السياسية في العراق-النجف - مطبعة النعمان - ص ٣٩٩.
- (٤٦) * عزيز سباхи -عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي-ج ١، ص ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٢. * عبد اللطيف الروي - عصبة مكافحة الصهيونية-في العراق ١٩٤٥-١٩٤٦ - دار وهران -دمشق -١٩٨٦-ص ٢٢٩، من رسالة يعقوب مصرى إلى الدكتور عبد اللطيف الروي.
- (٤٧) الحسني - تأريخ الوزارات العراقية - الجزء السابع - ص ١٦.

- (٤٨) عزيز سباهي -عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي - ج ١- ص ٢٧٦
- (٤٩) على الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث -الجزء الاول -ص ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩١ .

(٥٠) ياسين أفندي بن خير الله الخطيب العمري -الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون-نشر معاوية احمد ناظم العمري -مخطوط يعود الى ثلثينات القرن الثامن عشر الميلادي.

Wahhabism & the spread of Sunni ، Arabia ، Curtin winsor Jr (٥١)
Theofascism Mideast Monitor 2 No. 1 Jun /July 2007

- (٥٢) الموصل بين احتلالين ٢٠٠٣ – ٢٠١٤ - ص ٩٤ .
- (٥٣) المنتخب من مدونات التراث (ابن تيميه) عزيز العظمة - ص ١٧٤ .
- (٥٤) فتاوى ومسائل الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - ص ٩ ، ١٠ .
- (٥٥) الموصل بين احتلالين ٢٠٠٣ – ٢٠١٤ - ص ٩٨ .
- (٥٦) ناشر من داخل الموصل- Maouris Milton - عام كامل على داعش في الموصل: القسم الثاني....
- (٥٧) معلومة منقولة عن الدكتور كامل المهيدي وعن صديق الطفولة اسماعيل عبد الحسين الجاسم الخفاجي، "المولود في البتاوين عام ١٩٣٣ " اللذان قدم اجدادهما من لواء الحلة، قرية "البتة" ليستوطنوا هذه المنطقة، التي كانت خارج سور بغداد، وقد أخذوها بالمعارضة، ولهم بستان بيت مهيدي. ومن ثم نسبت إليهم وأطلق عليها تسمية "البتاويين" التي اختصرت الى "البتّاوين".

(٥٨) دفتر نفوس والدتي الذي احتفظ به، الصادر من نفوس الكرادة الشرقية في ١٩٤٢/٨/١٨، مذكور في حقل الناحية "الكرادة الشرقية" وفي حقل المحلة او القرية "بتاوين بستان مامو".

(٥٩) بغداد كما اعرفها -يهود العراق -امين المميز -١٩٨٤

- (٦٠) حنا بطاطو-العراق - الكتاب الثالث - ص ٣٥٢، ٣٥٨، ٣٦٨.
- (٦١) الكتاب الثالث - حنا بطاطو - ص ٣٨٣ . الموسوعة السرية الخاصة بالحزب الشيوعي العراقي السري، مديرية التحقيقات الجنائية، الامن العامة.
- (٦٢) مقابلة شخصية مع الرفيق فاروق مصطفى رسول في السليمانية-آب ٢٠١٥.
- (٦٣) مقابلة شخصية مع الرفيق مصطفى جاورش في السليمانية-آب ٢٠١٥.
- (٦٤) توجد نسخة منه في احدى مجلدات تاريخ الوزارات العراقية ١٩٥٨ - ١٩٦٨.
- (٦٥) عزيز الحاج - حدث بين النهرين. تجربتي في القيادة المركزية-محضر اجتماع كواذر القيادة المركزية - ص ١٥٥، ١١٦، ٤٥. ١٥٩
- (٦٦) عقيل حبش-نشيد الموت-شهادة حية من لهيب المعركة - دار وراقيون-٢٠١٨.
- (٦٧) حنا بطاطو-الشيخ والفلاح في العراق ١٩١٧-١٩٥٨ - دار سطور للنشر - ٢٠١٨-ص ١٧٩ - ١٨٠.
- (٦٨) تقيمان الأول لكل من عامر عبد الله وبهاء الدين نوري والثاني لزكي خيري وعزيز الحاج.
- (٦٩) من أوراق حازم حواد، جريدة القدس العربي والدولي في ٢٣ شباط ٢٠٠٦.
- (٧٠) البيرية المسلحة د. علي كريم سعيد-ص ٣٠٩. نص التقرير الذي رفعه هاشم الالوسي عام ١٩٦٨ الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي.
- (٧١) دراسة للسيد محمد باقر الحسيني، بعنوان: علاقة المرجعية الدينية بثورة تموز-القسم الثاني - بتاريخ ٢٨ / ٥ / ٢٠٠٧.
- (٧٢) سنوات الجمر - مسيرة الحركة الإسلامية ١٩٥٧-١٩٨٦ - علي المؤمن مركز دراسات الشرق العربي - ص، ٦٦.
- (٧٣) شاؤول حاخام ساسون -في جحيم صدام حسين-من منشورات رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق ١٩٩٩م.

(٧٤) من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة -تأليف المستشار عبد الله بن عقيل بن سليمان العقيل -دار التوزيع والنشر الإسلامية -الطبعة الثالثة -مصر -٢٠٠٦ -صفحة ٦٣٣.

(٧٥) أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران -وليد الأعظمي -مطبعة الأخوان -بغداد ٢٠٠١ م -صفحة ٢١٥.

(٧٦) بيان السيد حسن مهدي الشيرازي المسلمين العلويين -المكتبة الإسلامية العلوية نسخة محفوظة ٩٠٧٢ على موقع واي باك مشين.

(٧٧) شهادة ولادة أحمد.

(٧٨) محمد حديد - مذكرياتي -الصراع من أجل الديمقراطية في العراق -دار الساقى -٢٠٠٦ -ص ٣٧٢-٣٧٤.

(٧٩) تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ج - ٢ ص ٦١ .

(٨٠) أوريل دان - العراق في عهد قاسم - تاريخ سياسي ١٩٥٨-١٩٦٢ . نقله إلى العربية وعلق على حواشيه جرجيس فتح الله. عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي - عزيز سباхи - ج ١ - ص ٢٨٢ .

(٨١) عامر عبد الله ودوره السياسي والفكري - (١٩٢٤-٢٠٠٠) -غادة فائق محمد علي - بغداد-٢٠١٨.

(٨٢) عامر عبد الله - سنوات الفقر والأمل الخائب-١٩٨٨-١٩٩٤-ج ٢-ص ٢٠٤

(٨٣) مقابلة مع الصديقين المهندس عماد عباس وعلي جاسم حمودي.

(٨٤) أمين الريhani - تاريخ نجد الحديث وملحقاته ص ٥٦٥ .

(٨٥) الوجود والدين - د. موفق كمال قنبر وفي -برمنكهام - إنكلترا.

(٨٦) شهادة حية من لهيب المعركة - عقيل حبس-دار الغد للنشر - ٢٠١٧ .

(٨٧) النفق - نشيد الموت -عقيل حبس - دار وراقيون - البصرة - ٢٠١٨ .

(٨٨) الهروب من نفق مضيء - جاسم المطير - منشورات دار الرواد-بغداد-٢٠١٠ .

- (٨٩) أمين الريhani -تأريخ نجد الحديث وملحقاته ص ٥٦٥.
- (٩٠) محمد يعقوب الهنداوي -رسائل الضبع وعواقبها-مذكريات شيوعي -الحوار المتمدن ٢٠١٩/٨/٢٥.
- (٩١) ذكرياتي -فاروق مصطفى رسول -الدار العربية للنشر-لبنان-ط ١-٢٠١٨-ص ٢٤٢.
- (٩٢) ذكريات لا يمحوها الزمن أيام في معتقل قصر النهاية - عبد الحسن حسين يوسف-الحلقة الثالثة-الحوار المتمدن - ٢٠١٨/١/١٤.
- (٩٣) المكاريد - حكايات من سرداد المجتمع العراقي - محمد غازي الأخرس - دار سطور للنشر-بغداد-ط ١-٢٠١٨ - ص ٤٧، ٤٠.
- (٩٤) عبد الكريم الأزري - تأريخ في ذكريات العراق ١٩٣٠-١٩٥٨ ج ١-بيروت ١٩٨٢ . ص ٤٩٩، ٥٠٠.

الفهرس

الإهداء	٥
شكر وتقدير	٧
كلمات لرفاق الـدرب	١١
أحمد علي إبراهيم	١١
عبد جاسم الساعدي	١٧
عقيل الناصري	٢٠
محمد عارف	٢٦
الفصل الأول / العنف كظاهرة وحشية	٢٩
١-عن عنفنا التاريخي	٢٩
أ- العنف السياسي	٢٩
ب- العنف الديني	٣٥
٢-عن بعـدادـناـ الحـزـينـةـ نـمـوذـجاـ	٤٥
٣-عن الـصراعـ العـائـليـ عـلـىـ السـلـطـةـ	٤٧
الفصل الثاني / منذ المـملـكةـ الأولىـ حـتـىـ الجـمـهـورـيـةـ الخامـسـةـ	٤٩
١- العنـفـ فـيـ الدـوـلـةـ الـمـعاـصـرـةـ	٤٩
مـذـبـحةـ سـجـنـ بـغـدـادـ السـيـاسـيـ	٥٦
مـجـزـرـةـ سـجـنـ الـكـوتـ	٥٧
سـجـنـ نـقـرـةـ السـلـمـانـ	٥٧
أـاـيـزـيـدـيـوـنـ	٦٧
بـاـشـورـيـوـنـ	٧٣
مـجازـرـ بـدرـخـانـ	٧٣
مـذـبـحةـ سـمـيـلـ	٧٤
تـاـبـهـائـيـوـنـ	٧٦
١ـاـبـهـائـيـوـنـ فـيـ إـيـرـانـ	٧٦

٨٥	٢-البهائيون في العراق
٩٩	ث-المندائيون
١٠٩	ج-الفيليون
١١٥	ح-الشبك
١٢١	خ-اليهود
١٢٩	٢-اليهود العراقيون والصهيونية
١٢٩	عصبة مكافحة الصهيونية
١٣٠	منهج العصبة:
١٣٦	اليهود والثقافة العربية
١٣٧	٣-العنف وفق الغزوة الداعشية
١٣٧	أ-نشأت داعش
١٣٩	ب-سيطرة "داعش"
١٤١	ت-جرائم "داعش"
١٤٣	ث-إجراءات "داعش"
١٤٦	ج-بنية "داعش"
١٤٨	ح-نظام "داعش"
١٤٨	١. ديوان القضاء
١٥١	٢-ديوان المظالم
١٥١	٣-ديوان الحسبة
١٥٢	أ-الصفات الشخصية لعنصر الحسبة
١٥٣	ب-سيارات الحسبة ودورياتهم
١٥٣	ت-الأفعال الموجبة للاعتقال من الحسبة
١٥٦	ثمة ملاحظات
١٥٧	الفصل الثالث/ مربع الطفولة والشباب
١٥٧	١-حي البتاوين حي التعايش والألفة
١٥٧	٢-البتاوين في بغداد

الفصل الرابع/ العنف السياسي ضد حزب القيادة المركزية.....	١٩١.....
إنتفاضة الأهوار	٢١٥.....
الرسائل التي أرسلها الشاعر مظفر النواب للرفيق عقيل حبس	٢١٩.....
نص الرسالة الأولى	٢٢٠.....
نص الرسالة الثانية	٢٢٣.....
١- انقلاب ٨ شباط الاسود الدموي وما بعده	٢٤٥.....
صرائف العاصمة.....	٢٤٧.....
٢- قصر النهاية ١٩٦٣	٢٦١.....
بيان رقم ١٣	٢٦٤.....
إنتفاضة ٣ تموز ١٩٦٣	٢٦٧.....
نبذة تأريخية	٢٦٩.....
إرتباط الإنتفاضة بالحزب	٢٧٠.....
أسباب قيام الإنتفاضة	٢٧١.....
فتوى السيد عبد المحسن الحكيم	٢٨٩.....
٣- حكم الأخوين عارف	٢٩٩.....
٤- نفق سجن الحلة	٣٠١.....
١- عملية الهروب من سجن الكوت	٣٠٨.....
٢- عملية الهروب من سجن بعقوبة	٣٠٨.....
٦- البداية في "النهاية"	٣١٣.....
أ- من رفاق المسيرة	٣٥٠.....
ب- رفاق استشهدوا	٣٧٩.....
ت- معتقلون آخرون	٣٨١.....
ث- صورة من الإذلال	٣٨٨.....
١- معتقلون	٣٨٩.....
٢- سجنانون	٣٩٥.....
أ- قتله "صباح بدن"	٣٩٦.....

٣٩٧	٣- قتله "فؤاد الركابي"
٣٩٨	٤- نقاهة في السجن
٣٩٩	٥- صدام في الكويت
٤٠٣	٦- محنـة مع الاختطاف
٤٣١	خاتمة
٤٣٢	ملحقان
٤٣٢	١- من شهاداتي
٤٣٧	٢- من ملاحظاتي
٤٣٧	أ- عزيز الحاج
٤٣٧	١/ أوراق شخصية
٤٣٩	٢/ موقف غريبة
٤٣٩	إنقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨
٤٤٢	إنشقاق الحزب الشيوعي العراقي
٤٤٧	حركة الشواف وعلاقتها بأحداث الموصل
٤٥٤	أحداث كركوك
٤٥٨	أعمال الجهاز الصدامي المركزي
٤٦١	ب- الأعضاء القياديون
٤٦٧	صور ووثائق
٤٩١	المصادر